يوم الرب العظيم

المسمى

معركة هرمجدون

في

التوراة والإنجيل والقرآن



أحمد أحمد على السقا

يوم الرب العظيم

المسمى

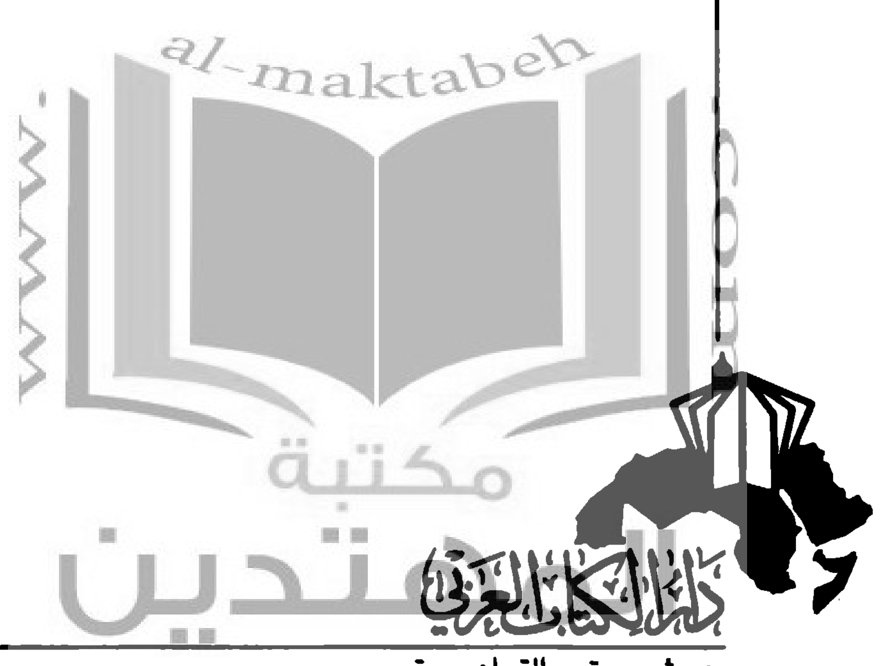
معركة هرمجدون



اسم الكتاب: يوم الرب العظيم المسمى معركة هرمجدون
اسم المؤلف: أحمد أحمد على السقا
رقم الايداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٣/٢٦٢٢
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-5346-52-5
تصميم واخراج الغلاف: وائل سلامة
اسم المطبعة: دار القبس للطباعة ت: ٣٦٤٠٨٣٥ - ٥٢٤٣٣١٤

الطبعة الثانية

٢٠٠٤



دمشـــق - القــاهــرة

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ١٣٣٤٤ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢
Email:darkitab2003@yahoo.com

يوم الرب العظيم

المسمى

معركة هرمجدون

في

التــوراة والإنجيـــل والقــرآن

أحمد أحمد على السقا

أستاذ مقارنة الأديان - جامعة الأزهر



الناشر

دار الكتاب العربي

دمشـــق - القـاهــرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بخير وإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن الله تعالى طلب من موسى عليه السلام أن يجمع له بنى إسرائيل ناحية جبل طور سيناء عقب غرق فرعون؛ ليسمعوا صوته وهو يتكلم معه؛ فيهابوه إلى الأبد. فجمعهم. ومن هيبته حال الكلام؛ حدث أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل، وصوت بوق شديد. وكان جبل سيناء كله يدخن، وارتجف كل الجبل جدا. وعندئذ طلب بنو إسرائيل من موسى أنه إذا أراد الله أن يكلمهم؛ مرة أخرى؛ فليكلمهم بواسطة موسى. وموسى يبلغهم؛ فيسمعون ويطيعون. ولما بلغ موسى كلامهم لله؛ استحسنه، ووعدهم أن يكلمهم عن طريق نبى يأتى من بعد موسى بزمان، ويكون من إخوتهم بنى إسماعيل، ويكون أميا غير قارئ ولا كاتب. **ويتميز عن مدعى النبوة بأنه يخبر بغيب، ويقع الغيب كما يقول.**

ففى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية:

«يُقيم لك الرب إلهك: نبيا من وسطك من إخوتك. مثلى. له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلاً: لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً؛ لئلا أموت. قال لى الرب: قد أحسنوا فى ما تكلموا. أُقيم لهم: نبيا من وسط إخوتهم، مثلك، وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أُوصيه به،ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى

يتكلم به باسمى؛ أنا أُطالبه. وأما النبى الذى يُطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى؛ فيموت ذلك النبى.

وإن قلت فى قلبك: كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبى باسم الرب. ولم يحدث ولم يصر؛ فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب. بل بطغيان تكلم به النبى؛ فلا تخف منه» (تثنية ١٨ : ١٥ ـ ٢٢)

وظل بنو إسرائيل فى انتظار هذا النبى إلى زمان يحيى وعيسى عليهما السلام. واعترف كل منهما بأنه ليس هو هذا النبى. كما فى الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا. وهو: «ألنبى أنت؟ فأجاب: لا» وكما فى الأصحاح الثالث من سفر أعمال الرسل. وهو أن بطرس[1] قال لليهود: إن عيسى هو ذلك النبى، وما كنا له بعارفين. ذلك قوله: «فإن موسى قال للآباء: إن نبيا مثلى. سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم. له تسمعون فى كل ما يكلمكم به. ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشَّعب»

يريد أن يقول: إن من أوصاف هذا النبى أنه إذا ظهر فإنه سيشن حروبا على اليهود، الذين لن يدخلوا فى دينه، وسينتصر عليهم، وسيهلكهم، وسيبيدهم من الشعب. كما قال عنه موسى نفسه: «ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أُطالبه»

ومن المعلوم للناس جميعا: أن عيسى عليه السلام لم يُبد من الشعب الذين لم يسمعوا له. وقال: «أعطوا ما لقيصر؛ لقيصر؛ وما لله؛ لله» (مرقس ١٢ : ١٧)

وكتّاب أسفار الأنبياء والمسيح عيسى ويوحنا المعمدان. كلهم كتبوا عن إبادة من لا يسمع لهذا النبى الآتى من الشعب. وقالوا: إن يوم الإبادة سيكون يوما من أيام الله. كاليوم الذى هلك فيه الكافرون بنوح عليه السلام واليوم الذى هلك فيه الكافرون بهود عليه السلام واليوم الذى هلك فيه الكافرون بصالح عليه السلام واليوم الذى هلك فيه أهل فرعون لما كذبوا نبى الله موسى.

---

(١) أعنى ناسب الكلام إلى بطرس. فإن سفر أعمال الرسل مدون فى القرن الرابع الميلادى.

ونسبوا جميعا اليوم لله بقولهم: **إن هلاك الكافرين بالنبى الآتى سيكون فى يوم الرب**؛ لأن النبى نائب عنه؛ وهو سينصره لإقرار شريعته فى الأرض. فالنبى وجنوده هم الذين يحاربون فى الظاهر. والله فى الحقيقة هو الذى يحارب عن طريق ملائكته وجنوده.

وليست الإبادة فى يوم الرب لليهود الكافرين به من دون الناس. بل لليهود وللأمم. وذلك لأن شريعة موسى عليه السلام لم تكن خاصة باليهود، وإنما كانت لهم ولجميع أمم الأرض. وقد بلّغها بنو إسرائيل للأمم من زمان موسى إلى زمان سبى بابل ٥٨٦ ق م ومن بعد سبى بابل؛ جعلوها خاصة لجنسهم، واستبعدوا الأمم من الدخول فى دينهم، وحرفوا التوراة لفظا ومعنى، وقالوا: **﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**

وفى ذلك يقول المسيح عيسى عليه السلام وهو يوبخ علماء بنى إسرائيل: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيّون المراءون؛ لأنكم تطوفون البحر والبرّ؛ لتكسبوا دخيلا واحدا. ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا» (متى ٢٣: ١٥)

وفى القرآن الكريم: أنهم كانوا مأمورين بالجهاد فى سبيل الله، وأن من يُقتل منهم فإن له الجنة التى أعدت للمتقين كشهداء المسلمين سواء بسواء. ذلك قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**

وفى سورة أخرى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا**

لَنا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

إلى آخر الكلام. الذى يحكي عن فتح فلسطين على يد طالوت وداود عليهما السلام. وفيه عن داود ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

وقد قسم أنبياء بنى إسرائيل ملك الله على العالم على قسمين. بعد ما قالوا: إن كل من مع الله؛ هو فى ملكه. وإن كل من مع الشيطان هو فى ملكه. فالعاملون بكلام الأنبياء هم فى ملكوت الله تمييزا لهم عن العاملين بكلام الشياطين. الذين هم فى ملكوت الشيطان.

والقسم الأول: هم العاملون بشريعة موسى. وهم بعملهم يكونون فى ملكوت الله على شريعة موسى.

والقسم الآخر: هم الذين يتركون العمل بشريعة موسى إذا ظهر النبى الآتى خلفا له وعوضا عنه، ويعملون بشريعته. وهم بعملهم يكونون فى ملكوت الله على شريعة هذا النبى الآتى. الذى هو محمد ﷺ

وقد قال النبى دانيال: إن أربعة ممالك ستقوم على الأرض هى: بابل وفارس واليونان وأهل الروم. ثم يظهر نبى فى نهاية مملكة أهل الروم. ويغلب مملكة أهل الروم، ويؤسس لله تعالى مملكة لا تنقرض أبداً. ذلك قوله: «كنت أرى فى رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان؛ أتى، وجاء إلى القديم الأيام؛ فقربوه قدامه؛ فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا. لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول، وملكوته ما لن ينقرض» (دانيال ٧: ١٣ ـ ١٤)

وقال النبى دانيال: إنه فى نهاية دهر الملك والنبوة فى بنى إسرائيل؛ ستقوم حرب شديدة بين اليهود وبين أتباع النبى الآتى؛ ستكون نتيجتها خراب فلسطين، وهيكل سليمان، وإهلاك اليهود الكافرين بهذا النبى، وإهلاك شركائهم الذين استعانوا بهم من الأمم. وسيظل ملك أتباع النبى الآتى على فلسطين إلى أبد

الآبدين، ودهر الداهرين. وذلك كله فى الأصحاح التاسع.

ولما تحدث المسيح عيسى عليه السلام عن النبى الآتى من بعده؛ قال عنه كما قال النبى دانيال، واستدل بكلام دانيال، ونصح أتباعه بالهرب من أرض المعركة فى فلسطين، **وقال: إن ساعة هذه المعركة ستكون «بغتة» ولا يعلمها إلا الله وحده.**

وقد سأله الحواريون عن زمن هذه المعركة. وأجاب بأنه ستحدث علامات تدل على الزمن، ولكنه لا يعرف الزمن بالضبط. وهذه العلامات: هى ظهور أنبياء كذبة، وقيام حروب بين الأمم، وقيام أُمّة على أمة، ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن. . . ثم قال: «ثم يأتى المنتهى»

ثم قال عن خراب المدينة أورشليم، وعن خراب هيكل سليمان:

«فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس؛ ليفهم القارئ، فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال. . .»

ويعتبر كتابنا هذا مكملا لكتابنا «البداية والنهاية لبنى إسرائيل» فإن فيه أكثر ما جاء فى القرآن عن «الساعة» وهذا فيه أكثر ما جاء فى القرآن عن «يوم الرب»

وكما هى عادتنا: ألفنا هذا الكتاب، وقدمنا له، ومهدنا له، بما به يقدر الناس على فهمه. بكلام فيه قد سبق أن وضعناه فى كتب؛ لأن هذه الموضوعات عسرة الفهم. حتى عند الذين يدرسونها لطلاب العلم منهم، فرضا وإلزاما وقسرا، ولأن الإحالة على كتاب سابق؛ قد تُفترض نُدرته أو تفترض صعوبة الحصول عليه، خاصة إذا كان القارئ قد ذهب به بعيدا عن موطن تأليفه. وسوف يأتى الزمان الذى لا يكون فيه على المسلمين عسرة أو ندرة. فإلى أن يظهر هذا الزمان؛ نرجوهم أن يلتمسوا لنا عذرا.

ويعترف المسيحيون بأن يوم الرب لم يظهر قبل عيسى عليه السلام وبأنه سيظهر من بعده. رليس على يده. وعلى اعترافهم هذا. لا يكون المسيح عيسى عليه السلام هو النبى الذى يتم فى أيامه يوم الرب. ومع هذا يقولون: إن المسيح سيظهر فى نهاية الزمان ظهوراً روحياً، وسيحارب حربا روحية، وعقب انتهاء الحرب تنتهى الدنيا، ويقوم

الناس من الأموات لله رب العالمين. فما فائدة الحرب إذاً؟ وما فائدة الملك إذاً؟ وما فائدة الانتصارات والهزائم؟ وكيف يفتح البلاد إذاً؟ ولماذا وهم كلهم فى الأحلام؟ ثم إن النبوءات محددة زمن يوم الرب بأنه ١ ـ عقب مملكة أهل الروم. ٢ ـ وعقب الأسابيع السبعين. وها هى الروم قد زالت. وما يزال عيسى فى علم الغيب. لم يظهر ظهورا روحيا ولا ظهورا جسديا. وهو نفسه قد قال: «ولست أنا بعدُ فى العالم»

ومن النصوص التى تدل على اعتراف النصارى بأن يوم الرب لم يظهر قبل عيسى عليه السلام وبأنه سيظهر من بعده: قول بطرس: «أن يوما واحدا عند الرب كألف سنة[1]. وألف سنة كيوم واحد. لا يتباطأ الرب عن وعده، كما يحسب قوم التباطؤ. لكنه يتأنّى علينا. وهو لا يشاء أن يَهْلِك أُناس، بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة. ولكن سيأتى كلص فى الليل يوم الرب، الذى فيه تزول السموات بضجيج، وتنحل العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التى فيها. فبما أن هذه كلها تنحّل. أى أناس يجب أن تكونوا أنتم فى سيرة مقدسة وتقوى. منتظرين وطالبين سرعة مجئ يوم الرب، الذى به تنحل السموات ملتهبة، والعناصر محترقة تذوب. ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة، وأرضا جديدة؛ يسكن فيها البِرّ» (٢ بط ٣: ٨ ـ ١٣)

فقد أبان أنه فى زمانه لم يظهر يوم الرب، وأبان عن شدته على اليهود بأسلوب مجازى. عبر عنه بانحلال السموات، واحتراق الأرض والمصنوعات التى فيها. كما عبرت التوراة، لا أن هذه التعابير على الحقيقة.

***

والنصوص عن يوم الرب فى التوراة وفى الإنجيل وفى القرآن. ألفاظها تناسب معانيها. فإن المعنى إذا كان فى شدة، يختلف عن المعنى إذا كان فى خفّة. والألفاظ هى التى تفصح عن الشدة وعن الخفة. فالشاعر أحمد شوقى بك فى مسرحية مجنون ليلى يقول عن زياد راوى قيس:

أنت الذى تُهدِى لكل قرية ∴ مُجاجةَ النحل، ونفحة الرُّبا؟

(١) قال الله تعالى: ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾

يعنى: أن شعر قيس بن الملوح شبيه بعسل النحل فى الحلاوة والشفاء. وقد عبر عن المعنى بألفاظ خفيفة الوقع على الآذان.

ومثله قول قيس:

ليلى. تردد فى سمعى وفى خلدى .·. كما تردد فى الأيك الأغاريد
كسا النداء اسمها حسنا، وحببه .·. حتى كأن اسمها البشرى أو العيد

وقال قيس لابن زياد:

أسمعت ما قال الأميرُ؟ زيادُ. طر .·. نحو الحمى بجناحى المشتاق
اذهب وسل أمى أعزّ ملابسى .·. من كل شامى وكل عراقى
واذكر لها فضل الأمير، ولم تزل .·. نعم الأمير قلائد الأعناق

فلما وصل إلى وصف آلامه من فراق «ليلى» ومن حرمانه منها؛ أبان عن الفراق والحرمان - وهما معنيان لا يتحملهما عاشق - بألفاظ شديدة الوقع على الآذان. مثل البؤس والسقم وخفقان الصدر واضطرابه. فقال:

مُنى النفس ليلى. قربى فاك من فمى .·. كما لف منقاريهما غَردان
نذق قبلة لا يعرف البؤس بعدها .·. ولا السقم روحانا ولا الجسدان
فكل نعيم فى الحياة وغبطة .·. على شفتينا حين تلتقيان
ويخفقُ صدرانا خفوقا كأنما .·. مع القلب؛ قلب فى الجوانح ثان

وإن أذكر مثالا آخر يؤكد على مناسبة الألفاظ للمعانى؛ أذكر للشاعر محمود سامى البارودى أنه قال فى قصيدته التى نظمها فى الحرب التركية الروسية ١٨٧٧ م:

أدور بعينى لا أرى غير أمة من الروس بالبلقان يخطئها العدُّ

جواث على هام الجبال لغارة يطير بها ضوء الصباح إذا يبدو

إذا نحن سرّنا صرّح الشرّ باسّمه .·. وصاح القنا بالموت، واستقتل الجنّدُ
فأنت ترى بين الفريقيّن كبّةِ .·. يُحَدث فيها نفّسه البطلُ الجعّدُ
على الأرض منها بالدماء جداول .·. وفوق سراة النجم من نقّعها لبّدُ
إذا اشتبكوا أو راجعوا الزحف، خلّتهم .·. بحورا توَالَى بينها الجزّرُ والمدُّ
فهمْ بين مقتولٍ طريحٍ، وهاربٍ .·. طليحٍ، ومأسورٍ يُجاذبُه القِدُّ
نروحُ إلى الشورى إذا أقبل الدجى .·. ونغدو عليهم بالمنايا إذا نغدو
ونقّعِ كلجّ البحر، خضّتُ غماره .·. ولا معقلٌ إلا المناصلُ والجرّدُ
صبُرتُ له والموت يحموٌ تارةً .·. وينغلٌّ طورّاً فى العَجاجِ فيسودٌّ
فما كنتُ إلا الّليثَ أنهضه الطّوى .·. وما كنت إلا السيف فارقه الغِمدُ
صئولٌ وللأبطال همسٌ من الوَنَى .·. ضروبٌ وقلبُ القرّن فى صدره يعدو
فما مهجة إلا ورمحى ضميرها .·. ولا لبةٌ إلا وسيفى لها عِقّدُ

ومثل هذه الألفاظ المعبرة عن الشدة: قول حَبَقُّوق النبى فى وصف معركة يوم الرب: «أبصرتْكَ ففزعت الجبال. سيل المياه طما. . . الشمس والقمر وقفا فى بروجهما. . .» وقول النبى يحيى عليه السلام: «والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر» ولا يقدر أحد على القول بأن المراد من هذه الألفاظ؛ ظواهرها. وإنما يقدر على القول بأنها ألفاظ على المجاز، معبرة عن الشدة. وفي القرآن أساليب مجازية منها: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ والمعني: ألن لهما جانبك متذللا لهما. ومنها: ﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ والمراد: لاتنصرفوا عنهم مهزومين.

ويقال: إن سفر نشيد الإنشاد مكتوب بأسلوب كنائى رقيق يناسب المحبوب. وهو النبي المنتظر. ومنه: «في الليل علي فراشي طلبتُ من تحبه نفسي. فما وجدته. إني أقوم وأطوف في المدينة في الأسواق وفي الشوارع أطلب من تحبه نفسي. طلبته فما وجدته. وجدني الحرس الطائف في المدينة فقلت: أرأيتم من تحبه نفسي؟ فما

جاوزتهم إلا قليلا حتي وجدتُ من تحبه نفسي؛ فأمسكته ولم أرْخِه، حتي أدخلته بيت أمي وحجرة من حبلت بي. أحلفكن يابنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقل ألا تُيقِّظن ولا تنبهن الحبيب حتي يشاء» (نش ٣: ١ ـ ٥)

وهذا نص على اسم محمد ﷺ باللغة العبرانية:

«حيكّو ممتاقيم فى كلّو محمديم ده دودى فى ذه ريعى بنوت يوروشاليم» الترجمة: «ريقه أعذب مايكون. وهو شهى كله. هذا حبيبى، هذا رفيقى، يابنات أورشليم» ترجمة أخرى: «حلقه حلاوه وكله مشتهيات. هذا حبيبى يابنات أورشليم» (نش ٥: ١٦) وله صلة بمشتهى الأمم فى سفرحجى ٢: ٧.

وكتاب التوراة ملئ بالمجازات. ومنها: «اذهب وناد في أذني أورشليم» (إر ٢: ٢) وليس للجدران والحيطان أذن كأذن بني آدم. والمراد: «أذني أهل أورشليم. ومثله قول الشاعر:

أبت الروادف والثدى لقمصها ... مسّ البطون، وأن تمس ظهورا

وإذا الرياح لدى العشى تناوبت ... أبكين حاسدة، وهجن غيورا

وفي التوراة يقول الله: «أكلني أفنانى نبوخذ راصّر ملك بابل جعلني إناء فارغا، ابتلعني كتنين. وملأ جوفه من نعمي» (إر ٥١: ٣٤ يقصد أباد شعب اليهود وسباهم إلي بابل«؟ طوّحني» وإذا نحن أظهرنا لهم معني؛ فإنما نظهره بحسب ما عندهم من العلم؛ لنلزمهم الحجة بما ألزموا به أنفسهم؛ لأن الله يقول: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هي أحسن﴾ ونحن نجادلهم بلسانهم علي قدر عقولهم. داعين الله أن يهديهم إلي الإسلام ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا؛ فلن يقبل منه. وهو في الآخرة من الخاسرين﴾

ويوم الرب ـ فى اصطلاح أهل الكتاب ـ يكون فى الأيام الأخيرة لملك بنى إسرائيل على الأمم، وسيادة شريعة التوراة على المؤمنين بها. ويدل أيضا على أول أيام ظهور النبى الأمى الآتى على مثال موسى. فإشعياء النبى يقول: «ويكون فى آخر الأيام: أن جبل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجرى إليه كل الأمم» (إش ٢: ٢) وجبل بيت الرب: هو جبل الكعبة البيت الحرام.

وجرى الأمم إليـه كان من بعثة محمد ﷺ . ومشى الناس إليـه رجالا وعلى كل ضامر؛ كان من قبله ﷺ ودانيال النبى يقول: إن الذى يزيل المملكة الرابعة. وهى أمة الروم ويؤسس لله مملكة على الأرض؛ يكون هو النبى الأمى الآتى على مثال موسى. فليسأل الناس أنفسهم عمن أزالها؟ وقال دانيال النبى: إن النبى الذى سيزيلها؛ سيزيلها بحرب شديدة فى يوم يسمى بيوم الرب. ولم يزل الروم إلا محمد ﷺ وأزال بحرب شديدة. فيكون هو النبى المنتظر. ومعنى أنه يزيلها: هو أن أصحابه يزيلونها؛ لأنه وهم أصحاب هدف واحد. وقد تمت الإزالة فى يوم الرب فى عهد عمر بن الخطاب ﷺ سنة ٦٣٨ م. فى موقعة «هرمجدون» Armageddon

يقول دانيال بعد ذكر الممالك الأربعة: «كنت أرى فى رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء، مثل ابن إنسان؛ أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدامه. فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض» (دا ٧: ١٣ ـ ١٤) ويقول عن ختم النبوة فى بنى إسرائيل بعد المملكة الرابعة: «سبعون أسبوعا قُضيت على شعبك، وعلى مدينتك المقدسة؛ لتكميل المعصية، وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليؤتى بالبر الأبدى، ولختم الرؤيا والنبوة، ولمسح قدوس القدوسين» (دا ٩: ٢٤) ويقول عن الحرب الشديدة فى يوم الرب: «وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس، وانتهاؤه بغمارة. وإلى النهاية حرب وخرب؛ قضى بها...» وقد استدل عيسى ﷺ بكلامه هذا. فقال عن فتح المسلمين لفلسطين: «فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس...» (متى ٢٤: ١٥)

***

وسنمهد ـ كما وعدنا ـ بما نظن أنه يساعد على الإلمام بموضوع «يوم الرب» ومن بعد التمهيد؛ نشرع فى ذكر آيات عن يوم الرب فى سور من القرآن الكريم، ونفسرها. على قدر الطاقة.

والله ولى التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ميت طريف ـ دقهلية

د/ أحمد أحمد على السقا

١٧/ ٥/ ١٤٢٣ هـ ـ ٢٧/ ٧/ ٢٠٠٢ م

التمهيد الأول

دعوة المسيح عيسى

عليه السلام

بين الله تعالى فى التوراة وفى الإنجيل لعلماء بنى إسرائيل ولسائر الأمم: أن سيظهر محمد من آل إسماعيل بن إبراهيم ليكون للعالمين نذيراً، وأنه سينسخ شريعة موسى وسيغير عوائده وشعائره. ووصف صحابته بالطهر والعفاف، وأنهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم، وأنهم فى بدء الإسلام سيكونون جماعة صغيرة، ثم تنمو رويدا رويدا، حتى يكونون كباراً، ويعمل الناس لهم ألف حساب وحساب.

ففى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين: أن الله تعالى قال لإبراهيم: «سر أمامى. وكن كاملا. فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيراً جداً» والمعنى: امش فى الناس بالدعوة إلى دينى وعرفهم بى؛ لينبذوا عبادة الأوثان. وكن كاملا. أى أمة وقدوة فى عمل الخير. ولئن التزمت بالدعوة والقدوة، أجعل عهدى معك بالنبوة والرسالة والملك على الأمم، وقد التزم إبراهيم عليه السلام ومن أجل ذلك قال الله له: سأجعل عهدى بالنبوة والرسالة والملك على الأمم فى نسل إسحق عليه السلام إذا مشوا بالدعوة إلىّ وكانوا قدوة فى عمل الخير. فقال إبراهيم لله: وإسماعيل ولدى البكر. أتمنى أن تجعل العهد فى نسله أيضاً. فيكون العهد بالنبوة والرسالة والملك مشتركاً بين إسماعيل وإسحق. ويكون لهذا مدة، ولهذا مدة.

هذا ما قاله إبراهيم لله، ورد الله عليه ـ حسبما تنص التوراة ـ فإن فيها:

«وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك... فقال الله. وأما إسماعيل. فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره. وأكثره كثيراً جداً. اثنى عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة»

وقد حمل بركة إسحق بالتوراة موسى عليه السلام وحمل بركة إسماعيل بالقرآن محمد عليه السلام. وبيان ذلك:

١ - أن إسماعيل عليه السلام سكن مع أمه فى برية فاران: وهى أرض مكة المكرمة ففى الأصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين: «ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: مالك يا هاجر. لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومى احملى الغلام وشدى يدك به. لأنى سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء. فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام، وكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى البرية. وكان ينمو رامى قوس. وسكن فى برية فاران. وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر»

هذا هو مكان سكنى إسماعيل المبارك فيه بالملك والنبوة.

٢ - وقد قسم موسى عليه السلام بركة الله بالملك والنبوة على ثلاثة أماكن: (أ) سيناء: مكان نزول التوراة. (ب) وساعير: مكان تفسير التوراة من علماء وأنبياء بنى إسرائيل. (جـ) وفاران: مكان نزول القرآن. فقال فى الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: «وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران. وأتى من ربوات القدس. وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه فى يدك وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك»

وفى هذا النص بيان كثرة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد قال: «وأتى من ربوات القدس» وفى بعض التراجم: وأتى مع آلاف من جيش المقدسين الطاهرين الذين اختارتهم العناية الإلهية لهذا الغرض المقدس. وفى هذا النص مدح لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال: «جميع قديسيه فى يدك. وهم جالسون عند قدمك. يتقبلون

من أقوالك» أى أن الصحابة الأجلاء فى يد رسول الله ﷺ لا يخرجون عن طاعته، وهم جالسون عند قدمه. كناية عن التواضع بين يديه، ويتقبلون من أقواله. أى لا يشرعون لهم من تلقاء أنفسهم.

٣ - وقد نبه يعقوب الذى هو إسرائيل بنيه حال موته على مجئ نبى السلام الذى متى جاء فإنه سيأخذ منهم الملك والنبوة. بقوله: «لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتى شيلون، وله يكون خضوع شغوب» (تكوين ٤٩ : ١٠) والمعنى: لا يزول الملك من بنى إسرائيل. وعبر بيهوذا عن بنى إسرائيل بأسرهم. وستظل التوراة شريعة تحت نفوذ الملك من بنى إسرائيل، حتى يأتى «شيلون» نبى الإسلام، فيتسلم منهم النبوة والملك وتخضع له أمم الأرض.

وليس شيلون إلا محمد ﷺ لأنه من إسماعيل المبارك فيه.

٤ - نبوءة نشيد موسى:

ومن نبوءات التوراة عن محمد ﷺ نبوءة نشيد موسى عليه السلام. وفيها: أن الله تعالى يعدد نعمه على بنى إسرائيل، ويمن عليهم بأنه ملّكهم على الأمم ليبلغوا شريعته. وأنهم جحدوا فضله وعبدوا الأصنام. ولهذا سينزع منهم الملك ويعزّ به أمة أمية «فرأى الرب، ورذل من الغيظ بنيه وبناته، وقال: أحجب وجهى عنهم، وأنظر ماذا تكون آخرتهم. إنهم جيل متقلب. أولاد لا أمانة فيهم. هم أغارونى بما ليس إلها. أغاظونى بأباطيلهم. فأنا أغيرهم بما ليس شعبا. بأمة غبية أغيظهم»

وهذه الأمة الغبية هى أمة بنى إسماعيل عليه السلام؛ لأن لإسماعيل بركة هى ملك ونبوة.

وتكلم عن آخرة بنى إسرائيل، وبين أن آخرتهم فيها هلاكهم. فى يوم الرب «وأنظر ماذا تكون آخرتهم»؟ وهى الهلاك والخراب والدمار؛ لأنه حجب وجهه عنهم.

وأكد على هلاك الكافرين بالنبى، الآتى من الأمة الأمية، وأكد على نجاة

المؤمنين به من اليهود بقوله: «لأن الرب يدين شعبه، وعلى عبيده يُشفق»

ثم دعا ١ ـ الأمم إلى الفرح بشريعة النبى الآتى من الأمة الأمية ٢ ـ مع شعبه الجديد الذى هو الأمة الأمية. فقال: «تهللوا أيها الأمم. شعبه» وأبان عن نوع الانتقام بقوله: «لأنه ينتقم بدم عبيده»

وقد جاء فى النص اليونانى: «تهللوا أيها الأمم مع شعبه» وهى تدل على أن الأمم غير الشعب الذى سيأتى منه النبى. وقوله «أيها الأمم شعبه» يدل على أن الأمم وشعبه هم جميعا شعب واحد. وقد اعتمد بولس النص اليونانى فقال: «ويقول أيضاً: تهللوا أيها الأمم مع شعبه» (رومية ١٥ : ١٠)

وفى آخر النص اليونانى لنشيد موسى أن ملائكة الله ستكون معه، وستنصره على أعدائه. هكذا:

«تهللى معه أيتها السموات، واسجدوا له يا جميع الآلهة. تهللى أيتها الأمم مع شعبه. ولتُعلن قوته ملائكة الله جميعا؛ لأنه يثأر لدم عبيده، ويرد الانتقام على خصومه، ويجازى مبغضيه، ويكفر عن أرض شعبه» (تث ٣٢: ٤٣ ـ ٤٤)

مقدمة نشيد موسى:

«وقال الرب لموسى: هوذا أيامك قد قربت لكى تموت. أدع يشوع وقفا فى خيمة الاجتماع لكى أوصيه. فانطلق موسى ويشوع ووقفا فى خيمة الاجتماع فتراءى الرب فى الخيمة فى عمود سحاب ووقف عمود السحاب على باب الخيمة. وقال الرب لموسى: ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الأجنبيين فى الأرض التى هو داخل إليها فى ما بينهم ويتركنى وينكث عهدى الذى قطعته معه. فيشتعل غضبى عليه فى ذلك اليوم: وأتركه وأحجب وجهى عنه فيكون مأكلة وتصيبه شرور كثيرة وشدائد حتى يقول فى ذلك اليوم؛ أما لأن إلهى ليس فى وسطى أصابتنى هذه الشرور. وأنا أحجب وجهى فى ذلك اليوم لأجل جميع الشر الذى عمله. إذ التفت إلى آلهة أخرى. فالآن اكتبوا لأنفسكم هذا النشيد وعلم بنى

إسرائيل إياه. ضعه فى أفواههم لكى يكون لى هذا النشيد شاهداً على بنى إسرائيل.

لأنى أدخلهم الأرض التى أقسمت لآبائهم الفائضة لبنا وعسلا؛ فيأكلون ويشبعون ويسمنون ثم يلتفتون إلى آلهة أخرى ويعبدونها ويزدرون بى وينكثون عهدى. فمتى أصابته شرور كثيرة وشدائد يجاوب هذا النشيد أمامه شاهداً لأنه لا ينسى من أفواه نسله. إنى عرفت فكره الذى يفكر به اليوم قبل أن أدخله إلى الأرض كما أقسمت. فكتب موسى هذا النشيد فى ذلك اليوم وعلم بنى إسرائيل إياه.

وأوصى يشوع بن نون وقال: تشدد وتشجع لأنك أنت تدخل ببنى إسرائيل الأرض التى أقسمت لهم عنها، وأنا أكون معك.

فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب إلى تمامها؛ أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلاً: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم. لأنى أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة. هوذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب؛ فكم بالحرى بعد موتى. اجمعوا إلىّ كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض. لأنى عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به **ويصيبكم الشر فى آخر الأيام**[1] لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم.

فنطق موسى فى مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد إلى تمامه»

نشيد موسى:

«أنصتى أيتها السموات فأتكلم؛ ولتسمع الأرض أقوال فمى. يهطل كالمطر تعليمى ويقطر كالندى كلامى. كالطل على الكلأ وكالوابل على العشب. إنى باسم الرب أنادى. أعطوا عظمة لإلهنا. هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل. إله أمانة لا جور فيه. صديق وعادل هو.

(١) آخر الأيام: معناه بدء بركة إسماعيل من محمد ﷺ وهو آخر أيام بركة إسحق التى بدأت من موسى.

أفسد له الذين ليسوا أولاده. عيبهم. جيل أعوج ملتو. ألرب تكافئون بهذا يا شعبا غبيا غير حكيم؟ أليس هو أباك ومقتنيك؟ هو عملك وأنشأك. أذكر أيام القدم وتأملوا سنى دور فدور. اسأل أباك فيخبرك وشيوخك فيقولوا لك.

حين قسم العلى للأمم، حين فرق بنى آدم؛ نصب تخوماً لشعوب حسب عدد بنى إسرائيل. إن قسم الرب هو شعبه. يعقوب حبل نصيبه. وجده فى أرض قفر وفى خلاء مستوحش خرب. أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه. كما يحرك النسر عشه وعلى فراخه يرف ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه؛ هكذا الرب وحده اقتاده، وليس معه إله أجنبى. أركبه؛ على مرتفعات الأرض؛ فأكل ثمار الصحراء وأرضعه عسلا من حجر، وزيتا من صوان الصخر. وزبدة بقر ولبن غنم مع شحم خراف وكباش أولاد باشان وتيوس مع دسم لب الحنطة. ودم العنب شربته خمرا.

فسمن يشورون ورفس. سمنت وغلظت واكتسيت شحما. فرفض الإله الذى عمله وغبى عن صخرة خلاصه. أغاروه بالأجانب وأغاظوه بالأرجاس. ذبحوا لأوثان ليست الله. لآلهة لم يعرفوها أحداث قد جاءت من قريب لم يرهبها آباؤكم. الصخر الذى ولدك تركته ونسيت الله الذى أبدأك.

فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته. وقال: أحجب وجهى عنهم، وأنظر ماذا تكون آخرتهم[1]. إنهم جيل متقلب أولاد لا أمانة فيهم. **هم أغارونى بما ليس إلها. أغاظونى بأباطيلهم. فأنا أغيرهم بما ليس شعباً. بأمة غبية أغيظهم.**

إنه قد اشتعلت نار بغضبى فتتقد إلى الهاوية السفلى وتأكل الأرض وغلتها وتحرق أسس الجبال. أجمع عليهم شروراً وأنفذ سهامى فيهم. إذ هم خاوون من جوع ومنهوكون من حمى وداء سام، أرسل فيهم أنياب الوحوش مع حمّة زواحف الأرض. من خارج السيف؛ يثكل، ومن داخل الخدور؛ الرعبة. الفتى مع الفتاة والرضيع مع الأشيب. قلت: أبددهم إلى الزوايا، وأبطل من الناس ذكرهم. لو لم أخف من إغاظة العدو من أن ينكر أضدادهم، من أن يقولوا: يدنا ارتفعت وليس الرب فعل كل هذه.

(١) لاحظ: آخرتهم. وهى على يد المسلمين.

إنهم أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم. لو عقلوا لفطنوا بهذه **وتأملوا آخرتهم**. كيف يطرد واحد ألفا ويهزم اثنان رِبوة لولا أن صخرهم باعهم والرب سلمهم. لأنه ليس كصخرنا صخرهم ولو كان أعداؤنا القضاة. لأن من جفنة سدوم جفنتهم ومن كروم عمورة. عنبهم عنب سم ولهم عناقيد مرارة. خمرهم حمة الثعابين وسم الأصلال القاتل.

أليس ذلك مكنوزاً عندى مختوما عليه فى خرائنى. لى النقمة والجزاء. فى وقت تزل أقدامهم. إن يوم هلاكهم قريب والمهيآت لهم مسرعة. لأن الرب يدين شعبه وعلى عبيده يشفق. حين يرى أن اليد قد مضت ولم يبق محجوز ولا مطلق. يقول: أين آلهتهم الصخرة التى التجأوا إليها التى كانت تأكل شحم ذبائحهم وتشرب خمر سكائبهم. لتقم وتساعدكم وتكن عليكم حماية. انظروا الآن. أنا أنا هو وليس إله معى. أنا أميت وأحيى. سحقت وإنى أشفى وليس من يدى مخلّص. إنى أرفع إلى السماء يدى وأقول: حى أنا إلى الأبد. إذا سننت سيفى البارق وأمسكت بالقضاء يدى، أرد نقمة على أضدادى، وأجازى مُبغضى. أسكر سهامى بدم، ويأكل سيفى لحما. بدم القتلى والسبايا ومن رءوس قواد العدو.

تهللوا أيها الأمم شعبه؛ لأنه ينتقم بدم عبيده وبرد نقمة على أضداده ويصفح عن أرضه عن شعبه» (تثنية ٣١: ١٤ +)

٥ ـ نبوءة بلعام (١):

قال كاتب التوراة: إن «آخر الأيام» تعبير يعنى: آخر أيام بركة إسحق، وأول بركة إسماعيل.

وذلك فى قوله: «ودعا يعقوب بنيه، وقال: اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام» ثم قال: إن الملك والشريعة سيظلان مع بنى إسرائيل إلى أن يأتى «شيلون» من غير أبنائهم. ذلك قوله: «لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتى شيلون. وله يكون خضوع شعوب» (تك ٤٩: ١) وقد ترجم

(١) يقال: إن بلعام هو المقصود بقوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا﴾

«شيلون» بالذى هو له. أى النبى المنتظر، الملقب بلقب «المَسِيّا» أو «المسيح الرئيس»

وهذا نص فى مجئ محمد رسول الله ﷺ الذى تبدأ من مجيئه بركة إسماعيل فى الأمم. وبعدما قال الكاتب هذا الكلام الواضح معناه للراسخين فى العلم، قال للأميين: إن النبى الآتى سيكون من بنى إسرائيل، لا من بنى إسماعيل. على طريقة لبس الحق بالباطل. وكتب هكذا:

إن بلعام بن بعور، أوحى الله إليه أن يقول لبالاق بن صَفُّور ملك موآب: «هلم أنبئك بما يفعله هذا الشعب بشعبك فى آخر الأيام» ما المراد بآخر الأيام؟

ثم قال لبالاق: إنه فى آخر أيام بركة بنى إسرائيل؛ سيظهر نبى أمى مماثل لموسى وسيحارب أمم الكفر، وسينتصر عليهم، وسيملك على بلادهم. فمن هو هذا النبى الأمى؟ إن الراسخين فى العلم منهم يعلمون أنه محمد رسول الله ﷺ لقول يعقوب عنه: «آخر الأيام» و «حتى يأتى شيلون» لينزع الملك والنبوة من بنى إسرائيل. والكاتب فى هذا الموضع لبس الحق بالباطل. فقال: إن النبى الأمى الآتى، سيكون من بنى إسرائيل. كيف وقد قال سابقاً: إن لإسماعيل بركة؟

قال الكاتب: «ثم نطق بمثله، وقال: وحى بلعام بن بعور. وحى الرجل المفتوح العينين. وحى الذى يسمع أقوال الله، ويعرف معرفة العلى. الذى يرى رؤيا القدير ساقطا. وهو مكشوف العينين: أراه ولكن ليس الآن. أبصره ولكن ليس قريبا. يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل؛ فيحطم طرفى موآب، ويهلك كل بنى الوغى. ويكون أدوم ميراثا، ويكون سعير أعداؤه ميراثا. ويصنع إسرائيل ببأس، ويتسلط الذى من يعقوب، ويهلك الشارد من مدينة» (عدد ٢٤ : ١٥ ـ ١٩)

وفى ترجمة اليسوعيين، وفى تعليقاتهم عليها:

«وقال: كلام بلعام بن بعور، كلام الرجل المغلق العينين. كلام السامع أقوال الله، والعارف معرفة العلى، والناظر مناظر القدير، الذى يقع، فتنفتح عيناه: أراه وليس حاضرا، أبصره وليس بقريب. يسعى كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من إسرائيل؛ فيحطم طرفى موآب ويريح جميع بنى شيت. ويكون أدوم ببأس ميراثا له؛

ملكا له. ويكون سعير أعداؤه، ويصنع إسرائيل ببأس، ويتسلط الذى من يعقوب ويهلك من كل مدينة من بقى» (عدد ٢٤: ١٥ ـ ١٩)

يقول الآباء اليسوعيون فى التعليق على هذه النبوءة ما نصه:

«اتفق الآباء القديسيون والمفسرون المسيحيون واليهود القدماء أنفسهم؛ على أن هذه النبوة تختص بمجئ المسيح[1]» ويقول أصحاب تفسير الكتاب المقدس برئاسة فرنسس دافدسن: إن هذه النبوءة تشير ضمنا إلى المسيح. يقولون: «بعد قرون قليلة من عهد بلعام، قام ملك فى إسرائيل كان فاتحا عظيما. وهذا الملك واسمه داود؛ انتصر على موآب وأدوم (٢ صم ٨: ٢ و ١٤) وقد أتم بالتمام والكمال ما أنبأ به بلعام فى هذه الأعداد. ويقتبس عدد ١٧ أحيانا كنبوة عن «المسيح»

صحيح أنه هو الكوكب والقضيب وأنه برز من إسرائيل، ولكن يعتبر احتمالا متطرفا أن يشير هذا العدد إشارة مباشرة إليه، إلا فى المعنى العام. إنه هو وحده يتمم المثل الحقيقى الأعلى للملك. وبما أنه هو ذروة كل ملوك شعب الله، فكل شئ صالح قيل عن أى ملك فى إسرائيل، يشير إليه إشارة معينة، بمعنى ما» أ. هـ.

هذا هو نص تعليقهم على نبوءة بلعام بن بعور. وهم يتفقون مع اليهود (أ) فى أنها تعنى النبى الأمى الآتى على مثال موسى (ب) وفى أنه سيكون من بنى إسرائيل. ويختلفون معهم فى أن اليهود يقولون: إن النبى الأمى المنتظر لم يأت بعد، والنصارى يقولون: إنه هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. وأبسط رد على النصارى هو: أن النبوءة تصفه بأنه يملك على أعدائه وينزع الملك من بنى إسرائيل. وأبسط رد على اليهود هو: أن لإسماعيل بركة.

٦ ـ نبوءة النبى الأمى:

ولما كان موسى عليه السلام هو والمشايخ السبعون على جبل طور سيناء لتلقى شريعة التوراة من الله، خاف بنو إسرائيل من الدخان والنار اللذان أحاطا بهم، وهم فوق الجبل، وقالوا لموسى عليه السلام: إذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى ويسمعنا صوته.

(١) المراد بالمسيح فى لسان بنى إسرائيل: النبى الأمى المماثل لموسى. وهو محمد صلى الله عليه وسلم

فليكن عن طريق بشر، ليكن عن طريقك يا موسى. ونحن نسمع ونطيع. فرد موسى كلامهم إلى الله. فقال الله: أحسنوا فى ما قالوا. ولسوف أرسل لهم نبياً مثلك، وأجعل كلامى فى فمه. أى سيكون نبياً أمياً لا يقرأ ولا يكتب.

وهذا النبى الذى سيأتى مماثلا لموسى هو محمد ﷺ. لأن الله قد بارك فى إسماعيل - عليه السلام - وجعل له ملكاً ونبوة، كملك بنى إسحق ونبوتهم فإن لإسحق بركة كبركة إسماعيل. وحملها من بنى إسحق كلهم: بنو إسرائيل. وبدأت من بنى إسرائيل من موسى عليه السلام فإنه صاحب الشريعة. وكان رئيساً مطاعاً، وجاهد فى سبيل الله وأمر أتباعه بدخول الأرض المقدسة. وورثوا بلاد الكفار، من بعد هلاكهم، وأقاموا فيها، وعلموا المؤمنين أحكام التوراة. وضبطوا أمور البلاد بالملك عليهم.

ففى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية:

«يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك. مثلى. له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلاً: لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت، قال لى الرب: قد أحسنوا فى ما تكلموا. أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه. فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى، أنا أطالبه، وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاماً لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى. فيموت(١) ذلك النبى.

وإن قلت فى قلبك: كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب(٢)؟

فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى. فلا تخف منه» (تث ١٨ : ١٥ - ٢٢)

كيفية انطباق النبوءة على محمد ﷺ :

أولاً: إن من أوصاف هذا النبى المنتظر: أن يكون نبياً. لا إلهاً. وقد زعم

---

(١) فى ترجمة اليسوعيين ودار المشرق: «فليقتل».

(٢) يسألون عن علامة مميزة. وقد أخبرهم أنها هى حديثه عن الغيب.

النصارى: أن أوصاف النبى الذى تتحدث عنه هذه النبوءة: تنطبق على عيسى عليه السلام. وزعمهم باطل. لأن بعضهم يقول: إن عيسى إله. وبعضهم يقول: هو الإله الخالق للعالم. فالكاثوليك والبروتستانت يقولون: إن عيسى هو الإله الثانى. والله هو الإله الأول. والروح القدس هو الإله الثالث. والأرثوذكس يقولون: إن عيسى هو الله رب العالمين وقد ظهر للناس فى صورة بشر، وعن مذهب الكاثوليك والبروتستانت يقول تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة﴾ وعن مذهب الأرثوذكس يقول تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم﴾. وعن المذهبين: ﴿ولا تقولوا: ثلاثة﴾ أى ثلاثة آلهة، أو ثلاث مراحل لواحد.

وهذا مع ما فى التوراة وما فى الإنجيل من أن الله تعالى هو الخالق للعالم وحده وأنه ليس كمثله شئ. ففى الأصحاح السادس من سفر التثنية: «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» وفى الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: «ليس مثل الله» وفى الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا. فسر يوحنا أبناء الله بمعنى المؤمنين بالله فى قوله: «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله. أى المؤمنين باسمه» وقال: إن الله لم يره أحد. وحيث أن عيسى قد رآه الناس، فإنه بحكم الإنجيل لا يكون هو الله، لقوله: «الله لم يره أحد قط»

وفى نفس الأصحاح يورد يوحنا كاتب الإنجيل: شهادة يحيى عليه السلام ـ الذى هو يوحنا المعمدان ـ بأنه ليس هو النبى الذى أخبر عن مجيئه موسى فى سفر التثنية لينسخ شريعته. وقد كان يوحنا معاصراً لعيسى عليه السلام. وكان وهو يدعوان اليهود معا؛ لاقتراب ملكوت السموات. مما يدل على أن النبى المنتظر لم يكن قد أتى قبل يحيى وعيسى. وليس هو عيسى ولا يحيى ـ عليهما السلام ـ يقول يوحنا: «وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه: من أنت؟ فاعترف ولم ينكر. وأقر: أنى لست أنا المسيح[1]. فسألوه: إذاً ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا. ألنبى أنت؟ فأجاب: لا» فقد اعترف المعمدان بأنه ليس هو النبى

(١) يقصد المسيح المنتظر الذى هو المسيا، والذى هو النبى الأمى المماثل لموسى والذى هو إيليا ـ حسب تعبير ملاخى ـ ثلاثة ألقاب لواحد. وذلك لأن هذا الواحد كان مشهوراً فى كل مدينة بلقب. والعلماء يعرفون الألقاب. وأرادوا حسم الخلاف فيه.

المشار إليه فى سفر التثنية. وحيث أنهما معاً دعوا إلى اقتراب ملكوت السموات ـ أى أن دعوتيهما واحدة ـ فإن النبى المنتظر يكون آتياً من بعدهما. فقد حكى متى ما نصه:

(أ) «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكْرِز ويقول: توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٤: ١٧)

(ب) «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٣: ١ ـ ٢)

ثانياً: ومن أوصاف النبى المنتظر: أن يكون من إخوة بنى إسرائيل. ولو كان هذا النبى من بنى إسرائيل؛ ما كان يقول: «من إخوتهم» وكان يقول: منكم. وحيث أن: (أ) لإسماعيل بركة. (ب) وأنه أخ لإسحق الذى هو جدهم. فإن المراد من إخوتهم: أنه سيأتى من آل إسماعيل؛ لأن لإسماعيل بركة. ففى الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين: «وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنساناً وحشياً. يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه. وأمام جميع إخوته يسكن»

ثالثاً: ومن أوصافه: المماثلة لموسى فى الحروب والانتصار على الأعداء. وقد نصت التوراة على أنه لن يظهر فى بنى إسرائيل مثل موسى. وعليه. فإن الآتى يكون من غير جنسهم. وحيث لإسماعيل بركة، فإنه يكون من جنسه. ففى الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية:

«ولم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجهاً لوجه. فى جميع الآيات والعجائب التى أرسله الرب ليعملها فى أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه. وفى كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التى صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل»

رابعاً: ومن أوصافه: أن يسمع له بنو إسرائيل ويطيعون حتى ولو نسخ شريعة موسى. ولم ينسخ شريعة موسى إلا محمد ﷺ. أما الأنبياء من موسى إلى محمد ـ عليهما السلام ـ فقد كانوا على شريعة موسى. حتى يسوع المسيح فإنهم

كتبوا أنه كان على دين موسى لقوله: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس» (متى ٥ : ١٧) وقد صرح القرآن بذلك فى قوله تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة، ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد﴾ فقد بين أنه موافق على التوراة التى هى أمامه. وكان العلماء قد ابتدعوا من عندهم تشريعات لم يأذن بها الله. مثل تحريم الأكل بأيد غير مغسولة فألغى المسيح ما ابتدعوه. وكان عيسى عليه السلام مفسراً لها ولم يكن محرماً ومحللاً من تلقاء نفسه كما كان يفعل الربانيون والأحبار. وقد ألغى تشديداتهم وأباح محرماتهم من تلقاء أنفسهم. كما قال تعالى عنه: ﴿ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم﴾ من الربانيين والأحبار

وأما قوله تعالى: ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ فإن معناه: وليحكموا بما فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة. فإن فى الإنجيل: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس» وفيه فى الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى قول عيسى عليه السلام: «على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه، فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون»

خامساً: ومن أوصافه: أن يكون نبياً أمياً غير قارئ ولا كاتب. وهذا معنى قوله: «وأجعل كلامى فى فمه»

سادساً: ومن أوصافه: أن يكون أميناً على الوحى الإلهى. وهذا مستفاد من قوله: «فيكلمهم بكل ما أوصيه به»

سابعاً: ومن أوصافه: أن الله ينصره على مخالفيه. وهذا مستفاد من قوله: «ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى. أنا أطالبه» أى الله يقول أنا أنتقم من مخالفيه.

ثامناً: ومن أوصافه: أن لا يقتل. وأن من يكذب ويدعى النبوة ويزعم أنه هو المراد من هذه النبوءة المذكورة فى سفر التثنية، أو يدعو إلى غير الله، فإنه يقتل. وهذا مستفاد من قوله: «وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى» أى فيكون جزاؤه القتل.

تاسعاً: وإن قال متبع شريعة موسى: كيف نميز الصادق من الكاذب؟ أى إذا ظهر من يقول إنى أنا هو ذلك النبى. فكيف نعرف أنه صادق؟

فإنه أعطى علامة للناس، ليعرفوا الصادق من الكاذب. وهى: إنه إذا ظهر وأخبر عن غيب، ووقع الغيب كما قال. فإنه يكون صادقاً فى دعوى النبوة.

وهذا مستفاد من قوله: «وإن قلت فى قلبك: كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟» وهذا هو السؤال. والإجابة هى: «فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى، فلا تخف منه»

الوصف العاشر: أن يكون ملكاً على بنى إسماعيل والأمم، كما كان موسى عليه السلام ملكا على بنى إسرائيل والأمم.

وهذا الوصف مستفاد من قوله: «له تسمعون» ومن قوله: «ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى، الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه» وقد جاء هذا المعنى فى القرآن الكريم، فى قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون؛ حتى يحكموك فى ما شجر بينهم، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت، ويسلموا تسليما﴾ وفى قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا؛ أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾

ولما قام محمد ﷺ بأمر النبوة، ودعا إلى الله بالقرآن الكريم، وحمى بسيفه من آمن به من أذى المتكبرين الملاعين [1]، أسس مملكة قوية، فى كل ديار بنى إسماعيل، ودانوا لحكمه، وانتخب منهم رجالا معدودين ذوى بأس لقتال الأمم، الذين يصدون الناس عن الدخول فى ملكوته. ووضع فى كل مدينة، افتتحها؛ رجالا من أصحابه؛ نوابا عنه فى الحكم، وفى تعليم الدين. وأتت إليه وفود من قبائل العرب والعجم؛ لتظهر له السمع والطاعة. وحكم وعدل، وأخذ الجزية من أهل الكتاب. وأسس بيوتا للعبادة ودورا للقضاء فى البلاد المفتوحة. وهابته أمم

(١) فى المزمور ١١٩ يقول عن اليهود: «انتهرت المتكبرين الملاعين الضالين عن وصاياك»

الكفر، وقدموا له الهدايا، واعترف أهل العلم من الأمم بنبوته، وبسعة ملكه الذى سيمتد إلى أقصى الأرض.

وفى عهد أصحابه من بعده؛ دخل فى ملكوته أهل فارس، والروم، وأهل سبأ ومصر والسودان. وإلى هذا اليوم يدخل الناس فى دين الله أفواجا.

وقد وضح هذه الصفة بأجلى بيان نبى الله داود عليه السلام فى سفر الزبور. فقد قال: إن أصحاب النبى الأمى الآتى على مثال موسى هم ﴿أشداء على الكفار، رحماء بينهم﴾ وذلك فى المزمور المائة والتاسع والأربعين. وقال: إن هذا النبى سيملك الدنيا بأسرها، وأن الله وملائكته يصلون عليه. أى أن الله راضى عنه، وراحم أتباعه. وأن ذكره على كل لسان، وفى كل وقت.

وهذا هو نص المزمور الثانى والسبعين، الذى بين كل ذلك، والذى يعده أهل الكتاب نبوءة عن النبى الآتى على مثال موسى.

النص:

«اللهم أعط أحكامك للملك: وبرّك لابن الملك[1]. يدين شعبك بالعدل، ومساكينك بالحق. تحمل الجبال سلاما للشعب، والآكام بالبر. يقضى لمساكين الشعب، يخلص بنى البائسين ويسحق الظالم. يخشونك ما دامت الشمس، وقدام القمر، إلى دور فدور. ينزل مثل المطر على الجزاز، ومثل الغيوث الذارفة على الأرض، يشرق فى أيامه الصدّيق، وكثرة السلام، إلى أن يضمحل القمر. ويملك من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصى الأرض.

أمامه تجثو أهل البرية. وأعداؤه يلحسون التراب. ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة. ملوك شبا وسبا يقدمون هدية، ويسجد له كل الملوك. كل الأمم تتعبد له؛ لأنه ينجى الفقير المستغيث والمسكين، إذ لا معين له. يشفق على المسكين والبائس، ويخلص أنفس الفقراء. من الظلم والخطف يفدى أنفسهم، ويكرم دمهم فى عينيه. ويعيش ويعطيه من ذهب شبا. ويصلِّى لأجله دائما. اليوم كله يباركه.

(١) يقصد بالملك: النبى الآتى، ويقصد بابن الملك: أنصاره وأتباعه من بعده.

تكون حفنة بر فى الأرض، فى رءوس الجبال. تتمايل مثل لبنان ثمرتها، ويزهرون من المدينة مثل عشب الأرض. يكون اسمه إلى الدهر. قدام الشمس يمتد اسمه. ويتباركون به. كل أمم الأرض يطوّبونه. مبارك الرب الله إله إسرائيل، الصانع العجائب وحده. ومبارك اسم مجده إلى الدهر، ولتمتلئ الأرض كلها من مجده. آمين ثم آمين» (مزمور ٧٢: ١ ـ ١٩)

***

وينتظر اليهود هذا النبى إلى هذا اليوم، ويستفتحون به على الذين كفروا. وقد أرسل الله المسيح عيسى بن مريم ليبشر به، فقال عنه مثل ما قال موسى وداود، ووصفه بأنه سينتصر على أعدائه فى الحرب، وسيملك على ديارهم.

ومن كلامه فى أمثلة ملكوت السموات: «ويطرحونهم فى أتون النار، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (متى ١٣ : ٥٠) ومن كلام يوحنا المعمدان عنه: «ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذى رفشه فى يده، وسينقى بيدره، ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ» (متى ٣: ١١ ـ ١٢)

ولما صرف النصارى نبوءات التوراة عن النبى الأمى الآتى إلى العالم، لتصدق زورا على المسيح عيسى عليه السلام: كتبوا أن المسيح كان ملكا فى أحد السعف وأن اليهود هتفوا له بقولهم: «أُوصنّا» والتاريخ يشهد أنه لم يملك ولم يحارب ولم ينتصر، وفى الإنجيل أنه بعدما أراهم معجزة المائدة، أرادوا أن يجعلوه ملكا. فلم يرض. يقول يوحنا: «وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا؛ انصرف إلى الجبل وحده» (يو ٦: ١٥)

وقد ظهر مما تقدم: أن محمدا صلى الله عليه وسلم مكتوب عنه فى التوراة فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية، مع المقارنة بالنصوص الأخرى الدالة على بركة إسماعيل عليه السلام ومكتوب عنه فى الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا، وغيره.

وظهر: أن التوراة قد وصفت أصحابه بأنهم قديسون طاهرون، وأنهم لا

يعصون رسول الله، ولا يستكبرون عن طاعتـه. ففى الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: «وأتى من ربوات القـدس، وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه فى يدك. وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك» (تث ٣٣: ٢ ـ ٣)

***

وقد جاء فى القرآن الكريم عن صفات أصحاب رسول الله ﷺ:

١ ـ أنهم يرثون الأرض. ليحكموا أهلها بالحق والعـدل المنصوص عليهما فى القرآن الكريم. فقـد قال تعالى: ﴿ولقد كتـبنا فى الزبور من بعد الذكر: أن الأرض يرثها عبادى الصالحون﴾

٢ ـ وأنهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم. فقد قال تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه؛ أشداء على الكفار، رحماء بينهم، تراهم ركـعا سجداً. يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود. ذلك مثلهم فى التوراة﴾

٣ ـ وأنهم يكونون فى بدء الإسلام جـماعة صغـيرة، ثم يكبرون. فقـد قال تعالى: ﴿ومثلهم فى الإنجيل: كزرع أخرج شطئه، فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه﴾

وهذه الصفات مذكورة إلى اليوم فـى التوراة وفى الإنجيل، مع صفات أخرى لرسول الله ﷺ تدل على أنه رحمة للعالمين.

***

١ ـ فعن أن المسلمين يرثون الأرض إلى الأبد:

نذكر هذا النص من الزبور ـ وهو قد نزل بعد الذكر ـ أى التوراة ـ بخمسمائة عام تقريباً ـ:

«لا تغر من الأشـرار، ولا تحسد عمال الإثم، فـإنهم مثل الحشيـش، سريعاً يقطعون، ومـثل العشب الأخضـر يذبلون. اتكل على الرب، وافعل الخـير. اسكن الأرض وارع الأمانة، وتلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك. سلم للرب طريقك واتكل عليه، وهو يجرى ويخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة. انتظر الرب واصبر له

ولا تغـر من الذى ينحج فى طريقـه من الرجل المجـرى مكائد. كف عن الغـضب واترك السخط، ولا تغـر لفعل الشـر، لأن عاملى الشر يقطعـون، والذين ينتظرون الرب، هم يرثون الأرض. بعـد قليل لا يكون الشرير، تطلع فى مكانـه فلا يكون. أما الودعاء فيرثون الأرض، ويتلذذون فى كثرة السلامة.

الشرير يتفكر ضد الصّديق، ويحرق عليه أسنانه. الرب يضحك به، لأنه رأى أن يومه آت. الأشرار قد سـلوا السيف ومدوا قوسهم لرمى المسكين والفقـير. لقتل المستقـيم طريقهم. سيفهم يدخـل فى قلبهم وقسيهم تنكسـر. القليل الذى للصديق خير من ثروة أشـرار كثيرين لأن سـواعد الأشرار تنكسر وعـاضد الصديقين **الرب. الرب عارف أيام الكملة، وميراثهم إلى الأبد يكون.** لا يخزون فى زمن السوء وفى أيام الجـوع يشـبعـون، لأن الأشـرار يهلكون وأعـداء الرب كبـهـاء المراعى. فنوا. كالدخان فنوا. الشرير يستقرض ولا يفى. أما الصديق فيترأف ويعطى، لأن المباركين منه يرثون الأرض، والملعونين منه يقطعون.

من قبل الرب تتثبت خطوات الإنسـان وفى طريقه يسر. إذا سقط لا ينطرح، لأن الرب مسند يده. أيضـاً كنت فتى وقد شخت، ولم أر صـدّيقاً تخلى عنه، ولا ذرية له تلتمس خبزاً. اليوم كله يترأف ويقرض ونسله للبركة.

حد عن الشر وافعل الخير واسكن إلى الأبد، لأن الرب يحب الحق ولا يتخل عن أتقيائه. إلى الأبد يحفظون. أما نسل الأشرار فينقطع. **الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد.** فم الصديق يلهج بالحكمة، ولسـانه ينطق بالحق. شريعة إلهه فى قلبه، لا تتقلقل خطواته. الشرير يراقب الصدّيق محاولا أن يميته. الرب لا يتركه فى يده ولا يحكم عليه عند محاكمته. **انتظر الرب واحفظ طريقه، فيرفعك، لترث الأرض.** إلى انقراض الأشرار تنظر.

قد رأيت الشرير عاتيـاً وارفاً، مثل شجرة شارقة ناضـرة. عبر. فإذا هو ليس بموجود، والتمـستُه فلم يوجد. لاحظ الكامـل وانظر المستقيم، فإن الـعقب لإنسان السلامة. أما الأشرار فـيبادون جميعاً. عقب الأشـرار ينقطع أما خلاص الصديقين، فمن قـبل الرب حصنهم فى زمـان الضيق، ويعـينهم الرب وينجيهم. يـنقذهم من

الأشرار ويخلصهم، لأنهم احتموا به» (مزمور ٣٧)

٢ ـ وعن أنهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم.

فى سفر المزامير ـ وهو من أسفار التوراة العبرانية ـ:

«لأن الرب راض عن شعبه. يجمّل الودعاء بالخلاص. ليبتهج الأتقياء بمجد، ليرنموا على مضاجعهم، تنويهات الله فى أفواههم، وسيف ذو حدّين فى يدهم ليصنعوا نقمة فى الأمم وتأديبات فى الشعوب، لأسر ملوكهم بقيود، وشرفائهم بكبول من حديد، ليجروا بهم الحكم المكتوب. كرامة هذا لجميع أتقيائه» (المزمور ١٤٩)

٣ ـ وعن أنهم يكونون فى بدء الإسلام جماعة صغيرة ثم يكبرون:

ففى إنجيل متى ومَرقس ولوقا. ذكر عيسى عليه السلام أمثلة كثيرة لملكوت السموات ومنها هذا المثل [1] المشار إليه فى سورة الفتح فى القرآن الكريم.

(أ) النص عند متى: «يشبه ملكوت السموات حبة خردل، أخذها إنسان وزرعها فى حقله. وهى أصغر جميع البزور. ولكن متى نمت، فهى أكبر البقول وتصير شجرة، حتى أن طيور السماء تأتى وتتآوى فى أغصانها» (متى ١٣ : ٣١ ـ ٣٢)

(ب) النص عند مرقس: «وقال: بماذا نشبه ملكوت الله؟ أو بأى مثل نمثله؟ مثل حبة خردل متى زرعت فى الأرض فهى أصغر جميع البزور التى على الأرض، ولكن متى زرعت تطلع وتصير أكبر جميع البقول، وتصنع أغصاناً كبيرة، حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها» (مرقس ٤ : ٣٠ ـ ٣٢)

(جـ) النص عند لوقا: «فقال: ماذا يشبه ملكوت الله؟ وبماذا أشبهه؟ يشبه حبة خردل أخذها إنسان، وألقاها فى بستانه، فنمت وصارت شجرة كبيرة وتآوت طيور السماء فى أغصانها» (لوقا ٣: ١٨ ـ ١٩)

وملكوت السموات:

هو سيادة شريعة الله على الأرض على يد محمد صلى الله عليه وسلم . وذلك: لأن النبى

(١) هذا المثل موجود فى إنجيل توما القبطى. وغير موجود فى إنجيل برنابا.

المعظم دانيال أنبأ فى سفره عن قيام أربعة ممالك على الأرض. وعقب زوال المملكة الرابعة؛ يتأسس ملكوت السموات. ولم يزل المملكة الرابعة إلا محمد ﷺ. والمملكة الأولى هى مملكة بابل، والثانية هى مملكة فارس، والثالثة هى مملكة اليونان، والرابعة هى مملكة الرومان[1]. وقد زالت دولة الرومان من أرض فلسطين فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة خمس عشرة من الهجرة.

يقول دانيال عقب ذكره المملكة الرابعة: «كنت أرى فى رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض» (دانيال ٧: ١٣ ـ ١٤)

ويقول دانيال: «وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك. وهى تثبت إلى الأبد» (دانيال ٢: ٤٤) ويؤكد دانيال على أن هذا الأمر بقضاء أزلى فيقول: «ليكن اسم الله مباركاً من الأزل وإلى الأبد. لأن له الحكمة والجبروت. وهو يغير الأوقات والأزمنة، يعزل ملوكاً وينصب ملوكاً. يعطى الحكماء حكمة ويعلم العارفين فهما. هو يكشف العمائق والأسرار. يعلم ما هو فى الظلمة وعنده يسكن النور» (دانيال ٢: ٢٠ ـ ٢٢)

وهذا هو النص بتمامه فى سفر دانيال:

«فى السنة الأولى لبيلشاصّر ملك بابل، رأى دانيال حلماً، ورؤى رأسه على فراشه. حينئذ كتب الحلم وأخبر برأس الكلام. أجاب دانيال وقال: كنت أرى فى رؤياى ليلا، وإذا بأربع رياح السماء هجمت على البحر الكبير، وصعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة. هذا مخالف ذاك.

---

(١) كانت الإمبراطورية الرومانية تضم داخل حدودها: مايعرف الآن باسم هولندا وبلجيكا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وسويسرا وجنوبى النمسا وإيطاليا. وكل شبه جزيرة البلقان وآسيا الصغرى وسوريا وفلسطين ومصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب، والنصف الجنوبي من الجزيرة البريطانية. وكان البحر المتوسط يعتبر بحيرة رومانية.

الأول كالأسد، وله جناحا نسر. وكنت أنظر، حتى انتتف جناحاه. وانتصب على الأرض، وأوقف على رجلين كإنسان، وأعطى قلب إنسان.

وإذا بحيوان آخر ثان شبيه بالدب، فارتفع على جنب واحد، وفى فمه ثلاث أضلع بين أسنانه، فقالوا له هكذا: قم كل لحما كثيرا.

وبعد هذا كنت أرى وإذا بآخر مثل النمر، وله على ظهره أربعة أجنحة طائر. وكان للحيوان أربعة رؤوس وأعطى سلطانا.

بعد هذا كنت أرى فى رؤى الليل وإذا بحيوان رابع هائل وقوى وشديد جداً وله أسنان من حديد كبيرة. أكل وسحق وداس الباقى برجليه. وكان مخالفاً لكل الحيوانات الذين قبله. وله عشرة قرون. كنت متأملا بالقرون. وإذا بقرن آخر صغير، طلع بينها. وقلعت ثلاثة من القرون الأولى من قدامه، وإذا بعيون كعيون الإنسان فى هذا القرن، وفم متكلم بعظائم.

كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام[1]. لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقى، وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة، نهر نار جرى وخرج من قدامه. ألوف ألوف تخدمه، وربوات ربوات وقوف قدامه. فجلس الدين وفتحت الأسفار. كنت أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمات العظيمة التى تكلم بها القرن. كنت أرى إلى أن قتل الحيوان وهلك جسمه، ودفع لوقيد النار. أما باقى الحيوانات فنزع عنهم سلطانهم ولكن أعطوا طول حياة إلى زمان ووقت.

كنت أرى فى رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان. أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدامه؛ فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدى. ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض» (دا ٧: ١ ـ ١٤)

انظر فى كلام دانيال هذا، إلى الحيوان الرابع. الذى يرمز إلى مملكة الروم.

(١) القديم الأيام: كناية عن الله تعالى.

وانظر إلى «ابن الإنسان» الذى سيعطيه الله عـز وجل ملكوتاً. لتخضع كل الشعوب والأمم والألسنة لشريعته، والذى سلطانه وملكوته لن ينقرض أبداً.

ثم اسأل نفسك: من هو هذا الذى أزال الروم من أرض فلسطين؟ أليس هو محمد ﷺ ؟

ولذلك قال يوحنـا المعمدان لبنى إسـرائيل: «توبوا؛ لأنه قد اقـترب ملكوت السموات» (مـتى ٣: ٢) وقال المسيح عيسى بن مـريم يا بنى إسرائيل: «توبوا: لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٥: ١٧)

وعلم عيسى تلاميذه أن يصلوا لله هكذا: «أبانا الذى فـى السموات. ليتقدس اسمك. **ليأت ملكوتك**. لتكن مشيئتك، كما فى السماء كذلك على الأرض. خبزنا كفافنا أعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا فى تجربة. لكن نجنا من الشرير؛ لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد. آمين» (متى ٦: ٩ ـ ١٣)

انظر إلى قوله عليه السلام: «**ليأت ملكوتك**» الذى أنبأ عن مـجيئـه النبى دانيال. واسـأل نفسك: هل هو ملـكوت المسيح فى مـجـيئـه الثانى، مـلكوتاً روحيـاً على القلوب. كما يزعم النصـارى تبعا لكلام بولس وشيعته؟ كـيف يكون هذا؟ وقد قال المسيح نفسه: «ولست أنا بعد فى العالم» (يو ١٧: ١١)

وهذا الملكوت هو ملكوت محـمد ﷺ . وذلك لأن الله تعالى صنع عـهداً بينه وبين إبراهيم عليه السلام. وهو أن يسير هو وبنوه أمامـه فى دعوة الناس إلى دينه ونبذ عبادة الأوثان. وفى مقابل هذا السير، يعطيـهم الله البلاد التى مكنوا فيها لعبادة الله ملكا. ومن قتل فى سـبيل الله، فله الجنة، ومن لم يقـتل. فإنه إذ يأتى إلى الله فى الدار الآخرة، فإنه ينال أجره بحسب ميزان أعـماله. وقد استجاب الله تعالى لطلب إبراهيم منه، أن يجعل فى نسل إسماعيل ملكاً ونبوة.

وقال له: «وأما إسماعيل. فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه. وأثمره وأكثره كثيراً جداً. اثنى عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة» (تك ١٧: ٢٠)

وقد ضرب عيسى عليه السلام أمثلة كثيرة لملكوت السموات لتبيين حقائقه، وتوضيح مقاصد الله منه. وفسر الأسابيع السنين فى الأصحاح التاسع من سفر دانيال بما ينطبق على زمان محمد صلى الله عليه وسلم فقال: إن السبعين أسبوعاً × ٧ سنين = ٤٩٠ سنة. فمحمد سيأتى من بعده بأربعمائة وتسعين سنة. وإذ تحسب المدة من حين خراب أورشليم على يد أدريانوس الرومانى سنة ١٣٢ م فإن سنة مجيئه تكون ٤٩٠ + ١٣٢ = ٦٢٢ وعمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح أورشليم فى ذاك الزمان(١).

***

فكيف مع هذا يدعى «بُولُس» أن ملكوت السموات هو مجئ المسيح مرة ثانية بالملك الروحى، ويقول: «إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله»؟

***

كلمة الله:

ولما استلم بنو إسرائيل التوراة من موسى عليه السلام وبلّغوها للأمم؛ عرف الأمم منها أن محمدا صلى الله عليه وسلم سيأتى ليكلمهم بكل ما يوصيه الله به؛ وكان علماء بنى إسرائيل يبينون دلالة نصوصها عليه، كما يبينون سائر الأحكام. فلما كان زمان نبى الله إشعياء أوحى الله إليه بأن وعده بهذا النبى؛ لن يخلفه، وأنه يبلغ بنى إسرائيل به.

وإذا تحقق الوعد به؛ فإن شعب بنى إسرائيل سيحزنون على ضياع ملكهم ونسخ شريعتهم. وإذ هو على علم بذلك؛ أوصاهم بتعزية الشعب، وبين لهم أن كل من جاهد مع الله على شريعة موسى؛ فإنه سيأخذ أجراً مضاعفا. وأن من ينكر هذا النبى ويكفر به؛ فإنه سيهلك على يديه. ذلك قوله: «هو ذا السيد الرب بقوة يأتى، وذراعه تحكم له» يعنى بإتيان الرب: إتيان نبيه وإهلاكه المنكرين والكافرين به فى الأيام الأولى لظهوره. ولا يعنى إتيان الله نفسه؛ لأن الله فى كل مكان، وليس كمثله شئ. كما فى سفر إرمياء وسفر التثنية. ويؤيد هذا: قوله بعد: «هو ذا أجرته

(١) انظر الجزء الثانى من كتاب البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل ـ وأيضاً: فتح الملك العلام فى البشائر بدين الإسلام.

معه، وعملته قدامه. كراع يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان، وفى حضنه يحملها، ويقود المرضعات» يعنى أن النبى لا يطلب أجراً، وأنه بالمؤمنين رءوف رحيم.

وقال إشعياء عن هذا الوعد: إن الزهر يذبل، والعشب ييبس «وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد» وقال إشعياء: اصرخوا أيها العلماء فى البرية بقولكم: «أعدوا طريق الرب» أى عرفوا الناس بنبى الرب «قوّموا فى القفر سبيلا لإلهنا» أى سهلوا للناس سبيل معرفة سيدنا. وهو النبى الآتى، ثم قال: «فيعلن مجد الرب» والمجد خاص بمحمد ﷺ لقول دانيال عنه: «فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا» ثم قال للعلماء: بشروا به «على جبل عال اصعدى يا مبشرة أورشليم»

هذا مما فى إشعياء عن محمد ﷺ الملقب فى النص بالكلمة التى تثبت إلى الأبد.

فلما جاء زمان يحيى عليه السلام صرخ فى البرية - كما أوصى إشعياء - بمحمد ﷺ وبشر به. كما قال إشعياء. وكان دانيال النبى قد قال عنه: إن ملكه سيتأسس بعد المملكة الرابعة. وأنه سيعرف بملكوت السموات. فكَرَزَ يحيى - أى بشر - باقتراب هذا الملكوت. ذلك قول الإنجيل: «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرِز فى برية اليهودية قائلا: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات. فإن هذا هو الذى قيل عنه بإشعياء النبى القائل: «صوت صارخ فى البرية: أعدوا طريق الرب. اصنعوا سبله مستقيمة» (متى ٣: ١ - ٣)

ومن زمان إشعياء إلى زمان يحيى مدة طويلة. فلذلك ابتدأ يوحنا الإنجيلى إنجيله بقوله: «فى البدء كان الكلمة» أى فى البدء من زمان قبل زمانى هذا؛كان الوعد بمحمد رسول الله .

وهذا هو نص\سفر إشعياء:

«عَزُّوا عزوا شعبى. يقول إلهكم. طيبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها

قـد كمل أن إثمـهـا قد عـفى عنه. أنهـا قـد قبلت من يد الـرب ضعـفين عن كل خطاياها.

صوت صارخ فى البـريّة: أعدوا طريق الرب. قوموا فى القفر سـبيلا لإلهنا. كل وطاء يرتفع، وكل جبل وأكمـة ينخفض، ويصير المعوج مـستقيمـا، والعراقيب سهلا؛ فيعلن مجد الرب، ويراه كل بشر جميعا؛ لأن فم الرب تكلم.

صوت قـائل ناد. فقـال: بماذا أنادى؟ كل جسد عـشب، وكل جمـاله كزهر الحقل. يبس العـشب ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبت علـيه. حقا الشـعب عشب. يبس العشب، ذبل الزهر، **وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد**

على جبل عـال اصعدى يا مـبشرة صهـيون. ارفعى صـوتك بقوة يا مبـشرة أورشليم. ارفعى لا تخافى. قولى لمدن يهـوذا: هوذا إلهك. هوذا السيد الرب بقوة يأتى وذراعه تحكم له. هوذا أجرته مـعه وعملته قدامه. كراع يرعـى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان وفى حضنه يحملها ويقود المرضعات.

من كال بكفه الميـاه وقاس السموات بالشـبر وكال بالكيل تراب الأرض ووزن الجبال بالقبان والآكام بالميزان؟ من قاس روح الرب؟ ومن مشيره يعلمه؟ من استشاره فأفهمـه وعلمه فى طريق الحق وعلمه معرفة وعرفـه سبيل الفهم؟ هوذا الأمم كنقطة من دلو وكغبار الميـزان تحسب. هوذا الجزائر يرفعها كدقة. ولبنان ليس كـافيا للإيقاد وحيـوانه ليس كافيـا لمحرقة. كل الأمم كلا شئ قـدامه. من العدم والبـاطل تحسب عنده

فبمن تشبهون الله؟ وأى شبه تعادلون به»؟

***

فإذا جاء المسيح عيسى عليه السلام فهل يجئ داعيا إلى التوحيد؟ أم يجئ داعيا إلى التوحيد والتنزيه؟ أم يجئ مبشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ؟

لو قلنا: إنه جاء إلى التوحيد داعيا؛ لكان معنى ذلك أن اليهود كفار بالله، أو

عابـدين معه آلـهة غيـره. واليهـود موحّـدون. ونصوص التـوراة تشهـد لهم بأنهم موحدون. بل هم دعاة التوحيد. فلماذا جاء؛ إذا كان من قبله مثله؟

ولو قلنا: إنه جاء إلى التـوحيد والتنزيه داعيا. لكان مـعنى ذلك أن اليهود لا يوجد فى كتبهم ﴿ليس كمثله شئ﴾ وشبه هذا كثير فى كتبهم.

ففى سفـر إشعياء: «فبـمن تشبهون الله؟ وأى شـبه تعادلون به؟» (إش ٤٠: ١٨) وفى كتاب مـوسى: «ليس مثل الله» (تث ٣٣: ٢٦) وفى كتـاب موسى يقول الله عن نفـسه: «انظروا الآن. أنا أنا هو، وليس إله مـعى. أنا أميت وأحـيى» (تث ٣٢: ٣٩) ومعناه: ﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾...

ولو قلنا: إنه جاء مبشرا بمحمد رسـول الله ﷺ فإن التبشير به لم يكن منه وحده، بل كـان من يحيى أيـضاً والنبـيين من قبله والعلمـاء. فإنهم صـرخوا كـما وصاهم إشعياء.

فأية ميزة قد انفرد بها عيسى عليه السلام عن غيره؟ ليس إلا تفسيره نبوءات التوراة عن النبى الأمى الآتى عوضا عن موسى، تفسـيرا يدل على محمد رسول الله ﷺ وهذا هو سبب استـياء اليهود منه. وهذه الميزة واضحـة عنه فى القرآن الكريم؛ فإنه كان قد تعلم الكتاب والحكمة، وكان يبين لهم بعض الذى كانوا فيه يختلفون. وكان يحل لهم بعض ما حـرم عليهم من العلماء أنفسـهم. وكل ذلك يحتاج إلى تفـسير نصوص التوراة، وذكر الخلاف فى تفسيـرها، وذكر أدلة الترجيح. ولا يقوم بهذا إلا عالم. ولكنه لم يكن عالما فحسب وإنما كان عالما ونبيا ورسولا.

وإن أمثل لذلك. أمثل بالعهـد المبرم بين الله وبين إبراهيم. هل هو خاص فى إسحق كما يدعى اليهود أم هو خاص فى إسـماعيل؟ إنه إذا كان خاصا فى إسحق؛ فإن محمدا لا يكون نبيا، وإن كان خاصا فى إسماعيل فإنه يكون نبيا.

لقد قـال المسيح: إن العـهد فى إسمـاعيل. واستـدل بالتوراة على مـا قال. ومعنى ذلك: أنه ليس مبشرا بمحمـد ﷺ كأى إنسان من الأميين الأتقياء وإنما هو

مبشـر به كأى عالم من العلماء الراسخين فـى العلم. وكان يستعمل لغـة اليهود فى الإفصاح عنه.

كما قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه؛ ليبين لهم﴾

وفى لغتهم عنه: أنهم كانوا يلقبون محمدا ﷺ بلقب «المسيح» وهذا اللقب يأتى أحـيانا «المَسِيّا» كمـا كانوا يلقـبون الأنبـياء والعلمـاء والملوك بهذين اللـقبين. فيقولون: داود مسيح ـ سليمان مسيح ـ عيسى مسيح. أما محمد ﷺ فإنهم لقبوه بالمسيح بالألف واللام تميـيزا له عن غيره. فتكلم عـيسى ـ وهو مسيح ـ عن مـحمد بلقب المسيح.

وفى إنجيل متى ما يدل على ذلك. فإنه فى يوم من الأيام سأل عيسى تلاميذه عن «المسيح» يعنى مـحمدا ﷺ بلغـتهم. من أى نسل سيـأتى؟ وأجابوا من نسل داود. أى من اليهـود. ورد عليهم بأن اعـتقادهم خـاطئ. وحيث قـد خطّأ؛ يلزمه الدليل. وقد أورده مـن كلام داود نفسـه. فقال: أنتم جـميعـا سادة؛ لأن الشـريعة معكم، ولأنكم معلمـون وبنو إسماعيل ليسوا سادة. لأنهم يتلقـون الشريعة منكم، والعلم منكم. فلو انقلبت الآية، وصار بنو إسماعيل معلمون. فإنهم يكونون عليكم سادة، وأنتم لا تكونون سـادة. أليس كذلك؟ فـإذا جاء النبى الآتى من إسمـاعيل، وفرض وقدر أنى حىّ فى زمانه؛ لكان لى سيدا.

ولقـد جاء فى الزبور المـئة والعـاشر أن داود يقـول عن «المسـيح» الآتى: إنه سيده. ذلك قـوله: «قال الله لسيدى» أو قال الرب وهو الله لربى أى لسـيدى. فإذا كان الآتى سيدا لداود؛ من نسله ـ كما تزعمون ـ فكيف يكون الابن سيدا لأبيه؟

وإذ هذه هى الميزة التى انفرد بها المسيح عمن سبقوه. يكون تحريف المسيحيين لدعـوته منحصـرا فى هذه الميزة. وهى أن ينـظروا فى تفسـيره، ويردوه عليـه ليظل تفسير اليهود هو المعتبر.

ففى تفسيـره لكلام التوراة عن حرية الإنسان؛ رد بولس تفسـيره وأرجعه إلى

مذهب الجبر، وفى تفسيره للعهد، رد بولس تفسيره وأرجعه إلى إسحق، وحصر النبوة فى نسله إلى الأبد، وفى تفسيره لملكوت السموات؛ رد بولس تفسيره وجعله ملكوتا روحيا. وهكذا.

ومن يرد أن يعرف تفسير المسيح وتفسير غيره؛ فليقرأ سفر أعمال الرسل والرسائل. فالقراءة تدله على وجهة نظر المسيح، ووجهة نظر خصوم المسيح.

ويفهم مما قلنا: أن المجامع المسيحية قد انعقدت لردتفسير المسيح، لا لإثبات التثليث. تثليث التجسد أو تثليث التعدد. فالمجمع الأول المنعقد فى نيقية سنة ٣٢٥ م كان منعقداً من أجل رد تفسير المسيح لنبوءة المزمور الثانى عن محمد ﷺ وجعل التفسير على المسيح عيسى نفسه. ويدل على ذلك: أن الدليل الكتابى على أقنوم الابن - الذى ابتدع فى هذا المجمع - هو نبوءة المزمور الثانى. وهى نبوءة - طبقا لراوية برنابا - مطبقة من المسيح عيسى على محمد. وأيضاً - طبقا لراوية يوحنا - عن يوحنا المعمدان والمسيح بن مريم أنهما طبقاها عليه.

وليسأل النصارى هذا السؤال: ما هو الدليل الكتابى على أقنوم الابن؟ وسوف يجيبون بما قلنا.

ولكن المؤرخين موهوا على هذه الحقيقة بقولهم: إن نزاعا قد حدث بين القديس آريوس وبين اثناسيوس حول التوحيد؛ فانعقد المجمع من أجل ذلك. وهذا التمويه يرده: أن التوحيد لا جدال فيه، وأن المناقشة دارت فى المجمع حول نبوءة المزمور الثانى. وهو نبوءة عن محمد ﷺ . وقد بينا هذا فى غير هذا الكتاب.

وهذه هى نبوءة المزمور الثانى:

«لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب فى الباطل. قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معا، على الرب وعلى مسيحه، قائلين: لنقطع قيودهما، ولنطرح عنا ربطهما. الساكن فى السموات يضحك. الرب يستهزئ بهم[1]. حينئذ يتكلم عليهم بغضبه، ويرجفهم بغيظه. أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى.

(١) فى القرآن الكريم: ﴿الله يستهزئ بهم﴾

إنى أخبر من جهة قضاء الرب. قال لى: أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك. اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك، وأقاصى الأرض ملكا لك. تُحطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزاف تكسرهم.

فالآن يا أيها الملوك تعقلوا. تأدبوا يا قضاة الأرض. اعبدوا الرب بخوف، واهتفوا برعدة. قبّلوا الابن لئلا يغضب؛ فتبيدوا من الطريق؛ لأنه عن قليل يتّقد غضبه. طوبى لجميع المتكلين عليه» (مز ٢)

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية فى التعليق على هذه النبوءة: «إنه إذا كان الأب فى لغتهم هو الرب، الذى يربى عبده، أعظم مما يربى الأب ابنه، كان معنى لفظ الولادة مما يناسب معنى هذه الأبوة، فيكون المعنى: اليوم جعلتك مرحوما مصطفى مختارا»

وقال شيخ الإسلام: «وحينئذ فلا يكون تسميته ابنا لكون الرب أو صفته اتحدت به، بل كما سمى داوود: ابنا، وكما سمى إسرائيل: ابنا. فقال: «أنت ابنى بكرى» وهذا فى كتبهم[1].

ولو أنك قرأت نص قرار مجمع نيقية؛ لوجدته خاليا من التثليث، وذلك لأن فيه الآب وهو الله، والابن الذى هو عيسى فى نظرهم. وهذا هو نصه:

«نؤمن بإله واحد. الآب ضابط الكل. خالق السماء والأرض. ما يرى وما لا يرى. ونؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله الواحد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق. مساو للآب فى الجوهر، الذى به كان كل شئ، الذى من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس، وصلب عنا، على عهد بيلاطس البنطى وتألم وقبر، وقام من الأموات فى اليوم الثالث، كما فى الكتب، وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه، وأيضاً: يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات، الذى ليس لملكه انقضاء» أ. هـ.

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ص ٢٣٨، ٢٣٩ ج ٢.

ففى هذا المجمع اثنان فقط وهما الله والابن.

وفى إنجيل متى:

«وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلا: ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود. قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا: «قال الرب لربى: اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك»؟ فإن كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة. ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة.

حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا: على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه؛ فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون. فإنهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم. وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس. فيعرّضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم. ويحبون المتكأ الأول فى الولائم، والمجالس الأولى فى المجامع، والتحيات فى الأسواق، وأن يدعوهم الناس سيدى سيدى. وأما أنتم فلا تدعوا سيدى؛ **لأن معلمكم واحد المسيح** وأنتم جميعا إخوة. ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات. ولا تدعوا معلمين؛ **لأن معلمكم واحد المسيح**. وأكبركم يكون خادما لكم. فمن يرفع نفسه يتضع، ومن يضع نفسه يرتفع» (متى ٢٢: ٤١ +)

وغرضى من ذكرى هذا ههنا: هو أن أبين للناس: أن تفسير المسيحيين الملتوى لنبوءات التوراة عن محمد ﷺ هو السبب فى تحريف المسيحية، وهو نفسه السبب فى قرارات المجامع. وليس كما يقال فى الكتب: «السبب فى انعقاد مجمع نيقية: هو بدعة آريوس. وهى التوحيد» ـ «وكان من الموحدين أتباع آريوس وغيرهم من الداعين إلى التوحيد»

وهل الابن فى المزمور الثانى هو «المسيح» عيسى؟ وهل المسيح الرئيس الذى هو «المسيا» هو عيسى؟ جاء فى بعض الكتب: «وبهذه المواقف المتعددة لبولس؛ عزل

المسيح عن اليهود، وجعله مسيحا غير المسيا، الذى ينتظرونه لخلاصهم. وذلك ليستطيع أن يجعل منه الإله الذى تجسد، ثم صلب من أجل خلاص العالم، لا من أجل خلاص اليهود»

هل هذه العبارة صحيحة؟

إن اليهود هم الذين عزلوا عيسى عنهم لقوله إن «المسيح الرئيس» سيأتى من بنى إسماعيل عليه السلام. والمسيح الرئيس هو المسيا الرئيس. فقوله «مسيحا غير المسيا» خطأ بين. وبولس لم يقل بأن عيسى هو الله متجسدا. وإنما قال: إن الله ليس كمثله شئ ولا يُرى ولا يقدر أحد أن يراه، ولا شريك له فى الملك. ذلك قوله: «وملك الدهور الذى لا يفنى ولا يُرى. الإله الحكيم وحده. له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور» (١ تيمو ١: ١٧) «لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلّصنا الله. الذى يريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يُقبلون؛ لأنه يوجد إله واحد، ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح، الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع» (١ تيمو ٢: ٣ ـ ٦)

يقول بولس: إن المخلص هو الله. وأنه إله واحد. ومع هذا يوجد وسيط بين الله والناس. وهذا الوسيط إنسان. وهذا الإنسان الوسيط هو يسوع المسيح. وإلى هنا يكون الكلام نافيا لألوهية المسيح، ونافيا للشركاء مع الله.

وقوله: بذل نفسه فدية» معارض بقوله: «ليس عند الله محاباة» (رومية ٢: ١١) «وأنتم أيها السادة افعلوا لهم هذه الأمور، تاركين التهديد، عالمين أن سيدكم أنتم أيضاً فى السموات. وليس عنده محاباة» (أفسس ٦: ٩)

وليس فى القرآن أن عيسى هو المسيح الرئيس. وإنما فيه أنه «مسيح» كسائر المسحاء. يقول الله تعالى: ﴿إنما المسيح عيسى بن مريم﴾ وهذا كله مبتدأ وخبره ﴿رسول الله﴾ ولم يقل إنما المسيح المنتظر؛ عيسى. وسكت عن الكلام حتى يكون المسيح المنتظر؛ عيسى. ومثله ﴿ما المسيح ابن مريم﴾ أى ما شأنه؟ وأجاب ﴿إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ وهكذا.

والخلاص عند اليـهود هو خلاص اليـهود من أمم الكفـر عن طريق الحروب بمحمد ﷺ كـما هو مكتوب: «خلاص من أعـدائنا، ومن أيدى جميع مبـغضينا» (لوقـا ١ : ٧١) وقد حـرفوا الخـلاص من خـلاص بالحرب إلى خـلاص من خطايا وذنوب؛ لأن المسيح لم يحارب. وكل هذا لغو فى نبوة محمد ﷺ

ولهذا الذى قدمته هل يقدر طالب علم على أن يفـرد كتابا فى قرارات مجمع نيقية؟ فإن كل من كتبوا عن هذا المجمع لم يفطنوا إلى أن سبب انعقاده هو اللغو فى تفسير نبوءة الابن. وهى أول نبوءة فسرها عيسى عليه السلام على محمد ﷺ وهى أول نبوءة لغوا فـيها. لأنهم إذا ثبتوا تفسـيرها على المسيح عيسى؛ فإن جـميع النبوءات تتحول إليه من بعد اللغو فيها.

***

نبوءات رفض الله لليهود من السير أمامه:

وفى التوراة وفى الإنجيل أن الله صرح برفض علماء اليهود من أن يهدوا إليه. فكيف مع هذا التصريح يهدى علماء المسيحية إليه، والمسيحيون طائفة من اليهود؟

وتعبير السيـر أمام الله مأخوذ من قول الله لإبراهيم عليه السلام: «سر أمامى، وكن كاملا» (تك ١٧ : ١) أى امش فى جميع البلاد لدعـوة الناس إلى معرفتى. ثم قسم السيـر بين إسماعيل وإسـحق فقال: «ساراى امـرأتك لا تدعوا اسمهـا ساراى، بل اسمها سارة. وأباركها وأعطيك أيضـاً منها ابنا. أباركها فتكون أمما. وملوك شعوب منها يكونون» والبركة: ملك ونبوة فقد جاء منها موسى عليه السلام صاحب الشريعة. وبه ابتدأ الملك فى بنى إسحق على الأمم إلى زمان مـحمد ﷺ لقوله: «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله. . . وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه» (تك ١٧ : ١٥ ـ ٢٠)

وفى التـوراة: أن بنى إسرائيل عـبدوا الأصنام من دون الله، وظلـموا الأمم. ولذلك صرح لهم بأنه رفضهم من الـسير أمامه، والذين سيسيـرون أمامه من بعدهم هم نسل إسمـاعيل المبارك فـيه. ورفض بنى إسرائيل من السـير. معناه أن لا يسـير

النصارى ـ وهم مسيحيون ـ أمام الله. لا بشريعة صحيحة ولا بشريعة محرفة؛ لأنهم طائفة من بنى إسرائيل. وعلى ذلك فاتفاقهم فى مجمع نيقية على أن يرفضوا محمدا رسـول الله الملقب من داود بلقب «ابن الله» مجازا، مـعناه أنهم يسيـرون بدلا عن محمد رسول الله. وقد سبق أن أخبر الله بأنهم لن يسيروا أمامه. ففى الأناجيل يقول عيسي عليه السلام: «هو ذا بيتكم يُترك لكم خرابا» (متى ٢٣: ٣٨) وبيتهم: هو رمز شريعتهم.

ففى التوراة يـقول موسى عليه السلام على لسان الله تعالى: «هم أغارونى بما ليس إلها. أغاظونى بأباطيلهم. فأنا أغيرهم بما ليس شعبا. بأمة غبية أُغيظهم» (تث ٣٢: ٢١) ثم هددهم بالهلاك فقال: «إنه قد اشتعلت نار بغضبى»

وفى أسفار الأنبياء يقول الله تعالى على لسان إشعياء: «أصغيتُ إلى الذين لم يسألـوا. وُجدت من الذين لم يطلبـونى. قلت: هأنذا هأنذا لأمة لم تسمّ بـاسمى. بسطت يدى طول النـهار إلى شـعب مـتـمـرد، سائر فى طـريق غيـر صـالح وراء أفكاره...» (إش ٦٥: ١ ـ)

وقد تـناول «بُولُس» مسـألة رفض اليهـود من السيـر أمام الله بالتـشكيك فى صحتـها. فقال: «ألعل الله رفض شـعبه؟ حاشا. لأنى أنا أيضـا إسرائيلى من نسل إبراهيم، من سبط بِنيامين. لم يرفض الله شعبه، الذى سبق فعرفه» (رو ١١: ١ ـ ٢)

واستدل على أن الشعب غير مرفوض بأن الله اختاره لدعوة الأمم إلى المسيحية التى سنّ أصولها. واستدلاله باطل، ويدل على أنه من المفسدين فى الأرض. وذلك لأنه صرح بنسخ شريعة مـوسى على يده، وهو ليس النبى الآتى على مثال موسى، وأنكر مجئ النبى الآتى من بنى إسماعيل وقال إنه هو عيسى وقد جاء من بنى إسرائيل.

ثم ذكر دليلا آخر. وهو أن بنى إسرائيل لما عبدوا صنم البعل فى زمان إلياس عليه السلام كان سبعة آلاف رجل مختـبئين، خوفا من القتل؛ لأنهم لم يسجدوا له. وهذا يدل على أن الشعب غير مرفوض. والرد عليـه: هو إن هذا يدل على جماعة أخيار من جمـاعة أشرار. كـالأخيار الذين كـانوا فى بنى إسرائيل، وآمنوا بمحـمد صلى الله عليه وسلم الأخيار الذين قال عنهم عيسى عليه السلام: «ولو لم تقصَّر تلك الأمم لم يخلص جسد. ولكن لأجل المختارين تُقصر تلك الأيام» (متى ٢٤: ٢٢)



التمهيد الثانى

نبوءة الساعة

١ ـ يتحدث الأصحاح الثانى من سفر دانيال عن رؤيا منامية رآها نبوخذ نصّر. تعرف برؤيا التمثال والحجر. وقد فسرها دانيال بأن أربعة ممالك تقوم على الأرض. ثم يظهر نبى فيزيل المملكة الرابعة ويؤسس مملكة لله لن تنقرض أبداً. وفى آخرها: «الله العظيم قد عرف الملك ما سيأتى بعد هذا. الحلم حق، وتعبيره يقين» وقال أهل الكتاب: إن المملكة الرابعة هى مملكة الروم. وقال المؤرخون: إن الذى أزالها هو محمد ﷺ

٢ ـ ويتحدث الأصحاح السابع عن نفس المعنى. وقد رأى الرؤيا بيلشاصّر، وتعرف برؤيا الحيوانات الأربعة.

٣ ـ ويتحدث الأصحاح الثامن عن فساد بنى إسرائيل فى أرض فلسطين وعلوهم مرتين. والمرة الأولى هى التى تمت سنة ١٩٦٧ وهى فى طريقها إلى الانتهاء.

٤ ـ ويتحدث الأصحاح الثانى عشر عن الفساد والعلو فى المرة الآخرة.

استدلال المسيح عيسى عليه السلام بما

فى سفر دانيال عن محمد ﷺ :

وقد ذكرنا فى التمهيد الأول استدلاله بما فى الأصحاح السابع. وههنا نذكر استدلاله بما فى الأصحاح التاسع.

فى هذا الأصحاح: أن دانيال النبى قد سأل الله تعالى[1] أن يبين له نهاية ملك بنى إسرائيل على الأرض، وابتداء ملك النبى المنتظر. وقد أجابه جبريل عليه السلام فى رؤيا بأن نهاية ملك بنى إسرائيل ستكون بعد سبعين أسبوعا. وسيشن النبى المنتظر حربا على الكافرين به منهم، وسيخرب المدينة المقدسة، أورشليم، وسيهدم هيكل سليمان.

وفى نهاية أيام عيسى عليه السلام تحدث عن خراب أورشليم وهدم الهيكل. واستدل على الخراب والهدم بكلام النبى دانيال. وقال: إن حربا شديدة سوف تكون فى فلسطين بين أصحاب النبى المنتظر وبين اليهود. ولن تكون هذه الحرب فى صالح اليهود. وقال: إن ساعة هذه الحرب لا يعلمها إلا الله وحده، وأنها ستكون فى اليوم المعروف بيوم الرب العظيم. ذلك قوله: «وأما ذلك اليوم، وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده» وقال لهم: إن بهذه الحرب ينتهى دهر الملك فى بنى إسرائيل، ويترك لهم بيتهم خرابا. ومعنى هذا: أن النبى المنتظر لن يكون من اليهود. وذكر علامات إذا حدثت يعلمون من حدوثها أن النبى سيظهر. وهذه العلامات تعرف بعلامات الساعة. أى ساعة الحرب التى سينتهى بها ملك بنى إسرائيل فى يوم الرب.

وظن بعض الناس أنها علامات ساعة يوم القيامة.

وفى الأصحاح السابع من سفر دانيال: أن الذى سيزيل المملكة الرابعة هو «ابن الإنسان» وهو لقب للنبى المنتظر الذى هو محمد صلى الله عليه وسلم. فقال المسيح: «ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير» كناية عن تعظمه وارتفاعه.

وأوصى بالسهر والترقب؛ لأن الحرب ستكون فجأة «لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين؛ لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان»

وقد ذكر مرقس ولوقا مثل ما ذكر متى عن المسيح فى ساعة هذه الحرب

(١) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية هذه النبوءة وطبقها على محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابه الجواب الصحيح

الفاصلة بين اليـهود وبين المسلمين. فـفى مرقس أن الابن[1] لا يعلم الساعة. وفى لوقا: «فيصـادفكم ذلك اليوم بغتة» ـ «متى رأيتم هذه الأشيـاء صائرة؛ فاعلموا: أن ملكوت الله قريب» وقال المسيـح: إننى والنبى المنتظر على هدف واحد. وذلك ليبين لأتباعـه: أنهم إذا رأوه وآمنوا به؛ فإنهم يكونون قد رأوة وآمنوا به. وعـبر عن النبى بلقب المسيح كما لقـبه دانيال فقال: «حينئذ إن قـال لكم أحد: هو ذا المسيح هنا أو هو ذا هناك؛ فلا تصدقوا؛ لأنه سيقوم مسحاء كذبة»

ويقول الجـمهور من المسيـحيين: إن هذه الحرب ستـقع فى مكان فى فلسطين يسمى «هرمـجدون» Armageddon وستكون فى يوم الرب، فى السـاعة التى قال عنها المسـيح: إنها ستكون بغتـة. ولن تكون فى صالح اليهود ويقـولون: إن المسيح عيسى سيكون حاضرا فيها، حضورا متزامنا، مع يوم القيامة، وستكون فى حلم من الأحلام.

والرد عليهم:

هو أن هذه الحرب سـتكون مزيلة للمملكة الرابعـة. وهى أمة الروم. والذى أزالها هو محمد ﷺ وأصحابه. وهذا رد عظيم لا يقدرون على دفعه.

اسـتدلال المسلمـين بنـبوءة الساعة على محمد ﷺ:

استدل شيخ الإسلام ابن تيمية وغيـره من القدماء بالأصحاح التاسع من سفر

---

(١) نبوءة المزمور الثانى:

«لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب فى الباطل. قـام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معا، **على الرب وعلى مسـيحه**، قائلين؛ لنقطع قـيودهما، ولنطرح عنا ربطهـما. الساكن فى السمـوات يضحك. الرب يستهزئ بهم. حينئذ يتكلم عليهم بغضبه، ويرجفهم بغيظه. **أما أنا فقد مسحت ملكى** على صهيون جبل قدسى.

إنى أخبر من جهـة قضاء الربِ. قال لى: **أنت ابنى**. أنا اليوم ولدتك. اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك، وأقاصى الأرض ملكا لك، تُحطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزاف تكسرهم.

فالآن يا أيها الملوك تعقلوا. تأدبوا يا قضاة الأرض. اعبدوا الرب بخوف، واهتفوا برعدة. قبّلوا الابن لئلا يغضب؛ فتبيدوا من الطريق؛ لأنه عن قليل يتّقد غضبه. طوبى لجميع المتكلين عليه» (مز ٢)

دانيال الذى هو أصل نبوءة الساعة. فى كتابه الجواب الصحيح، واستدل المسلمون بنبوءة ملكوت السموات على صحة نبوة محمد ﷺ ونبوءة ملكوت السموات موجودة فى كلام المسيح عن معركة الساعة. ومن أمثلة ملكوت السموات فى الإنجيل مثل الأمة الإسلامية الموجود فى سورة الفتح من القرآن الكريم.

تطابق نبوءة الساعة

مع القرآن الكريم:

يقول الله تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾

زمن وقوع معركة الساعة:

وقعت هذه المعركة فى زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٦٣٨ م = ١٦ هـ فى موقعة هرمجدون التى هى اليارموك. وقد جاء عنها فى سفر الرؤيا. «ثم سكب الملاك السادس جامه على النهر الكبير. الفرات. فنشف ماؤه؛ لكى يُعَدّ طريق الملوك الذين من مشرق الشمس، ورأيت من فم التنين، ومن فم الوحش، ومن فم النبى الكذاب ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع؛ فإنهم أرواح شياطين صانعة آيات تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة؛ لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم. **يوم الله القادر على كل شئ.** ها أنا آتى كلص. طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه؛ لئلا يمشى عريانا فيروا عُريته. **فجمعهم إلى الموضع الذى يُدعى بالعبرانية هَرْمَجَدُّون**» (رؤ ١٦ : ١٢ - ١٦)

لاحظ:

أن القتال في يوم الرب العظيم.

وقد بينا ذلك في كتابنا «هرمجدون حقيقة أم خيال[١]» وفي كتابنا «البداية والنهاية لأمة بني إسرائيل»

نص سفر دانيال الذي

هو أصل نبوءة الساعة:

«في السنة الأولى لداريوس بن أحشو يروش من نسل الماديين الذي ملك على مملكة الكلدانيين في السنة الأولى من ملكه. أنا دانيال فهمت من الكتب عدد السنين التي كانت عليها كلمة الرب إلى إرمياء النبي لكمالة سبعين سنة على خراب أورشليم فوجهت وجهي إلى الله السيد طالباً بالصلاة والتضرعات بالصوم والمسح والرماد وصليت إلى الرب إلهي واعترفت وقلت أيها الرب الإله العظيم المهوب حافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظي وصاياه. أخطأنا وأثمنا وعملنا الشر وتمردنا وحِدنا عن وصاياك وعن أحكامك. وما سمعنا من عبيدك الأنبياء الذين باسمك كلموا ملوكنا ورؤساءنا وآباءنا وكل شعب الأرض. لك يا سيد البر. أما لنا فخزي الوجوه كما هو اليوم لرجال يهوذا ولسكان أورشليم ولكل إسرائيل القريبين والبعيدين في كل الأراضي التي طردتهم إليها من أجل خيانتهم التي خانوك إياها. يا سيد لنا خزي الوجوه لملوكنا لرؤسائنا ولآبائنا لأننا أخطأنا إليك. للرب إلهنا المراحم والمغفرة لأننا تمردنا عليه. وما سمعنا صوت الرب إلهنا لنسلك في شرائعه التي جعلها أمامنا عن يد عبيده الأنبياء. وكل إسرائيل قد تعدى على شريعتك وحادوا لئلا يسمعوا صوتك فسكبت علينا اللعنة والحلف المكتوب في شريعة موسى عبد الله لأننا أخطأنا إليه. وقد أقام كلماته التي تكلم بها علينا وعلى قضاتنا الذين قضوا لنا ليجلب علينا شراً عظيما ما لم يجر تحت السموات كلها كما أجرى على أورشليم. كما كتب في شريعة موسى قد جاء علينا كل هذا الشر ولم نتضرع إلى وجه الرب

(١) هرمجدون حقيقة أم خيال؟ ـ نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة.

إلهنا لنرجع من آثامنا ونفطن بحقك. فسهر الرب على الشر وجلبه علينا لأن الرب إلهنا بار فى كل أعماله التى عملها إذ لم نسمع صوته. والآن أيها السيد إلهنا الذى أخرجت شعبك من أرض مصر بيد قوية وجعلت لنفسك اسماً كما هو هذا اليوم قد أخطأنا عملنا شرا. يا سيد حسب كل رحمتك اصرف سخطك وغضبك عن مدينتك أورشليم جبل قدسك إذ لخطايانا ولآثام آبائنا صارت أورشليم وشعبك عارا عند جميع الذين حولنا. فاسمع الآن يا إلهنا صلاة عبدك وتضرعاته وأضئ بوجهك على مقدسك الخرب من أجل السيد. أمل أذنك يا إلهى واسمع. افتح عينيك وانظر خربنا والمدينة التى دعى اسمك عليها لأنه لا لأجل برنا نطرح تضرعاتنا أمام وجهك بل لأجل مراحمك العظيمة. يا سيد اسمع يا سيد اغفر يا سيد اصغ واصنع. لا تؤخر من أجل نفسك يا إلهى لأن اسمك دعى على مدينتك وعلى شعبك.

وبينما أنا أتكلم وأصلى وأعترف بخطيتى وخطية شعبى إسرائيل وأطرح تضرعى أمام الرب إلهى عن جبل قدس إلهى وأنا متكلم بعد بالصلاة إذا بالرجل جبرائيل الذى رأيته فى الرؤيا فى الابتداء مطاراً واغفاً لمسنى عند وقت تقدمة المساء. وفهمنى وتكلم معى وقال يا دانيال إنى خرجت الآن لأعلمك الفهم. فى ابتداء تضرعاتك خرج الأمر وأنا جئت لأخبرك لأنك أنت محبوب. فتأمل الكلام وافهم الرؤيا. **سبعون أسبوعا قُضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم وليؤتى بالبر الأبدى ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين.** فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعاً. يعود ويبنى سوق وخليج فى ضيق الأزمنة. وبعد اثنين وستين أسبوعاً يُقطع المسيح وليس له. وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة وإلى النهاية حرب وخرب قُضى بها. ويثبت عهداً مع كثيرين فى أسبوع واحد وفى وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة، وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب المقضى على المخرب» (دانيال ٩)

نص إنجيل متى

عن نبوءة الساعة:

«ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل. فتقدم تلاميذه لكى يروه أبنية الهيكل. فقال لهم يسوع: أما تنظرون جميع هذه. الحق أقول لكم: إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا يُنقض. وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين: قل لنا متى يكون هذا؟ وما هى علامة مجيئك؟ وانقضاء الدهر؟ فأجاب يسوع وقال لهم: انظروا لا يضلكم أحد. فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين: أنا هو المسيح. ويضلون كثيرين. وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب. انظروا لا ترتاعوا. لأنه لابد أن تكون هذه كلها. ولكن ليس المنتهى بعده. لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن. ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع. حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمى. وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضا ويبغضون بعضهم بعضا. ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين. ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين. ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص. **ويكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة شهادة لجميع الأمم. ثم يأتى المنتهى**[1].

فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس. ليفهم القارئ. فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال. والذى على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئا. والذى فى الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه. وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام. وصلّوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت. لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون. ولو لم تقصّر تلك الأيام لم يخلص جسد. ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام.

حينئذ إن قال لكم أحد :هوذا المسيح[2] هنا أو هناك؛ فلا تصدقوا. لأنه

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾

(٢) يقصد المسيح: محمد رسول الله بحسب لسانهم

سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً. ها أنا قد سبقت وأخبرتكم. فإن قالوا لكم: ها هو فى البرية فلا تخرجوا. ها هو فى المخادع فلا تصدقوا. لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب؛ **هكذا يكون أيضا مجئ ابن الإنسان**. لأنه حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النسور.

وللوقت بعد ضيق تلك الأيام؛ تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السموات تتزعزع. **وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء. وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير. فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها**. فمن شجرة التين تعلّموا المثل. متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب. هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب. الحق أقول لكم: لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله.

السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لايزول. **وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده**. وكما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضا مجىء ابن الإنسان. لأنه كما كانوا فى الأيام التى قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى اليوم الذى دخل فيه نوح الفلك ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع. كذلك يكون أيضا مجىء ابن الإنسان. حينئذ يكون اثنان فى الحقل. يأخذ الواحد ويترك الآخر. اثنتان تطحنان على الرحى. تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى.

اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم[1]. واعلموا هذا: أنه لو عرف رب البيت فى أى هزيع يأتى السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب. لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان. فمن هو العبد

(١) ربكم: سيدكم محمد ﷺ كما قال عنه داود عليه السلام: «قال الله لسيدى...» (مزمور ١١٠)

الأمين الحكيم الذى أقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام فى حينه؟ طوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا. الحق أقول لكم إنه يقيمه على جميع أمواله. ولكن إن قال ذلك العبد الردىء فى قلبه: سيدى يبطىء قدومه. فيبتدىء يضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى. يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لا ينتظره وفى ساعة لا يعرفها. فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (متى ٢٤)

التمهيد الثالث

يوم الرب
فى
نبوءة يوئيل

عبر يوئيل عن الأمة القوية التى ستخرب أورشليم فى يوم الرب، بأنها مثل الجراد الكثير الذى لا يعدّ من كثرته. وعبر عن عظم الخراب بأن ما تبقى من القمص، أكله الزحاف، وما تبقى من الزحاف أكله الغوغاء، وما تبقى من الغوغاء أكله الطيار. أى أنه خراب لا بقاء لشىء فيه.

والأمة القوية المشبهة بالجراد المهلك هى أمة النبى المنتظر. الآتى خلفا لموسى عليه السلام. وليس المراد من الأمة الجراد نفسه. وذلك لأنه يشبه الأمة بالجراد الذى يهلك الزرع ولا يبقى له أثر. فيقول: «إذ قد صعدت على أرضى أمة قوية بلا عدد. أسنانها أسنان الأسد» وليس للجراد أسنان كأسنان الأسود. وإنما هو يعنى أنها قوية كقوة الأسود. وهذه الأمة هى أمة النبى المنتظر؛ لأنه تكلم عن انقطاع الصدقات والتقدمات، ونصح الكهنة بالنوح والبكاء فقال: «ونوحوا أيها الكهنة. . .»

وبين أن هذه الحرب للرب، وأن الأمة الآتية لتهلك اليهود هى أمة قوية، وأن الهلاك لن يكون له نظير فيما بعد. أى أن النبى الآتى ستبقى شريعته إلى الأبد، ولن يكون لأمته هلاك كهلاك اليهود. ومن هذا النبى ترتعد الشعوب. كما عبر داود عنه فى المزمور الثانى بقوله: «تحطمهم بقضيب من حديد، مثل إناء خزاف تكسرهم»

«الساكن فى السموات يضحك. الرب يستهزئ بهم»

ثم دعا اليهود إلى التوبة، وبين لهم أن من يقبل هذا النبى؛ سيحيا حياة طيبة «فتأكلون أكلا وتشبعون، وتسبحون اسم الرب إلهكم»

ثم بين أنه من بعد هلاك الأشرار؛ يسكب الله الإلهام على الأخيار «أنى أسكب روحى على كل بشر» وحذر الأمم من عدم التوبة فقال: «أرد عملكم على رءوسكم» ولمح إلى الأمة القوية بقوله: «وأبيع بنيكم وبناتكم بيد بنى يهوذا؛ ليبيعوهم للسبائيين؛ لأمة بعيدة» وهم أهل اليمن القريبين من مكة المكرمة.

نص سفر يوئيل عن

يوم الرب العظيم:

«قول الرب الذى صار إلى يوئيل بن فثوئيل

اسمعوا هذا أيها الشيوخ واصغوا يا جميع سكان الأرض. هل حدث هذا فى أيامكم أو فى أيام آبائكم. أخبروا بنيكم عنه وبنوكم بنيهم، وبنوهم دورا آخر: فضلة القَمَص أكلها الزَّحاف، وفضلة الزحاف أكلها الغَوْغاء، وفضلة الغوغاء أكلها الطيار(١)

أصحوا أيها السكارى وابكوا وولولوا يا جميع شاربى الخمر على العصير لأنه انقطع عن أفواهكم. **إذ قد صعدت على أرضى أمة قوية بلا عدد**. أسنانها أسنان الأسد ولها أضراس اللبوة. جعلت كرمتى خربة وتينتى متهشمة. قد قشرتها وطرحتها فابيضت قضبانها.

نوحى يا أرضى كعروس مؤتزرة بمسح من أجل بعل صباها. انقطعت التقدمة والسكيب عن بيت الرب. **ناحت الكهنة خدام الرب**. تلف الحقل ناحت الأرض

---

(١) يذكر النبى يوئيل توجه الأمة القوية لمحاربة اليهود والأمم فى فلسطين فى يوم الرب.

ويقول المفسرون: إن الجراد يشير إلى أعداء من بنى البشر. والقمص: هو الدود الصغير، أول ما يخرج من البيض، وبعدما يكبر ويزحف يكون الزحاف، وأول ما تطلع الأجنحة يكون الغوغاء، وحينما يطير يكون الطيار.

لأنه قد تلف القمح جف المسطار ذبل الزيت. خـجل الفلاحون ولول الكرامون على الحنطة وعلى الشعير لأنه قد تلف حصيد الحقل. الجفنة يبست والتينة ذبلت. الرمانة والنخلة والتفاحة. كل أشجار الحقل يبست. **إنه قد يبست البهجة من بنى البشر**

تنطقوا ونوحـوا أيها الكهنة. ولولوا يا خدام المذبح. أدخلوا بيتـوا بالمسوح يا خدام إلهى لأنه قد امتنع عن بيت إلهكم التقدمة والسكيب. قدسوا صوما نادوا باعتكاف اجمعوا الشيوخ جميع سكان الأرض إلى بيت الرب إلهكم واصرخوا إلى الرب

آه على اليوم لأن يوم الرب قـريب. يأتى كخراب مـن القادر على كل شئ. أما انقطع الطعام تجـاه عيوننا. الفرح والابتهاج عن بيت إلهنا. عـفنت الحبوب تحت مدرهـا. خلت الأهراء. انهدمت المخـازن لأنه قد يبس القـمح. كم تئن البهـائم. هامت قطعان البقر لأن ليس لها مرعى حتى قطعان الغنم تفنى. إليك يا رب أصرخ لأن ناراً قد أكلـت مراعى البرية ولهـيبـاً أحرق جمـيع أشجـار الحقل. حتـى بهائم الصحراء تنظر إليك لأن جداول المياه قد جفت والنار أكلت مراعى البرية.

اضربوا بالبـوق فى صهيون. صوّتوا فى جـبل قدسى. ليرتعد جـميع سكان الأرض لأن يوم الرب قادم لأنه قريب. يوم ظلام وقتام يوم غيم وضباب مثل الفجر ممتداً على الجبال. **شعب كثيـر وقوى لم يكن نظيره منذ الأزل** ولا يكون أيضاً بعده إلى سنى دور فدور. قدامه نار[١] تأكل وخلفه لهيب يحـرق. الأرض قدامه كجنة عدن وخلـفه قفـر خرب ولا تكون منه نجـاة. كمنظر الخـيل منظره ومـثل الأفراس يركضون. كصريف المركبات على رءوس الجبال يـثبون. كزفير لهيب نار تأكل قشا. كقوم أقوياء مصطفين للقتال. منه ترتعد الشعوب. كل الوجوه تجمع حمرة. يجرون كأبطال. يصـعدون السور كرجال الحـرب ويمشون كل واحد فى طريقـه ولا يغيرون سبلـهم. ولا يزاحم بعضـهم بعضا، يمـشون كل واحد فى سـبيله، وبين الأسـلحة يقعون ولا ينكسرون. يتراكضون فى المدينـة يجرون على السور يصعدون إلى البيوت يدخلون من الكوى كاللص. قدامه ترتعد الأرض **وترجف السماء**. الشمس والقمر

(١) لاحظ: أنه عبر عن هول معارك يوم الرب بالنار ـ مجازا ـ

يظلمان والنجوم تحجز لمعانها. والرب يعطى صوته أمام جيشه إن عسكره كثير جداً. فإن صانع قوله قوى لأن يوم الرب عظيم ومخوف جدا. فمن يطيقه؟

ولكن الآن يقول الرب: ارجعـوا إلى بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح. ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رءوف رحيم بطئ الغضب وكثير الرأفةويندم على الشر. لعله يرجع ويندم فيبقى وراءه بركة تقدمة وسكيبا للرب إلهكم.

اضربوا بالبـوق فى صهيون قـدسوا صومـا نادوا باعتكاف. اجمعـوا الشعب قدسوا الجماعة احشدوا الشيوخ اجمعوا الأطفال وراضعى الثدى ليخرج العريس من مخدعه والعروس من حجلتـها. ليبك الكهنة خدام الرب بين الرواق والمذبح ويقولوا أشفق يا رب على شـعبك ولا تسلم مـيراثك للعار حـتى تجعلهم الأمم مـثلا. لماذا يقولون بين الشعوب أين إلههم.

فيغـار الرب لأرضه ويرق لشعبـه ويجيب الرب ويقول لشعـبه: هأنذا مرسل لكم قمحا ومسطارا وزيتا لتشبـعوا منها ولا أجعلكم أيضاً عاراً بين الأمم. والشمالى أبعده عنكم وأطرده إلى أرض ناشفة ومقفرة. مقـدمته إلى البحر الشرقى وساقته إلى البحر الغربى فيصعد نتنه وتطلع زهمته لأنه قد تصلف فى عمله.

لا تخافى أيتها الأرض ابتهـجى وافرحى لأن الرب يعظم عمله. لا تخافى يا بهائم الصـحراء فإن مراعى البرية تنبـت لأن الأشجار تحمل ثمرها. التـينة والكرمة تعطيان قوتهمـا. ويا بنى صهيون ابتهجـوا وافرحوا بالرب إلهكم لأنه يعطيكم المطر المبكر على حقـه وينزل عليكم مطرا مبكرا ومـتأخرا فى أول الوقت. فـتملأ البـيادر حنطة وتفيـض حياض المعـاصر خمـرا وزيتا. وأعوض لكم عن السنـين التى أكلها الجراد الغوغاء والطـيار والقمص جيشى العظيم الذى أرسلته عليكـم. فتأكلون أكلا وتشبعون وتسبّحون اسم الرب إلهكم الذى صنع مـعكم عجباً ولا يخزى شعبى إلى الأبد. وتعلمـون أنى أنا فى وسط إسرائيـل وأنى أنا الرب إلهكم وليس غيـرى ولا يخزى شـعبى إلى الأبد. **ويكون بعد ذلك أنى أسكـب روحى على كل بشر فيـتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شـيوخكم احلامـاً ويرى شبابكـم رؤى. وعلى العبيـد أيضاً**

وعلى الإماء أسكب روحى فى تلك الأيام وأعطى عجـائب فى السماء والأرض دماً وناراً وأعمـدة دخان. تتحـول الشمس إلى ظلمـة والقمر إلـى دم قبل أن يجئ يوم الرب العظيم المخـوف. ويكون أن كل من يدعـو باسم الرب ينجـو. لأنه فى جبل صهيون وفى أورشليم تكون نجاة. كما قال الرب. وبين الباقين من يدعوه الرب.

لأنه هوذا فى تلك الأيام وفى ذلك الوقت عندما أرد سـبى يهوذا وأورشليم؛ أجمع كل الأمم وأنزلهم إلى وادى يهوشـافاط وأحاكمهم هناك على شعـبى وميراثى إسرائيل الذين بددوهم بين الأمم وقـسموا أراضى وألقـوا قرعة على شـعبى وأعطوا الصبى بزانية وباعوا البنت بخمر ليشربوا.

وماذا أنتن لى يا صـور وصيدون وجـميع دائرة فلسطين. هل تكافـئوننى عن العمل أم هل تصنعون بى شـيئاً. سريعاً بالعـجل أرد عملكم على رءوسكم. لأنكم أخذتم فضـتى وذهبى وأدخلتم نفائسى الجيدة إلى هياكلكـم. وبعتم بنى يهوذا وبنى أورشليم لبنى الياوانيين لكى تبعدوهم عن تخومهم. هأنذا أنهضهم من الموضع الذى بعـتمـوهم إليـه وأرد عملـكم على رءوسكم. وأبيع بنيكم وبناتكم بـيد بنى يهـوذا ليبيعوهم للسبائيين لأمة بعيدة لأن الرب قد تكلم.

نادوا بهذا بين الأمم. قدسـوا حرباً أنهضوا الأبطال ليتقـدم ويصعد كل رجال الحرب. اطبعوا سكككم سيوفاً ومناجلكم رماحاً. ليقل الضعيف: بطل أنا. أسرعوا وهلموا يا جـميع الأمم من كل ناحـية واجـتمعـوا. إلى هناك أنزل يا رب أبطالك. تنهض وتصعد الأمم إلى وادى يهوشافاط لأنى هناك أجلس لأحاكم جميع الأمم من كل ناحيـة. أرسلوا المنجل لأن الحصـيد قد نضج. هلمـوا دوسوا لأنه قد امـتلأت المعصرة. فاضت الحياض لأن شرهم كثير.

جمـاهير جماهيـر فى وادى القضاء لأن يوم الرب قريب فى وادى القـضاء. الشمس والقـمر يظلمان والـنجوم تحجـز لمعانها. والرب من صـهيون يزمـجر ومن أورشليم يعطى صوته فـترجف السمـاء والأرض. ولكن الرب ملجأ لشعبـه وحصن لبنى إسرائيل(١). فتـعرفون أنى أنـا الرب إلهكم ساكنا فى صهـيون جـبل قدسى،

(١) يقصد الأخيار الذين سيؤمنون بالنبى الآتى

وتكون أورشليم مقدسة ولا يجتاز فيها الأعاجم فى ما بعد.

ويكون فى ذلك اليوم أن الجبال تقطر عصيرا، والتلال تفيض لبنا وجميع ينابيع يهوذا تفيض ماء، ومن بيت الرب يخرج ينبوع[1] ويسقى وادى السنط. مصر تصير خرابا وأدوم تصير قفرا خربا من أجل ظلمهم لبنى يهوذا الذين سفكوا دما بريئا فى أرضهم. ولكن يهوذا تسكن إلى الأبد وأورشليم إلى دور فدور. وأبرئ دمهم الذى لم أبرئه، والرب يسكن فى صهيون» (يوئيل)

لغو النصارى فى نبوءة يوئيل عن يوم الرب:

فى نبوءة يوئيل: أنه بعد تطهير الأرض من اليهود على يد النبى الأمى الآتى على مثال موسى، سينعم الله على الأخيار المؤمنين بالنبى «فإن مراعى البرية تنبت؛ لأن الأشجار تحمل ثمرها. التينة، والكرمة تعطيان قوتهما»

أما بخصوص الشعائر الدينية. فإنه فى شريعة التوراة أن اللاويين والهارونيين هم الأئمة. وهذا لن يكون فى شريعة النبى الأمى الآتى؛ لأن كل مسلم عليها يصح له أن يقيم الشعائر. لأن الله سيلهم كل مسلم أمور الدين «ويكون بعد ذلك: أنى أسكب روحى على كل بشر؛ فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويحلم شيوخكم أحلاما، ويرى شبابكم رؤى. وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء؛ أسكب روحى فى تلك الأيام، وأعطى عجائب فى السماء والأرض. دما وناراً وأعمدة دخان. تتحول الشمس إلى ظلمة، والقمر إلى دم، قبل أن يجئ يوم الرب العظيم المخوف. ويكون أن كل من يدعو باسم الرب؛ ينجو»

هذا هو نص كلام النبى يوئيل.

وقد نقله بطرس فى سفر أعمال الرسل هكذا: «ويكون فى الأيام الأخيرة[2] أنى أسكب من روحى على كل بشر؛ فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبابكم رؤى،

---

(١) فى القرآن الكريم: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا﴾

(٢) الأيام الأخيرة: هى نهاية أيام شريعة التوراة القائم عليها ملك اليهود فى الأمم، وهى بدء أيام النبى المنتظر من إسماعيل عليه السلام

ويحلم شيوخكم أحلاما. وعلى عبيدى أيضا وإمائى؛ أسكب من روحى فى تلك الأيام؛ فيتنبأون، وأعطى عجائب فى السماء من فوق، وآيات على الأرض من أسفل. دما ونارا وبخار دخان. تتحول الشمس إلى ظلمة، والقمر إلى دم، قبل أن يجئ يوم الرب العظيم الشهير، ويكون كل من يدعو باسم الرب؛ يخلص» (أع ٢ : ١٧ ـ ٢١)

يقول مفسرو التوراة عن سكب الروح: «فى العهد القديم سكب الله روحه على بعض الناس المدعوين لخدمة خصوصية كالأنبياء والقضاة والملوك. وأما الوعد الجديد؛ فهو أن الروح يحل على كل بشر؛ الشيوخ والشباب، حتى وعلى العبيد والإماء أيضاً. فيمتلئون جميعا من الروح القدس، ويفهمون ما لم يقدر أن يفهمه شعب الله القديم، ويعملون من الأعمال الصالحة ما لم يعمله القدماء[1]» أ. هـ

المناقشة:

فى نبوءة يوئيل الحديث عن معركة حربية شديدة الوطأة على اليهود من أمة قوية أسنانها أسنان الأسد. والرب يعطى صوته أمام جيشه. إن عسكره كثير جدا. وقال يوئيل: «إن يوم الرب عظيم ومخوف جدا. فمن يطيقه»

ويقول النصارى: إنه فى يوم الخمسين كان النصارى مجتمعين فى بيت، وصار صوت شديد، وملأ كل البيت الذين كانوا جالسين فيه. ومن هذا الصوت الشديد تبلبلت ألسنة المجتمعين، وتغيرت لغاتهم إلى العبرية والآرامية واليونانية وسائر لغات العالم، وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى.

فلما علم الناس بحالهم؛ تحيروا فى شأنهم. عندئذ قال بطرس للذين تحيروا فى شأنهم: إنهم قد انطبقت عليهم نبوءة يوئيل، وهى: إنه فى الأيام الأخيرة لملك اليهود وشريعة موسى، وبدء أيام ملك أمة النبى الآتى على مثال موسى؛ أن الله يسكب من روحه على كل بشر. وقد سكب على هؤلاء. يريد أن يقول: إن نبوءة يوئيل التى هى لمحمد ﷺ قد انطبقت على المسيح وتمت فيه.

فهل هذا الكلام معقول من بطرس؟ أين الجيش؟ وأين الحرب؟ وهل أيام عيسى هى الأيام الأخيرة؟

(١) ص ٤٤ ج ١٢ السنن القديم فى تفسير أسفار العهد القديم.

يوم الرب
فى
القرآن الكريم

فى سورة الفرقان:

قال الله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾

البيان:

يخبر عن اليهود بقوله ﴿وقال الذين كفروا﴾ بنبوة محمد ﷺ أنهم قالوا عن كلام الله إنه ﴿إفك﴾ وقد ساعد محمدا فى إيجاده ﴿قوم آخرون﴾ من غير

اليهود. ولم ينسبوا الإفك إلى علماء من اليهود، ليثبتوا الصدق لهم وحسن الخلق ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها﴾ من قوم آخرين. وهم مستمرون فى عمل القرآن له؛ ليجمع الأنصار والأتباع ثم يتقدم بهم لحربنا. ورد على فريتهم بأن الذى أنزله هو الله ﴿الذى يعلم السر فى السموات والأرض﴾

وفى التوراة: أن ملكا من الملائكة كان يدل اليهود على الطرق، ويساعدهم فى فتح بلاد الأمم. وهم يرون محمدا ﷺ مثل رجل يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق؛ فأين هو من الملاك الذى كان مع موسى عليه السلام؟ وأين أتباعه من أتباع موسى عليه السلام؟

ففى الأصحاح الثالث والعشرين من سفر الخروج:

«ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك؛ ليحفظك فى الطريق، وليجئ بك إلى المكان الذى أعددتُه. احترز منه، واسمع لصوته، ولا تتمرد عليه؛ لأنه لا يصفح عن ذنوبكم؛ لأن اسمى فيه»

والمعنى: أن بنى إسرائيل وهم على نية فتح بلاد الأمم لينشروا فيها الإسلام على شريعة موسى عليه السلام يهيئ الله لهم ملكا من الملائكة؛ ليدلهم على الطرق، ولينصرهم فى الحرب، فإذا ساروا؛ يسير الملاك معهم، ويحفظهم فى الطريق، ويدلّهم على المدينة التى يريد الله منهم أن يفتحوها، وأن يبنوا فيها مساجد؛ ليذكر فيها اسمه. فإذا تخلوا عن فتح البلاد

«لا يصفح عن ذنوبكم؛ لأن اسمى فيه»

وفى سورة الأنعام هذا المعنى. وهو أن الله حكى عن اليهود قولهم: ﴿**وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ**﴾

إنهم لأن محمدا ﷺ هو المماثل لموسى. وقد فتح أصحابه الأراضى بنصرة ﴿ملك﴾ يطلبون ﴿ملكا﴾ والطلب لصالحهم إذا آمنوا، وهو لغير صالحهم إذا كفروا؛ لأنهم بالكفر يكونون مماثلين للأمم التى حاربها موسى وآباؤهم. فإذا سار المسلمون

للفتح كما سار آباؤهم من قبل؛ يسير الملك أمام وجوههم فى صورة رجل. كما كان الحال فى هيئته الآدمية مع آبائهم، وينصرهم على أعدائهم.

واليهود من أعـدائهم. وفى هذه الحالة يتم أمر الله بإهلاك اليـهود فى الحال، ولا يمهلون إلى حين الأجل المعدود لهم. وهو آخـر أمة الروم. وهذا الأمر بالإهلاك منصوص عليه فى التـوراة فى قوله: «احترز منه، واسمع لصوته، ولا تتـمرد عليه؛ لأنه لا يصفح عن ذنوبكم؛ لأن اسمى فيه» أى هو نائب عنى فى إنزال السكينة على قلوب المؤمنين، وإنزال الـرعب فى قلوب الكافـرين، وقـوله تعـالى: ﴿ولو جـعلناه ملكا﴾ معناه: ولو جعلناه ملكا متصرفا فيـهم كتصرفه مدة الشريعة الأولى ﴿لجعلناه رجلا﴾ ولابد من تقـدير متصـرفا فيـهم؛ لأنه مخلوق من البـدء ملكا، لا أنه كان مخلوقا غير ملك ثم جعلناه ملكا.

وفى التوراة: أن الملاك كان يسير أمام اليهود، ويدلهم على طريق الأمم الستة التى كـانت تعبـد الأصنام فى أرض سيناء، وينصـرهم عليهم بواسطـة الهيبـة وبث الرعب. وهذا يدل على أن اليهود كانوا مأمورين بالجهاد فى سبيل الله تعالى.

وتنص التوراة على أنهم إذا أقاموا التوراة وعـملوا بما فيها؛ فإن الله يبارك فى طعامهم وشرابهم، ويزيل الأمراض من بينهم.

وهذا هو النص على الملك بتمامه:

«ها أنا مـرسل ملاكا أمـام وجهك؛ ليـحفظك فى الطريق، وليـجئ بك إلى المكان الذى أعددته. احـترز منه، واسمع لصوته، ولا تتـمرد عليه. **لأنه لا يصفح عن ذنوبكم**؛ لأن اسمى فيـه. ولكن إن سمعت لصوته، وفـعلت كل ما أتكلم به؛ أعادى أعـدائك، وأضايق مـضايقـيك؛ فإن ملاكـى يسير أمـامك، ويجئ بك إلى الأموريين والحثيين والفرزيين والكنعـانيين والحويين واليبوسيين؛ **فأبيدهم**. لا تسجد لآلهتهم، ولا تعبدها، ولا تعمل كأعمالهم. **بل تبيدهم وتكسر أنصابهم**. وتعبدون الرب إلهكم. فيـبارك خبزك وماءك. وأزيل المرض من بينكم. لا تـكون مسقطة ولا عـاقر فى أرضـك. وأكمل عـدد أيامك. أُرسل هيـبـتى، أمامك، وأزعـج جمـيع

الشعوب الذين تأتى عليهم، وأعطيك جميع أعدائك مدبرين. وأرسل أمامك الزنابير؛ فتطرد الحويين والكنعانيين والحثيين من أمامك. لا أطردهم من أمامك فى سنة واحدة؛ لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية. قليلا قليلا أطردهم من أمامك إلى أن تثمر وتملك الأرض، وأجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين، ومن البرية إلى النهر؛ فإنى أدفع إلى أيديكم سكان الأرض؛ فتطردهم من أمامك. لا تقطع معهم ولا مع آلهتهم عهدا. لا يسكنوا فى أرضك؛ لئلا يجعلوك تخطئ إلىّ. إذا عبدت آلهتهم؛ فإنه يكون لك فخا» (خروج ٢٣ : ٢٠ ـ ٣٣)

ثم قال الله تعالى: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ**﴾ التى قال المسيح عيسى عليه السلام إنهم سيهلكون فيها على يدى محمد إذا لم يؤمنوا به. وذلك لأن عيسى عليه السلام لما أعطى علامات إذا حدثت يعلمون أن النبى المبشر به سوف يظهر فى الحال، وسوف يفتح أورشليم، ويملك على أهلها، ويهدم هيكل سليمان، ويكون الفتح بمعركة شديدة فى ساعة لا يعلمها إلا الله وحده؛ قال: إنه من بعد العلامات سيظهر هذا النبى، وسيهلك اليهود الكافرين به فى الأيام الأولى لظهوره، وإن ساعة هذه المعركة لا يعلمها إلا الله وحده «**وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب**» (مر ١٣ : ٣٢)

وقال: إن ساعة هذه المعركة ستكون بغتة «**فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم فى خمار وسكر وهموم الحياة؛ فيصادفكم ذلك اليوم بغتة**» (لو ٢١ : ٣٤)
وقال المسيح: إن هذه المعركة ستزيل المملكة الرومانية من أرض فلسطين؛ طبقا لكلام دانيال، وستزيل ملك اليهود فيها. ذلك قوله بعد ذكر العلامات: «فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس. . .إلخ» (متى ٢٤ : ١٥ ـ)

وقد قال المسيح: «**وأما ذلك اليوم، وتلك الساعة**»

والمراد بذلك اليوم: يوم الرب. الذى ستكون فيه معركة فاصلة بين النبى وأصحابه من جهة، وبين اليهود وشركائهم من جهة أخرى. فى الأيام الأولى لبدء الإسلام، وستكون نهاية هذه المعركة: قطع الكافرين بهذا النبى من اليهود من

الشعب. كما قال موسى عليه السلام: «**إن نبيا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم. له تسمعون فى كل ما يكلمكم به، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشعب**» (تث ١٥ أع ٣)

وفى القرآن الكريم: ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله﴾ يتكلم عن طائفتين يحشرهم لهذه المعركة فى فلسطين للحرب، حرب النبى وأصحابه. ثم بانتصار المسلمين عليهم يكون قد تم هلاكهم فى يوم الحشر. الطائفة الأولى: هى طائفة اليهود. المعبر عنهم بالضمير ﴿هم﴾ فى ﴿يحشرهم﴾ والطائفة الأخرى هى طائفة شركاء اليهود الذين يعبدون آلهة غير الله. المعبر عنهم بالأمم. وهم المسيحيون الرومانيون وغيرهم. فيكون المعنى: ويوم الرب سنحشر فيه اليهود، وسنحشر فيه معهم الأمم الذين يعبدون من دون الله. ثم يخاطب الله الأمم بلسان الحال ﴿فيقول: ءأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل؟﴾ لاحظ: ١ ـ عبادى ٢ ـ هؤلاء. واليهود عباد الله وهم من قبل التحريف عباد الله. ذلك قول موسى لفرعون وملئه: ﴿أن أدوا إلى عباد الله إنى لكم رسول أمين﴾ وهم من بعد التحريف عباد مسرفون على أنفسهم ذلك قوله تعالى: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾**

فقد حببهم فى الرجوع إليه. وحذرهم من العذاب فى يوم الرب، الذى لن ينصروا فيه على المسلمين. وبين أن العذاب سيأتيهم بغتة. كما قال المسيح عنه. وقد قال أنبياؤهم لهم على لسان الله تعالى: «ولكن الآن يقول الرب: ارجعوا إلىّ بكل

قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح، ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم، وارجعوا إلى الرب إلهكم؛ لأنه رءوف رحيم، بطئ الغضب وكثير الرأفة» (يؤ ٢: ١٢ ـ ١٣)

وفى عصر محمد ﷺ يضيف كلمة ﴿هؤلاء﴾ ليميز المعاصرين منهم للنبى عن آبائهم وأجدادهم الذين كانوا معاصرين لموسى ومن أتى من بعده. أى أنه يقول للأمم بلسان الحال: هؤلاء اليهود الماثلون أمامى معكم فى يوم الحشر؛ هم ضالون. لأنهم لو كانوا على هدى؛ لكانوا قد آمنوا بمحمد ﷺ ولو كانوا قد آمنوا به، لما كانوا قد جاءوا إلى حربه. فمجيئهم لحربه؛ هو دليل على أنهم ضالون. فهل أنتم الذين أضللتموهم وأجبرتموهم على الحرب أم هم ضالون بإراداتهم، وجاءوا إلى الحرب بإراداتهم؟

أجاب الشركاء بقولهم: ﴿سبحانك﴾ تنزيها لك عن كل سوء. حقا نحن عبدنا غيرك. وما كان يحق لنا أن نعبد غيرك؛ فإن آثار قدرتك تدل عليك. والأنبياء أخبروا بوجودك؛ وأما بخصوص هؤلاء اليهود فنحن لم نضلهم. وهم الذين ﴿ضلوا السبيل﴾ بإراداتهم. وكيف ضلوا السبيل؟ أجاب الشركاء الذين هم على علم بما فى اليهود ماضيهم وحاضرهم: أنت متّعتهم بالملك على الأمم؛ فأكلوا خيرات الأرض، وشبعوا من جوع، وآمنوا من خوف. ومتعتَ آباءهم أيضا. فقد كانوا يعيشون فى البدو. وأنت جعلت لهم مدنا محصنة، وملكتهم على الأمم والشعوب. وهذه الرفاهية؛ أنستهم ذكرك؛ وأدت بهم إلى البوار.

ولما فرغ الشركاء من الإجابة؛ التفت إلى اليهود وخاطبهم بقوله: ﴿فقد كذبوكم بما تقولون﴾ لأنكم تقولون فى كتبكم: إن الأمم هى التى أضلتنا. والآن ﴿ما تستطيعون صرفا ولا نصرا﴾ صرف العذاب عنهم، ولا الانتصار لأنفسهم.

وقد صوّر حِزقيال النبى حال جهاد بنى إسرائيل مع الله، وحال توقفهم عن الجهاد مع الله. فقال: إن لبْوَة ربّت شبلا. أكل الناس. يعنى أنهم جاهدوا فى سبيل الله «فلما سمعت به الأمم أُخذ فى حفرتهم» يعنى أن الأمم تآمرت على إبطال الجهاد بالقوة. ثم إن اليهود تخلصوا من الأمم وجاهدوا مرة أخرى «صار شبلا، وتعلم

افتراس الفريسة، أكل الناس» ولم تسكت الأمم فاتفقوا على اليهود. وأتوا بهم إلى ملك بابل. ومن ذلك الحين قعدوا عن الجهاد.

يقول حزقيال: «أما أنت فارفع مرثاة على رؤساء إسرائيل. وقل: ما هى أمك؟ لبوة ربضت بين الأسود، وربت جراءها بين الأشبال. ربت واحدا من جرائها فصار شبلا وتعلم افتراس الفريسة. أكل الناس. فلما سمعت به الأمم؛ أُخذ فى حفرتهم، فأتوا به بخزائم إلى أرض مصر. فلما رأت أنها قد انتظرت وهلك رجاؤها؛ أخذت آخر من جرائها وصيرته شبلا. فتمشى بين الأسود. صار شبلا، وتعلم افتراس الفريسة وأكل الناس وعرف قصورهم وخرب مدنهم؛ فأقفرت الأرض وملؤها من صوت زمجرته. فاتفق عليه الأمم من كل جهة من البلدان، وبسطوا عليه شبكتهم؛ فأخذ فى حفرتهم، فوضعوه فى قفص بخزائم وأحضروه إلى ملك بابل، وأتوا به إلى القلاع لكيلا يُسمع صوته بعد على جبال إسرائيل...» (حزقيال ١٩: ١ +)

***

ويقول تعالى بعد ذلك:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً ﴿٢٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ

كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴿٣٢﴾ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾

المعنى:

يقول اليهود الذين لا يرجون لقاء الله فى يوم الرب العظيم. أى لايريدون الإيمان بمحمد ولا الحرب معه لصالحه: هلا ينزل علينا الملائكة، أو نراه رأى العين؟ وعبر بلقاء الله؛ لأن الله طرف أول فى المعركة والنبى وأصحابة والملائكة الروحانيون؛ نواب عنه. واليهود وشركاؤهم طرف آخر. وهم لا يريدون لقاء الله فى هذه الحرب؛ استخفافا بنبيه وأصحابه.

ويقول الله تعالى: إن هذه المعركة لابد منها، وفيها ستنزل الملائكة الروحانيون لنصرة النبى وأصحابه وليس فيها أنهم سيروا الله جهرة، وإذا نزلت الملائكة؛ فإن اليهود سيهزمون هزيمة منكرة. وإذا كانوا قد عملوا عملا صالحا؛ فإنهم لن يحصلوا على أجر له. وذلك لكفرهم بالنبى ﷺ وستقوم قيامتهم من بعد القتل مباشرة؛ لأنهم لا يعتقدون فى حياة البرزخ. وإذا قتلوا، وحيوا فى الآخرة؛ فإنهم لا يكونون قد أحسوا بمدة فى البرزخ.

وانقطاع الإحساس؛ يدل على أنه من بعد القتل سيكون نار لهم. إذ لا سؤال لهم ولا وزن لهم. أما أصحاب النبى ﷺ فإنهم إذا قتلوا ـ على اعتقادهم ـ فإنهم سيدخلون الجنة. إذ لا إحساس بمدة فى البرزخ. وإذا عاشوا ولم يقتلوا؛ فإنهم سيحيون فى الدنيا حياة طيبة.

ثم تكلم الله عن هول المعركة. وعبر عن الهول بتشقق الغمام. وأكد على نزول الملائكة تنزيلا.

والتعبير عن التشقق موجود فى سفر إشعياء النبى وهو: «ليتك تشق السموات وتنزل. من حضرتك تتزلزل الجبال كما يُشعل النار الهشيم، وتجعل النار المياه تغلى؛ لتعرف أعداءك اسمك. لترتعد الأمم من حضرتك...» (إش ٦٤: ١ +)

والتعبيرات مجازية كنظيرها في يوئيل وحزقيال وغيرهما. ففى سفر يوئيل فى الكلام عن هول يوم الرب وهو: «ليرتعد جميع سكان الأرض. لأن يوم الرب قادم؛ لأنه قريب. يوم ظلام وقتام. يوم غيم وضباب. مثل الفجر ممتدا على الجبال. شعب كثير وقوى لم يكن نظيره منذ الأزل ولا يكون أيضاً بعده إلى سنى دور فدور. . .إلخ» (يؤ ٢: ١ ـ ٢) وفى سفر حزقيال: «ولولوا. يا لليوم. لأن اليوم قريب. ويوم للرب قريب. يوم غيم. يكون وقتا للأمم. . .إلخ» (حز ٣٠: ٢ ـ ٣)

وأما عن نزول الملائكة. ففى نشيد موسى يتكلم الله عن نزع الملك من اليهود. ويقول: إنه قد أعد لهم يوما للانتقام منهم على أفعالهم. وأنه سيرسل نبيا يجب على الأمم أن تفرح به مع شعبه، وأنه سيحارب أعداءه وستكون الملائكة فى نصرته. ففى نهاية نشيد موسى فى النص اليونانى: «تهللى معه أيتها السموات، واسجدوا له يا جميع الآلهة. تهللى أيتها الأمم مع شعبه، ولتعلن قوته ملائكة الله جميعا؛ لأنه يثأر لدم عبيده، ويرد الانتقام على خصومه، ويجازى مبغضيه، ويكفر عن أرض شعبه»

وقوله تعالى: ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ يدل على نصرة المؤمنين. فى يوم الرب. وقوله ﴿وكان يوما على الكافرين عسيرا﴾ يدل على هزيمة اليهود والأمم فى يوم الرب.

وعبر بقوله ﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ على ندم اليهودى وحسرته. وندمه وحسرته؛ لأنه لم يتخذ مع الرسول محمد ﷺ سبيلا، واتخذ السبيل مع علماء بنى إسرائيل المغضوب عليهم. وصرح بأن العالم من بنى إسرائيل قد أضله بقوله: ﴿لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى﴾ يعنى أنه أبعده عن الدخول فى الذكر الجديد، وأبقاه فى الذكر القديم الذى نسخ بالذكر الجديد. وفى هذا المعنى يقول إرمياء النبى: «ها أيام تأتى. يقول الرب. وأقطع مع بيت إسرائيل، ومع بيت يهوذا عهدا جديدا. ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر، حين نقضوا عهدى. فرفضتهم. يقول الرب. بل هذا هو العهد الذى

أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام. يقول الرب. أجعل شريعتى فى داخلهم، وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلها، وهم يكونون لى شعبا» (إر ٣١: ٣١ - ٣٣)

إنه يتكلم عن عهدين. عهد قديم هو التوراة. وعهد جديد هو القرآن. وقد قال المسيحيون: إن العهد الجديد هو عهد الإنجيل. وقولهم باطل. لأن أهل الإنجيل طائفة من اليهود. وفى النص قوله: «فرفضتهم» أى أن الله رفض اليهود من السير أمامه. فيكون العهد الجديد عهدا مع أمة غير مرفوضة. وحيث لإسماعيل عليه السلام بركة هى ملك ونبوة. تكون الأمة الآتية هى أمته، ويكون العهد الجديد معها. والإنجيل ليس كتاب تشريع حتى يقال: إنه هو المقابل لكتاب التوراة. وإنما هو كتاب بشرى بخبر مفرح. وهو مجئ محمد صلى الله عليه وسلم والمبشر به هو الذى يكون صاحب العهد الجديد. وفى النص على العهد الجديد: «أجعل شريعتى فى داخلهم، وأكتب على قلوبهم» وفى الإنجيل أن المسيح ما نقض التوراة وما نسخها.

ثم تكلم عن تأسف محمد صلى الله عليه وسلم لعدم إيمان اليهود به. فقال: ﴿يا رب إن قومى لتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾ وقومه ههنا فى هذا النص هم اليهود لا غير. ويكون المعنى: إن قومى الأقربين. وذلك لأن قومه إما العرب وإما اليهود. وهم جميعا من نسل إبراهيم عليه السلام فالعرب من إسماعيل، واليهود من إسحق. وقد جاء فى القرآن: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾

والعشيرة تطلق على فرع من قبيلة. فإبراهيم عليه السلام رأس القبيلة. وتفرع منها عشيرتان. كل عشيرة منهما موعودة ببركة أى بملك ونبوة. وهما عشيرة إسماعيل وعشيرة إسحق. والولد من إسماعيل تكون عشيرته القريبة له هى عشيرة إسحق. والولد من إسحق تكون عشيرته القريبة له هى عشيرة إسماعيل. ولا يقولِ الولد عن عشيرته: إنها عشيرة قريبة. وإذا قال قريبة؛ فإنما هو يعنى عشيرة غير عشيرته. وتكون مشتركة معه فى رأس القبيلة.

ويوجد فرق بين القريبة والأقرب. فإبراهيم عليه السلام رأس القبيلة. وقد أنجب إسماعيل وإسحق وزمران ويَقشان ومَدان ومديان ويِشباق وشُوحا (تكوين ٢٥) وكل ولد وما تناسل منه؛ يُطلق عليه عشيرة. وإسماعيل هو الأول ومن بعده إسحق.

ومن بعدهما الأولاد الستة لـ «قطورة» والسبعة عشائر قريبة لإسماعيل. ومن من السبعة هو العشيرة الأقرب؟ إن العشيرة الأقرب لإسماعيل هى عشيرة إسحق - التى منها اليهود - لأن إسحق قد ولد بعد إسماعيل. فيكون معنى قوله ﴿عشيرتك الأقربين﴾ هم اليهود لا غير. وفى النص ما يؤكده: وهو أن الإنذار لا يكون إلا للأمم المكذبة وهو ينذرهم لأنه سيوقع عذابا من بعد الإنذار. وأهل مكة عشيرة محمد ﷺ وقد عزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه. ولم تهلك مكة على يد محمد ﷺ لأن الله حرّمها وقد هلكت أورشليم فى يوم الرب على يديه.

ثم قال تعالى: ﴿وقال الذين كفروا: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ وهم اليهود.

يعنون: أن المعنى الواحد فى القرآن مكرر بألفاظ مختلفة. فقصة موسى عليه السلام معانيها واحدة. والمعنى الواحد معبر عنه بأساليب مختلفة، وألفاظ مختلفة. ويوم الرب له معنى واحد. وهذا المعنى الواحد معبر عنه بأساليب مختلفة وألفاظ مختلفة. فهلا أنزل المعنى الواحد ووضحه بما يشاء من الأساليب. ثم لا يكرره؟ إن أكثر سور القرآن فيها كلام عن يوم الرب. فلماذا لم يذكر يوم الرب فى سورة واحدة؟ وأجاب بقوله: ﴿كذلك لنثبت به فؤادك. ورتلناه ترتيلا﴾

***

وفى سورة النمل:

يقول الله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنطِقُونَ﴾

البيان:

يقول اليهود: إن الله وعدنا بالهلاك فى يوم الرب العظيم فى سفر يوئيل وغيره، وأنتم يا أتباع محمد تقولون: إن هذا الوعد قد جاء فى القرآن، ونحن ننذركم بالهلاك فيه، كما أنذركم آباؤكم. موسى وإرمياء وإشعياء وحزقيال ويوئيل وغيرهم. فمتى يكون زمان هذا الوعد؟ يستخفون بالكلام كأنه لن يحدث.

وقد رد بقوله: إن العذاب سيكون بعد الأمة المعدودة. وهى أمة الروم. كما قال النبى دانيال. فلماذا تستعجلون به وأنتم تعلمون موعده؟

ففى كلام دانيال عن مملكة محمد ﷺ: «وفى أيام هؤلاء الملوك؛ يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً، وملكها لا يُترك لشعب آخر، وتسحق وتُفنى كل هذه الممالك. وهى تثبت إلى الأبد» (دا ٢: ٤٤)

ثم بين أن اليهود يختلفون فى نبوة محمد ﷺ. وحقا هم يختلفون. فالسامريون يقولون: إنه سيأتى من سبط يوسف والعبرانيون يقولون: إنه سيأتى من سبط يهوذا. وقد تبينت لهم نبوته من كتبهم بقوله: إن موسى قد بين لكم فى التوراة: أن نبيا مثله سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم. له تسمعون فى كل ما يكلمكم به، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشعب. ذلك قوله: «أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم. مثلك، وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم

بكل ما أوصيه به» وهذا الكلام الذى سيكلمهم به هذا النبى الأمى؛ يترجم بالقول فى بعض التراجم. هكذا: «**وأجعل كلامى فى فمه. فيقول لهم كل ما آمره به**»

فإذا جاء زمان هذا ﴿القول﴾ ومعناه الشريعة الجديدة الناسخة لشريعة التوراة. فهل سيأتى به مَلَك من السماء، أم نبى من الأرض؟ لا يمكن أن يكون ملكا من السماء؛ لأن جنس البشر لا يألف جنس الملائكة، ولأن الآتى به أمى لا يقرأ ولا يكتب. وهو مثل موسى، وهو من إخوتهم. والملائكة ليست من إخوة بنى إسرائيل وليسوا من جنس البشر. لذلك قال: **إنه إذا جاء زمان هذا** ﴿القول﴾ فإننا سنخرج لهم دابة من الأرض من جنس البشر. هى محمد ﷺ وهو سيكلمهم بكل ما يوصيه الله به.

ومما فى هذا الكلام: أن اليهود كانوا بآياتنا لا يوقنون. والتعبير بالناس فى القرآن يدل على اليهود، والتعبير بالذين كفروا يدل على اليهود، والتعبير بالظالمين يدل على اليهود، وكذلك التعبير بالمجرمين.

وفى لغة العرب: أنّ كل ما يدب على الأرض فهو دابة. ذلك قول الشاعر:

زعمتنى شيخا ولست بشيخ   إنما الشيخ من يدب دبيبا

وفى القرآن الذى هو بلسان عربى مبين ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ - ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم**﴾ ومحمد ﷺ دابة من دواب الأرض. كموسى والنبيين من قبله. وقد أرسله الله إليهم ليكلمهم بكل ما يوصيه الله به.

وفى التوراة: أنه فى يوم الرب يحشر الله اليهود والأمم لقتال المسلمين. وذلك ليطهر الأرض منهم. كما طهرها بطوفان الماء فى زمان نوح عليه السلام. **ولكن منطقة هَرمَجَدُّون فى فلسطين لا تتّسع للأمم. ولذلك قال: ﴿فوجا﴾ من كل أمة ليشهدوا قوة الله وعظمته.** ذلك قوله: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون﴾

ثم قال: إن هلاك اليهود والأمم المكذبة، عدل لا جور فيه. فإنه أرسل إليهم أنبياء ورسلا من بنى إسرائيل. ويسألهم بعد حشرهم: ﴿أكذبتم بآياتى، ولم تحيطوا بها علما؟ أم ماذا كنتم تعملون﴾؟

وهم قد أحيطوا بها علما، من استفتاح علماء بنى إسرائيل على الذين كفروا من اليهود. أى يقول العلماء لهم: إننا فى زمان النبى الآتى سنملك على بلاد الأمم. ولذلك ﴿وقع القول عليهم﴾

وبيان أن القول قد وقع عليهم: هو أن موسى عليه السلام قال فى أوصاف محمد صلى الله عليه وسلم الذى سيأتى بالقول: «ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه» وفى ترجمة: «ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشعب» فلازم القول وهو إبادتهم من بين الشعب؛ قد وقع عليهم. إذ هم علموا بهذا الخبر وما يتعلق به من أنبياء ورسل بنى إسرائيل. وبذلك يكونون ظالمين لأنفسهم ظلما بينا.

وكثيرون يجعلون الدابة من علامات الساعة. وهم يعنون بالساعة يوم القيامة. أما أنها يوم القيامة، وأن الدابة ـ وهى ناقة صالح عليه السلام ـ من علاماتها؛ فإن فى القرآن ما ينقض ذلك. وهو أن الساعة ـ على معناها عندهم ـ تأتى بغتة. والتصريح بالبغتة؛ ينفى العلامات. وأما أنها هى ساعة هلاك اليهود والأمم فى يوم الرب ـ وهذا هو الحق ـ فإن محمدا صلى الله عليه وسلم قد بُعث بين يدى الساعة. وهى ساعة المعركة فى يوم الرب.

ثم إن الكلام فى بنى إسرائيل. ومجئ الدابة؛ يُتم مدة ملكهم ونبوتهم على الأرض. ولما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم زال ملكهم ونسخت شريعتهم. يقول تعالى: ﴿إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون﴾ ثم قال: ﴿يقضى بينهم﴾ أى بين بنى إسرائيل ﴿إذا وقع القول عليهم﴾ على بنى إسرائيل ﴿أخرجنا لهم﴾ أى لبنى إسرائيل ﴿تكلمهم﴾ تكلم بنى إسرائيل.

***

وفى سورة القصص:

يقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾

البيان:

يخبر عن النبى الذى سيأتى مثل موسى، الذى سيقول لهم كل ما يوصيه الله به. هذا القول الذى طلبه اليهود من موسى على جبل طور سيناء. حينما أخذتهم الرجفة؛ وظهر النار والدخان. وعندئذ قالوا لموسى: إذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى؛ فليكلمنا عن طريقك يا موسى؛ لأننا نخاف. فرد طلبهم إلى الله. فقال له: قد أحسنوا فى ما تكلموا به. وسوف أقيم لهم نبيا من بعدك يقول لهم كل ما أريده منهم. وها هو زمان القول. وقد وصلناه إليهم عن طريق النبى الأمى المماثل لموسى **﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾** هذا الموضوع المكتوب فى كتاب موسى إلى هذا اليوم

ففى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية:

«يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى. له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا: لا أعود أسمع صوت الرب إلهى، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً؛ لئلا أموت. قال لى الرب: قد أحسنوا فى ما تكلموا. أقيم لهم: نبيا من وسط إخوتهم. مثلك، وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه. وأما النبى الذى يُطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى؛ فيموت ذلك النبى. . .إلخ» (تث ١٨: ١٥ ـ ٢٢)

وبعد كلام طويل عن اليهود. أخبر عن يوم الرب، وعن اتفاقهم مع المسيحيين ضد محمد ﷺ فهما معا قد أنكروه إنكارا تاما. اليهود قالوا: سيأتى من جنسنا. والمسيحيون قالوا: قد كان هو المسيح عيسى بن مريم، وقد جاء. وهم يعلمون

جميعا: أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشعب. طبقا لما جاء فى موضوع القول. وهو أن الذى سيبلغه لهم نبى مثل موسى. ومن لا يسمع لهذا القول ويعمل به؛ فإنه سيهلك. ثم قال:

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾

ويوم ينادى اليهود بلسان الحال فى يوم الرب قائلاً: أين شركائى لا شركاؤكم؟

ويجيب الذين حق عليهم القول. أى الذين سيهلكون من اليهود على يد هذا النبى - كما فى نصوص القول عن هذا الهلاك. وهو أنهم يبادون من الشعب -: ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾ أى المشتركين معنا فى معركة يوم الرب وهم المسيحيون أتباع المملكة الرومانية. فلم أغويتوهم؟ يجيبون بقولهم: ﴿أغويناهم كما غوينا﴾ ويرد بقوله: هؤلاء المسيحيون الذين أغويتموهم كانوا يقولون: إن التوراة كتابنا. مثل ما تقولون. فهل هم كانوا يعبدون علماءكم. أى يطيعونهم فى التحليل والتحريم؟ وقد ردوا عليه بقولهم: ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ أى ما أطاعوا علماءنا. فإنهم قد انفصلوا عنا، وكونوا لهم دينا. وهم لهم عقول وقلوب وقدرة. ولم نجبرهم على عبادتهم؛ لذلك ﴿تبرأنا إليك﴾

عندئذ ﴿ادعوا شركاءكم﴾ من المسيحيين. لينصروكم. ﴿فدعوهم﴾ دعا اليهودُ المسيحيين ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ كما كانوا يتمنون منهم. أى حضروا المعركة وهم غير متحمسين للقتال ﴿ورأوا العذاب﴾ ولو كانت لهم عقول وقلوب ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ بهما إلى الحق؛ ما كانوا قد رأوا العذاب.

وبعدما فرغ من التهديد بيوم الرب، وتكلم عن دلائل قدرته ووحدانيته؛ ذكر قصة قارون ليبين بها أن كل شئ من الله، وأنه لايجب على الإنسان أن يفتخر بشئ قد علّمه الله إياه. على معنى أنه،هو الذى ابتكره، لا أن الله هو الذى هداه إليه. ثم رجع إلى الكلام عن يوم الرب، وخاطب اليهود بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

أى أن الله قد فرض عليك أيها اليهودى القرآن: لأنه هو ﴿الْقَوْلَ﴾ الذى طلبته وقد أوصله إليك النبى الأمي المماثل لموسى، وإنه سيردك إلى ﴿مَعَادٍ﴾ يوم الرب، حسب المذكور فى نص القول. وإن كنت من المهتدين فإنك ستنجو، وإن كنت من الكافرين فإنك ستهلك؛ لقوله: «ويكون أن كل نفس لاتسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشعب» وقد كنت ترجو رحمة الله حينما طلبت من الله أن يكلمك بواسطة النبى خوفا من النار والدخان. وإذ نزل الكتاب وقد كلمك الله فيه على لسان النبى؛ فاحذر أيها اليهودى المهتدى أن تكون نصيرا للكافرين من اليهود الذين لم يُسلموا. وعبر بقوله ﴿إِلَيْكَ﴾ ولم يعبر بعليك. ليكون المعنى: لايصدنك أيها المهتدى هؤلاء الكافرون بعد ما أوصل الله آياته إليك. وادع إلى الإسلام مع الداعين إليه، ﴿ولاتكونن من المشركين﴾.

وقد جاء فى كتاب الكامل لابن الأثير الموصلى: أن عبدالله بن سبأ فسر الآية ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ بالرجعة فقال: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ومحمد أحق بالرجوع من عيسى [١]»

هذا هو تفسيره. والحق ماذكرناه.

***

فى سورة العنكبوت:

يقول الله تعالى:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾

(١) الكامل فى التاريخ ص ٧٧ ج ٣ ابن الأثير الموصلى.

البيان:

يخبر كما سبق فى سور كثيرة: أن اليهود يستعجلون عذابهم فى يوم الرب استهزاء بالله ورسوله. ورد بقوله: لولا أنه محدد بزمن انقضاء المملكة الرومانية الرابعة. كما هو مكتوب فى الأصحاح الثانى والسابع من سفر دانيال؛ لأتاهم العذاب الآن. ومن المؤكد أنه سيأتيهم بغتة. كما قال المسيح عيسى عليه السلام وأنبياء بنى إسرائيل.

فإن المسيح أخبرهم بأن «المسيح المنتظر» بحسب لسانهم لن يأتى من نسل داود. كما يزعم العبرانيون. ثم وبخ علماء بنى إسرائيل على سلوكهم السيئ، ثم قال: إن النبى الآتى سيهدم هيكل سليمان، ويغير شريعة موسى. وعندئذ سأله الحواريون عن وقت ظهور النبى الآتى؛ فأعطاهم علامات. إذا حدثت؛ يعلمون منها: أنه قريب على الأبواب. وقال لهم: إنه سيشن حربا شديدة ضد اليهود، وستكون بغتة، وسيغلبهم فى هذه الحرب، وأن ساعة هذه المعركة لا يعلمها إلا الله وحده.

وهذا هو نص كلام المسيح من إنجيل لوقا عن العلامات والحرب التى ستأتى بغتة فى الساعة التى لا يعلمها إلا الله وحده:

«وإذ كان قوم يقولون عن الهيكل إنه مزين بحجارة حسنة وتحف. قال: هذه التى ترونها ستأتى أيام لا يترك فيها حجر على حجر لا يُنقض. فسألوه قائلين: يا معلم متى يكون هذا؟ وما هى العلامة عندما يصير هذا؟ فقال: انظروا لا تضلوا. فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين: إنى أنا هو (١) والزمان قد قرب. فلا تذهبوا وراءهم. فإذا سمعتم بحروب وقلاقل؛ فلا تجزعوا لأنه لابد أن يكون هذا أولا. ولكن لا يكون المنتهى سريعا. ثم قال لهم: تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة. وتكون زلازل عظيمة فى أماكن ومجاعات وأوبئة. وتكون مخاوف وعلامات عظيمة من السماء. وقبل هذا كله يلقون أيديهم عليكم ويطردونكم ويسلمونكم إلى مجامع وسجون وتساقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمى. فيؤول ذلك لكم شهادة. فضعوا فى قلوبكم: أن لا تهتموا من قبل؛ لكى تحتجوا. لأنى أنا أعطيكم فما وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها. وسوف تسلّمون من الوالدين

(١) قوله: «إنى أنا هو» يدل على اثنين هما ١ ـ عيسى ٢ ـ ومحمد الذى يبشّر به.

والإخوة والأقـرباء والأصدقاء. ويقتلون منكم. وتـكونون مبغضين من الجـميع من أجل اسمى. ولكن شعرة من رءوسكم لا تهلك. بصبركم [١] اقتنوا أنفسكم. **ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجـيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقـترب خرابها**. حينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال. والذين فى وسطها فليفروا خارجا. والذين فى الكور فـلا يدخلوها. لأن هذه أيام انتقـام ليتـم كل ما هو مكتـوب. وويل للحبـالى [٢] والمرضـعات فى تلك الأيام لأنه يكون ضـيق عظيم على الأرض وسـخط على هذا الشعب. ويقعون بفم السيف **ويسبون إلى جميع الأمم**[٣]. وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تُكمَّل أزمنة الأمم.

وتكون عـلامـات فى الشـمس والقمـر والنجـوم. وعلى الأرض كـرب أمم بحيرة. البحر والأمواج تضج. والناس يغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتى علىً المسكونة؛ لأن قوات السموات تتزعزع. **وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا فى سحابة بقوة ومجـد كثير**. ومتى ابتدأت هذه تكون فـانتصبوا وارفـعوا رءوسكم لأن نجاتكم تقـترب. وقـال لهم مثـلاً. انظروا إلى شجـرة التين وكل الأشجـار. متى أفـرخت تنظرون وتعلمون من أنفـسكم أن الصيف قد قرب. هكذا أنتم أيضـا متى رأيتم هذه الأشيـاء صائرة فاعلـموا أن ملكوت الله قريب. الحق أقـول لكم: إنه لا يمضى هذا الجيل حتى يكـون الكل. السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول. فـاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم فى خمار وسكر[٤] وهموم الحياة؛ **فيصادفكم ذلك اليوم بغتة**. لأنه كـالفخ يأتى على جمـيع الجالسين علـى وجه كل الأرض. اسـهروا إذاً وتضرعـوا فى كل حين؛ لكى تحسـبوا أهلاً للنجـاة من جمـيع هذا المزمع أن يكون وتقفوا **قدام ابن الإنسان**» (لوقا ٢١)

***

(١) قال الله تعالى لعلماء بنى إسرائيل: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفكسم﴾؟

ثم نصحهم بالصبر والصلاة. وهذا هو موضع الـصبر. وأما الصلاة ففى قوله: «وصلّوا لكى لايكون هربكم فى شتاء أو فى سبت». وهذا مبين فى سورة البقرة.

(٢) قال الله تعالى: ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها﴾

(٣) ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾

(٤) ﴿وترى الناس سكاري﴾ والمراد بالناس فى جميع سور القرآن: اليهود.

وفى سورة الروم:

يقول الله تعالى:

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ[1] ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾

(١) يقول المسيح: «ويسبون إلى جميع الأمم»

البيان:

يخبر عن هزيمة الـروم وهى المملكة الرومانية. وهى الرابعة فى سـفر دانيال، التى بعدها يتـأسس ملكوت محـمد ﷺ. ويتكلم عن الأمرين: ١ ـ السـاعة ٢ ـ ويوم الرب

فيـقول: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ والمراد: أن قيامـها سيكون فى يوم الرب العظيم. وختـم السورة بقوله: ﴿فاصبر إن وعد الله حق. ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ وهو الوعد بهلاك اليهود والأمم الكافرين بمحمد ﷺ فى يوم الرب.

***

وفى سورة لقمان:

يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

البيان:

المراد بالناس: اليهـود خاصة. وقد حذرهم من الهـلاك فى يوم الرب بقوله: ﴿واخشوا يـوما﴾ ـ ﴿إن وعد الله حق﴾ وبين لهم: أن الساعـة ستأتى بغتـة بقوله: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ أى علم ساعة هلاكهم فى يوم الرب.

***

وفى سورة السجدة:

يقول الله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾

البيان:

يخبر عن تعجب اليهود من فتح المسلمين لفلسطين، والملك عليها؛ لنشر القرآن فيها. ونزع الملك فيها من بنى إسرائيل ونسخ التوراة. والفتح فى القرآن يأتى لغرض فتح بلاد الكافرين، وملك المسلمين عليها ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾ - ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ وقولهم ﴿متى هذا الفتح﴾؟ هو سؤال. الغرض منه: الاستبعاد، لا الاستفهام الحقيقى عن الزمان. وذلك لأنه مكتوب فى كتبهم: أنهم سيهلكون على يد النبى الآتى إذا كفروا به، وستكون أرضهم وديارهم للمؤمنين به. كما فى سفر يوئيل وغيره.

ومعنى: ﴿إن كنتم صادقين﴾ أى صادقين فى قولكم: إنكم سترثون الأرض المقدسة. سيرثها عباد الله الصالحون. ففى القرآن الكريم: ﴿ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر: أن الأرض يرثها عبادى الصالحون﴾ وفى الذكر ــ وهو التوراة ــ هذا النبأ. وفى الزبور أيضا فى السابع والثلاثين وغيره. فإن الله قال لإبراهيم عليه السلام: «ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض» (تك ٢٢ : ١٨) وقال لإبراهيم «لأنه بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة؛ لأنه نسلك» (تك ٢١ : ١٢ ـ ١٣) ولما دعا إبراهيم ربه. أن يسير نسل إسماعيل أمامه. استجاب دعاءه وقال له: «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه» (تك ١٧ : ٢٠) والبركة: ملك ونبوة. وفى نبوءة إشعياء عن مكة المكرمة: «ويرث نسلك أمما، ويعمر مدنا خربة» (إش ٥٤ : ٣) وفى نبوءة داود عن إرث الأرض: «والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض» ـ الرب عارف أيام الكملة، وميراثهم إلى الأبد؛ يكون» (مز ٣٧)

فقوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا فى الزبور﴾ يعنى به ما جاء فى المزمور السابع والثلاثين وشبهه. وقوله: ﴿من بعد الذكر﴾ يعنى به: من بعد التوراة. وفيها مثل ما ذكرنا. ومضمون المكتوب فى الزبور والتوراة: ﴿أن الأرض يرثها عبادى الصالحون﴾ والتعبير بالجمع فى قوله ﴿إن كنتم صادقين﴾ يدل على أن رسل محمد ﷺ وصلوا إلى ديار اليهود ليخبروهم بهذا الفتح ولينذروهم بالهلاك إذا لم يدخلوا فى الإسلام. وهو ههنا يحكى عن وصولهم وإخبارهم وإنذارهم ورد اليهود عليهم بالاستبعاد. ثم قال: إن ساعة المعركة إذا جاءت لن ينجو اليهود من العذاب، ولن ينفعهم إيمانهم ساعتها بمحمد ﷺ ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها.

ثم قال لنبيه: ﴿فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون﴾

وفى التوراة وفى الإنجيل أنهم ينتظرون يوم الرب. وأنه لن يكون فى صالح اليهود، ولن يكون فى صالح الأمم.

ويوم الرب هذا هو يوم ظهور النبى محمد ﷺ لينضموا إليه ويفتحوا على يديه بلاد الأمم. فلما جاء محمد ﷺ من بنى إسماعيل؛ عرفوا أن الخير على يديه سيكون لصالح بنى إسماعيل ولن يكون لهم من الخير نصيب إلا كنصيب الداخل فى دينه من الأمم. فلذلك تركوه. وانقسم اليهود حال ظهوره إلى قسمين. القسم الأول وهم الأخيار، والقسم الآخر وهم الأشرار. ولما دارت المعارك بين اليهود وبين المسلمين انضم الأخيار إلى المسلمين، وتركوا الأشرار يهلكون فى المعارك. يدل على ذلك: نصوص التوراة والإنجيل عن يوم الرب: ومن النصوص الدالة على ذلك:

١ ـ المزمور الخامس والعشرين ٢ ـ المزمور الحادى والثلاثين ٣ ـ المزمور التاسع والستين ٤ ـ إشعياء الأصحاح الثلاثون ٥ ـ إشعياء الأصحاح الأربعون ٦ ـ إشعياء الأصحاح التاسع والأربعون. وقد وضع محرفو الإنجيل الانتظار على عودة المسيح عيسى من السماء. ومن ذلك: رسالة تيطس[1] وبطرس الثانية الأصحاح الثالث:

(١) «منتظرين الرجاء المبارك، وظهور مجد الله العظيم، ومخلصنا يسوع المسيح»

١٢ «منتظرين وطالبين سرعة مجئ يوم الرب، الذى به تنحل السموات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب»

ونكتفى بذكر المزمورين ٢٥ و ٣١ ونذكر نصيهما:

أ ـ وهذا هو نص المزمور الخامس والعشرين:

«إليك يا رب أرفع نفسى. يا إلهى عليك توكلت. فلا تدعنى أخزى. لا تشمت بى أعدائى. أيضاً كل منتظريك لا يخزوا. ليخز الغادرون بلا سبب. طرقك يا رب عرفنى. سبلك علمنى. دربنى فى حقك وعلمنى. لأنك أنت إله خلاصى. إياك انتظرت اليوم كله. أذكر مراحمك يا رب وإحساناتك لأنها منذ الأزل هى. لا تذكر خطايا صباى ولا معاصى. كرحمتك اذكرنى أنت من أجل جودك يا رب.

الرب صالح ومستقيم. لذلك يعلم الخطاة الطريق. يدرب الودعاء فى الحق ويعلم الودعاء طرقه. كل سبل الرب رحمة وحق لحافظى عهده وشهاداته. من أجل اسمك يا رب اغفر إثمى لأنه عظيم. من هو الإنسان الخائف الرب. يعلمه طريقا يختاره. نفسه فى الخير تبيت، **ونسله يرث الأرض**. سر الرب لخائفيه. وعهده لتعليمهم. عيناى دائما إلى الرب. لأنه هو يخرج رجلى من الشبكة.

التفت إلىّ وارحمنى لأنى وحد ومسكين أنا. أُفرُج ضيقات قلبى. من شدائدى أخرجنى. انظر إلى ذلى وتعبى واغفر جميع خطاياى. انظر إلى أعدائى لأنهم قد كثروا. وبغضا ظلما أبغضونى. احفظ نفسى وأنقذنى. لا أخزى لأنى عليك توكلت. يحفظنى الكمال والاستقامة لأنى انتظرتك. يا ألله افد إسرائيل(١) من كل ضيقاته» (مزمور ٢٥)

ب ـ وهذا هو نص المزمور الحادى والثلاثين:

«عليك يا رب توكلت. لا تدعنى أخزى مدى الدهر. بعدلك نجنى. أمل إلىّ أذنك. سريعا أنقذنى. كن لى صخرة حصن، بيت ملجأ لتخليصى. لأن صخرتى

(١) يقصد المختارون لا الأشرار.

ومعقلى أنت. من أجل اسمك تهدينى وتقودنى. أخرجنى من الشبكة التى خبأوها لى. لأنك أنت حصنى. **فى يدك أستودع روحى**. فديتنى يا رب إله الحق. أبغضت الذين يراعون أباطيل كاذبة. أما أنا فعلى الرب توكلت. أبتهج وأفرح برحمتك لأنك نظرت إلى مذلتى وعرفت فى الشدائد نفسى. ولم تحبسنى فى يد العدو بل أقمت فى الرحب رجلى.

ارحمنى يا رب لأنى فى ضيق. خسفت من الغم عينى. نفسى وبطنى. لأن حياتى قد فنيت بالحزن وسنينى بالتنهد. ضعفت بشقاوتى قوتى وبليت عظامى. عند كل أعدائى صرت عارا وعند جيرانى بالكلية ورعبا لمعارفى. الذين رأونى خارجا هربوا عنى. نسيت من القلب مثل الميت. صرت مثل إناء متلف. لأنى سمعت مذمة من كثيرين. الخوف مستدير بى بمؤامرتهم معا على. تفكروا فى أخذ نفسى.

أما أنا فعليك توكلت يا رب. قلت: إلهى أنت. فى يدك آجالى. نجنى من يد أعدائى ومن الذين يطردوننى. أضئ بوجهك على عبدك. خلصنى برحمتك. يا رب لا تدعنى أخزى لأنى دعوتك. ليخز الأشرار. ليسكتوا فى الهاوية. لتبكم شفاه الكذب المتكلمة على الصدّيق بوقاحة بكبرياء واستهانة.

ما أعظم جودك الذى ذخرته لخائفيك. وفعلته للمتكلين عليك تجاه بنى البشر. تسترهم بستر وجهك من مكايد الناس. تخفيهم فى مظلة من مخاصمة الألسن. مبارك الرب لأنه قد جعل عجبا، رحمته لى فى مدينة محصنة. وأنا قلت فى حيرتى: إنى قد انقطعت من قدام عينيك. ولكنك سمعت صوت تضرعى إذ صرخت إليك.

أحبوا الرب يا جميع أتقيائه. الرب حافظ الأمانة ومجاز بكثرة العامل بالكبرياء. لتتشدد ولتتشجع قلوبكم يا جميع المنتظرين[1] الرب» (مزمور ٣١)

***

---

(١) فى القرآن الكريم: ﴿وانتظروا إنا منتظرون﴾

وفى سورة الأحزاب:

يقول الله تعالى:

﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً (٦٢) يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾

البيان:

المراد بالمنافقين: اليهود جميعا فى كل مكان وزمان.

والمراد بالمدينة: مدينة «أورشليم» فى فلسطين. عاصمة ملك اليهود العبرانيين فيها.

وقوله: ﴿لنغرينك بهم﴾ يدل على وقوع حرب بين النبى وبين اليهود فى مدينة «أورشليم»

وقوله: ﴿ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا﴾ يدل على أن «أورشليم» - بيت المقدس - ستكون ملكا للمسلمين بحكم الفتح، وأن اليهود لن يسكنوها باعتبار أنهم مالكون لها. بل باعتبار أنهم سيدفعون الجزية، وسيفسدون فى الأرض مرتين، وفى كل مرة يزاحمون المسلمين فى فلسطين مدة قليلة. وأشار بالكاف التى تدل على محمد ﷺ بحسب الظاهر وهو يعنى به جميع المسلمين فى شخصه. وفى سورة الإسراء يقول فى نفس المعنى: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذًا لا يلبثون خلافك إلا قليلا﴾ يريد بالأرض: أرض فلسطين [illegible]

والكاف فى قوله: ﴿وإن كادوا ليستفزونك﴾ إلى اليهود جميعا. والمراد: إخراج المسلمين منها بالقوة لا إخراجه هو وحده. ولو حدث هذا فى إفساد اليهود فى الأرض مرتين. فإنهم بحكم الغلبة لن يلبثوا خلفا للمسلمين فيها إلا مدة قليلة. وفى سورة الدخان إشارة إلى عودتهم إلى فلسطين فى المرتين. وفى التوبة، وفى سورة المنافقين.

ثم قال: ﴿يسألك الناسُ﴾ وهم اليهود ﴿عن الساعة﴾ يعنون: المعركة التى ستكون فى يوم الرب العظيم التى قال عنها المسيح: إنه لا يعلمها إلا الله، وأنها ستكون بغتة ﴿وما يدرك لعل الساعة تكون قريبا﴾ وقد وقعت فى عهد عمر بن الخطاب ﷺ سنة ٦٣٨ م

وإذا جاء لفظ الخلود فى جهنم فى القرآن الكريم؛ فإنه يدل على اليهود والمسيحيين، ولا يدل على المسلمين. وهو هنا يقول: ﴿إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا﴾

وانظر إلى قوله: ﴿وقالوا ربنا. إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل. ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا﴾

يعنون به: ١ ـ أن اليهود طائفة والمسيحيين معهم ٢ ـ وأن الأمم التى غلبتهم مثل بابل وفارس واليونان والرومان طائفة. وكان اليهود يؤدون الجزية من سبى بابل سنة ٥٨٦ ق. م إلى أن جاء الإسلام وأهلك منهم الكافرين، وأبقى الأخيار. والأخيار صاروا أحياء وسادة ولم يدفعوا الجزية، وتساووا بالمسلمين. فمن الذين تسببوا فى إهلاك اليهود والمسيحيين على أيدى المسلمين فى يوم الرب؟ هل هم الرؤساء الذين احتلوا بلادهم؟ هل هم اليهود والمسيحيون الكافرون باختيارهم وإراداتهم الحرة؟ على أية حال لقد هلك الكافرون من الطائفتين. وفى سورة سبأ الآتية بعد هذه السورة تكرير للرؤساء والمرءوسين. بنفس المعنى.

***

وفى سورة سبأ:

يقول الله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

البيان:

يحكى استبعاد اليهود لهلاكهم فى يوم الرب فى الساعة التى أنبأ عن هلاكهم فيها المسيح عليه السلام

ورد بقوله: إن ساعة هلاك الكافرين منهم بمحمد ﷺ ستأتى بعد الأمة المعدودة. وهى أمة الروم المكتوب عنها فى الأصحاح الثانى والسابع من سفر دانيال. وإنها إذا جاءت لا يستأخرون عنها ساعة ولا يستقدمون.

ثم قال عن اليهود: ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه﴾ وهو هلاكهم فى يوم الرب.

ثم صور حالهم فى هذه المعركة فقال: ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾

حال طائفة المرءوسين الذين يدفعون الجزية وهم اليهود، وحال طائفة الرؤساء الذين يأخذون الجزية وهم بابل وفارس واليونان والرومان. وآخر الرؤساء هم

الرومان الذين سيكونون مع اليهود فى يوم الرب. فاليهود يقولون للروم: أنتم السادة علينا، وأنتم الذين منعتمونا عن الإيمان بهذا النبى، ولولا خوفنا منكم ﴿لكنا مؤمنين﴾ وأنتم خوفتمونا من الإيمان به؛ لأن جهرنا بمجيئه يجعل الناس يسارعون فى الإيمان به. ومسارعتهم للإيمان به؛ سيقلل من هيبتكم فى أعينهم. وإذا قلّت الهيبة؛ فإنهم يتجرأون عليكم ولا يطيعونكم. وأنتم تريدون منهم الطاعة.

وقد ردت عليهم أمة الروم بأنكم أيها اليهود لما نزلت عليكم الشريعة فى حياة موسى. هل جبنتم عن حرب الأمم الستة الذين كانوا فى سيناء؟ هل خفتم منهم؟ وهل جبنتم عن فتح فلسطين فى زمان طالوت وداود؟ هل خفتم منهم؟ ما حدث منكم خوف ولا جبن. ولقد كنتم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا. وكان سليمان النبى يحكم على اليمن. ففى تلك الأيام القديمة. أيام موسى وطالوت وداود وسليمان وغيرهم ﴿أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم﴾؟ أنتم الذين رضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة، وحرفتم التوراة، وقعدتم عن الجهاد. أنتم المجرمون فى أيامنا، وآباؤكم كانوا مجرمين من قبل أيامنا ﴿بل كنتم مجرمين﴾ فقد قتلتم أنبياء الله، ونحن لم نقتلهم، وأهنتم الذين يأمرون بالقسط من الناس، ونحن لم نهنهم.

وقد رد اليهود المستضعفون على الأمم بقولهم: أنتم أمرتمونا بالكفر بالله، وأن نجعل له شركاء. فطائفة منا وهم المسيحيون قالوا بالآب والابن والروح القدس تحت وطأة عذابكم لهم. وكانوا منا يقولون ﴿هو الله أحد﴾ وينتظرون محمدا كما فى نشيد موسى فى سفر التثنية. وتحت وطأة عذابكم كفروا بالتوراة، وصرحوا بأنهم لن يعلموا بأحكامها، ولن ينتظروا محمدا.

وأنتم اليوم أيها الرومان على ما عليه المسيحيون. تؤمنون بالتثليث. وتضاهئون قول الذين كفروا. من قبل

. ولذلك أنتم مشتركون معنا فى الهلاك فى هذا اليوم العصيب.

ثم يقول تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعا﴾ لو قال ﴿يحشرهم﴾ بدون كلمة ﴿جميعا﴾ لكان الحشر فى يوم الرب لليهود فقط. ولكنه دل بقوله ﴿جميعا﴾ على

حشر المسيحيين - وهم المملكة الرومانية - مع اليهود، وعلى حشر أفواج من الأمم، إذ هم شركاء فى تقديس التوراة وتعظيمها، مع إنكار النبى المكتوب عنه فيها ﴿ثم يقول للملائكة: أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟﴾ أهؤلاء المعاصرون من اليهود والمسيحيين المستعدين لحرب النبى وأصحابه فى يوم الرب كانوا يعبدونكم؟

أجابوا بقولهم: لسنا آلهة. وإنما نحن وهم؛ خلق من خلقك ﴿أنت ولينا﴾ ولماذا هذا السؤال؟

لأنهم لو كانوا مؤمنين بالله لكانوا مرءوسين للملائكة. فإنها تتنزل على عباد الله الصالحين بالرحمة. وهى تهديهم إلى فعل الخير إذا خضعوا للملائكة. وقد نفت الملائكة خضوعهم لهم، وأثبتت لهم الخضوع للجن. والمراد بهم: جنس الشياطين لا عموم الجن. والشياطين نوع من الجن، ولا يطيعون الله أبدا. أما الجن فمنهم المؤمنون ومنهم الكافرون. وإذ قد صح وثبت أن اليهود والمسيحيين يعبدون الشياطين ﴿فاليوم﴾ وهو يوم الرب ﴿لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا﴾ إذ كلكم هالكون ﴿ونقول للذين ظلموا: ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون﴾ شبه هلاكهم بالسيف بهلاكهم بالنار؛ للدلالة على شدة العذاب. وأيضاً: لأنه بعد القتل نار جهنم بحسب اعتقادهم بأنه لا عذاب فى القبر. وفقد الإحساس - إذ الروح هواء - ينفى المدة. فكأنهم إذ يقومون فى يوم الدين كأنهم قائمون من بعد القتل مباشرة.

إنزال الكتب وإرسال النذير:

وإن العالم من قبل محمد ﷺ كان يعرف محمدا ﷺ من كتاب موسى، وكتب الأنبياء، وكتب الأناجيل. وفى هذه الكتب إنذار لليهود بالهلاك على يديه فى الأيام الأولى لظهوره. ذلك قوله: «ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تباد من الشعب» وهذا الإنذار لجميع أمم العالم. وذلك لأن اليهود كانوا ينشرون التوراة فى العالم ويدعون الناس إلى الإيمان بها. ثم إنهم عن نشرها ودعوة الناس إلى الإيمان بها؛ توقفوا من زمان سبى بابل. لكن المسيحيين نشروها ودعوا بها فى أرجاء المملكة الرومانية التى كانت تحكم العالم وقتئذ. فالعالم كله يهود ومسيحيون وأمم

يعرفون ما فيها، ومُنذرون بها. وكان فى أورشليم فى زمان المسيح من كل أمة مؤمنون بالله «يهود ودخلاء» (أع ٢: ١٠) فلماذا قال: ﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها، وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير؟﴾ لماذا والحال أنه آتاهم كتب، وأرسل إليهم من قبل محمد منذرون بالهلاك على يديه إذا لم يؤمنوا به فى يوم الرب؟

إنه يتكلم عن اليهود والمسيحيين. وروما مسيحية، وكانت تحكم العالم وتنشر المسيحية. وقد جاء فى القرآن: أن اليهود قالوا عن القرآن: إفك وسحر. وعندهم كتب يدرسونها. وقد جاءهم منذرون. بل إنه فى صدر سورة يس يقول عن اليهود المعاصرين واليهود القدماء ﴿لتنذر﴾ يا محمد ﴿قوما﴾ هم اليهود مثل ﴿ما أُنذر آباؤهم﴾ أى كما أنذرنا آباءهم الأولين بغيرك، ننذر هؤلاء المعاصرين بك. فكيف مع هذا يقول: ﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾؟

يزيل هذا الإشكال: ما جاء فى صدر سورة الأحقاف وهو: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾

والمعنى: ﴿ما آتيناهم من كتب يدرسونها﴾ فيها إنكار نبوة محمد، وفيها بقاء شريعة التوراة إلى الأبد وعدم نسخها ﴿وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ برفضه إذا جاء؛ لئلا يهلكوا. وإنما آتيناهم بكتب فيها ذكره، وفيها الإنذار بهلاك الذى يرفضه إذا جاء.

هذا هو حال المعاصرين. وأما حال الذين من قبلهم آباؤهم: فهو موضح فى قوله: ﴿وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير﴾

وأخيراً يتكلم عن مكان معركة الساعة فى يوم الرب. ويحدد المكان بالقرب والبعد. ضد جيش المسلمين. وعندما يفزعون من رؤية العرب المسلمين، ويحاولون الفرار؛ لن يقدروا على الفرار؛ وسوف تأخذهم سيوف العرب المسلمين من مكان قريب. هو آخر حدود العرب وأول حدود اليهود فى فلسطين. وعندما يبصرون

الهزيمة سيقولون ﴿آمنا به﴾ ولن ينفعهم الإيمان. ولماذا يناوشون المسلمين من أورشليم البعيدة عن مكة؟ فإنهم أوعزوا إلى اليهود الساكنين فى أرض العرب بحرب النبى وأصحابه فى «خيبر» وغيرها، وأمدوهم برجال وسلاح ليناوشوا المسلمين ويجرونهم إلى حروب وهم بعيدون عن إدارة هذه الحروب. ويرسلون الرسل إلى المسلمين لينفضوا عن محمد ﷺ ويكتبون فيها: إن مستقبل المعارك لو حدثت فسيكون لصالح اليهود ﴿أنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾؟ ثم أنبأ عن نتيجة معركة يوم الرب بقوله: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ أى أن النصر سيكون للمسلمين.

أى أنه يقول: إن محمدا ﷺ فى مكة. وهى بعيدة عن أورشليم عاصمة ملك اليهود وقتئذ. وآخر حدود العرب بنى إسماعيل إلى الشمال تحت فلسطين هو قريب من أورشليم. فإذا سارت الجيوش التى أعدها محمد ﷺ لهلاك اليهود؛ فإنها سترابط فى آخر حدود العرب بنى إسماعيل، وستكون قريبة من أورشليم. ولما سارت الجيوش ورابطت ناحية اليارموك؛ فزع اليهود والروم المسيحيون؛ لأنهم شركاء فى إنكار النبى، وهما معا جيش واحد.

***

وفى سورة فاطر:

قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝٦ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

البيان:

يدل قوله تعالى: ﴿إن وعد الله حق﴾ على هلاك الكافرين من اليهود بالنبى محمد ﷺ فى يوم الرب. والمراد بالناس: اليهود خاصة. وحثهم على الإيمان بقوله: ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ وإذا كان الوعد الحق هو القيام من الأموات فى

الدار الآخرة؛ فإنهم مستيقنون به. وقد حكى الله اعترافهم به فى قوله عنهم: ﴿لن تمسنا النار إلا أياما معدودات﴾[1]

ثم حكى عن اليهود:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾

البيان:

قوله عنهم: ﴿لئن جاءهم نذير﴾ لا يدل على كفار مكة، ولا على الكفار من العرب. ـ إذا قلنا بـأن فيهم كفـار ـ وذلك لأن الله حرم مكة. والبلدة المحـرمة لا تُنذر. ذلك قوله: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾

وذلك لأن الإنذار يعقبـه هلاك. والله حمى مكة من الهلاك من يوم أن خلق السموات والأرض. ولم يحم أورشليم من الهلاك. فلذلك تُنذر. فإن تابت وإلا فتهلك.

***

(١) هذا يدل على أن فى توراة موسى نصوص على يوم القيـامة. ومن هذه النصوص: «لتمت نفسى موت الأبرار، ولتكن آخـرتى كآخرتهم» (عدد ٢٣ : ١٠) وفـى القرآن الكريم: ﴿وتوفنا مع الأبرار﴾ وفى المزمور الأول لداود عليه السـلام: «لذلك لاتقوم الأشرار فى الدِّين. ولا الخطاة فى جـماعة الأبرار» وفى القرآن الكريم: ﴿مالك يوم الدين﴾ ومعنى لايقومون: لاتكون لهم الجنة فى يوم القيامة.

وفى سورة يس:

قال الله تعالى:

﴿تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾

البيان:

المراد بالقوم: اليهود خاصة، المعاصرين لمحمد ﷺ والمراد بـ ﴿ما أنذر آباؤهم﴾ المثلية فى الإنذار.

أى لتنذر المعاصرين، مثلما أنذرنا آباءهم[١] ﴿فهم غافلون﴾ اليوم عن إنذار آبائهم. المكتوب فى نشيد موسى وسفر يوئيل وعاموس وغيرهم.

وفى كتاب موسى عليه السلام عن محمد ﷺ فى أوصافه أن يقول لهم كل ما يقوله الله لهم «يكلمهم بكل ما أوصيه به» ومن أوصافه: أنه إذا جاء وأخبر بكل ما يوصيه الله به؛ فإن الذى لا يؤمن به؛ يُباد من الشعب. وذلك فى سفر (التثنية ١٨ : ١٥ ـ ٢٢)

فلما جاء محمد ﷺ ﴿حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون﴾ حق عليهم لازم القول وهو الهلاك. ولذلك سيبادون من الشعب. وما هى كيفية الإبادة؟ تكلم عنها بأسلوب كنائى يدل على الهلاك الشديد. فقال: ﴿إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا﴾ والقول: هو «فيكلمهم بكل ما أوصيه به»

ثم قال: إنهم لن يؤمنوا. ولذلك سيحق القول على أكثرهم؛ لأنه ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾

---

(١) هذا التفسير ينفى القول بالفترة.

وهذا له صلة بأول سورة البقرة. وهو: ﴿إن الذين كفروا﴾ وهم اليهود خاصة... إلى أن قال: ﴿لايؤمنون﴾ وقوله عنهم بعد ذلك: ﴿صم بكم عمى فهم لا يرجعون﴾

وفى التوراة فى سفر إشعياء عن اليهود هذا المعنى بعد نبوءة طويلة عن محمد ﷺ وفيها: «اذهب وقل لهذا الشعب: اسمعوا سمعا ولا تفهموا، وأبصروا إبصارا ولا تعرفوا. غلّظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه واطمس عينيه؛ لئلا يبصر بعينيه، ويسمع بأذنيه، ويفهم بقلبه ويرجع؛ فيُشفى» (إشعياء ٦ : ٩ ـ ١٠)

ثم قال تعالى حكاية عن اليهود:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾

البيان:

من عادة الناس فى الحروب: الصياح بصوت شديد. لإفزاع الخصم. والتصويت بالبوق لجميع المحاربين.

ففى الأصحاح الثانى والخمسين من سفر إشعياء: «فالآن ماذا لى هنا؟ يقول الرب. حتى أُخذ شعبى مجانا. **المتسلطون عليه يصيحون**. يقول الرب. ودائما كل يوم اسمى يُهان...» (إش ٥٢ : ٥ـ)

وفى سفر يوئيل عن يوم الرب: «اضربوا بالبوق فى صهيون. صوّتوا فى جبل قدسى. ليرتعد جميع سكان الأرض؛ لأن يوم الرب قادم؛ لأنه قريب» (يؤ ٢ : ١)

وفى سفر الخروج عن التصويت بالبوق:

«والتصويت بالبوق يزداد اشتدادا جـدا، وموسى يتكلم، والله يجيبه بصوت» (خر ١٩ : ١٩)

فإذا حشر الله اليهود والأمم فى يوم الرب. وهو المتسلط عليهم؛ فإن صيحة واحدة منه تكفى لإهلاكهم. صيـحة تأخذهم. كما يقول إشعيـاء «حتى أُخذ شعبى مجانا» أى هلك.

وفرق بين ١ ـ الصيحة التى بها إهلاك ٢ ـ وبين النفخ فى الصور الذى به الجمع فقـال: ١ ـ ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحـدة تأخذهم﴾ ٢ ـ ﴿ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾ شبه اليهـود الغافلين عما فى شريعة موسى عن النبى الأمى الآتى ويوم الـرب بالأموات. وذلك لأن العـمل بالشـريعـة حيـاة، والبعد عن الشريعة موت. فإذا نفخ فى الصور وهو كناية عن جمعهم بأى وسيلة من الوسائل، وعبر عن الوسائل برأسها وهو النفخ فى الصـور. فعندئذ يتجمعون للقتال فى ذلك اليوم. وهم يقـولون: ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقـدنا﴾؟ شبه غـفلتهم عن الهلاك بالنوم، وشبه الحذر واليقظة بالبعث.

والمعنى: نحن كنا فى غفلـة من هذا. شبه ميت أو نائم. فـمن ذكرنا به؟ إن هذه التذكرة نذير بهلاكنا ﴿يا ويلنا﴾ من هذا الهلاك.

ورد عليهم بلسان الحـال: ﴿هذا ما وعد الرحمن﴾[1] به، على ألسنة الرسل فإنه مكتوب عنه فى نشيد موسى وسفر يوئيل وعاموس وغيرهم ﴿وصدق المرسلون﴾ وأكد على الصيحة التى بها سيهلكون وكـررها. فقال: ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ ليأخذهم من مكان واحد وهم يخصّمون.

(١) الرحمن: هو اسم الله الذى ينطقه اليهود بدل «يَهْوَه»

ويقول اليهود: إن يوم القيامة حق لاريب فيه و ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾ ولكن المدة من الموت إلى القيامة غير محسوبة للإنسان: إذ ليس من حياة فى القبر حتى ينال ثوابا أو عقابا. فكيف مع قولهم بالدخول فى الجنة؛ يدعى قوم بأن التوراة لا ذكر فيها لثواب أو لعقاب من بعد الموت؟

وعدم الحياة هو لعدم الروح؛ فإنها هواء يفارق الجسم. فإذا أراد الله بعث الإنسان؛ كوّن جسده، ثم أمرّ عليه الهواء. وعندئذ يحيا. وهذا يكون فى يوم القيامة، وعلى اعتقادهم هذا. فإن المؤمن إذا قتل فى يوم الرب؛ فإن جزاءه الجنة على الفور. وإن اليهودى إذا قتل فى يوم الرب؛ فإن جزاءه النار على الفور. لانتفاء المدة بفناء الجسد، وبضياع هواء الجسد فى الجو. فلذلك قال: ﴿إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون﴾... إلخ

***

وفى سورة الصافات:

يقول الله تعالى:

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾

البيان:

هذه أوصاف أدوات معركة يوم الرب. المسلمون صفوف والملائكة السماوية معهم. يحاربون فى صفوفهم وهم يرونهم. فتطمئن قلوبهم. واليهود يرونهم فيفزعون ويهربون وعندئذ يجدون الملائكة أمامهم فى هيئة بشرية تأخذهم.

«فاصطفوا للحرب» ـ «والفرسان تصطف اصطفافا»

وفى سفر يوئيل عن اصطفاف المسلمين فى يوم الرب:

«شعب كثير وقوى لم يكن نظيره منذ الأزل ولا يكون أيضا بعده إلى سنى دور فدور. قدامه نار تأكل، وخلفه لهيب يحرق. الأرض قدامه كجنة عدن، وخلفه قفر خرب، ولا تكون منه نجاة. كمنظر الخيل منظره، ومثل الأفراس يركضون.

كصريف المركبات. على رءوس الجبال يثبون. كزفير لهيب نار تأكل قشا. كقوم أقوياء مصطفين للقتال. منه ترتعد الشعوب» (يؤ ٢: ٢ ـ ٦)

وأما عن الزجر: وهو أن الملائكة السماوية يزجرون اليهود ويخوفونهم نيابة عن الله:

ففى التوراة أن الله ينسب إلى نفسه صفات الآدميين ومشاعرهم وانفعالاتهم؛ ليقرب ذاته إلى عقول الآدميين.

فهم يمكرون، وعلى فعلهم هذا يقول: وأنا أمكر. ومكرهم يدل على تغيير فى الجسم واضطراب وخوف وضعف؛ إذ لا يمكر إلا الضعيف. وليس هو بضعيف. وينسب إلى نفسه المكر؛ ليشاكل تفكيره تفكيرهم. وعندئذ يقدرون على تصور ذاته. ومن عاداتهم: زجر المسئ، والزجر فى الحروب. فنسب الزجر إلى نفسه حينما يريد أن ينصر أولياءه فى الحروب بواسطة ملائكته. التى تزجر بالنيابة عنه. ومن عاداتهم: أن الملك إذا خرج بنفسه إلى الحرب يقولون: إن لهذه الحرب أهمية ليست لغيرها من الحروب التى يخرج فيها نوابه. ويقولون: إن فى خروجه سترتجف الأرض؛ كناية عن شدة بأسه.

وفى المزمور الثامن عشر يتكلم داود عليه السلام بظهر الغيب عن محمد ﷺ فيقول على لسانه: «أحبك يا رب يا قوتى» أى أن محمدا يقول لله تعالى: إننى معك وأنت القوى الذى ستنصرنى على أعدائى ولذلك «أدعو الرب الحميد فأتخلص من أعدائى» ثم يتكلم عن حرب أعدائه، وأنهم أحاطوا به فيقول: «أشراك الموت انتشبت بى» ثم يقول: إن الله نجانى من أعدائى «فى ضيقى دعوت الرب، وإلى إلهى صرخت؛ فسمع من هيكله صوتى، وصراخى قدامه دخل أذنيه» وكيف نصره؟ «انكشفت أسس المسكونة من زجرك يا رب[1]. من نسمة ريح أنفك» وهكذا. ومنه الأصحاح الثلاثون من سفر إشعياء.

والمزمور الثامن عشر يدل على ذلك ونصه:

(١) الزجرة الواحدة: فى إشعياء ٣٠

«أحبك يا رب يا قوتى. الرب صخرتى وحصنى ومنقذى. إلهى صخرتى. به أحتمى. ترسى وقرن خلاصى وملجإى. أدعـو الرب الحميد فأتخلص من أعدائى. **اكتنفتـنى حبال الموت**. وسيول الهـلاك أفزعتنى. حبال الهـاوية حاقت بى. أشراك الموت انتشبت بى. فـى ضيقى دعوت الرب وإلى إلهى صرخت. فـسمع من هيكله صـوتى وصراخى قـدامـه دخل أذنيه. فـارتجت الأرض وارتعـشت أسس الجبـال. ارتعدت وارتجت لأنه غضب.

صعد دخان من أنفه ونار من فمه أكلت. جمر اشتعلت منه. طأطأ السموات ونزل وضـباب تحت رجليـه. ركب على كـروب وطار وهف على أجنحـة الرياح. جعل الظلمـة ستره. حوله مظلتـه؛ ضباب المياه وظلام الغـمام. من الشعـاع قدامه عبرت سحبه. برد وجمر نار. أرعد الرب من السموات. والعلى أعطى صوته. برداً وجمر نـار. أرسل سهامه فشـتتهم وبروقا كـثيرة فأزعـجهم. فظهرت أعمـاق المياه **وانكشفت أسس المسكونة من زجـرك يا رب من نسمة ريح أنفك**. أرسلَ من العلى فأخذنى. نشلنى من مياه كثيرة. أنقـذنى من عدوى القوى ومن مبغضى لأنهم أقوى منى. أصـابونى فى يوم بليتى وكـان الرب سندى. أخـرجنى إلى الرحب. خلصنى لأنه سر بى. يكافئنى الرب حسب برى. حسب طهارة يدى يرد لى. لأنى حفظت طرق الرب ولم أعص إلهى. لأن جمـيع أحكامه أمامـى وفرائضه لم أبعـدها عن نفسى. وأكون كاملا معه وأتحفظ من إثمى. فيرد الرب لى كبرّى وكطهارة يدى أمام عينيه.

مع الرحيم تكون رحـيما. مع الرجل الكامل تكون كـاملا. مع الطاهر تكون طاهرا ومع الأعوج تكون ملتويا. لأنك أنت تخلص الشعب البائس والأعين المرتفعة تضعـها. لأنك أنت تضئ سـراجى. الرب إلهى ينير ظلمـتى. لأنى بك اقتـحمت جيشـا وبإلهى تسورت أسواراً. الله طريقه كامل. قـول الرب نقى. ترس هو لجميع المحتـمين به. لأنه من هو إله غيـر الرب. ومن هو صخرة سـوى إلهنا. الإله الذى يمنطقنى بالقـوة ويُصير طريقى كـاملا. الذى يجعل رجلـى كالأيل وعلى مرتفـعاتى يقيمنى. الذى يعلم يـدى القتال فتحنى بذراعى قـوس من نحاس. وتجعل لى ترس خـلاصك ويمينك تعـضـدنى ولطفك يعظمنى. تـوسع خطواتى تحـتى فلم تتـقلقل

عقباى. أتبع أعدائى فأدركهم ولا أرجع حتى أفنيهم. أسحقهم فلا يستطيعون القيام. يسقطون تحت رجلى. تمنطقنى بقوة للقتال. تصرع تحتى القائمين على. وتعطينى أقفية أعدائى ومبغضى أفنيتهم. يصرخون ولا مخلص. إلى الرب فلا يستجيب لهم. فأسحقهم كالغبار قدام الريح. مثل طين الأسواق أطرحهم. تنقذنى من مخاصمات الشعب. تجعلنى رأساً للأمم. **شعب لم أعرفه يتعبد**[1] **لى. من سماع الأذن يسمعون لى. بنو الغرباء يتذللون لى. بنو الغرباء يبلون ويزحفون من حصونهم**. حىٌّ هو الرب ومبارك صخرتى ومرتفع إله خلاصى الإله المنتقم لى **والذى يخضع الشعوب تحتى. منجى من أعدائى**. رافعى أيضاً فوق القائمين على. من الرجل الظالم تنقذنى. لذلك أحمدك يا رب فى الأمم وأرنم لاسمك. برج خلاص لملكه والصانع رحمة لمسيحه لداود ونسله إلى الأبد» (مزمور ١٨)

وأما عن التاليات ذكرا:

وهو أن الملائكة السماويين تتلو على اليهود بواسطة المسلمين ما سجلته الرسل من ذكر عن يوم الرب. مثل المكتوب فى التوراة وأسفار الأنبياء والأناجيل وأخيراً ما فى القرآن عن هذا اليوم. فإن الله يقول: ﴿إنا أنذرناكم عذابا قريبا﴾ فى يوم الرب.

والمزمور المئة والتاسع عشر يتكلم محمد عن نفسه بظهر الغيب فيقول:

«اذكر لعبدك القول الذى جعلتنى أنتظره. هذه هى تعزيتى فى مذلّتى؛ لأن قولك أحيانى. المتكبرون استهزأوا بى إلى الغاية. عن شريعتك لم أمل. تذكرت أحكامك منذ الدهر؛ فتعزيتُ. الحمية أخذتنى بسبب الأشرار تاركى شريعتك. ترنيماتٍ صارت فرائضك فى بيت غربتى. ذكرتُ فى الليل اسمك يارب، وحفظتَ شريعتك. هذا صار لى؛ لأنى حفظت وصاياك» (مزمور ١١٩ : ٤٩ ـ ٥٦)

ويقول تعالى:

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا

(١) هذا هو قول النبى محمد لله عن شعبه (راجع كتابنا البداية والنهاية لأمة بنى إسرائيل)

وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

البيان:

تكلم عن ﴿زجرة واحدة﴾[1] من ﴿الزاجرات﴾ وأعقبها بقوله ﴿فإذا هم

(١) فى سفر إشعياء ٣٠ عن الزجرة الواحدة:

«ويل للبنين المتمردين يقول الرب حتى أنهم يجرون رأياً وليس منى ويسكبون سكيبا وليس بروحى ليزيدوا خطيئة على خطيئة. الذين يذهبون لينزلوا إلى مصر ولم يسألوا فمى ليلتجئوا إلى حصن فرعون ويحتموا بظل مصر فيصير لكم حصن فرعون خجلا والاحتماء بظل مصر خزياً. لأن رؤساء لاصاروا فى صوعن وبلغ رسله إلى حانيس. قد خجل الجميع من شعب لا ينفعهم. ليس للمعونة ولا للمنفعة بل للخجل وللخزى. وحى من جهة بهائم الجنوب. فى أرض شدة وضيقة منها اللبوة والأسد الأفعى والثعبان السام الطيار يحملون على أكتاف الحمير ثروتهم وعلى أسنمة الجمال كنوزهم إلى شعب لا ينفع. فإن مصر تعين باطلاً وعبثا لذلك دعوتها رهب الجلوس

تعال الآن اكتب هذا عندهم على لوح وارسمه فى سفر ليكون لزمن آت للأبد إلى الدهور لأنه شعب متمرد أولاد كذبة أولاد لم يشاءوا أن يسمعوا شريعة الرب. الذين يقولون للرائين: لا تروا للناظرين لا تنظروا لنا مستقيمات. كلمونا بالناعمات انظروا مخادعات. حيدوا عن الطريق ميلوا عن السبل اعزلوا من أمامنا قدوس إسرائيل.

لذلك هكذا يقول قدوس إسرائيل: . لأنكم رفضتم هذا القول وتوكلتم على الظلم والاعوجاج واستندتم عليهما. لذلك يكون لكم هذا الإثم كصدع منقض ناتئ فى جدار مرتفع تأتى هذه بغتة فى==

ينظرون﴾ ما أعد لهم فى يوم الرب من الهلاك. وصرح بحشر ١ - اليهود ٢ - والأمم التى حكمتهم ١ - اليهودى المستضعف وزوجته التى تساعده على الشر ٢ - والذين كانوا يعبدونهم من دون الله. وهم الأمم التى غلبتهم وحكمتهم.

وليست عبادة اليهودى للأممى الذى يحكمه على الحقيقة كعبادة المسلم لله رب العالمين. وإنما هى على المجاز بمعنى المرءوسين والرؤساء. ففى القرآن الكريم: ﴿وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى إسرائيل﴾ - ﴿وقومهما لنا عابدون﴾ وفى التوراة: «اسكنوا الأرض، وتعبدوا لملك بابل فيكون لكم خير» (٢ مل ٢٥: ٢٤) أى اخضعوا.

ثم تكلم عن حوار يشبه حوار الضعفاء والذين استكبروا. فى سورة سبأ.

== لحظة. ويكسر ككسر إناء الخزافين مسحوقا بلا شفقة حتى لا يوجد فى مسحوقه شقفة لأخذ نار من الموقدة أو لغرف ماء من الجب لأنه هكذا قال السيد الرب قدوس إسرائيل. بالرجوع والسكون تخلصون بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم. فلم تشاءوا. وقلتم لا بل على خيل نهرب. لذلك تهربون. وعلى خيل سريعة تركب. لذلك يسرع طاردوكم. **يهرب ألف من زجرة واحد.** من زجرة خمسة تهربون حتى أنكم تبقون كسارية على رأس جبل وكراية على أكمة

ولذلك ينتظر الرب ليتراءف عليكم ولذلك يقوم ليرحمكم لأن الرب إله حق. طوبى لجميع منتظريه. لأن الشعب فى صهيون يسكن فى أورشليم. لا تبكى بكاء. يتراءف عليك عند صوت صراخك. حينما يسمع يستجيب لك. ويعطيكم السيد خبزاً فى الضيق وماءً فى الشدة. لا يختبئ معلموك بعد بل تكون عيناك تريان معلميك. وأذناك تسمعان كلمة خلفك قائلة هذه هى الطريق اسلكوا فيها حينما تميلون إلى اليمين وحينما تميلون إلى اليسار. وتنجسون صفائح تماثيل فضتكم المنحوتة وغشاء تمثال ذهبكم المسبوك. تطرحها مثل فرصة حائض. تقول لها: اخرجى.

ثم يعطى مطر زرعك الذى تزرع الأرض به وخبز غلة الأرض فيكون دسما وسمنا وترعى ماشيتك فى ذلك اليوم فى مرعى واسع. والأبقار والحمير التى تعمل الأرض تأكل علفاً مملحاً مذرى بالمنسف والمذراة. ويكون على كل جبل عال وعلى كل أكمة مرتفعة سواق ومجارى مياه فى يوم المقتلة العظيمة حينما تسقط الأبراج. ويكون نور القمر كنور الشمس ونور الشمس يكون سبعة أضعاف كنور سبعة أيام فى يوم يجبر الرب كسر شعبه ويشفى رض ضربه.

هو ذا اسم الرب يأتى من بعيد غضبه مشتعل والحريق عظيم. شفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كنار آكلة. ونفخته كنهر غامر يبلغ إلى الرقبة لغربلة الأمم بغربال السوء وعلى فكوك الشعوب رسن مضل. تكون لكم أغنية كليلة تقديس عيد وفرح قلب كالسائر بالناى **ليأتى إلى جبل الرب** إلى صخر إسرائيل. ويسمع الرب جلال صوته ويرى نزول ذراعه بهيجان غضب ولهيب نار آكلة نوء وسيل وحجارة برد. لأنه من صوت الرب يرتاع أشور. بالقضيب يضرب. ويكون كل مرور عصا القضاء التى ينزلها الرب عليه بالدفوف والعيدان. وبحروب ثائرة يحاربه. لأن تُفتة مرتبة منذ الأمس مهيأة هى أيضاً للملك عميقة واسعة كومتها نار وحطب بكثرة نفخة الرب كنهر كبريت توقدها» (إشعياء ٣٠)

وختم السورة بالكلام فى يوم الرب فقال:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

البيان:

إن حين هلاكهم لم يأت بعد. وهو محدد بزوال الأمة المعدودة. وهى أمة الروم. ولذلك تول عنهم وأعرض واصفح الصفح الجميل حتى يأتى هذا الحين. ولماذا يستعجلون بالعذاب فى يوم الرب وهو ليس فى صالحهم؟

***

وفى سورة ص:

يقول الله تعالى:

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ﴾

والمعنى: من الأحزاب الذين اختلفوا. وأوعدهم بالهلاك فى مشهد يوم عظيم؛ عدد من الجنود ﴿هنالك﴾ فى أرض فلسطين بعيدا عن أرض مكة. مهزومون فى يوم الرب. وكلمة ﴿هنالك﴾ إشارة إلى مكان بعيد، قد حدده فى سورة آل عمران بوجود المحراب فيه. والمحراب الذى هو هيكل سليمان؛ كان فى أرض فلسطين. وحل محله المسجد الأقصى.

وفى يوم الرب: ﴿وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة﴾ لا صيحة فوقها. وقبل يوم حسابهم فى يوم الرب استبعدوا هلاكهم ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا﴾ ثم قال للنبى ﷺ: كما شددنا ملك داود ـ ويعنى به ملك اليهود فى الأرض ـ سنجعل لك ملكا عظيما. وهدد بالويل لليهود الكافرين فى يوم الرب فقال: ﴿فويل للذين كفروا من النار﴾ كنّى عن شدة المعركة فى يوم الرب بالنار، على أساس ١ ـ أن من

سيقتل سيدخل نار جهنم مباشرة فى الحياة الآخرة، كما قال: ﴿أغرقوا فأدخلوا نارا﴾ لأن الإحساس مفقود فى عالم البرزخ ٢ ـ وأن يوحنا المعمدان قال عن محمد ﷺ : «هو سيعمدكم بالروح القدس ونار» أى معارك حربية تشبه النار.

وختم السورة بتهديد اليهود بقوله: ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ فى يوم الرب.

***

وفى سورة الزمر:

يقول الله تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

البيان:

وصف اليهود بأنهم عباده المسرفون على أنفسهم فى المعاصى. وقد كان آباؤهم فى عصر موسى؛ عباد الله الصالحين. وقال لهم على لسان نبيه محمد ﷺ : توبوا. فإن الله غفور رحيم وادخلوا فى الإسلام مع الداخلين، واركعوا مع الراكعين. ومن الآن من قبل أن يأتى يوم الرب العظيم ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ أسلموا ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة﴾ فإن ساعة المعركة ستكون بغتة كما أنبأ عنها عيسى عليه السلام فى قوله: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده» (متى ٢٤ : ٣٦)

وقال داود عليه السلام عن آخرتهم: «كيف صاروا للخراب بغتة» ثم تكلم على لسان محمد ﷺ بظهر الغيب فقال: «أما أنا فالاقتراب إلى الله؛ حسن لى» وفى القرآن الكريم عن محمد ﷺ : ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾ وفى المزمور الثالث والسبعين هذا المعنى، مع الخراب بغتة. ونصه:

«إنما صالح الله لإسرائيل لأنقياء القلب[1]. أما أنا فكادت تزل قدماى. لولا قليل لزلقت خطواتى. لأنى غرت من المتكبرين إذ رأيت سلامة الأشرار. لأنه ليست فى موتهم شدائد وجسمهم سمين[2]. ليسوا فى تعب الناس ومع البشر لا يصابون. لذلك تقلدوا الكبرياء. لبسوا كثوب ظلمهم. جحظت عيونهم من الشحم. جاوزوا تصورات القلب. يستهزئون ويتكلمون بالشر. ظلماً من العلاء يتكلمون. جعلوا أفواههم فى السماء وألسنتهم تتمشى فى الأرض. لذلك يرجع شعبه إلى هنا وكمياه مروية يمتصون منهم. وقالوا: كيف يعلم الله؟ وهل عند العلى معرفة؟ هوذا هؤلاء هم الأشرار ومستريحين إلى الدهر يكثرون ثروة.

حقا قد زكيت قلبى باطلا وغسلت بالنقاوة يدى. وكنت مصابا اليوم كله وتأدبت كل صباح. لو قلت أحدث هكذا لغدرت بجيل بنيك. فلما قصدت معرفة هذا إذ هو تعب فى عينى. **حتى دخلت مقادس الله وانتبهت إلى آخرتهم. حقا فى مزالق جعلتهم. أسقطتهم إلى البوار**[3]**. كيف صاروا للخراب بغتة**. اضمحلوا. فنوا من الدواهى. كحلم عند التيقظ يا رب عند التيقظ تحتقر خيالهم.

لأنه تمرمر قلبى وانتخست فى كليتى. وأنا بليد ولا أعرف. صرت كبهيم عندك. ولكنى دائماً معك. أمسكت بيدى اليمنى. برأيك تهدينى، وبعد إلى مجد تأخذنى. من لى فى السماء. ومعك لا أريد شيئا فى الأرض. قد فنى لحمى وقلبى. صخرة قلبى ونصيبى الله. إلى الدهر. لأنه هوذا البعداء عنك يبيدون. تهلك كل من يزنى عنك. أما أنا فالاقتراب إلى الله حسن لى. جعلت بالسيد الرب ملجأى لأخبر بكل صنائعك» (مزمور ٧٣)

(١) لاحظ: أن الله صالح لأنقياء القلب من بنى إسرائيل لا لجميعهم.

(٢) فى القرآن الكريم: ﴿تعجبك أجسامهم﴾.

(٣) ﴿وأحلوا قومهم دار البوار﴾

التوبة فى نبوءة يوئيل:

وفى كلام يوئيل عن يوم الرب أمر من الله لليهود بالتوبة. كما فى القرآن الكريم: وهو: «ولكن الآن يقول الرب. ارجعوا إلى بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح، ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم، وارجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رءوف رحيم بطئ الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر؛ لعله يرجع ويندم فيبقى وراءه بركة تقدمة وسكيبا للرب إلهكم» (يؤ ٢: ١٢ ـ ١٤)

***

وفى سورة غافر:

يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

البيان:

﴿إن الذين كفروا ينادون﴾ فى يوم الرب: أنتم تمقتون أنفسكم. ولو كنتم

تحبون أنفسكم ما عرضتموها للهلاك فى يوم الرب. ومقت الله لكم أكبر من مقتكم أنفسكم بسبب أنكم تدعون إلى الإيمان بمحمد. فتكفرون ولا تؤمنون. وبكفركم يكون هلاككم. وهذا عدل.

وقد ردوا على الله بلسان الحال: أنت أنزلت شريعة نوح فحيينا عليها. إذ العمل بالشريعة حياة. فلما أنزلت شريعة موسى. متنا عن شريعة نوح. إذ تركها والانسلاخ عنها؛ موت. ولما تركناها وانسلخنا عنها ـ وهذا موت ـ دخلنا فى شريعة موسى وعملنا بها وحيينا عليها. فأنت أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين. موت عن شريعة نوح وموت عن شريعة موسى، وحياة على شريعة نوح وحياة على شريعة موسى وأنت تريد منا اليوم فى هذا الزمان أن نموت عن شريعة موسى، ونحيا على شريعة محمد. وها نحن اليوم قد تأكدنا من أنها شريعة منك. فهل تخرجنا من هذه الورطة، وتبعدنا عن الهلاك لنؤمن بمحمد ونعمل بشريعته؟ ﴿فهل إلى خروج من سبيل﴾؟ وأجاب بقوله: لا. فقد جاءتكم رسلكم بالبينات، وأنذروكم. ولم تسمعوا. والآن إذ تعاينون الهلاك تريدون الإيمان؟ لا. لن تكون لكم نجاة فى يوم الرب.

وشبه ذلك: ما جاء فى سورة يونس. وهو: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ۝٥٠ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝٥١ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾**

يخبر عن عدم قبول توبتهم بقوله ﴿آلآن﴾؟ وينصرف هذا إلى فرعون فإنه لما أدركه الغرق قال ﴿آمنت﴾ ورد عليه بعدم قبول الإيمان بقوله: ﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾؟

والمشابهة حاصلة بين اليهود وفرعون وملئه من أن العناد موجود من قبل زوال القوة. فلما زالت وأرادوا النجاة بالإيمان؛ رد عليهم بعدم قبوله.

ويوم التلاق ويوم الأزفة هما يوم واحد. وقد سمى بالتلاق للاجتماع فيه، وسمى بالأزفة؛ لاقتراب زمنه، وأنه ليس منه نجاة. لشدة ضيقهم منه.

وفى نهاية السورة يتكلم عن وعد الله ووعيده بهلاكهم فى يوم الرب فيقول:
﴿فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون﴾

البيان:

إن وعد الله بهلاكهم فى يوم الرب؛ محقّق وهو يحمل ضمنا معنى أنك رسول الله الذى وعدتهم بمجيئه فى التوراة وفى الإنجيل. وهم سيرجعون إلينا للهلاك. إما فى حياتك وإما من بعد وفاتك. فحياتك ووفاتك سواء؛ لأن أصحابك يحلّون محلك. وكل واحد منهم نائب عنك.

ويستدل أهل السنة على إثبات العذاب فى القبر بآية آل فرعون. ولكن النبى ﷺ لما سئل فى «يثرب» بعد الهجرة، وبعد نزول آية آل فرعون عليه، عن العذاب فى القبر؛ أجاب بالنفى. وهذا يدل على أن آية آل فرعون ليست نصا فى إثباته. وقيل: إنه مكث مدة وأوحى إليه بالإثبات. وعلى ما قيل يكون الإثبات بغير آية آل فرعون. وهم لا يثبتون إلا بها. وهذا مشكل؟ لأن عذاب القبر عقيدة. والعقائد لا تثبت إلا بالقرآن. ثم إنه فى آية آل فرعون، عدة احتمالات. ذكرها القرطبى وغيره فى كتب التفاسير. والنص المحتمل لمعنيين يجب البحث عن محكم له؛ لأنه يكون من المتشابه. وإذا فسرنا ﴿النار﴾ تفسيرا مجازيا بمعنى المصائب المتتالية عليهم على طول الزمان، أو من عصر موسى عليه السلام إلى عصر محمد ﷺ أو فى عصر موسى نفسه بالآلام بالآيات التسعة؛ فإن موسى دعا عليهم بقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ ثم قال الله عنهم: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾

إنه لو فسرنا ﴿النار﴾ بالمصائب المتتالية؛ فإنه يكون المعنى: إن المصائب ستتوالى عليهم باستمرار. ويوم تكون معركة الساعة فى يوم الرب سيكونون مع

الأمم التى ستحارب المسلمين مع اليهود، وسيذوقون مع اليهود والأمم أشد العذاب. وهذا المعنى قد أيده الواقع التاريخى؛ فإنهم وقعوا تحت نفوذ بابل والأجانب. وقعوا تحت نفوذ الفرس واليونان والرومـان. وهم أنفسهم يكيد بعضهم لبـعض. كما قال الشاعر أحمد شوقى عنهم:

وفـيم يكيـد بعـضكم لبـعض

وتبـدون العـداوة والخـصاما؟

ولينا الأمـر حـزبا بعد حـزب

فلم نك مـصلحين ولا كـراما

ولما ظهر الإسلام انضمـوا إلى أعدائه مع علمهم بأنه هو الدين الحق؛ لأنهم كانوا يهـودا ومسيـحيين، ويعرفـونه كما يعـرفون أبناءهم. وشدد المسلمـون عليهم الحصار أثناء الفـتح. فى زمن عمرو بن العاص رضي الله عنه وقتلوا منهم خلقـا كثيرا. وفى القرآن آيات واضـحات على نفى العـذاب فى القبـر منها: ﴿ثم لتـسألن يومـئذ عن النعيم﴾ أى يوم القـيامة. وفى الأحاديث النبـوية ما يثبت وما ينفى. ولـكن إجماع المسلمين ثابت على البـعث فى يوم القيـامة. ولم لا يكون ثابتـا. وفى الناس ظلم. والظالمون منهم من يموتون من قبل أن يعاقبوا على ظلمهم؟

يقول الإمام ابن كثير فى تفسير سورة غافر:

﴿وحاق بآل فـرعون سـوء العذاب﴾ وهو الغـرق فى اليم، ثم النقلة منه إلى الجحيم؛ فـإن أرواحهم تعرض على النار صباحـا ومساء إلى قيام الساعـة. فإذا كان يوم القيـامة، اجـتمعت أرواحـهم وأجسـادهم فى النار. ولهذا قـال: ﴿ويوم تقوم الساعة. أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ أى أشده ألما، وأعظمه نكالا.

وهذه الآية أصل كبير فى استـدلال أهل السنة على عذاب البرزخ فى القبور. وهى قوله تعالى: ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾ ولكن هنا سؤال: وهو أنه لا

شك أن هذه الآية مكية. وقد استدلوا بها على عذاب القبر، فى البرزخ. وقد قال الإمام أحمد: ثنا هاشم. هو ابن القاسم أبو النضر. ثنا إسحق بن سعيد. هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص، ثنا سعيد، يعنى أباه، عن عائشة ﵂: أن يهودية كانت تخدمها. فلا تصنع عائشة ﵂ إليها شيئا من المعروف، إلا قالت لها اليهودية: وقاك الله عذاب القبر. قالت عائشة ﵂ فدخل رسول الله ﷺ على، فقلت: يا رسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة؟ قال ﷺ: «لا. من زعم ذلك؟» قالت: هذه اليهودية لا أصنع إليها شيئا من المعروف إلا قالت: وقاك الله عذاب القبر. قال ﷺ: «كذبت يهود، وهم على الله أكذب. لا عذاب دون يوم القيامة».. إلى آخره.

وكلمة ﴿النار﴾ تأتى على الحقيقة بمعنى النار ذات اللهب والدخان. وتأتى مجازا بمعنى المصائب والفتن والضيق والشدة. فيقال: نار الفتنة، ويقال للغضبان: «صعد دخان من أنفه، ونار من فمه أكلت» وفى الشعر:

جـئت تطلب نارا، أم جئت تشعل البيت نارا؟

فالنار الأولى على الحقيقة، والنار الأخرى على المجاز

والعرض على النار هو غير الدخول فى النار. فقوله تعالى: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ يقال لهم: ﴿أذهبتم...﴾ معناه: أنهم يعرفون مصيرهم. ثم من بعد المعرفة؛ دخول. وقوله عن آل فرعون: ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾ لا يراد به أنهم فيها؛ وذلك لأن من يدخل فيها يأتيه عذاب دائم، لا عذاب غدوة وعشيا. والعرض لا يدل على دخول، وإنما يدل على مشاهدة. والنصوص المحكمة تدل على عذاب فى جهنم، ولا تدل على عذاب فى القبر. ومنها ﴿وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾ والنصوص المتشابهة مثل ﴿النار يعرضون عليها﴾ لابد من ردها إلى النصوص المحكمة؛ فتكون آية آل فرعون ليست نصا فى إثبات عذاب القبر. ولذلك نجد الشيخ ابن كثير فى تفسيره، والشيخ القرطبى، وشيخ الإسلام فخر الدين الرازى وغيرهم يجتهدون فى بيان مراد الله منها.

وفى سورة القصص يقول بعد وصفهم بالظلم: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾

ما المراد بيوم القيامة؟ لو كان المراد به يوم الجنة والنار. فلماذا عبر بالهزيمة؟ إن الهزيمة قرينة تبين أن المراد بيوم القيامة: هو يوم قيامة بنى إسماعيل على بنى إسرائيل فى يوم الرب، وأن المصريين سيشتركون مع اليهود فى المعركة، ولكنهم ﴿لا ينصرون﴾ وقد دعوا إلى الوثنية من قبل موسى، ومن قبل الإسلام، كما فى كتب التوراة والإنجيل. والفعل المضارع ﴿أتبعوا﴾ يدل على الاستمرار.

وقد لعنوا؛ لأنهم ظلموا[1]. ويوم القيامة العامة من الأموات سيكونون من المقبوحين؛ لأنهم يعرفون الشريعة ولا يعملون بها. وكلامنا هذا هو فى ماقبل الإسلام ولما جاء الإسلام عظّموا الله تعالى، وبنوا المساجد وحفظوا القرآن فى صدورهم وصلوا وصاموا وزكوا وحجوا.

وفى سورة غافر يبين أنهم سيعرضون على النار غدوا وعشيا. أى ستصيبهم مصائب فى الدنيا بسبب ظلمهم، وسيستمر توالى المصائب إلى أن يظهر محمد رسول الله ﷺ وعند ظهوره سيسمعون به، ولكنهم لن يؤمنوا به، وسيشتركون مع اليهود فى معركة الساعة ضده. ويخاطب الله المسلمين الذين سيكونون حاضرين معركة الساعة بلسان الحال بالإلهام. بقوله: ﴿أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ لأنهم من الأمم وهو يقول: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا﴾

ثم ذكر محاجة الضعفاء والأقوياء فى السبب الذى استحقوا به دخول النار. ولما كان القتل للكافر فى المعركة يعقبه دخول النار الحقيقية. إذ لا مدة يحس بها المرء بين يوم القتل ويوم جهنم؛ كانت النصوص محتملة للمعنيين؛ لقوله: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى﴾ فقد بين أنه متشابه، وبين أن المتشابه يحتمل معنيين اثنين فقط؛ ليقدر العالم على رده إلى محكمه.

واليهود من كرههم للمصريين كتبوا عنهم فى التوراة كلاما يشينهم. ولكن

---

(١) ﴿وإذ نادى ربك موسى: أن ائت القوم الظالمين. قوم فرعون﴾

رسول الله ﷺ وصى بهم خيرا، وقال: إنهم من خير أجناد الأرض.

وهذه نصوص من التوراة عن طباع المصريين:

فى التوراة عن المصريين أنهم شعب لا يُعتمد عليه. ففى الأصحاح الثلاثين من سفر إشعياء:

«ويل للبنين المتمردين. يقول الرب. حتى أنهم يُجرون رأيا، وليس منى، ويسبكون سكيبا وليس بروحى؛ ليزيدوا خطيئة على خطيئة. الذين يذهبون لينزلوا إلى مصر ولم يسألوا فمى؛ ليلتجئوا إلى حصن فرعون، ويحتموا بظل مصر. فيصير لكم حصن فرعون خجلا، والاحتماء بظل مصر خزيا؛ لأن رؤساءه صاروا فى صوعن، وبلغ رسله إلى حانيس. قد خجل الجميع من شعب لا ينفعهم. ليس للمعونة ولا للمنفعة، بل للخجل وللخزى... فإن مصر تُعين باطلا وعبثا. لذلك دعوتها رهب الجلوس»

وفى الأصحاح الحادى والثلاثين من سفر إشعياء: «ويل للذين ينزلون إلى مصر للمعونة، ويستندون على الخيل، ويتوكلون على المركبات؛ لأنها كثيرة وعلى الفرسان؛ لأنهم أقوياء جدا، ولا ينظرون إلى قدوس إسرائيل ولا يطلبون الرب. وهو أيضا حكيم ويأتى بالشر ولا يرجع بكلامه ويقوم على بيت فاعلى الشر، وعلى معونة عاملى الإثم. وأما المصريون فهم أناس، لا آلهة. وخيلهم جسد. لا روح. والرب يمدّ يده؛ فيعثر المعين ويسقط المعان، يفنيا كلاهما معا»

***

حجج علماء بنى إسرائيل العبرانيين على البعث من التوراة:

يقول سَعديا الفيومى فى كتابه الأمانات والاعتقادات: «عرفنا ربنا ـ تبارك وتعالى ـ أنه قد أعد زماناً لمجازاة الصالحين. وفيه يفصل بينهم وبين الكافرين. لقوله[1]: «ويكونون لى قال رب الجنود، فى اليوم[2] الذى أنا صانع؛ خاصة،

(١) المؤلف ذكر أدلة من التوراة على يوم القيامة بالحروف العبرانية ونحن ذكرناها بالترجمة إلى العربية. من ترجمة البروتستنت والآباء اليسوعيين.

(٢) اليوم: هل يمكن أن يكون يوم الرب؟

وأشفق عليهم، كما يشفق الإنسان على ابنه الذى يخدمه. فتعودون وتميزون بين الصديق والشرير، بين من يعبد الله ومن لا يعبده» (ملاخى ٣: ١٧ ـ ١٨ وأقام لنا على ذلك الآيات والبراهين، فقبلناه.

فينبغى أن أذكر موجبات هذا الزمان ـ المسمى دار الآخرة ـ من الحجج المعقولة والمكتوبة والمنقولة» وبعدما فرغ من الحجج المعقولة. شرع فى الحجج المكتوبة. وذكر سبع حجج:

الأولى: إن الشريعة تسمى ما يكسبه الإنسان من الحكمة والشريعة: حياة. لقوله: «لم يسلكوا فى فرائضى ولم يحفظوا أحكامى، ليعملوها، التى إن عملها إنسان، يحيا بها» (حز ٢٠: ٢١) وتسمى ما يناله الجاهل، مما يكسبه بالجهالة: موتاً. لقوله: «النفس التى تخطئ هى تموت» (حز ١٨ : ٢٠) ولما لم يجز أن يومئ بهذا إلى حياة الدنيا، إذ الصالح والظالم متفقان فيها [1]؛ وجب أم يومئ بها إلى حياة الآخرة.

الثانية: عرفتنا الشريعة أن ذخراً صالحاً باق بين يدى الله للصالحين، وذخراً سيئاً باق للطالحين. لقوله: «ذكر الصدّيق للبركة، واسم الأشرار. ينخر» (أمثال ١٠ : ٧) وقال نحميا: «اذكر لى يا إلهى للخير كل ما عملت لهذا الشعب» (نح ٥ : ١٩) وقال فى الأشرار: «اذكر يا إلهى طوبيا وسنبلط حسب أعمالهما هذه. ونوعدية النبية وباق الأنبياء الذين يخيفوننى» (نح ٦ : ١٤) وهذا بعد ما قال الله فى التوراة: «وإنه يكون لنا بر، إذا حفظنا جميع هذه الوصايا، لنعملها أمام الرب إلهنا، كما أوصانا» (تثنية ٦ : ٢٥)

الثالثة: عرفتنا الشريعة أن لله كتباً ودواوين، محفوظ فيها أعمال الصالحين والطالحين. كقول موسى عليه السلام: «والآن إن غفرت خطيتهم. وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت» (خروج ٣٢: ٣٢)

الرابعة: الإنذار بأن لله ـ عز وجل ـ موقفاً يجازى فيه كل من عمل خيراً أو شراً. كقوله: «إن أحسنت، أفلا رفع؟» (تكوين ٤ : ٧) وأيضاً: «إن طالت حياتهم

(١) فى يوم الرب غير متفقين.

فإنهم يحسبون كلا شئ، وفى أواخرهم تكون شيخوختهم بلا كرامة. وإن ماتوا سريعاً، فلا يكون لهم رجاء ولا عزاء فى يوم الحساب» (حكمة ٣: ٧ ـ ١٨)

وأيضاً: «الشرير يتفكر ضد الصّديق، ويحرق عليه أسنانه. الرب يضحك به، لأنه رأى أن يومه آت» (مزمور ٣٧ ـ ١٢ ـ ١٣) وأيضاً: «السالك بلا عيب وفاعل البر، والمتكلم بالحق فى قلبه، الذى لا يغتاب بلسانه ولا يصنع بصاحبه شراً، ولا يلقى على قريبه عارا، وعنده الرذيل مهين. ويكرم الذين يتقون الرب. ويحلف للمسئ إليه ولا يخلف، ولا يعطى فضته بالربى، ولا يقبل الرشوة على البرئ. فمن عمل بذلك فلن يتزعزع إلى الأبد» (مزمور ١٤: ٢ ـ ٥)

الخامسة: اتساع الكتب فى أن الله عز وجل حاكم عدل، يكافئ كل إنسان بما يصنعه. قالت التوراة: «هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل. إله أمانة. لا جور فيه. صديق وعادل هو» (تثنية ٣٢: ٤) وأيضاً: «الرب بار فى كل طرقه، ورحيم فى أعماله» (مز ١٤٥: ١٧)

وأيضاً: «أما الرب فإلى الدهر يجلس. ثبت للقضاء كرسيه. وهو يقضى للمسكونة بالعدل. يدين الشعوب بالاستقامة ويكون الرب ملجأ للمنسحق. ملجأ فى أزمنة الضيق» (مزمور ٩: ٧ ـ ٩) وأيضاً: «لأن عينيه على طرق الإنسان وهو يرى كل خطواته» (أيوب ٣٤: ٢١)

السادسة: التحذير من يوم أعده الله للمجازاة. وقال فيه: «قريب يوم الرب العظيم[١]. قريب وسريع جداً. صوت يوم الرب. يصرخ حينئذ الجبار مرا. ذلك اليوم يوم سخط. يوم ضيق وشدة. يوم خراب ودمار. يوم ظلام وقتام. يوم بوق وهتاف على المدن المحصنة وعلى الشُّرف الرفيعة. وأضايق الناس فيمشون كالعمى. لأنهم أخطأوا إلى الرب فيسفح دمهم كالتراب ولحمهم كالجلّة. لا فضتهم ولا ذهبهم يستطيع إنقاذهم فى يوم غضب الرب، بل بنار[٢] غيرته تؤكل الأرض كلها؛ لأنه يصنع فناء باغتاً لكل سكان الأرض» (صفنيا ١: ١٤ ـ ١٨)

---

(١) المؤلف يفرق بين يوم الرب، ويوم القيامة. (٢) لاحظ: أن كلمة النار جاء على المجاز.

السابع: تسمية الثواب موب (مآب) وإن الطالحين يمنعون منه. لقوله: **«لأنه** من هو من جميع البشر الذى سمع صوت الله الحى يتكلم من وسط النار مثلنا وعاش» (تثنية ٥ : ٢٦)

وأيضاً: «ما أعظم جودك الذى ذخرته لخائفيك. وفعلته للمتكلين عليك تجاه بنى البشر، تسترهم بستر وجهك من مكايد الناس. تخفيهم فى مظلة من مخاصمة الألسن» (مزمور ٣١: ١٩ ـ ٢٠)

***

وبعد أن فرغ من ذكر أدلة التوراة، شرع فى ذكر نصوص مأثورة عن علماء بنى إسرائيل، **مذكورة فى كتاب التلمود**:

منها: «إن مثل الدنيا عند الآخرة كدهليز عند قصر الملك، الذى ينبغى أن يتشكل المرء فيه بما يصلح له، قبل الدخول إلى **«القصر، إلى حضرة السلطان»**

ومنها: «ساعة توبة فى الدنيا، أنفع من جميع دار الآخرة. إذ لا توبة فيها»

ومنها: إن دار الآخرة إنما الحياة فيها بالنور. وليس مع ذلك لا طعام ولا شراب ولا غشيان ولا تناسل ولا شراء ولا بيع، ولا سائر الأمور التى فى الدنيا، وإنما ثواب من نور الخالق ـ جل وعز ـ»

ومنها: «إن كل من لا يعتقد ثواب الآخرة، وتنزيل التوراة[1]، وصدق الناقلين لها، ليس له ثواب فى دار الآخرة».

ثم تكلم عن الثواب والعقاب. وبين أنه سيكون للروح وللجسد. ولكن الله تعالى سيبدل الأرض غير الأرض، والسموات غير السموات. وإذا كان فى الدنيا زروع وأنهار. فذلك لمعايش الناس. أما فى الآخرة فالناس لا يحتاجون إلى زروع وأنهار، ولا إلى تناسل. ولذلك لن يكون فى الآخرة للمؤمنين ما كان فى الدنيا، بل سيكون لهم نعيم من نور الله. وهذا النعيم حسى وللبدن والروح معاً. ولكننا لا نعلم كيفيته. لأنه من نور الله.

(١) كلمة التوراة مكتوبة فى أصل المؤلف بالخط العبرى.

وشرع فى ذكر أدلة من التوراة تصرح بالنعيم الحسى والعذاب الحسى. منها ما ترجمته: «نور الصديقين يفرح، وسراج الأشرار ينطفئ» (أمثال ١٣ : ٩) «حرش جلدى على وعظامى احترت من الحرارة فى» (أيوب ٣٠ : ٣٠) «ويصير القوى مشاقة، وعمله شراراً. فيحترقان. كلاهما معاً. وليس من يطفئ» (إش ١ : ٣٠) «ومنذ الأزل لم يسمعوا ولم يصغوا. لم ترعين إلها غيرك يصنع لمن ينتظره» (إش ٦٤ : ٤) «ويخرجون ويرون جثث الناس الذين عصوا على، لأن دودهم لا يموت، ونارهم لا تطفأ. ويكونون رذالة لكل ذى جسد» (إش ٦٦ : ٢٤).

واعلم: أن إشعياء ٧٤: ٤ وإشعيا ٦٦ : ٢٤ استدل بهما عيسى عليه السلام على أن النعيم والعذاب فى الآخرة للروح والجسد. كما نقل عنه القديس بَرنابا.

ويعلق سعديا على النصوص التى نقلناها عنه بقوله: «وهذا القول يوجب أن **يحفظ أرواحهم فى أجسامهم، بمعنى لطيف**، سوى الحر المؤلم؛ عقاباً لهم ويحتملونه. ويستقيم أيضاً أن يحفظ أرواحهم - أعنى المثابين - فى أجسامهم، بمعنى لطيف حتى يكون النور الواصل إليهم لذة دائمة»

وتحدث عن مكان الثواب والعقاب. فقال: «هؤلاء المثابين والمعاقبين. إذ هم ناس. أجساد وأرواح. لابد لهم من مكان يستقرون عليه. ومحيط يحيط بهم، **فيخلقه الخالق - جل وعز - ويسكنهم فيه. وهذا القول ضرورة الخلق تدفع إلى القول به. ومع ذلك فالكتب قد ذكرته. لكنها سمته سماء وأرضاً، تقريبا إلى فهمنا**. إذ ليس نشاهد إلا سماء وأرضاً. ذاك قوله: «لأنه كما أن السموات الجديدة، والأرض الجديدة، التى أنا صانع تثبت أمامى. يقول الرب» (إش ٦٦ : ٢٢)

***

وفى سورة فصلت:

يقول الله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا

لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴿٢١﴾ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ﴿٢٢﴾ وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴿٢٣﴾ فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين ﴿٢٤﴾ وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴿٢٥﴾ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴿٢٦﴾ فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون ﴿٢٧﴾ ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ﴿٢٨﴾ وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾

البيان:

قوله تعالى: ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار﴾ يحتمل ١ ـ إما فى يوم الرب ٢ ـ وإما فى يوم القيامة. والحق: أنهما معا مدة واحدة. وذلك لأن الحرب فى يوم الرب يعقبها لهم النار فى الآخرة. إذ لا فصل بين يوم القتل وبين دخول نار جهنم. على اعتقادهم فى نفى عذاب البرزخ. فنار المعركة على اعتقادهم متصلة بنار جهنم. وعلى هذا المعنى يكون الحشر إلى النار فى آخر أعمارهم؛ هو نفسه الحشر إلى النار فى الدار الآخرة. وأعداء الله ههنا هم اليهود والأمم. ثم حكى الله على طريقة لسان الحال ما يبين حالهم فى موقفهم هذا من الذل والخزى؛ فقال بلسان الحال: إن حالهم لا يحتاج إلى شهود؛ لأن سمعهم وأبصارهم وجلودهم ستشهد عليهم. ويدل حالهم إذا حاوروا جلودهم أنها ستقول بلسان الحال: ﴿أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ﴾ . . . إلخ

ثم حكى عن القرناء الذين زينوا لهم الكفر، وأنهم بسبب الكفر ﴿حق عليهم القول﴾ أى لازمه. المكتوب فى أوصاف محمد ﷺ فى سفر التثنية. وهو أنهم

يهلكون على يديه فى الأيام الأولى لظهوره. وحُشروا فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس.

ثم قال تعالى:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾

البيان:

يخبر أن الذين لا يؤمنون من اليهود بمحمد ﷺ فى الأيام الأولى لظهوره. سينادى بعضهم بعضا. للتجمع فى أرض فلسطين. وهى أرض بعيدة عن مكة المكرمة. فإذا تجمعوا من أراضى بعيدة فيها، وحضر معهم من كل أمة من الأمم فوجا ممن يكذب بآيات الله؛ أُخذوا من مكان قريب. كما بين ذلك فى سورة سبأ.

ثم قال تعالى:

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾

البيان:

المراد من الساعة: ساعة هلاك اليهود والأمم فى يوم الرب، التى قال عنها المسيح: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده» (متى ٢٤: ٣٦)

ثم قال تعالى: ﴿ويوم يناديهم أين شركائى﴾ فى يوم الرب، الذى ستكون فيه معركة لا يعلمها إلا الله وحده. ويردون بلسان الحال قائلين: ليس منا من يشهد بأن لك شريك فى ملكك. إذ التوراة تشهد بوحدانيتك ومن نصوصها: «أنا أنا هو، وليس إله معى. أنا أميت وأحيى» (تث ٣٢: ٣٩)

وقد كانوا يدعون شركائهم من الأمم؛ وخاصة المسيحيين فى الدولة الرومانية لنصرتهم على المسلمين، بل إنهم كوّنوا المسيحية تحسبا لهذا اليوم. ولم تنصرهم الأمم. وحكى عن اليهود الكافرين قولهم بصيغة المفرد: ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾

وختم الكلام بقوله عن اليهود: إنه من الآن إلى أن تقوم الساعة فى يوم الرب. سنريكم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسكم، حتى تستيقظوا بهلاككم فى يوم الرب. وحكى عنهم شكهم فى يوم الرب بقوله: ﴿ألا أنهم فى مرية من لقاء ربهم﴾ ولقاء ربهم معناه: لقاء نبى ربهم. فى هذه المعركة. فإن الحرب لله. والنبى وأصحابه يديرونها نيابة عنه. إذ هى لسيادة شريعته على الأرض. ومبلّغها هو هذا النبى.

***

وفى سورة الشورى:

بعد أن تكلم عن الساعة التى لا يعلمها إلا الله وحده. وهى ساعة المعركة الفاصلة بين المسلمين وبين اليهود فى يوم الرب قال:

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ وهم اليهود ﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ فى يوم الرب. لسبق التعبير عنه بالساعة.

وكرر المعنى فقال: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ

مّن سَبيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أى على النار فى معركة ساعة يوم الرب ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾

أما التعبير بيوم القيامة فى هذا المقام. فإنه يحتمل معنيين ١ ـ إما القيامة فى الدار الآخرة. ٢ ـ وإما قيامة بنى إسماعيل على بنى إسرائيل لنزع الملك منهم من أجل التمكين لشريعة محمد ﷺ وعلى أى معنى؛ يكون الخسران لليهود. وقال: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم﴾ فى يوم الرب؛ لأنه كرر هذا المعنى كثيرا بلفظ الشركاء. لنفس الغرض. ثم خوف اليهود من هلاكهم فى يوم الرب بقوله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾

وفى سورة الشورى:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾

البيان:

ذكر ﴿الدين﴾ بالمفرد. والمراد به دين الإسلام. لأنه هو المتمم للدين الأول الذى فى التوراة. فإن فيها: أن الله سيكلمهم بشريعة بعد مدة من الزمان. فإذا جاءت الشريعة الجديدة تكون هى المتممة للدين. وهى المطلوبة. والدين الجديد شرع الله فيه مما فى شريعة نوح عليه السلام تحريم قتل الآدميين ظلما. وفى شريعة نوح أن كل الطعام حلال. ولم يشرع الله فى الدين الجديد هذا الحكم؛ لأنه قيد المطعومات بأربعة هى الميتة والدم ولحم الخنزير والمذبوح للأوثان. فيكون المعنى: والذى أوحينا إليك فيه هذه التوصية وهى: «سافك دم الإنسان يسفك دمه» (تك ٩ : ٦) وفى الذى أوحينا إليك؛ ماوصى به إبراهيم وقد كان على شريعة نوح ـ ونص التوصية:

«يوصى بنيه وبيته من بعده. أن يحفظوا طريق الرب؛ ليعملوا بِرّا وعدلا» (تك ١٨ : ١٩) فتوصية إبراهيم هى ١ ــ لبنيه ٢ ــ ولبيته من بعده. والغرض من التوصية: هو حفظ طريق الله، وعمل البر والعدل على مايأمر به الدين. وهذا هو معنى أن التوصية هى ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ والمخاطبون بإقامة الدين وهو حفظ طريق الرب؛ بنيه وبيته. الذين لهم بركة. ومن آمن بالقرآن فإنه يكون مؤمنا بالدين الأول. ومن يؤمن بالدين الأول يلزمه الإيمان بالقرآن. لأن التوراة نبهت عليه.

وأما عن توصية موسى: فإنه وهو يتلقى التوراة على جبل سيناء، حدثت من هيبة الله رعود وبروق. ولذلك طلب بنو إسرائيل أنه إذا أراد الله أن يكلمهم مرة أخرى؛ فليكن بواسطة نبى. وهم له يسمعون ويطيعون. فاستجاب الله لطلبهم ووعدهم بذلك النبى. فإذا وصى موسى بحفظ الناموس وبالعمل به؛ فإن التوصية تدل اليهود على الإيمان بمحمد رسول الله. لأن الناموس نبه عليه ليقيم الدين الجديد لبنى إسرائيل. ففى سفر التثنية: «يقيم لك الرب إلهك: نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون» (تث ١٨ : ١٥) ومن وصايا موسى بحفظ الناموس: «بناموس أوصانا موسى ميراثا لجماعة يعقوب» (تث ٣٣: ٤).

وفى الإنجيل: يوصى المسيح أتباعه بأن يقبلوا محمدا رسول الله فيقول: «وقلت لكم الآن قبل أن يكون؛ حتى متى كان؛ تؤمنون» إلى أن قال: «وكما أوصانى الآب؛ هكذا أفعل» (يو ١٤ : ٢٩ ــ) وإذا رفضوا محمدا فإنهم يكونون متفرقين. هذا معه وهذا ضده. وإذا قبلوه لايكونون متفرقين.

ويقول المسيح: «لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ماجئت لأنقض بل لأكمل. فإنى الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد أو نقطة من الناموس حتى يكون الكل.. الخ» (متى ٥: ١٧ ــ)

ومعنى قوله بل لأكمل: أى لأدعو إلى إتمام العمل بكل أحكام التوراة. وذلك بدخول الناس فى دين النبى الذى أبشر به. وفى هذا المعنى يقول الله لليهود: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى﴾.

وفى التوراة: «ملعون من لايقيم كلمات هذا الناموس؛ ليعمل بها» (تث ٢٧ : ٢٦).

ومعنى الكلام: أن من لايقيم الدين يكون ملعونا.

ثم قال: لولا أن عقابهم محدد بالأمة المعدودة، وهى أمة الروم ﴿لقضى بينهم﴾ وإن الذين أورثوا الكتاب ـ كتاب التوراة ـ وهم المسيحيون من بعد اليهود؛ يشكون فى صحة التوراة لوجود التناقض فى معانيها.

***

وفى سورة الزخرف:

بعد أن تكلم عن قول اليهود إنهم كانوا يريدون النبى الآتى على مثال موسى منهم. إما من قرية أورشليم وإما من قرية نابلس. فأورشليم عاصمة العبرانيين، ونابلس عاصمة السامريين. واسمها القديم «شكيم» شرع فى الكلام عن يوم الرب بقوله: **﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**

البيان:

المجئ إلى الله: المراد به: المجئ فى يوم الرب لحرب النبى وأصحابه، لأن الحرب لله والنبى ﷺ وأصحابه نواب عنه. وقد سبق فى سور كثيرة التعبير بالمجئ فى يوم الرب. وبين أن الشركاء لن تنفع اليهود فى يوم الرب؛ لأن الشركاء ـ وهم النصارى خاصة من بين أفواج الأمم ـ طائفة من ملة اليهود.

وذكر الوعد بيوم الرب فى قوله: **﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾** يريد أن يقول: إن كنت فى يوم الرب فى عداد المتوفين أو كنت من الأحياء؛ فإن العذاب واقع بهم لا محالة. وهذا المعنى موجود فى سورة الرعد.

***

وفى سورة الزخرف:

﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾

البيان:

عذاب اليوم الأليم: هو العذاب فى يوم الرب. والمراد بالساعة: ساعة المعركة فى يوم الرب. وبين أنها ستأتى بغتة. كما قال أنبياء بنى إسرائيل عنها.

وختم السورة بقوله: **﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾** وهذا نظير قوله تعالى: ﴿إن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل﴾

وقوله **﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾** معناه سيعلمون ما أعد لهم من الهلاك فى يوم الرب.

***

وفى سورة الدخان:

يقول الله تعالى:

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾

البيان:

قوله ﴿فارتقب﴾ مكرر فى سور كثيرة بلفظ ﴿فارتقب﴾ وبلفظ ﴿فانتظر﴾ والمعنى واحد وهو انتظار معركة الساعة فى يوم الرب.

وقوله ﴿يوم﴾ هو يوم الرب

وفى هذا اليوم ﴿تأتى السماء بدخان مبين﴾ كناية عن شدة المعركة فى هذا اليوم. وقد جاء الدخان فى سفر يوئيل فى كلامه عن يوم الرب. وهو: «وأعطى

عجائب فى السماء والأرض. دما ونارا، وأعمدة دخان» (يؤ ٢ : ٣٠)

«شعب كثير وقوى لم يكن نظيره منذ الأزل ولا يكون أيضا بعده إلى سنى دور فدور. قدامه نار تأكل وخلفه لهيب يحرق» (يؤ ٢ : ٢ ـ ٣)

واستشهد بطرس بأعمدة الدخان التى فى سفر يوئيل على أن يوم الرب لعيسى عليه السلام وقد كان فى اليوم الخمسين لصعوده إلى السماء.

واستشهاده باطل. لأن يوئيل يتكلم عن معركة شديدة بين طرفين: النبى وأصحابه طرف. واليهود وشركاؤهم. طرف. والمسيح عيسى عليه السلام لم يحارب أحدا. لا فى حياته ولا من بعد وفاته. انظر إلى أوصاف الحرب فى سفر يوئيل «شعب كثير وقوى لم يكن نظيره منذ الأزل ولا يكون» إلى أن قال: «منه ترتعد الشعوب» فهل شعب النصارى فى اليوم الخمسين كان شعبا كثيرا وقويا. ومنه ترتعد الشعوب؟ وهل حاربوا فى اليوم الخمسين؟

والمراد بالناس فى قوله ﴿يغشى الناس﴾ اليهود خاصة. ويقولون حين يرون العذاب فى يوم الرب: ﴿هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ الآن بنبيك ورسولك، بعدما رأينا ما أوعدتنا به. ورد بقوله: ﴿أنى لهم الذكرى﴾؟ ثم قال عن كشف العذاب عن البعض فى هذه المعركة: ﴿إنا كاشفوا العذاب﴾ لتخبروا بما حدث فى يوم الرب، وإن هؤلاء الناجين سيعودون فى يوم من الأيام إلى فلسطين. لتحقيق الفساد والعلو الأول والآخر. المذكورين فى سورة الإسراء، وفى الأصحاح الثامن والثانى عشر من سفر دانيال. وقد عادوا فى سنة ١٩٦٧ م للمرة الأولى.

وكرر هذا المعنى فى نفس السورة فقال: **﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾**

البيان:

إن يوم الرب هو يوم الفصل بين اليهود وبين المسلمين، وسيكون الفصل بمعركة شديدة يضيع فيها ملك اليهود إلى الأبد. وهو ميقات لليهود وللمسيحيين

باعتبار أنهم جميعا ملة واحدة. اليهـود طائفة منها والمسيحيون طائفة. وأكد على أن شركاءهم لن ينصروهم. وأنهم ليسوا بمنصورين. ولكن منهم بقية سيرحمها الله من القتل وسيوقعها فى الأسر لتُسبى إلى جميع الأمم فتخبر بما رأت.

وختم السورة بقوله: ﴿فارتقب إنهم مرتقبون﴾

والمعنى: انتظر لقاءهم فى معركة الساعة فى يوم الرب؛ لأنهم ينتظرونها.

***

وفى سورة الجاثية:

يقول الله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٧) وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣١) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (٣٢) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ (٣٤) ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

البيان:

يخبر بقوله ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ عن أن اليهود لا يريدون الدخول فى الإسلام؛ لأن العرب به ورثوا الأرض من بعد أهلها، كما كان اليهود وارثين لها

على شريعة موسى. ثم يقول: ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ ساعة المعركة الفاصلة بين المسلمين واليهود فى يوم الرب التى قال عنها المسيح عيسى عليه السلام: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة: فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده» (متى ٢٤: ٣٦) وإذا قامت هذه الساعة ﴿يومئذ﴾ أى فى يوم الرب ﴿يخسر المبطلون﴾ وهم اليهود وشركاؤهم من الأمم ﴿وترى كل أمة﴾ مشتركة مع اليهود ﴿جاثية﴾ أى ذليلة من هول ما ترى ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ بلسان الحال. لأن كل إنسان يعلم فى وقت الشدة ما له وما عليه.

ثم قال: ﴿وإذا قيل إن وعد الله حق﴾ بمجئ محمد صلى الله عليه وسلم فى حينه، وهلاك الكافرين به فى الأيام الأولى لظهوره فى الساعة التى قال عنها المسيح: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة. . .» قال المجرمون من اليهود: ﴿ما ندرى ما الساعة﴾ عندئذ يقال فى يوم الرب الذى ستحدث فيه هذه الساعة: ﴿اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾

***

وفى سورة الأحقاف:

يقول تعالى:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾

البيان:

إلى يوم قيامة بنى إسماعيل على بنى إسرائيل، أو إلى يوم القيامة العامة من الأموات. اليهود تركوا الله واحتموا بالأمم. والأمم لن تنصرهم فى يوم الرب، ولن يستجيبوا لهم. وفى يوم الحشر إذا حشر اليهود فى يوم الرب ستكون الأمم أعداء

لليهـود، والأمم أيضاً سيكونون أعداء لهـم. والأمم كانوا كافرين بالتـوراة التى كان عليها اليهود.

ثم قال تعالى:

﴿وَالَّذى قَالَ لوَالدَيْه أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعدَاننى أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَت الْقُرُونُ من قَبْلى وَهُمَا يَسْتَغيثَان اللَّهَ وَيْلَكَ آمنْ إنَّ وَعْدَ اللَّه حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إلاَّ أَسَاطيرُ الأَوَّلينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَئكَ الَّذين حَقَّ عَلَيْهمُ الْقَوْلُ فى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ من قَبْلهم مِّنَ الْجنِّ وَالإنسِ إنَّهُمْ كَانُوا خَاسرِينَ ﴿١٨﴾ وَلكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَملُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتكُمْ فِى حَيَاتكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُون بمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى الأَرْضِ بغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾

البيان:

خروج اليهود من فلسطين

فـى يـوم الـرب الـعـظيـم

كان علماء[1] بنى إسرائيل يكذبون على الناس ويقولون: لم نكذب؛ لأن ما أخبـرناكم به هو وحى من الله. وقـد هددهم الله بالهلاك فى يوم الرب، وقـال عن المتنبئين بالكذب: «فى مجلس شعبى لا يكونون، وفى كتاب بيت إسرائيل لا يكتبون، وإلى أرض إسـرائيل لا يدخلون» ووصـفـهم بـالحمـق، وبالمكر، وقـال لهم: «لم تصعدوا إلى الثغر ولم تبنوا جدارا لبيت إسرائيل للوقوف فى الحرب فى يوم الرب»

وكان فى نساء بنى إسرائيل متنبـآت بالكذب. وقد هددهن الله بالهلاك فقال: «فلذلك لن تعدن ترين البـاطل، ولا تعرفن عرافـة بعد، وأنقذ شـعبى من أيديكن» وهذا كله مذكور فى الأصحاح الثالث عشـر من سفر حزقيال. بعد كلام طويل عن عذاب لليهود «والمدن المسكونة تخرب، والأرض تقفر»

(١) انظر كتاب هرمجدون ـ حقيقة أم خيال؟ نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة.

وقد تكلم النبى زكريا فى هذا المعنى فقال: ١ ـ إن «أورشليم» ستخرب ٢ ـ وأن الله سيحارب الأمم «ويأتى الرب إلهى. وجميع القديسين معك» وبين أن خراب أورشليم ومحاربة الله للأمم سيكونان فى يوم الرب بقوله: «فى ذلك اليوم يكون الرب وحده واسمه وحده»

فإذا جاء يوم الرب يقول زكريا: إن الله سيزيل الأوثان، وسيبقى على بقية من اليهود. هم الذين سيؤمنون بالنبى الآتى. وسيطهر الله المؤمنين من رجس الشيطان، وكنى عن الشريعة المطهرة بالينبوع، وسيقطع الأنبياء الكذبة من الأرض.

ويقول زكريا: إن العالم الذى سيتنبأ بالكذب فى أيام الشريعة الجديدة. سيقول له أبوه وأمه: هذا حرام فلا تتنبأ؛ لئلا تخرج من الأرض، وتنفى مع السحرة والمنجمين والعرافين. لا تتنبأ لأن الكتاب يقول عن المتنبئين الكذبة: «فى مجلس شعبى لا يكونون، وفى كتاب بيت إسرائيل لا يكتبون، وإلى أرض إسرائيل لا يدخلون» فإن أنت تنبأت كما كان يتنبأ أسلافك فى هذه الأيام؛ فإنك ستخرج من أرض إسرائيل ـ التى هى فلسطين ـ ولن تدخلها.

فإذا أصر على التنبؤ بالكذب، واستهتر بالشريعة الجديدة، كما استهتر الذين كانوا من قبله بشريعة موسى. فإن أبواه ـ أبوه وأمه ـ يتبرءان منه؛ ليحمل هو نفسه إثم ذنبه.

وفى شريعة موسى هذا الحكم وهو: «وإذا أغواك سر ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذى مثل نفسك قائلا: انذهب ونعبد آلهة أخرى؛ لم تعرفها أنت ولا آباؤك. من آلهة الشعوب الذين حولك القريبين منك، أو البعيدين عنك، من أقصاء الأرض إلى أقصائها؛ فلا ترض منه، ولا تسمع له، ولا تشفق عينك عليه، ولا ترق له ولا تستره، بل قتلا تقتله. يدك تكون عليه أولا لقتله، ثم أيدى جميع الشعب أخيرا» (تث ١٣ : ٦ ـ ٨٩)

وفى ترجمة أخرى عن خروج الأنبياء الكذبة من فلسطين فى يوم الرب: «لا يكونون فى عداد شعبى ولا يسجلون فى سجل بيت إسرائيل، ولا يدخلون أرض

إسرائيل فيعلمون أنى أنا السيد الرب. أضلوا شعبى بقولهم سلام. وما من سلام» (حز ١٣ : ٩ ـ ١٠)

البيان:

١ ـ إنه يتكلم عن يوم الرب. ويبين فيه. أ ـ هلاك الأنبياء الكذبة. ب ـ واليهود الأشرار لا المصطفين الأخيار، الذين سيؤمنون بالنبى الأمى الآتى. ج ـ والأمم الوثنية ومنها مصر.

٢ ـ تكلم عن شدة الحرب بأساليب كنائية تناسب شدتها.

٣ ـ تكلم عن الحج كل سنة. ولكن الكاتب حرف المعنى من «مكة» إلى «أورشليم» من طواف بالكعبة إلى عيد المظال.

وفى يوم الرب من أرض فلسطين إذا جاء زمان الشريعة الجديدة مع النبى الأمى. كما قال حزقيال: «فى مجلس شعبى لا يكونون، وفى كتاب بيت إسرائيل لا يكتبون، وإلى أرض إسرائيل لا يدخلون» يقول المتنبئ بالكذب: ﴿أَتَعِدَانِنِى أَنْ أُخْرَجَ﴾ وكيف أخرج؟

إننى فيها ساكن من زمان طالوت وداود. وقد أتى أهل بابل وملكوا الأرض وأنا فيها. ثم مشوا وتركونى، وأتى أهل فارس وملكوها وأنا فيها ثم مشوا وتركونى، وأنا الآن فى حماية أهل الروم. فإذا جاء زمان النبى الآتى فإنه سيكون كإحدى الأمم التى مشت فى أرض فلسطين. سيملكها وأنا فيها. وسيتركها وأنا فيها. فكيف أخرج منها فى زمانه وهو كالسابقين عليه؟

وقد رد عليه أبويه بقولهما: إن الأمر مختلف؛ لأنه نبى الله. وقد أوعد بإهلاك المكذبين به، ووعده حق.

وقد قالا بذلك وهما يستغيثان الله أن يستجيب لهما؛ لئلا يهلك.

وقد وردت الاستغاثة فى كلام دانيال وهو يتحدث عن خراب أورشليم على يد النبى الأمى الآتى بعد السبعين أسبوعا. ومعنى هذا: أنه جمع النبوءات فى مكان واحد فى سورة الأحقاف؛ لأنها خاصة بموضوع واحد. ومن كلام دانيال: «فوجهت

وجهى إلى الله السيد، طالبا بالصلاة والتضرعات، بالصوم والمسح والرماد، وصليت إلى الرب إلهى» ـ «يا سيد حسب كل رحمتك. اصرف سخطك وغضبك عن مدينتك أورشليم» ـ «يا سيد اسمع يا سيد اغفر، يا سيد اصغ واصنع»

ثم قال: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾

يعنى بأولئك: جماعة المتنبئين الكذبة والعرافين. وهم ﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أى لازم القول ـ وهو «فيكلمهم بكل ما أوصيه به» ـ بالهلاك فى الأيام الأولى لظهور النبى ﷺ الذى أمروا فى التوراة به، ونهوا عن السماع من السحرة والعرافين فى هذا النص الذى نقلناه سابقا من الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية وهو:

«يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون...»

ثم قال: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ يعنى باليوم: يوم الرب. ويعنى بالذين كفروا :اليهود. ويعنى بالنار: الحرب فى الساعة التى لا يعلمها إلا الله وحده. ولهذا نظائر فى سور كثيرة. قد مضى بيانها. وقد كرر المعنى فى ختام هذه السورة فقال: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

***

وفى سورة محمد:

الكلام عن الساعة. والكلام عنها هو نفسه كلام فى يوم الرب

***

وفى سورة الفتح:

يقول تعالى:

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾

سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ (الآية ٢٠ ـ ٢٣)

البيان:

كلمة ﴿الناس﴾ إذا وردت فى القرآن؛ فإنها تدل على اليهود خاصة. وهو هنا يخبر عن معركة حصلت بين المسلمين وبين اليهود. وفيها ﴿كف أيدى الناس عنكم﴾ مما يدل على أن الملك على العرب كان لليهود إلى بدء ظهور محمد ﷺ بحكم البركة الممنوحة من الله لبنى إسحق. وهى ملك ونبوة، حتى تظهر بركة إسماعيل من محمد ﷺ وعن هذه البركة فى القرآن الكريم: ﴿وباركنا عليه وعلى إسحق﴾

وأما الأخرى فهى أورشليم عاصمة ملك اليهود فى فلسطين ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ وهم اليهود فى يوم الرب ﴿لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا﴾ وهذا المعنى مكرر فى آيات يوم الرب فى سور من القرآن.

ونقل عن الإمام الشافعى رضي الله عنه: أن ﴿الناس﴾ فى قوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤) فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾

المراد بهم: العرب خاصة. وليس على قوله هذا ـ إن صح عنه النقل ـ من قرينة تبعد ﴿الناس﴾ عن اليهود. بل فى الكلام ما يدل على أن المراد بالناس هم اليهود. وهذا هو نص الكلام:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤) فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾

يخبر عن:

١ ـ جماعة أوتوا نصيبا من الكتاب. ومع ما عندهم من العلم هم يعبدون الأصنام.

٢ ـ وجماعة اليهود الكافرين بمحمد ﷺ ولكنهم لا يعبدون الأصنام.

٣ ـ والجماعة التى معها نصيب تقول للجماعة الكافرة: هؤلاء الأمم أمة بابل وفارس واليونان وأهل الروم أهدى من المسلمين.

٤ ـ وجماعة الذين آمنوا وهم المسلمون

فههنا ثلاث جماعات كافرة، وجماعة واحدة مسلمة. فيكون الجميع أربعة.

والمتسلطون من قبل الإسلام على المؤمنين بشريعة موسى هم الأمم الوثنية، بابل وفارس واليونان وأهل الروم. وهو ههنا يخاطبهم بقوله: هل ملك العالم خاص بكم، حتى أنكم لا تريدون أن يكون لليهود ملك إذا أسلموا؟ هل تحسدون اليهود إذا أسلموا أن يصير لهم ملك؟ لقد آتينا آل إبراهيم النبوة والملك. ومنهم من ملك قبل محمد وهم أصحاب موسى. ومنهم محمد الذى سيملك على العالم من الآن، شئتم أم أبيتم. شاء اليهود الكافرون أم أبوا. وهذا المعنى على أن التوراة نزلت لليهود. وفيها حكم لم يقدروا على العمل به. وهو حكم الإيمان بمحمد ﷺ إذا ما ظهر. وهم من قبل ظهوره كان عملهم بالتوراة ناقصا. وفى حالة ظهوره يكون كل من يؤمن به عاملا بكل أحكام التوراة. ذلك قوله لهم: ﴿اليوم﴾ فى هذا الزمان ﴿أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى﴾ وقوله: ﴿وليتم نعمته عليكم﴾ وفى التوراة: أن محمدا ﷺ سيظهر بناء على طلبهم؛ ليكلمهم بكل وصايا الله.

ذلك قوله: «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون» فالنبى محمد ﷺ بناء على هذا القول. هو آت لليهود ليجدد لهم الشريعة، ولينسخها وليقيم لهم ملكا فى العالم يحمى الشريعة الجديدة. وهذا هو معنى أن الأمم تحسد اليهود على مجئ هذا النبى لهم. ولكن اليهود لم يفطنوا إلى هذه المنة الإلهية، ورفضوا محمدا ﷺ وقد قال تعالى فى موضع غير هذا إن اليهود إذا كفروا بمحمد ﷺ فإن العرب بنى إسماعيل سيقومون بدينه خير قيام. ذلك قوله: ﴿فإن يكفر بها هؤلاء﴾ المعاصرين ﴿فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين﴾

***

وفى سورة ق:

يقول تعالى:

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾

البيان:

يقول: إنه فى يوم الرب الذى سيهلك فيه اليهود المنّاعين للخير. سنقول لجهنم بعد قتلهم. . .أو أن التعبير كناية عن كثرة القتلى.

والمدة من بعد القتل إلى قيام القيامة هى كلا مدة؛ لأن الإحساس مفقود. وكما قال عن الكافرين: ﴿أزفت الآزفة﴾ أى اقترب موعد يوم الرب. وسوف تهلكون فيه وتدخلون النار من بعد القتل مباشرة؛ ولذلك قال عن أهل الجنة وهم المسلمون الذين سيقتلون فى يوم الرب: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد﴾ أى اقتربت منهم الجنة. وزمن دخولهم فيها غير بعيد.

ثم ذكر صفة الصبر على ما يقولون. كما فى سور كثيرة. وقال: ﴿واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب﴾ وهو مكان المعركة القريب من آخر حدود العرب وأول حدود أرض فلسطين. كما فى سورة سبأ. وهذا النداء للتجمع والاستعداد. وما هو تفسير ﴿الصيحة﴾ على اليهود؟ الصيحة للتجمع للهلاك، أو الخروج من دينهم إلى دين الإسلام. ولفظ ﴿الخروج﴾ محتمل للخروج من فلسطين وهم على دينهم وتركها للمسلمين، ومحتمل للخروج من الدين. لأن شريعتهم قد نسخت. وأشار بقوله ﴿يوم تشقق الأرض عنهم سراعا﴾ إلى تجمعهم من كل قرية ومدينة للقتال. وقد ألهمناهم بهذا الحشر؛ لأنهم يرغبون فيه. وهو ﴿حشر علينا يسير﴾

***

وفى سورة الذاريات:

يقول الله تعالى:

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝١٩ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ۝٢١ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾

البيان:

١ ـ الذاريات: إشارة إلى نبوءة فى التوراة عن محمد ﷺ يعرفها اليهود.

والمعنى: واقرأوا عن محمد فى التوراة نبوءة الذاريات. وسوف تجدون فيها ذكره وهلاك الكافرين به.

٢ ـ الحاملات: إشارة إلى نبوءة فى التوراة عن محمد ﷺ يعرفها اليهود.

٣ ـ الجاريات: إشارة إلى نبوءة فى التوراة عن محمد ﷺ يعرفها اليهود.

٤ ـ المقسمات: إشارة إلى نبوءة فى التوراة عن محمد ﷺ يعرفها اليهود.

وبعدما ذكر إشارات عن هذه النبوءات. وفى نصوصها كيفية مجيئه، وهلاك الكافرين به منهم على يديه فى بدء ظهوره؛ قال كما قال فى سور كثيرة: ﴿إنما

توعدون﴾ فيها ﴿لصادق وإن الدين﴾ وهو هلاك الكافرين منهم به فى يوم الرب ﴿لواقع﴾ وسيظهر دينه على الدين كله.

نبوءة الذاريات

ففى الزبور ٦٨ وهو كله عن محمد ﷺ «كما يذرى الدخان؛ تذريهم» وفى سفر اللاويين أن اليهود الذين لا يعملون بالشريعة؛ يذريهم بين الأمم (لا ٢٦: ٣٣) وقد استدل المسيح بهذه التذرية على سبى اليهود فى معركة الساعة فى يوم الرب. وقال: «ويُسبون إلى جميع الأمم» (لوقا ٢١: ٢٤)

وهذا هو نص المزمور ٦٨:

«يقوم الله. يتبدد أعداؤه ويهرب مبغضوه من أمام وجهه. **كما يذرى الدخان تذريهم**. كما يذوب الشمع قدام النار يبيد الأشرار قدام الله. والصديقون يفرحون. يبتهجون أمام الله ويطفرون فرحا.

غنوا لله رنموا لاسمه. أعدوا طريقا للراكب فى القفار باسمه ياه، واهتفوا أمامه. أبو اليتامى وقاضى الأرامل الله فى مسكن قدسه. الله مسكن المتوحدين فى بيت. مخرج الأسرى إلى فلاح. إنما المتمردون يسكنون الرمضاء.

اللهم عند خروجك أمام شعبك عند صعودك فى القفر. سلاه. الأرض ارتعدت. السموات أيضاً قطرت أمام وجه الله سينا نفسه من وجه الله إله إسرائيل. مطراً غزيراً نضحت يا ألله. ميراثك وهو معى أنت أصلحته. قطيعك سكن فيه. هيأت بجودك للمساكين يا ألله. الرب يعطى كلمة. المبشرات بها جند كثير. ملوك جيوش يهربون يهربون. الملازمة البيت تقسم الغنائم. إذا اضطجعتم بين الحظائر فأجنحة حمامة مغشاة بفضة وريشها بصفرة الذهب. عندما شتت القدير ملوكا فيها أثلجت فى صلمون.

جبل الله جبل باشان. جبل أسنمة جبل باشان. لماذا أيتها الجبال المسنمة ترصدن الجبل الذى اشتهاه الله لسكنه. بل الرب يسكن فيه إلى الأبد. مركبات الله ربوات ألوف مكررة. الرب فيها. سينا فى القدس. صعدتَ إلى العلاء. سبيت سبياً. قبلت عطايا بين الناس وأيضاً المتمردين للسكن أيها الرب الإله.

مبارك الرب يوماً فيوماً. يحملنا إله خلاصنا. سلاه. الله لنا إله خلاص وعند الرب السيد للموت مخارج. ولكن الله يسحق رءوس أعدائه الهامة الشعراء للسالك فى ذنوبه. قال الرب: من باشان أرجع. أرجع من أعماق البحر لكى تصبغ رجلك بالدم. ألسن كلابك من الأعداء نصيبهم. رأوا طرقك يا أالله طرق إلهى ملكى فى القدس. من قدام المغنون من وراء ضاربو الأوتار فى الوسط فتيات ضاربات الدفوف. فى الجماعات باركوا الله الرب أيها الخارجون من عين إسرائيل. هناك بنيامين الصغير متسلطهم رؤساء يهوذا جلهم رؤساء زبولون رؤساء نفتالى. قد أمر إلهك بعزك. أيد يا أالله هذا الذى فعلته لنا. من هيكلك فوق أورشليم لك تقدم ملوك هدايا. انتهر وحش القصب صوار الثيران مع عجول الشعوب المترامين بقطع فضة. شتت الشعوب الذين يسرون بالقتال. يأتى شرفاء من مصر. كوش تسرع بيديها إلى الله.

يا ممالك الأرض غنوا لله، رنموا للسيد. سِلاه. للراكب على سماء السموات القديمة. هوذا يعطى صوته صوت قوة. أعطوا عَزا لله. على إسرائيل جلاله وقوته فى الغمام. مخوف أنت يا أالله من مقادسك. إله إسرائيل هو المعطى قوة وشدة للشعب. مبارك الله» (مزمور ٦٨)

فى هذه النبوءة:

«يقوم الله. يتبدد أعداؤه، ويهرب مبغضوه من أمام وجهه، **كما يُذرَى الدخان؛ تذريهم**، كما يذوب الشمع قدام النار؛ يَبيد الأشرار قدام الله. والصِّديقون يفرحون. يبتهجون أمام الله، ويطفرون فرحا. غنوا لله، رنموا لاسمه. أعدوا طريقا. . .»

إنه يتكلم عن شريعة جديدة بدل شريعة موسى، وكنى عنها بالأغنية على عادتهم فى التعبير. وتكلم عن جيشين جيش الأشرار، وجيش الصديقين. وقال: حينما يقوم الله فى يوم الرب لنصرة نبيه؛ يتبدد أعداؤه. وقد أشار بالتذرية إلى تمام الهلاك. وقد اقتبس يوحنا المعمدان هذا المعنى وهو يتكلم عن محمد ﷺ فقال: «ولكن الذى يأتى بعدى؛ هو أقوى منى، الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذى رفشه فى يده (والرفش: هو المذراة) وسينقى بيدره، ويجمع قمحه إلى المخزن. وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ» (متى ٣: ١١ ـ ١٢)

نبوءة الحاملات:

فى المزمور ١٢٦ يقول الكاتب: إن أهل بابل قد ساقونا إليها أسرى. وعندئذ حزينا وبكينا. ثم إن الله رد سبايانا إلى ديارنا إلى جبل صهيون. ففرحنا. لكن يا رب نحن خاضعين للأجانب. وقد رددت البعض. فلماذا لا تطرد عنا الأجانب لكى نكون سادة كما كنا من قبل؟

إننا اليوم أموات - مجازا - لأن الملك لنا على البلاد ليس خالصا لنا. إذ الأجانب سادة علينا. ولو أنك رفعت عنا سيادة الأجانب فإننا نجاهد فى سبيلك، ونملك على البلاد، ويكون لنا خير وفير بسبب الجهاد. وقد جاء فى القرآن أنهم ظلوا خاضعين للأجانب إلى ظهور محمد ﷺ فإنهم خضعوا ودفعوا الجزية لبابل وفارس واليونان وأهل الروم. وقد أحيا الله المؤمنين منهم بمحمد ﷺ وخلصهم من أهل الروم. وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ وعبر الله عن خراب أورشليم بالموت لما ساقهم ملك بابل أسرى إلى بابل فقال: ﴿أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها﴾

وهذا هو نص المزمور المائة والسادس والعشرين:

«عندما رد الرب سبى صهيون صرنا مثل الحالمين. حينئذ امتلأت أفواهنا ضحكا وألسنتنا ترنما. حينئذ قالوا بين الأمم: إن الرب قد عظم العمل مع هؤلاء. عظم الرب العمل معنا وصرنا فرحين. اردد يا رب سبينا مثل السواقى فى الجنوب. الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج. الذاهب ذهابا بالبكاء حاملا مبذر الزرع مجيئا يجئ بالترنم حاملا حزمه» (مزمور ١٢٦)

نبوءة الجاريات:

فى التوراة نبوءات كثيرة عن الجرى بإلهام من الملائكة بالخير لصالح أهل الحق والعدل. وفى المزمور المئة والتاسع والأربعين يتكلم عن الأغنية الجديدة، ومجئ النبى الملك. وابتهاج الأتقياء بحلول مجد النبى الملك. وأنهم يمسكون بسيوف لعقاب

الأشرار، ويتهجدون بالليل والناس نيام. فإذا تمت لهم الغلبة على أعداء الله بسهولة ويسر؛ لأن الملائكة معهم؛ «**يجروا بهم الحكم المكتوب**» بسهولة ويسر.

وهذا هو نص المزمور ١٤٩ وقد جاء فى معناه فى القرآن الكريم: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود﴾

«هللويا. غنوا للرب ترنيمة جديدة تسبيحته فى جماعة الأتقياء. ليفرح إسرائيل بخالقه. ليبتهج بنو صهيون بملكهم ليسبّحوا اسمه برقص. بدف وعود ليرنموا له. لأن الرب راض عن شعبه. يجمّل الودعاء بالخلاص.

ليبتهج الأتقياء بمجد، ليرنموا على مضاجعهم. **تنويهات الله فى أفواههم وسيف ذو حدين فى يدهم. ليصنعوا نقمة فى الأمم وتأديبات فى الشعوب**. لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد. **ليجروا بهم الحكم المكتوب**. كرامة هذا لجميع أتقيائه. هللويا» (مزمور ١٤٩)

نبوءة المقسمات:

فى سفر عاموس عن يوم الرب: «وأرضك تقسم بالحبل»

وهذا هو النص من الأصحاح السابع وما بعده:

«فالآن اسمع قول الرب. أنت تقول لا تتنبأ على إسرائيل ولا تتكلم على بيت إسحق. لذلك هكذا قال الرب: امرأتك تزنى فى المدينة وبنوك وبناتك يسقطون بالسيف وأرضك تقسم بالحبل وأنت تموت فى أرض نجسة وإسرائيل يسبى سبيا عن أرضه.

هكذا أرانى السيد الرب وإذا سلة للقطاف. فقال ماذا أنت راء يا عاموس؟ فقلت: سلة للقطاف. فقال لى الرب: قد أتت النهاية على شعبى إسرائيل. لا أعود أصفح له بعد. فتصير أغانى القصر ولاول[١] فى ذلك اليوم. يقول السيد الرب. الجثث كثيرة يطرحونها فى كل موضع بالسكوت.

---

(١) ولاول: بكاء وصراخ. وهو كناية عن الخراب والدمار فى يوم الرب.

اسمعوا هذا أيها المتهمون المساكين لكى تبيدوا بائسى الأرض قائلين: متى يمضى رأس الشهر لنبيع قمحا والسبت لنعرض حنطة. لنصغر الأيفة ونكبر الشاقل ونعوج موازين الغش. لنشترى الضعفاء بفضة والبائس بنعلين ونبيع نفاية القمح؟

قد أقسم الرب بفخر يعقوب إنى لن أنسى إلى الأبد جميع أعمالهم. أليس من أجل هذا ترتعد الأرض وينوح كل ساكن فيها وتطمو كلها كنهر وتفيض وتنضب كنيل مصر؟

ويكون فى ذلك اليوم يقول السيد الرب: أنى أغيب الشمس فى الظهر وأقتم الأرض فى يوم نور. وأحول أعيادكم نوحا وجميع أغانيكم مراثى وأصعد على كل الأحقاء مسحا وعلى كل رأس قرعة، وأجعلها كمناحة الوحيد وآخرها يوما مرا.

هوذا أيام تأتى يقول السيد الرب: أرسل جوعا فى الأرض. لا جوعا للخبز ولا عطشا للماء، بل لاستماع كلمات الرب. فيجولون من بحر إلى بحر ومن الشمال إلى المشرق يتطوحون ليطلبوا كلمة الرب فلا يجدونها. فى ذلك اليوم تذبل بالعطش العذارى الجميلات والفتيات الذين يحلفون بذنب السامرة ويقولون: حى إلهك يا دان، وحية طريق بئر سبع. فيسقطون ولا يقومون بعد» (عاموس ٧: ١٦ +)

البيان:

الغرض من التقسيم: أن الله تعالى قسم رحمته على بنى إسماعيل وبنى إسحق. فجعل لكل مدة من الزمان يكون له الملك فيها على الناس. وقد أخذ بنو إسرائيل مدتهم نيابة عن بنى إسحق. فلماذا الاعتراض إذا أتى بنو إسماعيل لأخذ مدتهم؟

ثم قال تعالى: ﴿يوم هم على النار﴾ أى فى يوم الرب ﴿يفتنون﴾ ثم قال عن العذاب ﴿هذا الذى كنتم به تستعجلون﴾

ثم أشار إلى سبب رفضهم للإسلام. وقد يكون الفقر. فإن من يترك دينه تتخلى عنه أولاده وأقرباؤه، ويحرم من وظيفته الدينية ويضطهد من الناس. فلهذا قد يرفض الإسلام. فطمئن على أمرين:

أولهما: أن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

وثانيهما: أن ما يوعدون به فى يوم الرب سيكون لا محالة.

ثم كرر التهديد بيوم الرب فى آخر السورة فقال: ﴿فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون﴾



وفى سورة الطور:

يقول الله تعالى:

﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

البيان:

ما هو المراد بالطور؟

المراد به: إن شريعة موسى عليه السلام نزلت فى طور سيناء. وقد بينا من قبل: أن كل كلمة تشير إلى

أ ـ نبوءة عن محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة ب ـ وفى كلام النبوءة عنه تهديد بعذاب يقع على الكافرين به فى الأيام الأولى لظهوره فيكون المعنى: ﴿و﴾ اذكروا نبوءة ﴿الطور﴾ ثم عطف عليه فقال: ﴿و﴾ اذكروا نبوءة ﴿وكتاب مسطور فى رق منشور﴾ وعطف فقال: ﴿و﴾ اذكروا نبوءة ﴿البيت المعمور﴾ اذكروا نبوءة ﴿السقف

المرفوع، و﴿ اذكروا نبوءة ﴿البحر المسجور﴾ إذا ذكرتم يا أهل الكتاب هذه النبوءات وقرأتموها؛ فإنكم سوف تجدون فى كل نبوءة منها ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ على الكافرين بمحمد فى بدء ظهوره فى يوم الرب وستعلمون أن هذا العذاب ﴿ما له من دافع﴾ وفى أى يوم يكون هذا العذاب؟ فى كتبكم أنه فى يوم الرب ﴿يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين﴾ كناية عن الشدة ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾ بمحمد ﴿الذين هم فى خوض يلعبون﴾

ثم تكلم عن هلاكهم فى يوم الرب، وشبه العذاب بالنار، مبالغة فى شدته من ناحية، ودخولهم نار جهنم من بعد القتل مباشرة من ناحية أخرى. فقال: ﴿يوم يدعون إلى نار جهنم دعا﴾ وتقول لهم الملائكة النورانيون المشتركون مع أصحاب النبى ﷺ فى المعركة. طبقا لما فى نشيد موسى: ﴿هذه النار التى كنتم بها تكذبون﴾ وإذ يعاينوها يقولون لهم على سبيل الاستهزاء: ﴿أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون﴾؟ ثم يستمرون فى الاستهزاء بهم فيقولون: ﴿ فاصبروا أو لا تصبروا. سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾

ثم يقول تعالى عن معنى ﴿إن الساعة لآتية؛ فاصفح الصفح الجميل﴾: منذرا ومحذرا ﴿فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون﴾ وهو يوم الرب. وبين أن لهم عذابا من قبل يوم الرب هو أخف من عذاب يوم الرب فقال: ﴿وإن للذين ظلموا﴾ وهم اليهود ﴿عذابا دون ذلك. ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾

***

إلى هنا. ونقرأ فى سورة البقرة

بدأ بقوله ألف ـ لام ـ ميم ﴿ألم﴾ ومعناها موجود فى سورة الشورى. وهو أن طريقة الوحى هذه هى مثل طريقة الوحى الإلهى عند أهل الكتاب. ذلك قوله: ﴿كذلك يوحى إليك﴾ بعد قوله: ﴿حمعسق﴾ وحرف العين ينطق فى اللغة العبرانية عيِّن بتشديد الياء مكسورة ﴿وإلى الذين من قبلك﴾ وهم اليهود ﴿الله العزيز الحكيم﴾ ومن طرق الوحى عندهم: أنهم فى السورة الواحدة يضعون فى أولها فى

وسط السطر حرف الألف هكذا (أ) وبعد عدة جمل يضعون فى وسط السطر حرف الباء. . . وهكذا إلى حرف التاء. والحروف عندهم مجموعة فى هذه الكلمات: أبجد ـ هوز ـ حطى ـ كلمن ـ سعفص ـ قرشت. والفرق بين وضعها فى القرآن ووضعها فى التوراة: هو أنها فى التوراة مفرقة على السورة، وكل حرف موضوع فى وسط السطر بمفرده. أما فى القرآن فحرف أو عدة حروف موضوعة فى أول السطر. والسبب فى ذلك: أن القرآن يحفظ فى الصدور. فإذا كان الحرف فى الوسط وحفظ فإن الحرف ربما يلتبس على الحافظ بظنه أنه من نفس الكلمة التى بعده، أو أنه آخر الكلمة التى قبله. أما فى وضع الحروف فى البدء والفصل على أنها آية، وبعدها آية؛ فإنه لا يكون لبس. لا على القارئ ولا على السامع ولا على الحفاظ. وهذه الطريقة واضحة فى الزبور المئة والتاسع عشر. وهو عن محمد ﷺ

وبعد كلام كثير فى سورة البقرة عن اليهود؛ يتكلم عن عذابهم فى يوم الرب. بنفس المعنى الذى ذكره فى سورة سبأ عن الضعفاء والمستكبرين. فيقول:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾

البيان:

انظر إلى قوله تعالى: ﴿ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا﴾

﴿العذاب﴾ بالألف واللام يدل على عذاب معروف لهم من كتبهم. وليس هو إلا عذاب يوم الرب. لقرينة ﴿أن القوة لله جميعا﴾ وهى قرينة تشير إلى نبوءة نشيد موسى عليه السلام وفيها:

«أليس ذلك مكنوزا عندى، مختوما عليه فى خزائنى؟ لى النقمة والجزاء. فى وقت تزل أقدامهم. إن يوم هلاكهم قريب، والمهيآت لهم مسرعة؛ لأن الرب يدين شعبه، وعلى عبيده يشفق، حين يرى أن اليد قد مضت، ولم يبق محجوز ولا مطلق» (تث ٣٢: ٣٤ ـ ٣٦)

ثم يقارن بين اليهود المرءوسين وبين الأجانب المحتلين لهم. كأهل الروم. فيقول: فى يوم الهلاك فى يوم الرب يتبرأ الذين اتبعوا وهم الرؤساء المحتلين لبلادهم من الذين اتبعوا الرؤساء. وهم اليهود المغلوبون على أمرهم. وقد رأى أهل كل فريق عذاب الله فى يوم الرب، وتقطعت بهم أسباب الهرب من المعركة. وقال الذين اتبعوا وهم اليهود المرءوسين: إن هؤلاء الرؤساء غرونا وخدعونا. فلو أتيح لنا أن ننجو من الهلاك، لتبرأنا منهم كما تبرأوا منا. وإنهم جميعا يتحسرون على كفرهم الذى استحقوا به هذا الهلاك ﴿وما هم بخارجين من النار﴾ نار المعركة الموصل إلى نار جهنم عقب القتل مباشرة.

***

وبعد هذا نعود إلى نبوءات سورة الطور:

١ ـ نبوءة والطور:

فى كتاب موسى عليه السلام: أن الله بارك على إبراهيم بقوله: «وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» وأن الله قسم بركة إبراهيم على إسماعيل وإسحق فقال: «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا» وقال عن سارة: «وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا. أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون»

وقد نزلت التوراة فى طور سيناء. ونزولها فيه؛ يعنى إتيان أمر الله منه، ـ والمراد الشريعة ـ . وقد سلمها موسى للكهنة الهارونيين، وكانوا يفسرونها ناحية جبل سعير فى مكان سكناهم. ولما كان إسماعيل مباركا. والبركة لا تبدأ إلا من نبى. كما بدأت بركة إسحق من موسى. وعن ذلك فى القرآن: ﴿أن بورك من فى النار ومن حولها﴾ قال موسى: إن شريعة ستنزل فى جبل فاران الذى سكن عنده

إسماعيل فى حياة أمه هاجر. وقال موسى: إن النبى الذى سيأتى بها «عن يمينه نار» من أجل قبول الشريعة أو رفضها. أى أنه سيحارب أعداءه فى الأيام الأولى لظهوره كما هو موضح فى نبوءة النبى الأمى وفيها «ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشعب»

ففى الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: «وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه فى يدك، وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك» (تث ٣٣: ١ ـ ٤)

وفى ترجمة كتاب الحياة عربى وإنجليزى: «وهذه هى البركة التى بارك بها موسى، رجل الله، بنى إسرائيل قبل موته. فقال: أقبل الرب من سيناء، وأشرف عليهم من سعير، وتألق فى جبل فاران، جاء محاطا بعشرات الألوف من الملائكة، وعن يمينه يُومض برق عليهم. حقا إنك أنت الذى أحببت الشعب. وجميع القديسين فى يدك، ساجدون عند قدميك، يتلقون منك أقوالك»

فنبوءة طور سيناء فيها تحديد مكان ظهوره ﷺ وهو جبل فاران. وفيها التهديد بهلاك الكافرين به. وأن أصحابه المتوجهين إلى فتح فلسطين، وانتزاعها من اليهود يقدرون بعشرات الألوف. ولقبهم بالملائكة لشبههم بهم فى الطهر والصلاح.

نبوءة كتاب مسطور فى رق منشور:

كتاب التوراة منتشر فى العالم على صورته هذه من أيام سبى بابل. وفيه عن محمد ﷺ : «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون» إلى أن قال: «ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه» ففيها أوصافه، وفيها هلاك الكافرين به.

نبوءة والبيت المعمور:

فى سفر النبى حجّاى عن الكعبة فى مكة المكرمة، وعن هلاك اليهود: «لأنه

هكذا قال رب الجنود. هى مرة بعد قليل فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة، وأزلزل كل الأمم، ويأتى مشتهى كل الأمم. فأملأ هذا البيت مجدا. قال رب الجنود. لى الفضة ولى الذهب. يقول رب الجنود. مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول. قال رب الجنود. وفى هذا المكان أُعطى السلام. يقول رب الجنود» (حج ٢: ٦ ـ ٩)

ومشتهى كل الأمم: هو محمد ﷺ طبقا لتفسير المسيح عيسى عليه السلام فى إنجيل بَرنابا. ومجد الأول هو الهيكل ومجد الأخير هو الكعبة. ولما أتى محمد ﷺ حدثت الحروب فى يوم الرب، وحدثت زلزلة كل الأمم.

نبوءة والسقف المرفوع:

فيها ١ ـ الكلام عن النبى الآتى والشريعة الجديدة ٢ ـ وهلاك الأشرار هلاكا، لا يكون لهم ملك من بعده، ولا شريعة من بعده. ٣ ـ سقف السماء بمياه الأمطار. أى أن تجمعها فى مكان ما فى السماء فوق قرية من القرى؛ يجعلها كسقف «المسقف علاليه بالمياه» وفى آخرها: «يكون مجد الرب إلى الدهر» والمراد بمجد الرب: مجد نبى الرب لقوله فى نبوءة ملكوت السموات: «فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا» (دانيال ٧: ١٤) والنبوءة فى المزمور المائة والرابع. وفيها: «لِتُبَد الخطأة من الأرض، والأشرار لا يكونوا بعد»

وهذا هو نص المزمور «باركى يا نفسى الرب. يا رب إلهى قد عظمت جدا مجدا وجلالا لبست. **اللابس النور كثوب الباسط السموات كشقة، المسقف علاليه بالمياه**، الجاعل السحاب مركبته، الماشى على أجنحة الريح، الصانع ملائكته رياحا وخدامه نارا ملتهبة، المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد. كسوتها الغمر كثوب. فوق الجبال تقف المياه. من انتهارك تهرب من صوت رعدك تفر. تصعد إلى الجبال. تنزل إلى البقاع إلى الموضع الذى أسسته لها. وضعت لها تخما لا تتعداه. لا ترجع لتغطى الأرض.

المفجر عيونا فى الأودية. بين الجبال تجرى. تسقى كل حيوان البر. تكسر

الفراء ظمأها. فوقـها طيور السماء تسكن. من بين الأغصـان تسمع صوتا. الساقى الجبال من علاليه. من ثمر أعمالك تشبع الأرض. المنبت عـشبا للبهائم وخضرة لخدمة الإنسان لإخراج خـبز من الأرض وخمر تفـرح قلب الإنسان لإلماع وجهـه أكثر من الزيت وخبز يسند قلب الإنسان. تشبع أشجار الرب أرز لبنان الذى نصبه. حيث تعشش هناك العصافير. أما اللقلق فالسرو بيته. الجبال العالية للوعول الصخور ملجأ للوبار.

صنع القمر للمـواقيت الشمس تعرف مغربهـا. تجعل ظلمة فيصيـر ليل. فيه يدب كل حيوان الوعر. الأشـبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الله طعـامها. تشرق الشمس فتجتمع وفى مآويها تربض. الإنسان يخرج إلى عمله وإلى شغله إلى المساء.

ما أعظم أعمالك يا رب. كلها بحكمة صنعت. ملآنة الأرض من غناك. هذا البحر الكبير الواسع الأطراف. هناك دبابات بلا عدد. صـغار حيوان مع كبار. هناك تجرى السفن. لوياثان هـذا خلقته ليلعب فيه. كلهـا إياك تترجى لترزقهـا قوتها فى حينه. تعطيها فتلتقط. تفتح يدك فتشبع خيرا. تحجب وجهك فترتاع. تنزع أرواحها فتموت وإلى ترابها تعود. ترسل روحك فتخلق. وتجدد وجه الأرض.

يكون مـجـد الرب إلى الدهر. يـفرح الـرب بأعـماله. الناظر إلى الأرض فترتعد. يمس الجبال فتدخن. أغنى للرب فى حياتى. أرنم لإلهى ما دمت موجوداً. فيلذ له نشـيدى وأنا أفرح بالرب. **لتبد الخطاة من الأرض والأشـرار لا يكونوا بعد.** باركى يا نفسى الرب. هللويا» (مزمور ١٠٤)

نبوءة والبحر المسجور:

فى الأصحاح الخامس عشر من سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى:

«ثم رأيت آية أخرى فى السمـاء عظيمة وعجيـبة. سبعة ملائكة مـعهم السبع الضربات الأخيرة؛ لأن بها أكمل غضب الله، **ورأيت كبحر من زجاج مختلط بنار،** والغالبين على الوحش[١] وصورته وعلى سمته[٢] وعدد اسمه[٣] واقفين على البحر الزجاجى، معهم قِيثارات الله. وهم يرتلون ترنيـمة موسى عبد الله وترنيمة الخروف قائلين: عظيـمة وعجـيبة هى أعـمالك أيها الرب الإله القـادر على كل شئ. عادلة

(١) ، (٢)، (٣) راجع المعنى فى كتابنا هرمجدون حقيقة أم خيال ـ نشر مكتبة الإيمان ـ بالمنصورة.

وحق هى طرقك يا ملك القديسين. من لا يخافك يا رب، ويمجد اسمك؛ لأنك وحدك قدوس؛ لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك؛ لأن أحكامك قد أُظهرت؟» (رؤ ١ : ١ ـ ٤)

لاحظ

and I saw what looked like a sea of glass mixed with fire and standing beside the sea

«ورأيت كبحر من زجاج مختلط بنار»

بعد هذه الملاحظة؛ تعلم من النص أنه نبوءة عن محمد ﷺ والعلم يكون من كلمات فى النص تشير إلى نبوءات كاملة عنه. ومن النبوءات المشار إليها: نبوءة المزمور السادس والثمانين. وفيها يقول النبى عن نفسه لله بظهر الغيب:

«أمل يا رب أذنك. استجب لى» وتكلم عن محاربة أعدائه له وضيقه منها فقال: «فى يوم ضيقى أدعوك» واعترف بوحدانية الله فقال: «أنت الله وحدك» وتكلم عن نجاته من الأشرار فى يوم الرب فقال: «يا رب أعنتنى وعزّيتنى»

ونص المزمور السادس والثمانين:

«أمل يا رب أذنك. أستجب لى. لأنى مسكين وبائس أنا. احفظ نفسى لأنى تقى. يا إلهى خلص أنت عبدك المتكل عليك. ارحمنى يا رب لأننى إليك أصرخ اليوم كله. فرح نفس عبدك لأننى إليك يا رب أرفع نفسى. لأنك أنت يا رب صالح وغفور وكثير الرحمة لكل الداعين إليك.

اصغ يا رب إلى صلاتى وأنصت إلى صوت تضرعاتى. فى يوم ضيقى أدعوك لأنك تستجيب لى. لا مثل لك بين الآلهة يا رب ولا مثل أعمالك. كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجد أمامك يا رب ويمجدون اسمك. لأنك عظيم أنت وصانع عجائب. أنت الله وحدك[١].

(١) ﴿قل: هو الله أحد﴾ وفى نص الوحدانية فى نشيد موسى أنه هو الصخرة. فهل الصمد هو الصخرة؟

علمنى يا رب طريقك. أسلك فى حقك. وحد قلبى لخوف اسمك. أحمدك يا رب إلهى من كل قلبى وأمجد اسمك إلى الدهر. لأن رحمتك عظيمة نحوى وقد نجيت نفسى من الهاوية السفلى.

اللهم المتكبرون قد قاموا علىّ وجماعة العتاة طلبوا نفسى، ولم يجعلوك أمامهم. أما أنت يا رب فإله رحيم ورءوف. طويل الروح وكثير الرحمة والحق. التفت إلى وارحمنى. أعط عبدك قوتك وخلص ابن أمتك. اصنع معى آية للخير فيرى ذلك مبغضى فيخزوا لأنك يا رب أعنتنى وعزيتنى» (مزمور ٨٦)

***

وفى سورة النجم:

يقول الله تعالى:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾

فى إنجيل متى: «ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير؛ فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت؛ فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح، من أقصاء السموات إلى أقصائها.

فمن شجرة التين تعلموا المثل. متى صار غصنها رخصا وأخرجت أوراقها؛ تعلمون أن الصيف قريب. هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذا كله؛ فاعلموا: أنه قريب على الأبواب. الحق أقول لكم: لا يمضى هذا الجيل، حتى يكون هذا كله. السماء والأرض تزولان، ولكن كلامى لا يزول. **وأما ذلك اليوم وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده...**» (متى ٢٤: ٢٩ ـ)

وفى إنجيل مرقس: «وأما فى تلك الأيام بعد ذلك الضيق. فالشمس تظلم والقمر لا يعطى ضوءه، **ونجوم السماء تتساقط**، والقوات التى فى السموات تتزعزع. وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا فى سحاب بقوة كثيرة ومجد...» (مرقس ١٣: ٢٤ ـ)

وفى إنجيل لوقا: «وتكون علامات فى الشمس والقمر والنجوم. وعلى الأرض كرب أمم بحَيْرة. البحر والأمواج تضجّ. والناس يُغشى عليهم من خوف

وانتظار ما يأتى على المسكونة؛ لأن قوات السموات تتزعزع. وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا فى سحابة بقوة ومجد كثير، ومتى ابتدأت هذه تكون؛ فانتصبوا وارفعوا رءوسكم؛ لأن نجاتكم تقترب. . .» (لوقا ٢١: ٢٥ ـ)

وسقوط النجوم: هو كناية عن شدة يوم الرب على اليهود، لا أن النجوم تسقط على الحقيقة. فحزقيال يقول عن هلاك يأجوج ومأجوج فى يوم الرب: «فترعش أمامى سمك البحر وطيور السماء ووحوش الحقل والدبابات التى تدب على الأرض، وكل الناس الذين على وجه الأرض، وتندكّ الجبال، وتسقط المعاقل، وتسقط كل الأسوار إلى الأرض» (حزقيال ٣٨: ٢٠) ولم يحدث الارتعاش على الحقيقة. وفى الإنجيل: «سقطتم من النعمة» (غل ٥: ٤) وهم لم يسقطوا على الحقيقة، وإنما المعنى هو أنهم لم يستحقوها. ومحرفو الإنجيل سرقوا نبوءات التوراة عن محمد ﷺ ووضعوها على عيسى عليه السلام. ومن هذه النبوءات؛ نبوءات يوم الرب. ووضعوها عليه حال قتله وصلبه ـ كما يزعمون ـ فقالوا: «وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين» (متى ٢٧: ٥١ ـ ٥٢)

وغرضهم من ذلك: إظهار أن نبوءات يوم الرب قد انطبقت عليه، ولن يأتى يوم الرب بعد. وقد ناقضوا أنفسهم؛ فإن بطرس من بعد المسيح زعم أن يوم الرب قد حل على الحواريين فى عيد الخمسين، وفى رسالة لبطرس أن يوم الرب سيأتى من بعد يوم الخمسين، ومن بعده بسنين كثيرة.

ويقول كثيرون من المسيحيين: إن نبوءة سقوط النجم هى للمسيح عيسى ـ عليه السلام ـ فى مجيئه الثانى المتزامن مع يوم القيامة. وقولهم باطل وذلك لأن المسيح يقول: «لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله» ويقول: «وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء» ولم يقل علامتى. وهو قد أخذ تعبير «ابن الإنسان» من كلام دانيال فى الأصحاح السابع عن محمد ﷺ فإنه قال: إن أربعة ممالك تقوم على الأرض. والمملكة الرابعة سيزيلها ابن الإنسان وسيؤسس لله مملكة لن تنقرض أبدا.

والمملكة الرابعة هى مملكة الروم. وقد أزالها محمد ﷺ فتكون النبوءة منطبقة؛ عليه بشهادة الواقع التاريخى.

ثم خاطب الله اليهود بقوله: ﴿أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى﴾

وفى سفر إشعياء: أن اليهود عبدوا «مناة» ذلك قوله: «أما أنتم الذين تركوا الرب، ونسوا جبل قدسى، ورتبوا للسعد الأكبر مائدة، وملأوا للسعد الأصغر خمرا ممزوجة؛ فإنى أعينكم للسيف، وتجثون كلكم للذبح...» (إش ٦٥: ١١ -) وفى ترجمة: «أما أنتم الذين نبذتم الرب، ونسيتم جبلى المقدس، وهيأتم مذبحا لإله الحظّ، وملأتم الكؤوس خمرا ممزوجة لإله القَدَر؛ فأجعل مصيركم الهلاك بالسيف»

وفى ترجمة دار المشرق بلبنان: لمناة.

وقد جاء فى روايات الآحاد: أن العرب هم الذين عبدوا الأصنام، وأن النبى مدحها وأثنى عليها بقوله: «تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى» وهذه المرويات باطلة. ولا أساس لها من الصحة؛ فإن العرب لم تعبد الأصنام قط من زمن إبراهيم عليه السلام وإلى هذا اليوم وإلى أن تقوم القيامة. فإن إبراهيم عليه السلام دعا الله تعالى حينما فرغ من تجديد الكعبة أن يجنب بنيه عبادة الأصنام. ولم يكن ولد له غير إسماعيل حال الدعاء، وطلب من الله أيضاً أن يبعث فى نسل إسماعيل نبيا هو محمد ﷺ وقد استجيبت الدعوة فى الأمرين. وإذ محمد قد بعث فيهم يكون بنوه محفوظين من الله عن عبادة الأصنام. وفى القرآن الكريم: أن الله قد عقد عهدا بينه كطرف أول، وبين إبراهيم وإسماعيل كطرف آخر، أن يطهرا الكعبة من الأصنام. ولم يصرح بأنهما نقضا العهد.

وختم السورة بقوله: ﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾ والإنذار يعقبه هلاك. وليس لمكة هلاك. لقوله: ﴿هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ ثم تكلم عن هلاك اليهود فى يوم الرب فقال: ﴿أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة﴾

وقال قبلا: ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ أى اقترب يوم الهلاك إشارة إلى أن عيسى عليه السلام بعدما عدد علامات ساعة هلاك اليهود فى يوم الرب. قال: «ويكرز

ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة شهادة لجميع الأمم. ثم يأتى المنتهى» (متى ٢٤ : ١٤) منتهى دهر الملك والنبوة فى بنى إسرائيل بظهور محمد ﷺ

وفى تبشير عيسى عليه السلام بمحمد ﷺ أنه «وفيما هو جالس على جبل الزيتون؛ تقدم إليه التلاميذ، على انفراد قائلين: قل لنا: متى يكون هذا؟ وما هى علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟...» (متى ٢٤ : ٣) إنهم يسألونه عن النبى الآتى الذى سيخرب الهيكل، ويقولون عند رؤيته بلسان الحال: «مبارك الآتى باسم الرب» وقد أجاب بأنه ستحدث علامات «ثم يأتى المنتهى»

والدهر عند اليهود: هو المدة من حين نزول التوراة إلى حين ظهور النبى الأمى الآتى على مثال موسى. ثم يبدأ دهر جديد يبدأ من النبى المنتظر وينتهى بقيام القيامة، وانتهاء الحياة الدنيا. ففى مدة الدهر الأول **﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾**؟ أى فى هذه المدة مدة الدهر الأول هل ترك الله اليهود بدون رسل؟ كلا. فإن الرسل من بعد موسى كانت تترى على اليهود. ومعنى ذلك: أن الله لم يتركهم سدى.

***

وفى سورة القمر:

يقول الله تعالى:

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾

البيان:

المراد بالساعة: ساعة هلاك اليهود فى يوم الرب على يد أصحاب محمد

ﷺ وعبر باقترب، للدلالة على أنهـا لن تطول أيامها. وقال النبى ﷺ فى هذا المعنى: «بعثت أنا والساعـة كهاتين» وقال الرواة: إن الساعـة هى ساعة قيام القـيامة وانتهاء الحياة الدنيا. وقولهم باطل؛ فإن الاقتراب فى لغة العرب التى نزل بها القرآن الكريم يدل على مدة قصيرة.

وفى القرآن: أنه لن تقوم القيامـة إلا إذا اعتنق العالم كله دين الإسلام. ذلك قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ والدين لم يسد على العالم بعد. فـتكون القيامة بعد ملايين السنين.

وقال الرواة: إن انشقاق القمر قد حدث أو سيحدث معجزة حسية لرسول الله ﷺ. وفى القرآن ما يرد قولهم وهو قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؟ ومن أوصاف محمـد ﷺ أن يخبر بالغيب؛ فإن اليـهود قالوا لموسى عليه السلام: كيف نميز ونعرف النبى الصادق من النـبى الكاذب؟ وأجاب بقوله: إن النبى الصـادق يخبر عن أشـياء تحدث فى المستقـبل، وتحدث كما يقول. ومحمد ﷺ قد أنبـأ بغيوب، وحدثت. ومنها هلاك اليـهود فى يوم الرب. ذلك قـوله فى التوراة: «وإن سألتـم فى أنفسكم كيف نميز الكلام الذى لم يصدر عن الرب؟ فإن كل ما يتنبأ به النبى باسم الرب ولا يتحقـق؛ يكون ادعاء منه، لم ينطق به الرب، بل بطغيـان تكلم به النبى؛ فلا تخف منه» (تث ١٨: ٢١ ـ ٢٢) وفى الإنجيل يقـول المسيح وهو يتحـدث عن بيراكليت. وهو اسم أحـمد ﷺ: «مـازال عندى أمـور كثـيرة أقـولهـا لكم، ولكنكم الآن تعجزون عن احتمالها. ولكن عندما يأتيكم روح الحق؛ يرشدكم إلى الحق كله؛ لأنه لا يقول شيـئا من عنده، بل يخبركم بما يـسمعه، ويطلعكم على مـا سوف يحدث» (يوحنا ١٦: ١٢ ـ ١٤)

وفى القرآن الكريم: أن اليهـود لما سألوا معجزات حسـية. بين لهم أن الغيب لله. ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ يشير إلى العلامة الوحيدة المميزة له عن أدعياء

النبوة. وهى إخباره بغيب. وما هو الغيب الذى أخبر به فى هذه الآية؟ هو إهلاكه اليهود الكافرين به فى يوم الرب؛ لأنهم ينتظرون هذا اليوم؛ استخفافا به. وهو يقول له: انتظر معهم؛ فإن النصر حليفك

وفى سفر إشعياء عن يوم الرب: «ها هو يوم الرب آت مفعما بالقسوة والسخط والغضب العنيف؛ ليجعل الأرض خرابا، ويبيد منها الخطاة؛ **فإن نجوم السماء**[1] **وكواكبها لا تشرق بنورها**، والشمس تظلم عند بزوغها والقمر لا يشع بضوئه. وأعاقب العالم على شره، والمنافقين على آثامهم، وأضع حدا لصلف المتغطرسين وأذل كبرياء العتاة، فيصبح الرجال لقلة عددهم أندر من الذهب النقى، وأعز من ذهب أوفير. وأزلزل[2] السموات فتتزعزع الأرض فى موضعها من غضب الرب القدير فى يوم احتدام سخطه» (إشعياء ١٣ : ٩ ـ ١٣)

ومن نبوءات التوراة عن محمد ﷺ نبوءات انتظار يوم الرب لينتصر فيه على أعدائه. وهذا هو نص المزمور الخامس:

«لكلماتى أصغ يا رب. تأمل صراخى. استمع لصوت دعائى يا ملكى وإلهى لأنى إليك أصلى. يا رب بالغداة تسمع صوتى. بالغداة أوجه صلاتى نحوك وأنتظر.

لأنك أنت لست إلها يسر بالشر. لا يساكنك الشرير. لا يقف المفتخرون قدام عينيك. أبغضت كل فاعلى الإثم. تهلك المتكلمين بالكذب. رجل الدماء والغش يكرهه الرب. أما أنا فبكثرة رحمتك **أدخل بيتك**[3]. أسجد فى هيكل قدسك؛ بخوفك.

يا رب اهدنى إلى برك بسبب أعدائى. سهل قدامى طريقك. لأنه ليس فى أفواههم صدق. جوفهم هوة. حلقهم قبر مفتوح. ألسنتهم صقلوها. دنهم يا ألله. ليسقطوا من مؤامراتهم بكثرة ذنوبهم. طوّح بهم لأنهم تمردوا عليك.

ويفرح جميع المتكلين عليك. إلى الأبد يهتفون وتظللهم. ويبتهج بك محبو اسمك. لأنك أنت تبارك الصّديق يا رب. كأنه بترس تحيطه بالرضا» (مزمور ٥)

(١) قال الله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى﴾

(٢) قال الله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ (٣) الكعبة البيت الحرام.

وقد قرأت فى تفسير القرطبى: أن من العلماء من فسر انشقاق القمر بتفسير مجازى. معناه: أنه قد وضح أمر الإسلام وضوحا جليا كوضوح نور القمر.

ثم تكلم عن اليهود فقال: ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ وفى أكثر من سورة أن اليهود وصفوا القرآن بالسحر ووصفوا محمدا ﷺ بالمسحور.

ثم تكلم عن يوم الرب فقال: ﴿فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شئ نكر﴾ والنكر ههنا هو الحرب فى يوم الرب. لأنهم سيخرجون من الحرب فى هذا اليوم وهم أذلة ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ فى الكثرة. وعبر بالخروج من الأجداث لأنهم - مجازا - موتى. إذ هم لا يعملون بالتوراة التى تلزمهم بالدخول فى دين محمد ﷺ إذا جاء. ومن لا يعمل بها يكون ميتا، ومن يعمل بها يكون حيا - مجازا - وفى التوراة والإنجيل هذا المعنى وهو: «افعل هذا؛ فتحيا» (لوقا ١٠ : ٢٨) «احفظ وصاياى؛ فتحيا» (أمثال ٤ : ٤) ولأن مثوى الميت هو القبر؛ عبر عن موتهم المجازى بأنهم فى القبور ﴿فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ ووصف حالهم فى يوم الرب فقال: ﴿يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾

وختم السورة بقوله لليهود: أكفار اليهود خير من كفار قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون؟ أليسوا كلهم خلق من خلقى، وقد كفروا بى؟ فالمصير الذى صار إليه السابقون هو نفسه مصير اليهود ولن ينفعهم أنهم أبناء إبراهيم. لأن إبراهيم هو الذى طلب محمدا من الله. وقد استجاب له[1]. فالمكذب له مكذب لله ومكذب أيضا لإبراهيم ﴿أكفاركم﴾ يا يهود ﴿خير من أولئكم﴾السابقين ﴿أم لكم براءة﴾ من الهلاك أن كذبتم ﴿فى الزبر﴾؟ وهى صحف الأولين من المؤكد أنكم مشتركون مع السابقين فى أنكم خلق من خلق الله، وليست لكم براءة.

ومما يدل على نفى البراءة: قول يحيى عليه السلام لليهود: «يا أولاد الأفاعى. من أنذركم لتهربوا من الغضب الآتى؟ فأثمروا ثمرا يليق بالتوبة، ولا تعللوا أنفسكم

(١) قال الله تعالى: ﴿والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له﴾ يعنى أن اليهود لا يريدون محمدا فى هذا الزمان فلماذا يجادلون فى أن لايكون نبيا، من بعد ما استجبنا لإبراهيم فى قوله: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم﴾؟

قائلين: لنا إبراهيم أبا. فإنى أقول لكم: إن الله قادر أن يطلع من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم. وها إن الفأس قد أُلقيت على أصل الشجر. فكل شجرة لا تثمر ثمرا جيدا؛ تقطع وتطرح فى النار. أنا أعمدكم بماء لأجل التوبة. ولكن الآتى هو أقدر منى، وأنا لا أستحق أن أحمل حذاءه. هو سيعمدكم بالروح القدس وبالنار. فهو يحمل المذرى بيده، وسينقى بيدره تماما؛ فيجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ» (متى ٣: ٧ ـ ١٢)

لاحظ:

«وبالنار» وتذكر تعبيرات القرآن عن هلاك اليهود الكافرين فى يوم الرب التى فيها وصف المعركة بالنار. ولاحظ: «يحمل المذرى» وتذكر ﴿والذاريات ذروا﴾

ثم قال: ﴿سيهزم الجمع﴾ فى معركة الساعة فى يوم الرب ﴿ويولون الدبر﴾ ويوم الرب هو نفسه المعركة التى قال عنها المسيح عيسى عليه السلام: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة...» وقد بين وقت العذاب بأنه فى الساعة. فقال: ﴿بل الساعة موعدهم، والساعة أدهى وأمر﴾ ثم قال عن يوم الرب: ﴿يوم يسحبون فى النار على وجوههم﴾ والمراد بالنار: الكناية عن شدة المعركة. كما قال يحيى عليه السلام. وتقول لهم الملائكة: ﴿ذوقوا مس سقر﴾

***

وفى سورة الواقعة:

والواقعة: إما أن تكون يوم القيامة العامة من الأموات للحساب بين يدى الله الحى. وإما أن تكون هى المصيبة التى ستحل باليهود فى يوم الرب فى الساعة التى قال عنها عيسى عليه السلام: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده» (متى ٢٤ : ٣٦)

وإذ الواقعة تحتمل هذين المعنيين؛ فإنه لابد من محكم يعين أحد المعنيين، أو قرائن تُوجد فى النص تُرجح أحد المعنيين. ونحن نشاهد الموتى تخرج أرواحهم وهم نيام أو قيام أو مرضى أو أصحاء وليس مع خروج لروح تشاهد انشقاق السماء بالغمام، ونزول الملائكة، وتقطيع الجبال إلى قطع صغيرة، ثم جعلها هباء فى الجو،

وليس من ارتجاج للأرض. وما شابه ذلك.

وإذا قلنا بأن ذلك سيكون عند انتهاء الحياة الدنيا. فعند انتهائها لا يكون العالم كله من لدن آدم إلى انقطاع نسله؛ على قيد الحياة حتى يتساوى الأموات فى الصعقة. مؤمنهم وكافرهم. ونحن نعلم أن المؤمنين لا يحزنهم الفزع الأكبر. ولذلك تكون الواقعة لقرائن فى النص: خاصة بالمصيبة التى ستحل باليهود فى يوم الرب. منها قوله ﴿وكنتم﴾ لمن يقول ﴿وكنتم﴾؟ من المؤكد أنه يقول عن اليهود . يقول ﴿وكنتم﴾ عند نهاية ملككم ونسخ شريعتكم فى يوم الرب على ثلاثة أقسام. كل قسم فيه رجال ونساء. الرجل وزوجه من السابقين، والرجل وزوجه من أصحاب اليمين، والرجل وزوجه من أصحاب الشمال. ثم عيّن المخاطبين فى ﴿وكنتم﴾ فقال: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾ اليوم الذى نسخت فيه شريعتهم، وأصبح العمل بها لا يقرّب إلى الله ﴿مترفين﴾ فمن هم المترفون الداخلون فى النار؟ ليس إلا اليهود فى ذاك الوقت ﴿وكانوا يصرون على الحنث العظيم﴾ من هم الموصوفون فى القرآن بأنهم ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؟ ليس إلا اليهود فى ذاك الوقت ﴿وكانوا يقولون: أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أءنا لمبعوثون؟﴾ من هم الذين قالوا هذا القول؟ هم اليهود المعاصرون لمحمد ﷺ ثم قالوا: ﴿أو آباؤنا الأولون﴾؟ أيضا مبعوثون.

هذه هى الأسئلة والأوصاف. والجواب هو: ﴿قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾ ههنا كلام عن ميقات يوم معلوم. وهو يوم القيامة. فتكون الواقعة فى بدء الكلام ميقات أول فى الدنيا لهلاك وفناء تام. وليس ذلك إلا فى يوم الرب. وأكد على ميقات القيامة بقوله: ﴿هذا نزلهم يوم الدين﴾

وبعدما عدد لليهود المخاطبين بقوله ﴿وكنتم﴾ دلائل قدرته. سألهم ﴿أفبهذا الحديث أنتم مدهنون؟﴾

والآيات التى فى بدء السورة هى:

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا﴾

البيان:

يخبـر عن واقعة واحدة بعـينها معروفـة للمخاطبين. إذا وقعت تعـزّ من كان ذليلا وترفع من كان منخفضا. فهى رافعة لأمـة، وخافضة لأمة كانت مرتفعة. مثل قوله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ**﴾ وهذا هو الذى حدث فى معركة الساعة فى يوم الرب. العرب الذين كانوا مرءوسين من اليهود؛ لأن البركة كانت معهم؛ صاروا رؤساء على اليهـود؛ لأن البركة انتقلت إليهم. وورثوا أرضهم وديارهم وملكوا عليهم وحكموهم بشريعة القرآن.

وأشار بارتجاج الأرض إلى نبوءة عن محمد ﷺ والارتجاج: كناية عن شدة المعركة. وأشار ببّس الجبال إلى نبوءة عنه أيـضا. وكل نبوءة فيها ما يدل على هلاك الكافرين به فى هذه المعركة.

نبوءة ارتجاج الأرض:

نص المزمور الثامن عشر:

«أحبك يا رب يا قوتى. الرب صخرتى وحصنى ومنقذى. إلهى صخرتى. به أحتمى. ترسى وقرن خلاصى وملجإى. أدعـو الرب الحميد فأتخلص من أعدائى. اكتنفتنى حـبال الموت. وسيـول الهلاك أفزعتنى. حـبال الهاوية حـاقت بى. أشراك الموت انتشبت بى. فـى ضيقى دعوت الرب وإلى إلهى صرخت. فـسمع من هيكله صوتى وصراخى قدامه دخل أذنيه. **فارتجت الأرض وارتعشت أسس الجبال ارتعدت وارتجت؛ لأنه غضب.**

صـعد دخـان من أنفـه. ونار من فمـه أكلت. جـمر اشـتـعلت منه. طأطأ السمـوات ونزل وضباب تحـت رجليه. ركب على كروب وطار وهف عـلى أجنحة الرياح. جعل الظلمة ستره حوله مظلته ضباب المياه وظلام الغمام. من الشعاع قدامه عبرت سـحبه. برد وجمـر نار. أرعد الرب من السمـوات والعلى أعطى صوته بردا وجمر نار، أرسل سـهامه فشتـتهم، وبروقا كثيـرة فأزعجهم. فظهرت أعـماق المياه وانكشفت أسس المسكونة **من زجرك يارب** من نسمـة ريح أنفك. أرسل من العلى فأخذنى. نشلنى من مياه كثيرة. أنقـذنى من عدوى القوى ومن مبغضى لأنهم أقوى

منى. أصابونى فى يوم بليتى وكان الرب سندى. أخرجنى إلى الرحب. خلصنى لأنه سر بى. يكافئنى الرب حسب برّى. حسب طهارة يدى يرد لى. لأنى حفظت طرق الرب ولم أعص إلهى. لأن جميع أحكامه أمامى وفرائضه لم أبعدها عن نفسى. وأكون كاملا معه وأتحفظ من إثمى. فيرد الرب لى كبرّى وكطهارة يدى أمام عينيه.

مع الرحيم تكون رحيما. مع الرجل الكامل تكون كاملا. مع الطاهر تكون طاهراً. ومع الأعوج تكون ملتويا. لأنك أنت تخلّص الشعب البائس والأعين المرتفعة تضعها. لأنك أنت تضئ سراجى. الرب إلهى ينير ظلمتى. لأنى بك اقتحمت جيشا وبإلهى تسورت أسواراً. الله طريقه كامل. قول الرب نقى. ترس هو لجميع المحتمين به. لأنه من هو إله غير الرب. ومن هو صخرة سوى إلهنا. الإله الذى يمنطقنى بالقوة ويصيرّ طريقى كاملا. الذى يجعل رجلى كالإيّل وعلى مرتفعاتى يقيمنى. الذى يعلم يدى القتال فتحنى بذراعى قوس من نحاس. وتجعل لى ترس خلاصك ويمينك تعضدنى ولطفك يعظمنى. توسع خطواتى تحتى؛ فلم تتقلقل عقباى. أتبع أعدائى فأدركهم ولا أرجع حتى أفنيهم. أسحقهم فلا يستطيعون القيام. يسقطون تحت رجلى. تمنطقنى بقوة للقتال. تصرع تحتى القائمين على. وتعطينى أقفية أعدائى. ومبغضى أفنيهم. يصرخون ولا مخلّص. إلى الرب فلا يستجيب لهم. فأسحقهم كالغبار قدام الريح. مثل طين الأسواق أطرحهم. تنقذنى من مخاصمات الشعب. **تجعلنى رأسا للأمم. شعب لم أعرفه يتعبد لى. من سماع الأذن يسمعون لى. بنو الغرباء يتذللون لى.** بنو الغرباء يبلون ويزحفون من حصونهم. حى هو الرب ومبارك صخرتى ومرتفع إله خلاصى. الإله المنتقم لى **والذى يخضع الشعوب تحتى. منجى من أعدائى. رافعى أيضا فوق القائمين على.** من الرجل الظالم تنقذنى. لذلك أحمدك يا رب فى الأمم، وأرنم لاسمك. برج خلاص لملكه، والصانع رحمة لمسيحه. لداود ونسله إلى الأبد» (المزمور ١٨)

نبوءة بست الجبال:

تمهيد:

فى سفر إشعياء كلام عن اليهود. فيه نجاة للأخيار فى يوم الرب، وفيه هلاك

للأشرار فى يوم الرب. والأخيار يقيمون فى فلسطين وأورشليم مع أتباع النبى الآتى ويكون الجميع شعبا واحدا. والأشرار يهلكون مع شركائهم وتطهر الأرض منهم.

والأصحاح الخامس والستون يدل على ذلك. وقد استدل به «بولس» فى رسالته إلى أهل روما على أن الله قد رفض اليهود من السير أمامه. ونصه:

«أصغيت إلى الذين لم يسألوا. وُجدت من الذين لم يطلبونى. قلت: هأنذا لأمة لم تسم باسمى. بسطت يدى طول النهار إلى شعب متمرد سائر فى طريق غير صالح وراء أفكاره. شعب يغيظنى بوجهى دائماً يذبح فى الجنات ويبّخر على الآجر. يجلس فى القبور ويبيت فى المدافن يأكل لحم الخنزير وفى آنيته مرق لحوم نجسة. يقول: قف عندك. لا تدن منى لأنى أقدس منك. هؤلاء دخان فى أنفى. نار متقدة كل النهار. ها قد كتب أمامى. لا أسكت بل أجازى. أجازى فى حضنهم. آثامكم وآثام آبائكم معا. قال الرب. الذين بخّروا على الجبال وعيرونى على الآكام فأكيل عملهم الأول فى حضنهم.

هكذا قال الرب. كما أن السلاف يوجد فى العنقود، فيقول قائل: لا تهلكه لأن فيه بركة. هكذا أعمل لأجل عبيدى حتى لا أهلك الكل. بل أخرج من يعقوب نسلا ومن يهوذا وارثا لجبالى فيرثها مختارى وتسكن عبيدى هناك. فيكون شارون مرعى غنم ووادى عخور مربض بقر لشعبى الذين طلبونى.

أما أنتم الذين تركوا الرب ونسوا جبل قدسى ورتبوا للسعد الأكبر مائدة وملأوا للسعد الأصغر خمرا ممزوجة فإنى أعينكم للسيف وتجثون كلكم للذبح لأنى دعوت فلم تجيبوا. تكلمت فلم تسمعوا بل عملتم الشر فى عينى واخترتم ما لم أسر به. لذلك هكذا قال السيد الرب. هوذا عبيدى يأكلون وأنتم تجوعون، هو ذا عبيدى يشربون وأنتم تعطشون. هو ذا عبيدى يفرحون، وأنتم تخزون. هوذا عبيدى يترنمون من طيبة القلب وأنتم تصرخون من كآبة القلب. ومن انكسار الروح تولولون. وتخلفون اسمكم لعنة لمختارى فيميتك السيد الرب ويسمى عبيده اسما آخر. فالذى يتبرك فى الأرض يتبرك بإله الحق، والذى يحلف فى الأرض يحلف بإله الحق لأن

الضيقات الأولى قد نسيت ولأنها استترت عن عينى.

لأنى هأنذا خالق سموات جديدة وأرضا جديدة فلا تذكر الأولى ولا تخطر على بال. بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد فى ما أنا خالق لأنى هأنذا خالق أورشليم بهجة وشعبها فرحاً. فأبتهج بأورشليم وأفرح بشعبى ولا يسمع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ. لا يكون بعد هناك طفل أيام ولا شيخ لم يكمل أيامه. لأن الصبى يموت ابن مئة سنة والخاطئ يلعن ابن مئة سنة. ويبنون بيوتا ويسكنون فيها ويغرسون كروما ويأكلون أثمارها. لا يبنون وآخر يسكن ولا يغرسون وآخر يأكل. لأنه كأيام شجرة؛ أيام شعبى. ويستعمل مختارى عمل أيديهم. لا يتعبون باطلا ولا يلدون للرعب لأنهم نسل مباركى الرب وذريتهم معهم. ويكون أنى قبلما يدعون أنا أجيب وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع. الذئب والحمل يرعيان معا والأسد يأكل التبن كالبقر. أما الحية فالتراب طعامها. لا يؤذون ولا يهلكون فى كل جبل قدسى. قال الرب»

***

ولما تكلم إشعياء عن النبى الآتى وعن شعبه؛ أطال الكلام. وقال عن الأخيار: إن الله سينصرهم على أعدائهم فى يوم الرب. ووصف الله بالقدوس. والقدوس فى اللغة العبرانية معناه الذى لا يتغير. وقال: «ها أنذا قد جعلتك نورجا محددا جديدا ذا أسنان. تدرس الجبال وتسحقها» ودرس الجبال: هو تقطيعها إلى قطع صغيرة. وسحقها: هو دقها حتى تصير شبه الدقيق وشبه الهباء الذى هو أكثر سحقا من الدقيق. وهذا يطير فى الجو من خفته فلا يكون له أثر.

وهذا التعبير كناية عن إضعاف شوكة العدو. ثم قال: «وتجعل الآكام كالعصافة. تذريها. فالريح تحملها، والعاصف تبددها» (إش ٤١: ١٥ ـ ١٦) وفى ترجمة أخرى: «وها أنا أجعلك نورجا محددا جديدا مسنَّنا. فتدرُسُ الجبال، وتجعل التلال كالعصافة. فتذرّيها، وتحملها الرياح بعيدا، وتبددها الزوبعة» وهذا شبه قوله تعالى: ﴿وبست الجبال بسا؛ فكانت هباء منبثا﴾

وهذه النبوءة طويلة، ومعانيها مكررة. وفيها الكلام عن ﴿وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ وفيها الكلام عن ﴿خافضة رابعة﴾

وهذه النبوءة قد احتج بها على اليهود فى مجئ محمد ﷺ يحيى عليه السلام وعيسى عليه السلام

ونكتفى منها بهذا القدر. من الأصحاح الأربعين من سفر إشعياء وما بعده؛ وهو:

«عزّوا عزوا شعبى. يقول إلهكم. طيّبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل. أن إثمها قد عفى عنه. أنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها.

صوت صارخ فى البرية: أعدوا طريق الرب. قوّموا فى القفر سبيلا لإلهنا. كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمة ينخفض ويصير المعوج مستقيما والعراقيب سهلا. فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميعا لأن فم الرب تكلم.

صوت قائل ناد. فقال: بماذا أنادى؟. كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبت عليه. حقا الشعب عشب. يبس العشب ذبل الزهر. **وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد**.

على جبل عال اصعدى يا مبشرة صهيون. ارفعى صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم. ارفعى لا تخافى. قولى لمدن يهوذا: هوذا إلهك. هوذا السيد الرب بقوة يأتى وذراعه تحكم له. هوذا أجرته معه وعملته قدامه. كراع يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان وفى حضنه يحملها ويقود المرضعات.

من كال بكفه المياه وقاس السموات بالشبر وكال بالكيل تراب الأرض ووزن الجبال بالقبان والآكام بالميزان؟ من قاس روح الرب ومن مشيره يعلمه؟ من استشاره فأفهمه وعلمه فى طريق الحق وعلمه معرفة وعرفه سبيل الفهم؟ هو ذا الأمم كنقطة من دلو وكغبار الميزان تحسب. هوذا الجزائر يرفعها كدقة. ولبنان ليس كافيا للإيقاد وحيوانه ليس كافيا لمحرقة. كل الأمم كلا شئ قدامه. من العدم والباطل تحسب عنده.

فبمن تشبهون الله. وأى شبه تعادلون به؟ الصنم يسبكه الصانع، والصائغ

يغشيه بذهب ويصوغ سلاسل فضة. الفقير عن التقدمة ينتخب خشبا لا يسوس بالمطرقة، الضارب على السندان قائلا عن الإلحام: هو جيد. فمكنه بمسامير حتى لا يتقلقل.

وأما أنت يا إسرائيل عبدى. يا يعقوب الذى اخترته. نسل إبراهيم خليلى، الذى أمسكته من أطراف الأرض ومن أقطارها دعوته وقلت لك: أنت عبدى اخترتك ولم أرفضك. لا تخف لأنى معك. لا تتلفت لأنى إلهك. قد أيدتك وأعنتك وعضدتك بيمين برى. إنه سيخزى ويخجل جميع المغتاظين عليك. يكون كلا شئ مخاصموك ويبيدون. تفتش على منازعيك ولا تجدهم. يكون محاربوك كلا شئ وكالعدم. لأنى أنا الرب إلهك الممسك بيمينك القائل لك: لا تخف أنا أعينك.

لا تخف يا دودة يعقوب، يا شرذمة إسرائيل. أنا أعينك. يقول الرب: وفاديك قدوس إسرائيل. **هأنذا قد جعلتك نورجا محددا جديدا ذا أسنان. تدرس الجبال وتسحقها وتجعل الآكام كالعصافة**. تذريها. فالريح تحملها، والعاصف تبددها. وأنت تبتهج بالرب. بقدوس إسرائيل تفتخر.

البائسون والمساكين طالبون ماء ولا يوجد. لسانهم من العطش قد يبس. أنا الرب أستجيب لهم. أنا إله إسرائيل لا أتركهم. أفتح على الهضاب أنهارا وفى وسط البقاع ينابيع. أجعل القفر أجمة ماء والأرض اليابسة مفاجر مياه. أجعل فى البرية الأرز والسنط والآس وشجرة الزيت. أضع فى البادية السرو والسنديان والشربين معا. لكى ينظروا ويعرفوا ويتنبهوا ويتأملوا معا أن يد الرب فعلت هذا وقدوس إسرائيل أبدعه.

قدموا دعواكم. يقول الرب. أحضروا حججكم. يقول ملك يعقوب. ليقدموها ويخبرونا بما سيعرض. ما هى الأوّليات؟ أخبروا فنجعل عليها قلوبنا ونعرف آخرتها. يطلب له صانعا ماهرا لينصب صنما لا يتزعزع.

ألا تعلمون. ألا تسمعون. ألم تخبروا من البداءة. ألم تفهموا من أساسات الأرض. الجالس على كرة الأرض وسكانها. كالجندب. الذى ينشر السموات كسرادق، ويبسطها كخيمة للسكن الذى يجعل العظماء لا شيئا ويصير قضاة الأرض

كالباطل، لم يزرعوا ولم يتأصل فى الأرض ساقهم فنفخ أيضا عليهم فجفوا والعاصف كالعصف يحملهم. فبمن تشبهوننى فأساويه؟ يقول القدوس. ارفعوا إلى العلاء عيونكم وانظروا من خلق هذه. من الذى يخرج بعدد جندها. يدعو كلها بأسماء. لكثرة القوة وكونه شديد القدرة؛ لا يفقد أحد.

لماذا تقول يا يعقوب وتتكلم يا إسرائيل: قد اختفت طريقى عن الرب وفات حقى إلهى؟ أما عرفت أم لم تسمع؟ إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا. ليس عن فهمه فحص. يعطى المعيى قدرة ولعديم القوة يكثر شدة. الغلمان يعيون ويتعبون والفتيان يتعثرون تعثرا. وأما منتظرو الرب فيجددون قوة. يرفعون أجنحة كالنسور. يركضون ولا يتعبون. يمشون ولا يعيون.

أنصتى إلىّ أيتها الجزائر ولتجدد القبائل قوة. ليقتربوا ثم يتكلموا. لنتقدم معا إلى المحاكمة. من أنهض من المشرق الذى يلاقيه النصر عند رجليه؟ دفع أمامه أمما وعلى ملوك سلّطه جعلهم كالتراب بسيفه وكالقش المنذرى بقوسه. طردهم. مر سالما فى طريق لم يسلكه برجليه. من فعل وصنع داعيا الأجيال من البدء؟ أنا الرب الأول ومع الآخرين أنا هو.

نظرت الجزائر فخافت. أطراف الأرض ارتعدت. وجاءت. كل واحد يساعد صاحبه ويقول لأخيه: تشدد. فشدد النجار الصائغ. الصاقل. أو أعلمونا المستقبلات. أخبروا بالآتيات فيما بعد فنعرف أنكم آلهة وافعلوا خيرا أو شرا فنلتفت وننظر معا. ها أنتم من لا شئ وعملكم من العدم. رجس هو الذى يختاركم.

قد أنهضته من الشمال فأتى. من مشرق الشمس يدعو باسمى. يأتى على الولاة. كما على الملاط وكخزاف يدوس الطين. من أخبر من البدء حتى نعرف؟ ومن قبل حتى نقول هو صادق؟ لا مخبر ولا مسمع ولا سامع أقوالكم. أنا أولا قلت لصهيون: ها ها هم **ولأورشليم جعلت مبشرا**. ونظرت فليس إنسان ومن هؤلاء فليس مشير حتى أسألهم فيردون كلمة. ها كلهم باطل وأعمالهم عدم ومسبوكاتهم ريح وخلاء.

هوذا عبدى الذى أعضده، مختارى الذى سرت به نفسى. وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ. إلى الأمان يخرج الحق. لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته.

هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض ونتائجها. معطى الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحا: **أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك واحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم**؛ لتفتح عيون العمى؛ لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة.

أنا الرب هذا اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر ولا تسبيحى للمنحوتات. هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها. قبل أن تنبت أعلمكم بها. غنوا للرب أغنية جديدة، تسبيحه من أقصى الأرض. أيها المنحدرون فى البحر وملؤه والجزائر وسكانها. لترفع البرية ومدنها صوتها. **الديار التى سكنها قيدار**. لتترنم سكان سالع. من رءوس الجبال ليهتفوا. ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر. الرب كالجبار يخرج. كرجل حروب ينهض غيرته. يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه.

قد صمت منذ الدهر. سكت تجلدتُ. كالوالدة أصيح. أنفخ وأنخر معا. أخرب الجبال والآكام وأجفف كل عشبها وأجعل الأنهار يبسا وأنشف الآجام وأسير العمى فى طريق لم يعرفوها. فى مسالك لم يدروها أمشيهم. أجعل الظلمة أمامهم نورا والمعوجات مستقيمة. هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم. قد ارتدوا إلى الوراء. يخزى خزيا المتكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات: أنتن آلهتنا.

أيها الصم اسمعوا. أيها العمى انظروا لتبصروا. من هو أعمى إلا عبدى وأصم كرسولى الذى أرسله. من هو أعمى كالكامل وأعمى كعبد الرب. ناظر كثيرا ولا تلاحظ. مفتوح الأذنين ولا يسمع. الرب قد سر من أجل بره. يعظم الشريعة ويكرمها. ولكنه شعب منهوب ومسلوب قد اصطيد فى الحفر كله وفى بيوت الحبوس اختبأوا. صاروا نهبا ولا منقذ، وسلبا وليس من يقول: ردّ.

من منكم يسمع هذا؟ يصغى ويسمع لما بعد. من دفع يعقوب إلى السلب وإسرائيل إلى الناهبين؟ أليس الرب الذى أخطأنا إليه ولم يشاءوا أن يسلكوا فى طرقه، ولم يسمعوا لشريعته؟ فسكب عليه حموّ غضبه وشدة الحرب؛ فأوقدته من كل ناحية ولم يعرف، وأحرقته ولم يضع فى قلبه» (إشعياء ٤٠+)

الأولون والآخرون:

ثم تكلم عن الأولين والآخرين. فقال: ﴿وكانوا يقولون: أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما: أأنا لمبعوثون؟ أو آباؤنا الأولون﴾ قالوا لنا ذلك فى أسفارهم؟ أى لم يقولوا ذلك. وهم كاذبون فى قولهم: إن آباءهم الأولين لم يخبروهم بنسخ التوراة على نبى سيأتى هو مثل موسى. هذا هو التفسير الصحيح لقوله: ﴿أو آباؤنا الأولون﴾؟ ومعنى قولهم هذا:

أنهم إذا تركوا شريعة موسى، وماتوا عنها. أهم سيحيون حياة جديدة على الشريعة الجديدة؟ يقولون هذا على سبيل الاستبعاد، أى لن يحدث منا ذلك. ثم قال: ﴿ قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾

ويفسر هذا القول: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾

فالمستقدمون: هم اليهود. والمستأخرون: هم العرب أصحاب محمد ﷺ. والأولون: هم اليهود، والآخرون: هم أصحاب محمد ﷺ وسيحشر الله اليهود فى يوم الرب مع أفواج من الأمم المكذبة بآيات الله. وسيكون الحشر فى ميقات الساعة التى لايعلمها إلا الله وحده وسيهزم اليهود وشركاؤهم ويولون الدبر.

ومثل هذا المعني: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

يخبر: أن نجاهم من فرعـون، واختارهم من بين الأمم الوثنية لمنع الوثنية، ثم قال: إن هؤلاء المعاصـرين الذين انتهت إليهم أواخر الدهور ليـقولون: إننا متنا عن شريعـة نوح، وقبلنا الحياة على شـريعة موسى. فهى مـوتة واحدة. ولايحق لنا أن نموت مرة أخـرى عن التوراة، ونقبل القـرآن ﴿مانحن بمنشـرين﴾ وإن كنتم صادقين فائتوا بكتب آبائنا تشهد لكم أنهم ألزمونا بصحة دين الإسلام.

وقد هددهم الله بأنهم إذا ارتدوا عن دينهم ـ وهو التوراة التى تلزمهم بالإيمان بمحمد ﷺ ـ فسوف يأتى الله بقوم غيرهم. ذلك قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** وقد أتى الله بأمة بنى إسماعيل عليه السلام عوضا عن بنى إسرائيل. الذين ارتدوا عن دينهم، الذى يلزمـهم بنبوة محمـد ﷺ وخاطبهم بقوله: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾**

والتفسيـر الصحيح للأولين وللآخرين: هو أن الأولين هم أمة محمد ﷺ والآخرين هم أمة اليهود، واليهود هم من زمن موسى إلى زمن محمد ﷺ وبيان ذلك:

١ ـ أن دانيال النبى قد أنبأ عن أربعة ممالك تقوم على الأرض هى بابل وفارس واليونان والرومان. وسمى دانيال مملكة هذا النبى بملكوت الله أو بملكوت السموات.

٢ ـ وأنبأ عن نبى سيظهر ليؤسس لله مملكة على الأرض، وليزيل مملكة الرومان.

٣ ـ ولما ظهر عيسى عليه السلام قال لليهود: قد اقترب منكم ملكوت الله الذى أنبأ به دانيال.

٤ ـ ثم ضرب المسيح عيسى عليه السلام أمثلة لبيان حقيقة هذا الملكوت.

ومن هذه الأمثال مثل حبـة الخردل الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم وهو فى متى ١٣ : ٣١ ـ ٣٢ وغيـره. ومن هذه الأمثال مثل فعلة الـكرم. الذى يقول المسيح

فى آخـره: «هكذا يكون الآخـرون أولين، والأولون آخرين؛ لأن كـثـيرين يُدعـون وقليلين يُنتخبون» فالآخرون وهم المسلمون سيكونون هم الأولون.

وهذا هو نص المثل من الأصحاح العشرين من إنجيل متى:

«فإن ملكوت السموات يشـبه رجلا رب بيت خرج مع الصبح ليسـتأجر فعلة لكرمه. فـاتفق مع الفعلـة على دينار فى اليوم وأرسلهم إلى كـرمه. ثم خـرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياما فى السوق بطالين. فقال لهم: اذهبوا أنتم أيضا إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم. فمضوا. وخرج أيضا نحـو الساعة السادسة والتاسعة وفعل كذلك. ثم نحو الساعة الحادية عشـرة خرج ووجد آخرين قياما بطالين. فقال لهم: لماذا وقفـتهم ههنا كل النهـار بطالين؟ قالوا له: لأنه لم يسـتأجرنا أحـد. قال لهم: اذهبوا أنتم أيضا إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم. فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله: ادع الفـعلة وأعطهم الأجرة مبـتدئا من الآخرين إلى الأولين. فـجاء أصحـاب الساعة الحـادية عشـرة وأخذوا ديناراً ديناراً. فلما جـاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثـر. فأخذوا هم أيضاً ديناراً ديناراً. وفيمـا هم يأخذون تذمّروا على رب البيـت قائلين: هؤلاء الآخـرون عملوا ساعـة واحدة وقـد ساويتـهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر.

فأجـاب وقال لواحـد منهم: يا صاحب مـا ظلمتك. أمـا اتفقت مـعى على دينار. فخـذ الذى لك واذهب. فإنى أريد أن أعطى هذا الأخير مـثلك. أو ما يحل لى أن أفعل مـا أريد بما لى. أم عينك شريرة لأنى أنا صـالح؟ هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين. لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون»

***

وفى سورة الحشر:

يقول الله تعالى:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن

يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

البيان:

الحشر: هو تجمع اليهود وأفواج من الأمم المكذبة بآيات الله فى فلسطين فى يوم الرب؛ ليمنعوا أصحاب محمد ﷺ من فتح فلسطين لنشر القرآن فيها؛ والحكم على أهلها به، والملك عليهم. هذا هو الحشر لليهود وللأمم فى فلسطين. وعليه نصوص كثيرة من التوراة.

ومن قبل الحشر بقليل كان اليهود يملكون على أراضى الحجاز، وذلك لأن بركة إسحق الحاملين لها، وهى ملك ونبوة. كانت معهم ولا تزول من اليهود إلا بظهور بركة إسماعيل، من النبى الذى سيظهر من نسله. فإنه إذا ظهر؛ يتسلم ملك البلاد من اليهود وينسخ التوراة. وإذا لم يسلموا إليه البلاد طوعا؛ يأخذها منهم عنوة بحدّ السيف. ولما عرف اليهود نبوة محمد ﷺ وتأكدوا منها؛ لم يدخلوا فى دينه، ولم يسلموا له البلاد التى هم مالكون عليها، بحكم البركة الممنوحة لإسحق عليه السلام ليمهدوا بها الطريق لنبوة محمد ﷺ فإن إسحق كان نافلة لإبراهيم. وإسماعيل هو الأصل. ويدل على ذلك: آيات من القرآن منها أول سورة الحشر، ومنها عقب غزوة بدر: **﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** أى ليأخذ المسلمون جزءا من الأراضى التى كان يملك عليها اليهود بحكم البركة المنصوص عليها فى القرآن بقوله: **﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾** ولهذه البركة مكّن الله لليهود فى فتح أرض فلسطين أيام داود عليه السلام ﴿وآتاه الله الملك والحكمة﴾ وفى سورة ص: **﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾** وفى سورة آل عمران: **﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما﴾** وكان

الملوك من اليهود يقيمون عنهم ولاة فى جميع البلاد التى فتحوها بحد السيف أو فتحوها بالدعوة والحكمة والموعظة الحسنة.

وليس ههنا بيان هذا الأمر. وقد ذكرنا منه ما يكفى فى بيان غرضنا. وهو أن اليهود كانوا يملكون ملكا شرعيا على ممالك من العالم. ومنها مدن أرض الحجاز. وقد أخذها المسلمون منهم بحد السيف فى أول الحشر ـ أى قبل معركة يوم الرب ـ بقليل. وقد عبر بديارهم لأنهم أخذوها لنشر التوراة فيها. وهى تأمرهم بتركها إذا ظهر النبى الأمى المماثل لموسى؛ لأنه هو الذى سيرث الأرض، وينشر فيها شريعة القرآن.

ثم قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

البيان:

الذين نافقوا: هم اليهود. والذين كفروا: هم المسيحيون شركاء اليهود فى إنكار محمد ﷺ والصد عن سبيل الله. وفرق بين ١ ـ الإخراج ٢ ـ والقتال فى

المعارك. فقال: إنهم يكذبون على المسيحيين فى الأمرين: الإخراج، والقتال. فإنهم إذا فاجأهم العدو ليخرجهم من قرية ملكوها وسكنوا فيها؛ لن يتقدم اليهود لإبقائهم أو إرجاعهم. وإن خرجوا إلى معركة لن ينصرهم فيها هؤلاء المنافقون. وذلك لأنهم أعداء لهم.

وإذا ورد التعبير فى القرآن بالخلود فى النار؛ فالمقصود بالمخلدين: هم اليهود والمسيحيون لا غير. أما المسلمون فإنهم ــ إذا كانوا عصاة ــ يمكثون أحقابا. أى مدة من الزمان. وهى مدة لا تدل على الخلود.

ثم قال للمؤمنين بالله على شريعة موسى: اتقوا الله. وحذرهم من التشبه باليهود الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم. وفى نبوءة نشيد موسى أن اليهود نسوا الله، وعبدوا الأصنام؛ فلذلك أغاظهم بنزع النبوة منهم. ذلك قوله: «ونسيت الله الذى أبدأك. . .إلخ» (تث ٣٢: ١٨ ـ)

نصوص من التوراة عن الحشر:

بعد ذلك نذكر نصوصا من التوراة على الحشر:

النص الأول على الحشر:

فى الأصحاح الحادى عشر من سفر حزقيال وما بعده:

«لأجل ذلك تنبأ عليهم. تنبأ يا ابن آدم. وحل على روح الرب وقال لى قل هكذا قال الرب. هكذا قلتم يا بيت إسرائيل وما يخطر ببالكم قد علمته. قد كثرتم قتلاكم فى هذه المدينة وملأتم أزقتها بالقتلى. لذلك هكذا قال السيد الرب: قتلاكم الذين طرحتموهم فى وسطها. هم اللحم وهى القدر. وإياكم أخرج من وسطها. قد فزعتم من السيف فالسيف أجلبه عليكم. يقول السيد الرب.

وأخرجكم من وسطها وأسلمكم إلى أيدى الغرباء وأجرى فيكم أحكاما. بالسيف تسقطون. فى تخم إسرائيل أقضى عليكم فتعلمون أنى أنا الرب. هذه لا تكون لكم قدرا ولا أنتم تكونون اللحم فى وسطها. فى تخم إسرائيل أقضى عليكم

فتعلمـون أنى أنا الرب الذى لم تسلكوا فى فرائضه ولم تعملوا بأحـكامه بل عملتم حسب أحكام الأمم الذين حولكم.

وكـان لما تنبأت أن فلطيـا بن بنايا؛ مـات. فخـررت على وجهى وصـرخت بصوت عظيم وقلت: آه يا سيد الرب. هل تفنى أنت بقية إسرائيل؟

وكان إلى كلام الرب قائلا. يا ابن آدم إخوتك إخوتك ذوو قرابتك وكل بيت إسرائيل بأجمعه هم الذيـن قال لهم سكان أورشليم: ابتعدوا عن الرب. لنا أعطيت هذه الأرض ميراثا. لذلك قل هكذا قال السيد الرب: وإن كنت قد أبعدتم بين الأمم وإن كنت قد بددتم فى الأراضى فـإنى أكون لهم مقـدسا صغـيرا فى الأراضى التى يأتون إليـها. لذلك قل. هكذا قـال السيـد الرب. إنى أجمـعكم من بين الشـعوب وأحشركم من الأراضى التى تبددتم فيـها وأعطيكم أرض إسرائيل. فيأتون إلى هناك ويزيلون جميع مكرهاتها وجميع رجاسـاتها منها. وأعطيهم قلبا واحدا، وأجعل فى داخلكم روحـا جديدا، وأنزع قلـب الحجـر من لحمـهم وأعطيـهم قلب لحم. لكى يسلكوا فى فرائضى ويحفظوا أحكامى ويعملوا بها ويـكونوا لى شعبا فأنا أكون لهم إلها. أما الذين قـلبهم ذاهب وراء قلب مكرهاتهم ورجاساتهم فـإنى أجلب طريقهم على رءوسهم. يقول السيد الرب.

ثم رفعت الكروبيم أجنـحتها والبكرات مـعها ومـجد إله إسرائيل عليـها من فوق. وصعد مجـد الرب من على وسط المدينة ووقف على الجبل الذى على شرقى المدينة وحملنى روح وجاء بى فى الرؤيا بروح الله إلى أرض الكلدانيين إلى المسبيين. فصعدت عنى الرؤيا التى رأيتها فكلمت المسبيين بكل كلام الرب الذى أرانى إياه.

وكان إلى كلام الرب قائلا: يا ابن آدم أنت ساكن فى وسط بيت متمرد الذين لهم أعين لينظروا ولا ينظرون. لهم آذان ليسـمعوا ولا يسمعون لأنهم بيت مـتمرد. وأنت يا ابن آدم فـهيئ لنفـسك أهبة جـلاء وارتحل قدام عـيونهم نهـارا وارتحل من مكانك إلى مكان آخر قدام عيونهم لعلهم ينظرون أنهم بيت مـتمرد. فتخرج أهبتك كأهبـة الجلاء قدام عـيونهم نهارا وأنت تخـرج مساء قـدام عيونهم كـالخارجين إلى

الجلاء. وانقب لنفسك فى الحائط قدام عيونهم وأخرجها منه. واحمل على كتفك قدام عيونهم. فى العتمة تخرجها. تغطى وجهك فلا ترى الأرض. لأنى جعلتك آية لبيت إسرائيل. ففعلت هكذا كما أمرت. فأخرجت أهبتى كأهبة الجلاء نهارا وفى المساء نقبت لنفسى فى الحائط بيدى وأخرجت فى العتمة وحملت على كتفى قدام عيونهم.

وفى الصباح كانت إلى كلمة الرب قائلة: يا ابن آدم ألم يقل لك بيت إسرائيل بيت المتمرد: ماذا تصنع، قل لهم. هكذا قال السيد الرب: هذا الوحى هو الرئيس فى أورشليم وكل بيت إسرائيل والذين هم فى وسطهم. قل أنا آية لكم. كما صنعت هكذا يصنع بهم. إلى الجلاء إلى السبى يذهبون»

النص الثانى على الحشر:

فى الأصحاح الثالث من سفر صَفَنْيا:

«ويل للمتمردة المنجسة المدينة الجائرة. لم تسمع الصوت. لم تقبل التأديب. لم تتكل على الرب. لم تتقرب إلى إلهها. رؤساؤها فى وسطها أسود زائرة. قضاتها ذئاب مساء لا يبقون شيئاً إلى الصباح. أنبياؤها متفاخرون. أهل غدرات. كهنتها نجسوا القدس خالفوا الشريعة. الرب عادل فى وسطها لا يفعل ظلماً. غداة غداة يبرز حكمه إلى النور لا يتعذر. أما الظالم فلا يعرف الخزى. قطعت أمما خربت شرفاتهم أقفرت أسواقهم بلا عابر. دمرت مدنهم بلا إنسان بغير ساكن فقلت: إنك لتخشيننى تقبلين التأديب فلا ينقطع مسكنها حسب كل ما عينته عليها. لكن بكروا وأفسدوا جميع أعمالهم.

لذلك فانتظرونى. يقول الرب. **إلى يوم أقوم إلى السلب لأن حكمى هو بجمع الأمم وحشر الممالك لأصب عليهم سخطى كل حمو غضبى لأنه بنار غيرتى تؤكل كل الأرض. لأنى حينئذ أحول الشعوب إلى شفة نقية ليدعوا كلهم باسم الرب ليعبدوه بكتف واحدة**. من عبر أنهار كوش المتضرعون إلى متبددى يقدمون تقدمتى. فى ذلك اليوم لا تخزين من كل أعمالك التى تعديت بها علىّ. لأنى حينئذ أنزع من وسطك مبتهجى كبريائك ولن تعودى بعد إلى التكبر فى جبل قدسى. وأبقى فى

وسطك شعباً بائساً ومسكيناً فيتوكلون على اسم الرب. بقية إسرائيل لا يفعلون إثما ولا يتكلمون بالكذب ولا يوجد فى أفواههم لسان غش لأنهم يرعون ويربضون ولا مخيف.

ترنمى يا ابنة صهيون. اهتف يا إسرائيل. افرحى وابتهجى بكل قلبك يا ابنة أورشليم. قد نزع الرب الأقضية عليك. أزال عدوك. ملك إسرائيل الرب فى وسطك. لا تنظرين بعد شرا. فى ذلك اليوم يقال لأورشليم: لا تخافى يا صهيون. لا ترتخ يداك. الرب إلهك فى وسطك جبار. يخلّص. يبتهج بك فرحاً. يسكت فى محبته. يبتهج بك بترنم. أجمع المحزونين على الموسم. كانوا منك. حاملين عليها العار. هأنذا فى ذلك اليوم أعامل كل مذلليك وأخلص الظالعة وأجمع المنفية.

وأجعلهم تسبيحة واسما فى كل أرض خزيهم. فى الوقت الذى فيه آتى بكم وفى وقت جمعى إياكم. لأنى أصيركم اسما وتسبيحة فى شعوب الأرض كلها حين أرد مسبييكم قدام أعينكم. قال الرب» (صف ٣)

النص الثالث على الحشر:

فى الأصحاح السادس والستين من سفر إشعياء:

«وأنا أجازى أعمالهم وأفكارهم. حدث لجمع كل الأمم والألسنة فيأتون ويرون مجدى. وأجعل فيهم آية وأرسل منهم ناجين إلى الأمم إلى ترشيش وفول ولود النازعين فى القوس إلى توبال وياوان إلى الجزائرالبعيدة التى لم تسمع خبرى ولا رأت مجدى فيخبرون بمجدى بين الأمم. ويحضرون كل إخوتكم من كل الأمم تقدمة للرب على خيل وبمركبات وبهوادج وبغال وهجن؛ إلى جبل قدسى أورشليم. قال الرب. كما يحضر بنو إسرائيل تقدمة فى إناء طاهر إلى بيت الرب. وأتخذ أيضاً منهم كهنة ولاويين. قال الرب. لأنه كما أن السموات الجديدة والأرض الجديدة التى أنا صانع تثبت أمامى. يقول الرب. هكذا يثبت نسلكم واسمكم. ويكون من هلال إلى هلال ومن سبت إلى سبت أن كل ذى جسد يأتى ليسجد أمامى. قال الرب. ويخرجون ويرون جثث الناس الذين عصوا على؛ لأن دودهم لا يموت ونارهم لا تطفأ. ويكونون رذالة لكل ذى جسد» (إش ٦٦)

***

وفى سورة الممتحنة:

يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾

البيان:

آخرة اليهود: هى أول ظهور الإسلام. وهم لا يريدون الإسلام؛ ليستمر ملكهم فى العالم. وهم يبذلون محاولات كثيرة؛ ليمنعوا آخرتهم على يد المسلمين. ولأن الله مع المسلمين، ويريد لليهود أن يفنوا من العالم إذا استمروا على كفرهم بمحمد ﷺ؛ يئسوا من إبقاء آخرتهم. والإشارة بغضب الله عليهم؛ تدل على أن هؤلاء القوم هم اليهود. لدلالة هذا الوصف عليهم فى سور كثيرة من القرآن.

***

وفى سورة المنافقون:

يتكلم الله عن اليهود فى جميع المدن. ويصفهم بالمنافقين. وبأنهم إذا جاءوا إلى أى مسلم قالوا: نشهد أن محمدا رسول الله. لأن كل مسلم نائب عن محمد رسول الله ﷺ ثم قال: ﴿وإذا قيل لهم: تعالوا يستغفر لكم رسول الله﴾

ومعنى هذا القول: تعالوا إلى قرآن رسول الله النائب عنه واعملوا به، يغفر الله لكم ذنوبكم ﴿لووّا رءوسهم﴾ أى امتنعوا ﴿ويصدون﴾ عن الإسلام ﴿وهم مستكبرون﴾

ومثله: ﴿ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاءوك﴾

يخبر عن المجئ إليه. والمراد: العمل بشريعته، فى حياته وبعد وفاته. لا المجئ إليه شخصيا لأن الشريعة تحل محله حيا كان أو متوفى، ولأنه ما هى الفائدة من المجئ إليه شخصيا وهم لا ينوون أن يعملوا بالشريعة؟ يدل على ذلك: أن إيمانهم غير مقبول إذا لم يحكّموه. وهم يعرفون أنه لن يبقى حيا إلى الأبد، وأن

شريعته هى الباقية.

وبين أن لهم عودة إلى فلسطين بعد خروجهم منهـا فى عهد عمر بن الخطاب ﷺ. وهذه العودة تكون فى المرة الأولى والآخرة. وهمـا مرتى الإفساد والعلو فى أرض فلسطين. وكانت المرة الأولى فى سنة ١٩٦٧م.

والمرة الأولى منصـوص عليها فى الأصـحاح الثـامن من سفـر دانيال. والمرة الآخرة منصوص عليها فى الأصحاح الثانى عـشر من سفر دانيال. وقد قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ يعنى به: إخراجهم المسلمين مـن أرض فلسطين. وإذا حدث هذا فى حينه؛ يسكنون عـوضا عـن المسلمين فى الأرض مدة قلـيلة. وقال تعـالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً﴾

والمعنى: أن اليهود إذا رجعوا إلى فلسطين فى مدتى الإفساد والعلو؛ فإنهم لن يسكنوا مع المسلمين فيها إلا مدة قليلة. ويرجعون لفيفا. أى غرباء.

***

وفى سورة التغابن:

يقول الله تعالى:

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

البيان:

الذين كفروا: هم اليهود خاصة. وقد بينا معنى البعث. ثم قال عن يوم الرب: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ وهو يوم حشر اليهود مع أفواج من الأمم. كما قد بينا.

***

وفى سورة التحريم:

يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

البيان:

يخبر عن هلاك اليهود فى يوم الرب. وفى هذا اليوم لا يخزى الله رئيس المسلمين النائب عن النبى ﷺ والذين آمنوا معه.

ويضاف إلى ذلك: أن نفى الخزى عن النبى ﷺ موجود فى نبوءة عنه فى التوراة. هى فى المزمور المائة والتاسع عشر. ومعانيه كلها منطبقة عليه. وقد ذكرنا نصه فى هذا الكتاب. وفى كتاب البداية والنهاية لأمة بنى إسرائيل.

***

وفى سورة الملك:

يقول الله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾

البيان:

القائلون هم اليهود. والوعد: هو الوعد بإهلاكهم على يد النبى المنتظر؛ فى الأيام الأولى لظهوره. «فإن موسى قال للآباء: إن نبيا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون فى كل ما يكلمكم به، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشعب»

والرحمن: هو اسم الله عز وجل. وكان اليهود من كثرة رحمته بهم يدعونه بالرحمن، ولا يدعونه باسمه «يَهْوَه» وكانوا يهابون النطق باسم «يهوه» ويكتبون بدله السموات. إشارة إليه. فيكتبون مثلا ملكوت السموات. يعنون به ملكوت الله. وهكذا. وأشار بقوله ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ﴾ إلى أن ساعة المعركة ستأتى بغتة.

وتكلم إرمياء عن المياه فقال على لسان الله تعالى: «تركونى أنا ينبوع المياه الحية» وإذا كان الله هو ينبوع المياه الحية التى تحيى الإنسان، وجعل الله منها كل شئ حى. فإذا هو منع عنهم الماء؛ فكيف يحيون؟

وفى كلام إرمياء عن أن الله هو ينبوع المياه الحية كلام بهلاك بنى إسرائيل. وكلام عن نعمه عليهم. فقد سار بهم فى البرية وهم خارجون من مصر فى أرض قفر وحفر، فى أرض يبوسة، وظل الموت. فى أرض لم يعبرها رجل ولم يسكنها إنسان. وأتى بهم إلى أرض بساتين ليأكلوا ثمرها وخبزها.

ثم نبههم إلى بنى قيدار ابن إسماعيل عليه السلام وهم الذين جاء منهم محمد

ﷺ ولماذا نبههم إلى بنى قيدار؟ وهذا هو النص:

فى الأصحاح الثانى من سفر إرمياء:

«اسمعوا كلمة الرب يا بيت يعقوب وكل عشائر بيت إسرائيل. هكذا قال الرب. ماذا وجد فىّ آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عنى وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً. ولم يقولوا أين هو الرب الذى أصعدنا من أرض مصر الذى سار بنا فى البرية فى أرض قفر وحفر فى أرض يبوسة وظل الموت فى أرض لم يعبرها رجل ولم يسكنها إنسان. وأتيت بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخيرها. فأتيتم ونجستم أرضى وجعلتم ميراثى رجسا. الكهنة لم يقولوا أين هو الرب وأهل الشريعة لم يعرفونى والرعاة عصوا على والأنبياء تنبأوا ببعل وذهبوا وراء ما لا ينفع.

لذلك أخاصمكم بعد. يقول الرب. وبنى بنيكم أخاصم. فاعبروا جزائر كتيم وانظروا وأرسلوا إلى قيدار وانتبهوا جداً وانظروا هل صار مثل هذا؟ هل بدلت أمة آلهة وهى ليست آلهة. أما شعبى فقد بدل مجده بما لا ينفع. ابهتى أيتها السموات من هذا واقشعرى وتحيرى جدا. يقول الرب. لأن شعبى عمل شرين. **تركونى أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم آبارا آبارا مشققة لا تضبط ماء.**

أعبد إسرائيل أو مولود البيت هو؟ لماذا صار غنية؟. زمجرت عليه الأشبال أطلقت صوتها وجعلت أرضه خربة. أحرقت مدنه فلا ساكن. وبنو نوف وتحفنيس قد شجوا هامتك. أما صنعت هذا بنفسك إذ تركت الرب إلهك حينما كان مسيرك فى الطريق. والآن مالك وطريق مصر لشرب مياه شيحور ومالك وطريق أشور لشرب مياه النهر. يوبخك شرك وعصيانك يؤدبك. فاعلمى وانظرى أن تركك الرب إلهك شر ومر، وأن خشيتى ليست فيك. يقول السيد رب الجنود» (إر ٢)

***

فى سورة القلم:

يقول الله تعالى بعد وصف رسول الله بالخلق العظيم ﴿فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون﴾ والمعنى: سوف يرى المسلمون ويرى اليهود فى يوم الرب من الغالب؟

ومن المغلوب؟ ثم شرع فى ذكر أوصاف اليهود وبعدما فرغ منها ذكر لهم مثلاً يدل على موعد عذاب فى يوم الرب . هو مثل أصحاب الجنة. وهم قوم من اليهود كانوا فى مدينة ناحية صنعاء اليمن، بعد زمان عيسى عليه السلام وكان لهم زروع وثمار. فلما امتنعوا عن العطف على الفقراء والمساكين؛ أهلك الله بساتينهم.

وعقب على القصة بقوله لليهود: ﴿كذلك العذاب﴾ يكون عذابكم فى يوم الرب. يضيع ملككم من العالم على يد المسلمين، ويكون المسلمون كالملاّك أصحاب البساتين، وتكونون أيها اليهود كالمساكين ﴿ولعذاب الآخرة أكبر﴾ يقصد بالآخرة: نهاية اليهود على الأرض. وعبر بأكبر؛ لأن ملكهم سيزول منهم على أيدى المسلمين. ثم قال تعالى عن شدة المعركة: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ كناية عن شدة القتال فى يوم الرب، ويدعون إلى الخضوع لله وللمسلمين فلا يقدرون؛ للكبر الذى فى قلوبهم وستخشع أبصارهم من الذل. وكانوا من قبل المعركة يدعون فيستكبرون. وختم السورة بقوله عن اليهود الكافرين: إنهم يقولون عن محمد إنه مجنون.

والزلق بالأبصار فى قوله ﴿ليزلقونك بأبصارهم﴾ هو إشارة إلى نبوءة فى التوراة عن محمد رسول الله بهذا المعنى ونصها:

المزمور السابع عشر:

«اسمع يا رب للحق. أنصت إلى صراخى. أصغ إلى صلاتى من شفتين بلا غش. من قدامك يخرج قضائى. عيناك تنظران المستقيمات. جربت قلبى. تعهدته ليلا. محصتنى. لا تجد فى ذموماً. لا يتعدى فمى. من جهة أعمال الناس فبكلام شفتيك أنا تحفظت من طرق المعتنف. تمسكت خطواتى بآثارك فما زلت قدماى.

أنا دعوتك لأنك تستجيب لى يا ألله. أمل أذنيك إلى. اسمع كلامى. ميز مراحمك يا مخلص المتكلين عليك بيمينك من المقاومين. احفظنى مثل حدقة العين. بظل جناحيك استرنى. من وجه الأشرار الذين يخربوننى. أعدائى بالنفس الذين يكتنفوننى.

قلبهم السمين قد أغلقوا. بأفواههم قد تكلموا بالكبرياء. فى خطواتنا الآن قد أحاطوا بنا. **نصبوا أعينهم ليزلقونا إلى الأرض**. مثله مثل الأسد القرم إلى الافتراس

وكالشبل الكامن فى عرِّيسه.

قم يا رب. تقدمه. اصرعه. نج نفسى من الشرير بسيفك من الناس. بيدك يا رب من أهل الدنيا. نصيبهم فى حياتهم. بذخائرك تملأ بطونهم. يشبعون أولاداً ويتركون فضالتهم لأطفالهم. أما أنا فبالبر أنظر وجهك. أشبع إذا استيقظت بشبهك» (مز ١٧)

***

وفى سورة الحاقة:

يقول الله تعالى:

﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾

البيان:

يشير بالحاقة إلى المصيبة التى ستنزل على اليهود فى يوم الرب. وابتدأ الكلام عن يوم الرب فقال: ﴿فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة﴾ والتعبير: كناية عن الجمع. ومثله فى نبوءة يوئيل عن يوم الرب: «اضربوا بالبوق فى صهيون. صوّتوا فى جبل قدسى. ليرتعد جميع سكان الأرض؛ لأن يوم الرب قادم؛ لأنه قريب. يوم ظلام وقتام يوم غيم وضباب. مثل الفجر ممتدا على الجبال. شعب كثير وقوى لم يكن نظيره منذ الأزل، ولا يكون أيضاً بعده» (يؤ ٢: ١ ـ ٢)

وقوله: ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ هو تعبير كنائى عن شدة المعركة وهزيمة اليهود. ومثله فى نبوءة حبقّوق عن النبى الآتى من فاران. وهو محمد ﷺ: «وقف وقاس الأرض. نظر فرجف الأمم، ودكّت الجبال الدهرية، وخسفت آكام القدم» إلى أن قال: أبصرتكَ ففزعت الجبال. سيل المياه طما. أعطت اللجة صوتها. رفعت يديها إلى العلاء. الشمس والقمر وقفا فى بروجهما لنور سهامك الطائرة. للمعان برق مجدك. بغضب خطرت فى الأرض، بسخط دست الأمم، خرجت لخلاص شعبك لخلاص مسيحك»

والمراد بمسيحه ـ حسب لسان اليهود ـ النبى محمد ﷺ.

وقوله ﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ هو تعبير عن ظهور الحرب بين اليهود وبين المسلمين فى يوم الرب. وعنها «ما أرهب الوقوع فى يدى الله الحى» وقد تكلمنا عنها فى سورة الواقعة.

وقوله ﴿وانشقت السماء فهى يومئذ واهية﴾ يقصد بيومئذ يوم معركة الساعة فى يوم الرب. والتعبير كناية عن شدة الهول. ومثله فى نبوءة عن محمد فى سفر إشعياء يقول فيها الله تعالى: «ليتك تشق السموات وتنزل. من حضرتك تتزلزل الجبال» وهذه النبوءة جاءت فى القرآن فى أكثر من موضع. ففى سورة البقرة يقول الله لليهود: ﴿لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ ومعنى انظرنا: أشفق علينا وتحنن وترحم. وهذا هو نص النبوءة من سفر إشعياء ـ الأصحاح الثالث والستون:

«من ذا الآتى من أدومَ بثياب حمر من بُصرة هذا البهى بملابسه المتعظم بكثرة قوته. أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص. ما بال لباسك محمر وثيابك كدائس المعصرة. قد دست المعصرة وحدى ومن الشعوب لم يكن معى أحد. فدستهم بغضبى ووطئتهم بغيظى. فرش عصيرهم على ثيابى فلطخت كل ملابسى. لأن يوم النقمة فى قلبى وسنة مفديّى قد أتت. فنظرت ولم يكن معين وتحيرت إذ لم يكن عاضد فخلصت لى ذراعى وغيظى عضدنى. فدست شعوبا بغضبى وأسكرتهم بغيظى وأجريت على الأرض عصيرهم.

إحسانات الرب أذكر تسابيح الرب حسب كل ما كفأنا به الرب والخير العظيم لبيت إسرائيل الذى كافأهم به حسب مراحمه وحسب كثرة إحساناته.

وقد قال حقا: إنهم شعبى. بنون لا يخونون. فصار لهم مخلّصا. فى كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلصهم. بمحبته ورأفته هو فكهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة.

ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه؛ فتحول لهم عدوا وهو حاربهم. ثم ذكر الأيام القديمة موسى وشعبه. أين الذى أصعدهم من البحر مع راعى غنمه؟ أين الذى جعل فى وسطهم روح قدسه، الذى سير ليمين موسى ذراع مجده الذى شق المياه

قدامهم ليصنع لنفسه اسما أبديا الذى سيرهم فى اللجج. كفرس فى البرية فلم يعثروا. كبهائم تنزل إلى وطاء روح الرب أراحهم. هكذا قدت شعبك لتصنع لنفسك اسم مجد.

تطلع من السموات وانظر من مسكن قدسك ومجدك. أين غيرتك وجبروتك. زفير أحشائك ومراحمك نحوى امتنعت. فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم وإن لم يدرنا إسرائيل. أنت يا رب أبونا ولينا منذ الأبد اسمك.

لماذا أضللتنا يا رب عن طرقك. قسيت قلوبنا عن مخافتك. ارجع من أجل عبيدك أسباط ميراثك. إلى قليل امتلك شعب قدسك. مضايقونا داسوا مقدسك. قد كنا منذ زمان كالذين لم تحكم عليهم ولم يدع عليهم باسمك» (إش ٦٣)

﴿والملك على أرجائها﴾

يعنى الملائكة محيطة بأرض المعركة لتنصر المسلمين، فى يوم الرب، ولئلا يفلت من اليهود أحد. وذلك لأن من أوصاف محمد ﷺ فى التوراة أن تنزل الملائكة لنصرته فى الحروب. كما فى نهاية نشيد موسى فى النص اليونانى. وكما فى مزامير داود عليه السلام

وفى الرسالة إلى العبرانيين: «وأيضاً: متى أخل البِكر إلى العالم يقول: ولتسجد له كل ملائكة الله» (عب ١ : ٦) والمراد من سجود الملائكة لمحمد ﷺ نصرته فى الحروب على أعدائه. وهو يشير إلى هذه النصرة بقوله: ﴿والملك على أرجائها﴾ على أرجاء هذه المعركة الفاصلة بين المسلمين وبين اليهود.

ثم قال تعالى: **﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾**

الضمير ﴿هم﴾ فى ﴿فوقهم﴾ يشير إلى اليهود. وحمل العرش لله: هو كناية عن أن المعركة له. لأنها لسيادة شريعته على الأرض. والنبى نائب عنه. وجنود المسلمين ينصرونه فى يوم هذه المعركة، المعبر عنها بيومئذ. والثمانية: هم أيام حلول مجد الله على عرشه فى زمن هذه المعركة. أى مدة القتال.

وبيان ذلك:

أن الله تعالى ـ بحسب نصوص التـوراة والإنجيل ـ لا يحده مكان ولا زمان. وهو يتكلم عن ذاته وصفاته وعرشه بلسان بـنى آدم. كما يتكلمون هم عن أنفسهم. فـهم يشاهدون الملـك من ملوكهم والسلـطان من سلاطينهـم يجلس فى مكان على كرسى يسمى العرش. فقال على طريقـة مشاكلة فكره لفكرهم: «السموات كرسى، والأرض موطئ قدمى» (إشعياء ٦٦: ١) وقـال فى نفس السفر: «اطلبوا الرب مادام يُوجد. **ادعوه وهو قريب**. ليترك الشـرير طريقه، ورجل الإثم أفكاره، وليتب إلى الرب، فيرحمه، وإلى إلهنا؛ لأنه يكثر الغفران. لأن أفكارى؛ ليست أفكاركم، ولا طرقكم؛ طرقى. يقول الرب.

لأنه كما علت السموات عن الأرض. هكذا علت طرقى عن طرقكم. وأفكارى عن أفكاركم» (إش ٥٥: ٦ ـ ٩)

فقد أثبت كـرسيا، ومع الإثبات يقول: «وهو قـريب» فكيف يكون قريبا من البشر وهم عـلى الأرض وهو على الكرسى فى السماء؟ يقول علمـاء بنى إسرائيل: هو مع الكل حيثـما كانوا، ويسمع ويرى. وقـوله إنه على الكرسى هو تصوير لذاته بلسان بنى آدم على سبيل مشاكلة الفكر للفكر.

وفى سفر إشعياء:

«أنا الرب وليس آخر. لا إله سواى. نطّقـتك وأنت لم تعرفنى. لكى يعلموا من مشرق الشـمس ومن مغربها؛ أن ليس غيرى. أنا الرب وليس آخـر مصور النور وخالق الظلمة صـانع السلام وخالق الشر. أنا الرب صـانع كل هذه. أُقطرى أيتها السمـوات من فوق، ولينزل الجـو بِراً. لتنفتح الأرض فيـثمر الخـلاص، ولتنبت برّاً معا. أنا الرب قد خلقته» (إش ٤٥: ٥ ـ ١٠)

«فبمن تشبهون الله؟ وأى شبه تُعادلون به؟» (إش ٤٠: ١٨)

وفى سفر إرمياء: «ألعلى إله من قـريب. يقول الرب. ولست إلها من بعيد؟ إذا اختبأ إنسان فى أمـاكن مستترة، أفما أراه أنا؟ يقول الرب. أمـا أملأ أنا السموات

والأرض؟ يقول الرب» (إرمياء ٢٣: ٢٣ ـ ٢٤)

وفى سفر التثنية عن تنزيه الله تعالى عن الشبيه والنظير: «ليس مثل الله» (تث ٣٣: ٢٦)

فإذا قال الله: إنه أتى إلى مكان كذا. فمعناه: إتيان أمر هام منه. وإذا قال ارتحل الله عن مكان كذا. فمعناه أن غضبه سيحل على هذا المكان. وهكذا:

ومن نصوص التوراة التى ذكرناها عن الله وصفاته. يتبين أن الأنبياء والرسل من بعد موسى عليه السلام واليهود جميعا كانوا يؤمنون بالله وينزهونه عن المثل والشبه. وآخرهم عيسى عليه السلام الذى صرح بعدم نقضه للناموس، وبأن الله هو الخالق للعالم وحده وليس كمثله شئ. فلماذا مع هذا يقال: إن رسالة المسيح هى كرسالة غيره من رسالات الله السابقة. وهى الدعوة إلى التوحيد المطلق لله رب العالمين؟

وإذا كانوا جميعا داعين إلى التوحيد. فما هى المهمة التى بعث الله بها المسيح، وانفرد بها عن غيره؟

ليس عند المسيح جديد انفرد به عن غيره. إلا تفسيره نبوءات التوراة عن محمد صلى الله عليه وسلم وهم كلهم كانوا يبشرون به. ولا يفسرون النبوءات. نبوءات التوراة عليه. فالجديد عنده هو تفسير النبوءات. ويدل على ذلك: أن الله أمر بنى إسرائيل على لسان إشعياء أن يبشروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بلقب الكلمة. وأمر دانيال أن يحدد زمانه بزوال أمة الروم (إش ٤٠ دا ٧)

وقد عبر عن حلول القرآن على الأرض بحلول مجده. فى سفر حزقيال: وهو يتكلم عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم وعن مجد الكعبة وعن ماء زمزم. ففى الأصحاح الثالث والأربعين من سفر حزقيال:

«ثم ذهب بى إلى الباب. الباب المتجه نحو الشرق. وإذا بمجد إله إسرائيل جاء من طريق الشرق وصوته كصوت مياه كثيرة والأرض أضاءت من مجده.

والمنظر كالمنظر الذى رأيته لما جئت لأخرب المدينة والمناظر كالمنظر الذى رأيت

عند نهر خابور. فخررت على وجهى. فجاء مجد الرب إلى البيت من طريق الباب المتجه نحو الشرق. فحملنى روح وأتى بى إلى الدار الداخلية وإذا بمجد الرب قد ملأ البيت. وسمعته يكلمنى من البيت. وكان رجل واقفاً عندى.

وقال لى: يا ابن آدم هذا مكان كرسى ومكان باطن قدمى حيث أسكن فى وسط بنى إسرائيل إلى الأبد ولا ينجس بعد بيت إسرائيل اسمى القدوس. لا هم ولا ملوكهم لا بزناهم ولا بجثث ملوكهم فى مرتفعاتهم. بجعلهم عتبتهم لدى عتبتى وقوائمهم لدى قوائمى وبينى وبينهم حائط. فنجسوا اسمى القدوس برجاساتهم التى فعلوها. فأفنيتهم بغضبى. فليبعدوا عنى الآن زناهم، وجثث ملوكهم؛ فأسكن فى وسطهم إلى الأبد.

وأنت يا ابن آدم فأخبر بيت إسرائيل عن البيت ليخزوا من آثامهم. وليقيسوا الرسم. فإن خزوا من كل ما فعلوه فعرفهم صورة البيت ورسمه ومخارجه ومداخله وكل أشكاله وكل فرائضه وكل أشكاله وكل شرائعه واكتب ذلك قدام أعينهم ليحفظوا كل رسومه وكل فرائضه ويعملوا بها. هذه سنة البيت. على رأس الجبل كل تخمه حواليه قدس أقداس. هذه هى سنة البيت.

وهذه أقيسة المذبح بالأذرع. والذراع هى ذراع وفتر. الحضن ذراع والعرض ذراع وحاشيته إلى شفته حواليه شبر واحد. هذا ظهر المذبح. ومن الحضن عند الأرض إلى الخصم الأسفل ذراعان والعرض ذراع ومن الخصم الأصغر إلى الخصم الأكبر أربع أذرع والعرض ذراع. والموقد أربع أذرع ومن الموقد إلى فوق أربعة قرون. والموقد اثنتا عشرة طولا باثنتى عشرة عرضا مربعاً على جوانبه الأربعة. والخصم أربع عشرة طولاً بأربع عشرة عرضاً على جوانبه الأربعة. والحاشية حواليه نصف ذراع وحضنه ذراع حواليه ودرجاته تجاه المشرق.

وقال لى يا ابن آدم: هكذا قال السيد الرب. هذه فرائض المذبح يوم صنعه لإصعاد المحرقة عليه ولرش الدم عليه. فتعطى الكهنة اللاويين الذين من نسل صادوق المقتربين إلى ليخدمونى. يقول السيد الرب: ثورا من البقر لذبيحة خطية.

وتأخذ من دمه وتضعه على قرونه الأربعة وعلى أربع زوايا الخصم وعلى الحاشية حواليها فتطهره وتكفر عنه. وتأخذ ثور الخطية فيحرق فى الموضع المعين من البيت خارج المقدس. وفى اليوم الثانى تقرب تيسا من المعز صحيحا ذبيحة خطية فيطهرون المذبح كما طهروه بالثور. وإذا أكملت التطهير تقرب ثورا من البقر صحيحا وكبشا من الضأن صحيحا. وتقربهما قدام الرب ويلقى عليهما الكهنة ملحا ويصعدونهمامحرقة للرب. سبعة أيام تعمل فى كل يوم تيس الخطية ويعملون ثورا من البقر وكبشا من الضأن صحيحين. سبعة أيام يكفرون عن المذبح ويطهرونه ويملأون يده. فإذا تمت هذه الأيام يكون فى اليوم الثامن. فصاعدا أن الكهنة يعملون على المذبح محرقاتكم وذبائحكم السلامية؛ فأرضى عنكم. يقول السيد الرب»

البيان:

الباب المتجه نحو الشرق: هو باب الكعبة.

مجد إله إسرائيل: جاء إلى فلسطين من طريق الشرق. وصوته كصوت مياه كثيرة، والأرض أضاءت من مجده. والمنظر: مثل المنظر الذى رآه حزقيال لما جاء ليخرب أورشليم.

والدار الداخلية هى الكعبة وهى داخل سورها. وقال فى حالة دخوله: «حيث أسكن فى وسط بنى إسرائيل إلى الأبد» أى شريعتى تكون ههنا وتظل إلى يوم القيامة. وأشار إلى الفناء العام لليهود ونسخ شريعتهم ونزع الملك منهم بقوله: «ولا ينجس بعد بيت إسرائيل اسمى القدوس. لا هم ولا ملوكهم» ثم ذكر أقيسة المذبح. والمذبح فى لغتهم: هو المسجد. ثم تكلم عن فرائض المذبح. وبعد ما تكلم عن الأيام السبعة التى يكفرون فيها على المذبح ويطهرونه قال: «فإذا تمت هذه الأيام يكون فى اليوم الثامن فصاعدا أن الكهنة يعملون على المذبح محرقاتكم وذبائحكم السلامية. فأرضى عنكم. يقول السيد الرب».

ونرجع إلى قوله تعالى: ﴿**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**﴾ ونسأل عن فاعل يحمل. وإنه يكون مناسبا لله تعالى. وهو القدوس الطاهر. فيكون

الحاملون للعرش قدوسون أطهار. وليس غير الملائكة وهم كثيرون. فيكون المعنى ويحمل الحاملون عرش ربك فوق اليهود وقت المعركة يومئذ. ـ وهذا تصوير لتثبيت ملك محمد الذى هو ملكوت لله فى فلسطين ـ وتم الكلام.

ثم استأنف كلاما جديدا فقال: ﴿ثمانية﴾ من الأيام يبدأ بعدها الرضا بعد الفناء العام لليهود. والحمل والعرش: تصوير لنصرة الله. وليس على الحقيقة. ثم وجه الكلام إلى اليهود فقال: ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ يعنى بيومئذ: يوم الرب.

وعند اليهود أن حياة البرزخ منتفية. إذ بعد الموت إما جنة وإما نار. وليس من مدة بين الموت فى الدنيا وبين البعث فى الآخرة؛ لانتفاء الإحساس الجسدى بانتفاء الروح. إذ هى هواء ـ كما فى سفر الحكمة ـ وكما يصرح علماء اليهود فى كتب العقائد. فلو فرضنا ـ على رأيهم ـ أن يهوديا قُتل فى هذه المعركة، وبعث فى يوم القيامة؛ نفرض أنه حال البعث لم يحس بمدة زمنية، فيكون وقوف اليهود كلهم فى يوم الرب شبه وقوفهم فى يوم القيامة للحساب. أما الذين فعلوا الصالحات ولا يريدون قتال المسلمين ولكن جاءوا إلى المعركة رغم أنفهم، فهؤلاء لهم شأن غير شأن الآتين المكذبين. ويمكن أن يفهم هذا من قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهذا كله تصوير لهول الموقف وشدته.

والتعبير بحمل العرش لله ليس على حقيقته. ـ بحسب ظواهر الألفاظ ـ وإنما هو تصوير لسيادة الله على اليهود فى وقت المعركة. أى أنه سينصر نبيه شاءوا أم لم يشاءوا. وذلك لأن ملكوت الله الذى سيؤسسه محمد ﷺ على الأرض هو ملك لله على العالم. والملك من لوازمه فى نظر الناس وجود عرش. كما يكون للملوك والسلاطين عروش. وملكوت الله معناه سيادة شريعته على المؤمنين به، فى مقابل ملكوت الشيطان الذى يسود فيه الشيطان على من أضلهم وأغواهم. ففى هذه المعركة ﴿لمن الملك﴾؟ هل هو لله أم هو للشيطان؟ إنه لله وعبر عن الملك بالعرش؛ لأنه أبرز علاماته. وعبر فى موضع آخر بالملك. ومعلوم أن للملوك عروش. فكأنه

يكمل موضعا بموضع - على حسب عقول بنى آدم - وفى اللغة العربية: أن المدينة الظالمة يقال عنها: إن الشيطان يملك عليها. ويقال عنها أيضاً: إن عرش الشيطان موجود فيها. وليس هذا على الحقيقة بحسب ظواهر الألفاظ. وإنما هو تصوير لسيادة الشر على أهل هذه المدينة؛ فإنه قد استقر فى أذهان الناس أن الشر يأتى من الشيطان. كما أنبأتهم رسل الله.

والنصوص المحكمة تدل على أن الله لا تخفى عليه خافية، وأنه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأنه فى السموات وفى الأرض، وأنه كان مع النبى ﷺ وصاحبه ثانى اثنين. والنصوص المحكمة تدل على أن الله تعالى ليس محتاجا إلى من يحمله. فلو كان الله على العرش حقيقة؛ لكان محتاجا إليه، وكان العرش أيضا محتاجا إلى الحاملين له. والمحتاج لا يكون إلها.

يقول الإمام أبو العباس القرطبى مؤلف المفهم فى شرح صحيح مسلم فى كتابه الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام: «وأما من لبّس منهم بأن مثّل قولهم فى الاتحاد بقولنا فى استوائه تعالى على العرش، فذلك مما لا يقال عليه عندنا اتحاد ولا حلول ولا فيض ولا انطباع؛ لأنا نريد بقولنا: هو على العرش مستوى، واستوى على العرش: أن العرش تحت قبضته، ومسخر بقدرته. والاستواء عليه: إنما هو بمعنى الاستيلاء، على ما تعرفه العرب من كلامها؛ فإنها تقول:

قد استوى «بشر» على العراق .·. بغير سيف، ودم مهراق.

فإن أرادوا هذا المعنى؛ فهو حق وصحيح[1]» أ هـ

***

وفى سورة المعارج:

يقول الله تعالى:

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي

---

(١) الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام - تأليف أبى العباس القرطبى شارح صحيح مسلم بن الحجاج ص ١٣٢ ج ١.

الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾

البيان:

يتكلم عن العذاب الواقع فى يوم الرب لليهـود. وهم يرون يوم الرب بعيدا. والله يقول: إنه يراه قريبا. وعبر عن شدة المعركة بكون السماء كالمهل، وبكون الجبال كالعهن، وأن الهلاك سيكون لليهود فى هذه المعركة.

وفى آخر السورة يقول عن يوم الرب: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾

***

وفى سورة الجن:

يقول الله تعالى:

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾.

البيان:

إن الخلود فى نار جهنم هو وصف يحصر العاصين لله ورسوله فى اليهود. وأشار بالرؤيا إلى معركة يوم الرب التى وعدوا بالهلاك فيها والنبى ﷺ لا يعلم وقت هذه المعركة؛ لأنها ستأتى بغتة.

***

سورة المزمل:

يقول الله تعالى:

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾

البيان:

يقصد بالمكذبين: اليهود. ولهم فى يوم الرب **﴿أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾** وعبر عن شدة المعركة بقوله: **﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾** وهذه إشارة إلى نبوءة النبى يوئيل فى معركة يوم الرب فإنه قال فيها: قدامه ترتعد الأرض وترجف السماء. وقال حبقوق: «أبصرتك ففزعت الجبال» وقال حزقيال عن يوم الرب: «والشريعة تباد عن الكاهن والمشورة عن الشيوخ. الملك ينوح، والرئيس يلبس حيرة، وأيدى شعب الأرض ترجف»

وهذا هو نص الأصحاح السابع من سفر حزقيال:

«وكان إلى كلام الرب قائلا وأنت يا ابن آدم فهكذا قال السيد الرب لأرض إسرائيل. نهاية. قد جاءت النهاية على زوايا الأرض الأربع. الآن النهاية عليك

وأرسل غضبى عليك وأحكم عليك كطرقك وأجلب عليك كل رجاساتك فى وسطك فتعلمون أنى أنا الرب.

هكذا قال السيد الرب. شر شر وحيد. هوذا قد أتى. نهاية قد جاءت. جاءت النهاية. انتبهت إليك. ها هى قد جاءت. انتهى الدور إليك أيها الساكن فى الأرض. بلغ الوقت. اقترب يوم اضطراب لا هتاف الجبال. الآن عن قريب أصب رجزى عليك وأتمم سخطى عليك وأحكم عليك كطرقك وأجلب عليك كل رجاساتك. فلا تشفق عينى ولا أعفو بل أجلب عليك كطرقك ورجاساتك تكون فى وسطك. فتعلمون أنى أنا الرب الضارب.

ها هو ذا اليوم ها هو ذا قد جاء. دارت الدائرة. أزهرت العصا. أفرخت الكبرياء. قام الظلم إلى عصا الشر. لا يبقى منهم ولا من ثروتهم ولا من ضجيجهم ولا نوح عليهم. قد جاء الوقت. بلغ اليوم. فلا يفرحن الشارى ولا يحزنن البائع لأن الغضب على كل جمهورهم. لأن البائع لن يعود إلى المبيع وإن كانوا بعد بين الأحياء. لأن الرؤيا على كل جمهورها فلا يعود والإنسان بإثمه لا يشدد حياته. قد نفخوا فى البوق وأعدوا الكل ولا ذاهب إلى القتال. لأن غضبى على كل جمهورهم.

السيف من خارج والوبا والجوع من داخل. الذى هو فى الحقل يموت بالسيف والذى هو فى المدينة يأكله الجوع والوبا. وينفلت منهم منفلتون ويكونون على الجبال كحمام الأوطئة. كلهم يهدرون كل واحد على إثمه. كل الأيدى ترتخى وكل الركب تصير ماء. ويتنطقون بالمسح ويغشاهم رعب وعلى جميع الوجود خزى وعلى جميع رءوسهم قرع. يلقون فضتهم فى الشوارع وذهبهم يكون لنجاسة. لا تستطيع فضتهم وذهبهم إنقاذهم فى يوم غضب الرب. لا يشبعون منهما أنفسهم ولا يملأون جوفهم لأنهما صارا معثرة إثمهم. أما بهجة زينته فجعلها للكبرياء. جعلوا فيها أصنام مكرهاتهم رجاساتهم. لأجل ذلك جعلتها لهم نجاسة. أسلمها إلى أيدى الغرباء للنهب وإلى أشرار الأرض سلبا فينجسونها. وأحول وجهى عنهم فينجسون سرى ويدخله المعتنفون وينجسونه.

اصنع السلسلة لأن الأرض قد امتلأت من أحكام الدم والمدينة امتلأت من الظلم. فآتى بأشر الأمم فيرثون بيوتهم وأبيد كبرياء الأشداء فتتنجس مقادسهم. الرعب آت فيطلبون السلام ولا يكون. ستأتى مصيبة على مصيبة. ويكون خبر على خبر. فيطلبون رؤيا من النبى. والشريعة تباد عن الكاهن والمشورة عن الشيوخ. الملك ينوح والرئيس يلبس حَيْرَة وأيدى شعب الأرض ترجف. كطريقهم أصنع بهم وكأحكامهم أحكم عليهم. فيعلمون أنى أنا الرب»

ووصف يوم الرب بالهول فقال. ولو قدر وفرض أن الولدان يروه لشابوا من الهول. وقال: إن السماء تشققت من هذا الهول وأكد على الوعد به فقال: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾

وهذا هو نص حبقوق:

«يا رب قد سمعت خبرك فجزعت. يا رب عملك فى وسط السنين أحيه. فى وسط السنين عرّف. فى الغضب اذكر الرحمة

الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران. سلاه. جلاله غطى السموات والأرض امتلأت من تسبيحه. وكان لمعان كالنور. له من يده شعاع وهناك استتار قدرته. قدامه ذهب الوبا وعند رجليه خرجت الحمى. وقف وقاس الأرض. نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الذهرية وخسفت آكام القدم. مسالك الأزل له. رأيت خيام كوشان تحت بليه رجفت شقق أرض مديان. هل على الأنهار حمى يا رب هل على الأنهار غضبك أو على البحر سخطك حتى إنك ركبت خيلك مركباتك مركبات الخلاص. عريت قوسك تعرية. سباعيات سهام كلمتك. سلاه. شققت الأرض أنهاراً. أبصرتك ففزعت الجبال. سيل المياه طما. أعطت اللجة صوتها. رفعت يديها إلى العلاء. الشمس والقمر وقفا فى بروجهما لنور سهامك الطائرة للمعان برق مجدك. بغضب خطرت فى الأرض بسخط دست الأمم. خرجت لخلاص شعبك لخلاص مسيحك. سحقت رأس بيت الشرير معريا الأساس حتى العنق. سلاه. ثقبت بسهامه رأس قبائله. عصفوا لتشتينى. ابتهاجهم كما لأكل

المسكين فى الخفية. سلكت البحر بخيلك كوم المياه الكثيرة.

سمعت فارتعدت أحشائى. من الصوت رجفت شفتاى. دخل النخر فى عظامى وارتعدت فى مكانى لأستريح فى يوم الضيق عند صعود الشعب الذى يزحمنا. فمع أنه لا يزهر التين ولا يكون حمل فى الكروم يكذب عمل الزيتونة والحقول لا تصنع طعاماً ينقطع الغنم من الحظيرة ولا بقر فى المذاود فإنى أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصى. الرب السيد قوتى ويجعل قدمى كالأيائل ويمشينى على مرتفعاتى» (حبقوق ٣)

***

فى سورة المدثر:

يقول الله تعالى:

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾

البيان:

المراد باليوم العسير: هو يوم الرب. وصدّر الكلام بقوله ﴿ولربك فاصبر﴾ على اليهود حتى يأتى ذلك اليوم الموعودون به بالهلاك فيه. والمراد بالنقر: الصيحات فى الأبواق لجمع اليهود إلى هذه المعركة، وبين أن اليهود سيهزمون فى هذه المعركة بقوله: ﴿على الكافرين غير يسير﴾ ثم تكلم عن اليهود فى شخص أبيهم يعقوب فقال: ﴿ذرنى ومن خلقت وحيدا﴾ والمراد: خلقت أباهم يعقوب. أى خلقته أنا وحدى. والمعنى اتركنى لليهود وأنا أفنيهم. ثم تكلم عن نعمه عليهم فقال: ﴿وجعلت له ما لا ممدودا﴾ وهذه المعانى موجودة فى نشيد موسى فى الأصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية.

وأشار بقوله: ﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾ إلى تكذيبهم بالهزيمة فى يوم الرب ﴿حتى أتانا اليقين﴾ وهو الهزيمة فيها. ثم قال عن آخرة اليهود على أيدى المسلمين:

﴿كلا بل لا يخافون الآخرة﴾ كما قال فى سورة أخرى: ﴿إنهم كانوا لا يرجون حسابا﴾ أى حسابا عسيرا فى يوم الرب.

***

وفى سورة القيامة:

يقول الله تعالى:

﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

البيان:

القيامة: إما أنها القيامة العامة من الأموات. وإما أنها قيامة بنى إسماعيل على اليهود فى يوم الرب لنزع الملك منهم وتأسيس ملك الله على الأرض بشريعة القرآن. وعلى المعنى الثانى فإن القيامة تكون بمعنى الداهية والمصيبة على قوم من الأقوام. والقرائن فى النص هى التى تحدد المعنى المراد. مع ما هو معلوم من أن القتل لليهود فى يوم الرب يعقبه الدخول فى النار مباشرة؛ لأنه لا وزن لهم على الأعمال. إذ هم كافرون بالتوراة. والكافر بكتابه؛ لا وزن لأعماله. أما المؤمن بكتابه ويعمل خيرا وشرا؛ فهذا هو الذى له وزن أعمال. وكل اليهود إلى مبعث محمد ﷺ لهم وزن أعمال؛ لأن التوراة لم تكن قد نسخت به. وأما من بعد مبعثه؛ فليس لمن يكفر به وزن أعمال. لأنه لا شريعة له توزن أعماله عليها. والقرائن فى النص: ١ ـ جمع العظام. وهو يشبه ما حكى عنهم قبلا: ﴿يوم يخرجون من الأحداث سراعا﴾ ـ ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ وشبهه ٢ ـ السؤال للاستبعاد ﴿أيّان يوم القيامة﴾؟ أى لن نهلك فيها. ٣ ـ ﴿فإذا برق البصر...﴾ كناية عن شدة هول المعركة فى يوم الرب. والتعابير إشارة إلى نبوءات عنه ﷺ فى التوراة ٤ ـ المراد بالإنسان: اليهودى. وهو يتمنى الفرار فى ذلك اليوم ولا يدركه.

النبوءات فىْ النص:

﴿وخَسفَ القمر﴾

إذا احتجب القمر فى الليل؛ فإن العين لا ترى ما أمامها. انظر إلى قول النبى المنتظر عن نفسه على لسان داود: «ارحمنى يا رب فأنا فى ضيق. خَسَفَ من الغم عينى. نفسى وبطنى» يصور حزنه على أعدائه إذ أحاطوا به بلا سبب. ويقول: «يا رب ارحمنى؛ لأنى فى ضيق» ويرد الله عليه بقوله: ﴿وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ وهذه النبوءة التى فيها ﴿خسف القمر﴾ يقول النبى فيها بظهر الغيب: «عليك يا رب توكلت» ـ «نجنى» ـ «سريعا أنقذنى» ـ «أخرجنى من الشبكة التى خبأوها لى» ثم يتكلم عن أن الله نصره على اليهود «لم تحبسنى فى يد العدو» وختم داود النبوءة بقوله على لسان النبى: «لتتشدد ولتتشجع قلوبكم يا جميع المنتظرين الرب»

نص النبوءة:

«عليك[1] يا رب توكلت. لا تدعنى أخزى مدى الدهر. بعدلك نجنى. أمل إلى أذنك. سريعا أنقذنى. كن لى صخرة حصن بيت ملجإٍ لتخليصى. لأن صخرتى ومعقلى أنت. حصنى. فى يدك أستودع روحى. فديتنى يا رب إله الحق. أبغضت الذين يراعون أباطيل كاذبة. أما أنا فعلى الرب توكلت. أبتهج وأفرح برحمتك لأنك نظرت إلى مذلتى وعرفت فى الشدائد نفسى. ولم تحبسنى فى يد العدو بل أقمت فى الرحب رجلى.

ارحمنى يا رب لأنى فى ضيق. خسفت من الغم عينى. نفسى وبطنى. لأن حياتى قد فنيت بالحرف وسنينى بالتنهد. ضعفت بشقارتى قوتى وبليت عظامى. عند كل أعدائى صرت عارا وعند جيرانى بالكلية ورعبا لمعارفى. الذين رأونى خارجا هربوا عنى. نسيت من القلب مثل الميت. صرت مثل إناء متلف. لأنى سمعت مذمة من كثيرين. الخوف مستدير بى بمؤامرتهم معاً على. تفكروا فى أخذ نفسى.

أما أنا فعليك توكلت يا رب. قلت إلهى أنت. فى يدك آجالى. نجنى من يد أعدائى ومن الذين يطردوننى. أضئ بوجهك على عبدك. خلصنى برحمتك. يا رب لا تدعنى أخزى لأنى دعوتك. ليخز الأشرار. ليسكتوا فى الهاوية. لتبكم شفاه الكذب المتكلمة على الصديق بوقاحة بكبرياء واستهانة

---

(١) مزمور ٣١.

ما أعظم جودك الذى ذخرته لخائفيك. وفعلته للمتكلمين عليك تجاه بنى البشر. تسترهم بستر وجهك من مكايد الناس. تخفيهم فى مظلة من مخاصمة الألسن. مبارك الرب لأنه قد جعل عجبا رحمته لى فى مدينة محصنة. وأنا قلت فى حيرتى إنى قد انقطعت من قدام عينيك. ولكنك سمعت صوت تضرعى إذ صرخت إليك.

أحبوا الرب يا جميع أتقيائه. الرب حافظ الأمانة ومجاز بكثرة العامل بالكبرياء. لتقشدد ولتتشجع قلوبكم يا جميع المنتظرين الرب» (مزمور ٣١)

﴿جُمع الشمس والقمر﴾:

فى نبوءة حبقوق عن مجئ النبى من فاران: «**الشمس والقمر وقفا فى** بروجهما لنور سهامك الطائرة، للمعان برق مجدك» وفى ترجمة: «القمر والشمس توقفا فى منازلهما أمام وميض سهامك المندفعة وبريق رمحك المتلألئ»

وقد يكون خسف القمر كناية عن توقفه مع الشمس. فتكون نبوءة حبقوق كافية فى الموضعين؛ موضع خسف القمر وموضع جمع الشمس والقمر. وقد سبق ذكرها قريبا. وفى سفر إرمياء معنى خسف القمر. فقد قال: «وتظلم السموات من فوق» (إرمياء ٤)

نبوءة ﴿بَرِق البصر﴾

البرق يضئ فتبصر العين وترى. فإذا اختفى لا ترى العين. وعندئذ يقف الإنسان فى الليل حائرا. وعندئذ يسهل على العدو قتل عدوه. إذ رآه وعرف مكانه. وفى المزمور المئة والرابع والأربعين يقول محمد ﷺ لله بظهر الغيب: «يا رب طأطئ سمواتك، وانزل المس الجبال؛ فتدخن. أبرق بروقا وبددهم، أرسل سهامك وأزعجهم»

نص النبوءة:

«مبارك[1] الرب صخرتى الذى يعلم يدى القتال وأصابعى الحرب. رحمتى

(١) مزمور ١٤٤.

وملجإى صرحى ومنقذى. مجنى. والذى عليه توكلت المخضع شعبى تحتى. يا رب أى شئ هو الإنسان حتى تعرفه أو ابن الإنسان حتى تفتكر به. الإنسان أشبه بنفخة. أيامه مثل ظل عابر.

يا رب طأطئ سمـواتك وانزل. المس الجبـال فتدخن. أبـرق بروقا وبددهم. أرسل سهامك وأزعجهم. أرسل يدك من العلاء. أنقذنى ونجنى من المياه الكثيرة من أيدى الغـرباء الذين تكلمت أفـواههم بالبـاطل ويمينهم يمين كـذب. يا ألله أرنم لك ترنيمة جديدة برباب ذات عشرة أوتار أرنم لك، المعطى خُلاصا للملوك، المنقذ داود عبده من السيف السوء.

أنقـذنى ونجنى من أيدى الغرباء الذين تكلـمت أفواههم بالبـاطل ويمينهم يمين كذب لكى يكون بنونا مثل الغروس النامية فى شبيتها. بناتنا كأعمدة الزوايا منحوتات حسب بناء هيكل. أهراؤنا ملآنة تفـيض من صنف فصف. أغنامنا تنتج ألوفا وربوات فى شوارعنا. بقرنا مـحملة. لا اقتحام ولا هجـوم ولاشكوي فى شوارعنا. «طوبى للشعب الذي له كهذا. طوبي للشعب الذي الرب إلهه» (مزمور ١٤٤)

نبوءة ﴿أين المفر؟﴾:

يقول اليهود: أين المفر من المعركة؟ وفى النص: أنهم يبيدون قدام الله.

والإبادة تدل على أن الفرار لن ينجيهم من القـتل. كما فى المزمور ٦٨ «يقوم الله. يتبدد أعداؤه، **ويهرب مـبغضوه من أمـام وجهه**. كما يذرى الدخان تذريهم. كما يذوب الشمع قدام النار، يبيد الأشرار قدام الله. والصديقون يفرحون. يبتهجون أمام الله، ويطفرون فرحا. غنّوا لله. ونموا لاسمه... إلخ» وقال فى المزمور ١٤٤: «ياألله أرنم لك ترنيمة جديدة» وهو يعنى بها شريعة جديدة.

النص:

يقوم الله. يتبدد أعداؤه، ويهرب مبغضوه من أمام وجهه. كما يذرى الدخان تذريهم. كما يذوب الشمع قدام النار يبيـد الأشرار قدام الله. والصديقون يفرحون. يبتهجون أمام الله ويطفرون فرحا.

غنوا لله رنموا لاسمه. أعدوا طريقا للراكب فى القفار باسمه ياه، واهتفوا أمامه. أبو اليتامى وقاضى الأرامل الله فى مسكن قدسه. الله مسكن المتوحدين فى بيتٍ. مخرج الأسرى إلى فلاح. إنما المتمردون يسكنون الرمضاء.

اللهم عند خروجك أمام شعبك عند صعودك فى القفر. سلاه. الأرض ارتعدت. السموات أيضا قطرت أمام وجه الله، سينا نفسه من وجه الله إله إسرائيل. مطرا غزيرا نضحت يا أ الله. ميراثك وهو معى أنت أصلحته. قطيعك سكن فيه. هيأت بجودك للمساكين يا أ الله. الرب يعطى كلمة. المبشرات بها جند كثير. ملوك جيوش يهربون يهربون. الملازمة البيت تقسم الغنائم. إذا اضطجعتم بين الحظائر فأجنحة حمامة مغشاة بفضة وريشها بصفرة الذهب. عندما شتت القدير ملوكا فيها أثلجت فى صلمون.

جبل الله جبل باشان. جبل أسنمة جبل باشان. لماذا أيتها الجبال المسنمة ترصدن الجبل الذى اشتهاه الله لسكنه. بل الرب يسكن فيه إلى الأبد. مركبات الله ربوات ألوف مكررة. الرب فيها. سينا فى القدس. صعدت إلى العلاء. سبيت سبيا. قبلت عطايا بين الناس وأيضا المتمردين للسكن أيها الرب الإله.

مبارك الرب يوما فيوما. يُحمّلنا إله خلاصنا. سلاه. الله لنا إله خلاص وعند الرب السيد للموت مخارج. ولكن الله يسحق رءوس أعدائه الهامة الشعراء للسالك فى ذنوبه. قال الرب: من باشان أرجع. أرجع من أعماق البحر لكى تصبغ رجلك بالدم. ألسن كلابك من الأعداء نصيبهم. رأوا طرقك يا أ الله طرق إلهى ملكى فى القدس. من قدام المغنون من وراء ضاربو الأوتار فى الوسط. فتيات ضاربات الدفوف. فى الجماعات باركوا الله الرب. أيها الخارجون من عين إسرائيل. هناك بنيامين الصغر متسلطهم. رؤساء يهوذا جلهم. رؤساء زَبولون. رؤساء نَفتالى. قد أمر إلهك بعزك. أيد يا أ الله هذا الذى فعلته لنا. من هيكلك فوق أورشليم لك تقدم ملوك هدايا. انتهر وحش القصب صوار الثيران مع عجول الشعوب المترامين بقطع فضة. شتت الشعوب الذين يسرون بالقتال. يأتى شرفاء من مصر. كوش تسرع بيديها إلى الله.

يا ممالك الأرض غنوا لله رنموا للسيد. سلاه. للراكب على سماء السموات القديمة. هوذا يعطى صوته صوت قوة. أعطوا عزا لله. على إسرائيل جلاله وقوته فى الغمام. مخوف أنت يا أ الله من مقادسك. إله إسرائيل هو المعطى قوة وشدة للشعب. مبارك الله» (مزمور ٦٨)

***

وبعد ذلك وجه الله كلامه إلى اليهود فقال: ﴿بل تحبون العاجلة، وتذرون الآخرة﴾

والآخرة تحتمل معنيين: إما شريعة القرآن، وإما الدار الآخرة من بعد الموت الحقيقى. وإذا علمنا أنه من بعد القتل فى الدنيا يكون البعث الحقيقى. وعلمنا أنه من مات فقد قامت قيامته. إذ لا إحساس بمدة - كما يقرر علماء اليهود فى كتبهم - نعلم علما يقينيا: أنهم يذرون شريعة القرآن. وتركهم لها هو سبب قيامتهم من قبل الأوان وهو سبب مكثهم فى جهنم. والتوراة شريعة أولى والقرآن شريعة آخرة. فإنه قد كان لإبراهيم ولدان أحدهما من نسل الجارية والآخر من نسل الحرة. وقد وُعد إبراهيم ببركة تكون له فى الأمم. ووُعد بتقسيمها على الولدين «لأنه بإسحق يُدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة؛ لأنه نسلك» فكان مع إسحق شريعة هى أولى، وكان مع إسماعيل شريعة هى الآخرة. ولذلك قال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ لأن مدتها أطول فى الزمان من الأولى.

ثم قسم الله أصحاب المعركة إلى قسمين هما قسم المسلمين، وقسم اليهود. وفى يوم الرب يقول عن المسلمين: ﴿وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها﴾ إلى رحمة ربها ﴿ناظرة﴾ أى منتظرة منه تعالى - النصرة على اليهود وشركائهم ﴿ووجوه يومئذ باسرة. تظن أن يُفعل بها فاقرة﴾ أى الهلاك والهزيمة.

وتكلم عن شدة المعركة، وزهق أنفس اليهود فيها بأسلوب كنائى فقال: ﴿كلا إذا بلغت التراقى وقيل من راق. وظن أنه الفراق. والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق﴾ فى يوم الرب. ثم عدد أسباب هلاكهم، وقال من بعدها: ﴿أيحسب

الإنسان أن يترك سدى﴾؟ أى لابد أيها اليهود من المعركة، فى ساعة يوم الرب.

***

وفى سورة الإنسان:

يقول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾

البيان:

سورة الإنسان كلها تتحدث عن تصوير حال الفريقين السابق ذكرهما فى سورة القيامة. وبدأها بمثل ما ختم به سورة القيامة وهو ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى»؟ والمعنى: هل أتى على اليهود زمن فى مدة دهر الملك والشريعة فى بنى إسرائيل؛ لم نرسل فيه الرسل مبشرين ومنذرين؟ هل احتقرنا اليهودى وتركناه بدون رسول فى زمان شريعة موسى على الأرض؟ فإن زمانها دهر فى مقابل دهر شريعة القرآن؟ كلا لم يحدث ذلك. والمراد بالإنسان: اليهودى خاصة؛ لأن سياق الكلام فيه. وقد جاء بهم إلى مصر من البدو، وأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، وأعطاهم الشريعة وفضلهم بها على العالمين، وجعلهم ملوكا، وجعل فيهم أنبياء. وبعث فيهم أنبياء ورسل منهم. مثل داود وسليمان والمسيح عيسى بن مريم. ثم أرسل محمدا ﷺ من عشيرتهم من جنس إبراهيم عليه السلام ليخفف عنهم أحكام التوراة ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ والآن يودون قتله ومضاداة الله فى أحكامه.

والكافرون هم اليهود. والأبرار هم المسلمون أصحاب رسول الله ﷺ والمراد باليوم: يوم الرب. لأنه أول منازل الآخرة لكل واحد من الفريقين. وقال عن المؤمنين: ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم، ولقاهم نضرة وسرورا﴾ فى الدنيا وفى الآخرة. وقال عن الكافرين: ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا﴾ - وهو يوم الرب - ﴿والظالمين أعد لهم عذابا أليما﴾ فى يوم الرب.

والآن إلى **نبوءة الأبرار**:

وفيها يتكلـم عن مكة المكرمة فيقول: «قومى استـنيرى؛ لأنه قد جاء نورك، ومجد الرب أشرق عليك» ـ «وشعبك كلهم أبرار. يرثون الأرض» وقال النبى المنتظر عن نفسه بظهر الغيب: «روح السيد الرب علىّ؛ لأن الرب مسحنى؛ لأبشر المساكين»

وهذه النبوءة قـد ذكرها شيخ الإسـلام الإمام فخـر الدين الرازى فى تفسـيره الكبير. وهى فى الأصحاح الستين من سفر إشعياء.

النص:

«قومى استـنيرى لأنه قد جـاء نورك ومجد الرب أشـرق عليك. لأنه ها هى الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس الأمم. أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك، يرى. فتسير الأمم فى نورك والملوك فى ضياء إشراقك.

ارفعى عينيك حواليك وانظرى. قد اجـتمعوا كلهم. جاءوا إليك. يأتى بنوك من بعيد وتحمل بناتك على الأيدى. حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول إليك ثروة البـحر ويأتى إليك غنى الأمم. تغطيك كثرة الجـمال بكران مديان وعيفـة كلها تأتى من شبا. تحمل ذهبـا ولبانا وتبشر بتسـابيح الرب. كل غنم قيدار تجتمع إليك. كباش نبايوت تخدمك. تصعد مقبولة على مذبحى وأزين بيت جمالى.

من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمـام إلى بيوتها؟ إن الجزائر تنتظرنى وسفن ترشيش فى الأول لتـأتى ببنيك من بعيد وفـضتهم وذهبهم مـعهم لاسم الرب إلهك وقدوس إسرائيل لأنه قد مجدك.

وبنو الغـريب يبنون أسوارك وملوكـهم يخـدمونك. لأنى بغـضبى ضـربتك وبرضوانى رحمـتك. وتنفتح أبوابك دائماً. نهاراً وليـلاً لا تغلق. ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم. لأن الأمة والمملكة التى لا تخدمك تبيد وخرابا تخرب الأمم. مجد لـبنان إليك يأتى. السرو والسنديان والشربين مـعاً لزينة مكان مقدسى وأمـجد موضع رجلى.

وبنو الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين، وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك ويدعونك مدينة الرب صهيون قدوس إسرائيل. عوضا عن كونك مهجورة ومبغضة بلا عابر بك أجعلك فخرا أبديا فرح دور فدور. وترضعين لبن الأمم وترضعين ثدى ملوك وتعرفين أنى أنا الرب مخلصك ووليك عزيز يعقوب. عوضا عن النحاس آتى بالذهب وعوضا عن الحديد آتى بالفضة وعوضا عن الخشب بالنحاس وعوضا عن الحجارة بالحديد واجعل وكلاءك سلاما وولاتك برا.

لا يسمع بعد ظلم فى أرضك ولا خراب أو سحق فى تخومك بل تسمين أسوارك خلاصا وأبوابك تسبيحا. لا تكون لك بعد الشمس نورا فى النهار ولا القمر ينير لك مضيئا بل الرب يكون لك نورا أبديا وإلهك زينتك. لا تغيب بعد شمسك وقمرك لا ينقص لأن الرب يكون لك نورا أبديا وتكمل أيام نوحك. **وشعبك كلهم أبرار. إلى الأبد يرثون الأرض**. غصن غرسى عمل يدى لأتمجد. الصغير يصير ألفا والحقير أمة قوية. أنا الرب فى وقته أسرع به.

روح السيد الرب علىّ لأن الرب مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لأعصب منكسرى القلب لأنادى للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق. **لأنادى بسنة مقبولة للرب وبيوم انتقام لإلهنا** لأعزى كل النائحين. لأجعل لنائحى صهيون لأعطيهم جمالا عوضا عن الرماد ودهن فرح عوضا عن النوح ورداء تسبيح عوضا عن الروح اليائسة فيدعون أشجار البر غرس الرب للتمجيد.

ويبنون الخرب القديمة. يقيمون الموحشات الأول ويجددون المدن الخربة. موحشات دور فدور. ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم. أما أنتم فتدعون كهنة الرب تسمون خدام إلهنا. تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتأمّرون.

عوضا عن خربكم ضعفان وعوضا عن الخجل يبتهجون بنصيبهم. لذلك يرثون فى أرضهم ضعفين. بهجة أبدية تكون لهم. لأنى أنا الرب محب العدل مبغض المختلس بالظلم. وأجعل أجرتهم أمينة وأقطع لهم عهدا أبديا. ويعرف بين

الأمم نسلهم وذريتهم فى وسط الشعوب. كل الذين يرونهم يعرفونهم أنهم نسل باركه الرب» (إشعياء ٦٠ ـ)

***

وفى سورة المرسلات:

يقول الله تعالى:

﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾

البيان:

المرسلات: جمع رسائل من راسل أرسلها. والمفرد رسالة من راسل أرسلها. فرسالات جمع رسالة وأنبياء الله قد أبلغوا رسالات ربهم المرسلة منه إلى الناس. ومن المرسلات رسائل تعرّف اليهود والأمم بيوم الرب. وفى سفر إشعياء تنبوءات على أمم بهلاك فى يوم الرب مع اليهود. فلما جاء إلى أمة الحبشة «أمة قوة وشدة ودوس، قد خرقت الأنهار أرضها» قال: «يا أرض حفيف الأجنحة التى فى عبر أنهار كوش، المرسلة رسلا فى البحر، وفى قوارب من البردى على وجه المياه»

وهذا النص نبوءة عن محمد ﷺ صاحب يوم الرب؛ لقوله: «فى ذلك اليوم تقدم هدية لرب الجنود من شعب طويل... إلى موضع اسم رب الجنود، جبل صهيون» والتحريف ههنا: هو فى وضع صهيون مكان مكة؛ لأن صهيون ستهلك مع الأمم فى ذلك اليوم؛ فكيف يكون النبى الآتى من اليهود؟ ثم حدد يوم الهلاك بقوله: «يا جميع سكان المسكونة، وقاطبى الأرض عندما ترتفع الراية على الجبال؛ تنظرون. وعندما يُضرب بالبوق؛ تسمعون» وعلى ذلك يكون معنى ﴿والمرسلات عرفا﴾ واذكروا نبوءة الرسائل والكتب المرسلات إلى الأمم، مُعرفة بيوم الرب.

ومن الأمم التى ذكر إشعياء أنها ستهلك فى يوم الرب:

أشّور - بابل - موآب - دمشق - كوش (التى هى الحبشة) - مصر - صور.

وهذا هو نص الأصحاح الثامن عشر من سفر إشعياء:

«يا أرض حفيف الأجنحة التى فى عبر أنهار كوش **المرسلة رسلا فى البحر** وفى قوارب من البردى على وجه المياه. **اذهبوا أيها الرسل** السريعون إلى أمة طويلة وجرداء إلى شعب مخوف منذ كان فصاعدا أمة قوة وشدة ودوس قد خرقت الأنهار أرضها. يا جميع سكان المسكونة وقاطنى الأرض عندما ترتفع الراية على الجبال تنظرون وعندما يضرب بالبوق تسمعون.

لأنه هكذا قال لى الرب: إنى أهدأ وأنظر فى مسكنى كالحر الصافى على البقل كغيم الندى فى حر الحصاد. فإنه قبل الحصاد عند تمام الزهر وعندما يصير الزهر حصرما نضيجا؛ يقطع القضبان بالمناجل وينزع الأفنان ويطرحها. تترك معا لجوارح الجبال ولوحوش الأرض فتصيف عليها الجوارح وتشتى عليها جميع وحوش الأرض.

فى ذلك اليوم تُقدم هدية لرب الجنود من شعب طويل وأجرد ومن شعب مخوف منذ كان فصاعدا، من أمة ذات قوة وشدة ودوس قد خرقت الأنهار أرضها إلى موضع اسم رب الجنود جبل صهيون» (إشعياء ١٨)

﴿فالعاصفات عصفا﴾

ومن النبوءات بهلاك الأمم فى يوم الرب. نبوءة فى سفر إشعياء أولها: «وحى من جهة برية البحر. كزوابع فى الجنوب عاصفةٍ يأتى من البرية من أرض مخوفة. قد أُعلنت لى رؤيا قاسية»

وهذا هو نص الأصحاح الحادى والعشرين من سفر إشعياء.

وقد استدل به كثيرون من العلماء على نبوة محمد ﷺ

«وحى من جهة برية البحر كزوابع فى الجنوب عاصفة يأتى من البرية من أرض مخوفة. قد أعلنت لى رؤيا قاسية. الناهب نهبا. والمخرب مخربا. اصعدى يا

عيلام. حاصرى يا مادى. قد أبطلت كل أنينها. لذلك امتلأت حقواى وجعا وأخذنى مخاض كمخاض الولادة. تلويت حتى لا أسمع. اندهشت حتى لا أنظر. تاه قلبى. بغتنى رعب. ليلة لذتى جعلها ليلة رعدة. يرتبون المائدة يحرسون الحراسة يأكلون يشربون. قوموا أيها الرؤساء امسحوا المجن.

لأنه هكذا قال لى السيد. اذهب أقم الحارس. ليخبر بما يرى. فرأى ركابا أزواج فرسان. ركاب حمير. ركاب جمال فأصغى إصغاء شديدا ثم صرخ كأسد: أيها السيد أنا قائم على المرصد دائما فى النهار وأنا واقف على المحرس كل الليالى. وهو ذا ركاب من الرجال. أزواج من الفرسان. فأجاب وقال: سقطت سقطت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها إلى الأرض. يا دياستى وبنى بيدرى. ما سمعته من رب الجنود إله إسرائيل أخبرتكم به.

وحى من جهة دومة. صرخ إلى صارخ من سعير: يا حارس ما من الليل. يا حارس ما من الليل. قال الحارس: أتى صباح وأيضاً ليل. إن كنتم تطلبون فاطلبوا. ارجعوا تعالوا.

وحى من جهة بلاد العرب. فى الوعر فى بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين. هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تَيْماء. وافوا الهارب بخبزه؛ فإنهم من أمام السيوف قد هربوا. من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب. فإنه هكذا قال لى السيد: فى مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار. وبقية عدد قسى أبطال بنى قِيدار؛ تقل. لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم» (إشعياء ٢١)

﴿والناشرات نشرا﴾:

شبه الله اليهود بكرمة منتشرة؛ قصيرة الساق. وفى أيام ملك بابل. عقد ملك بابل عهدا مع ملك بنى إسرائيل. فتمرد عليه ملك بنى إسرائيل ونكث بالعهد، وعقد عهدا مع ملك مصر. فلذلك عاقبه الله بالأسر فى بابل. لأنه أعطى عهدا باسم الله، ولم يوف به.

وتكلم عن أمة أخـرى ستكون كرمة منـتشرة تكون عوضـا عن بنى إسرائيل. وبمجيئها يكون الله قد أعز أمة كانت ضعيفة، وأذل أمة كانت قوية.

ففى سفر حزقيال عن الأمة الجديدة:

«هكذا قال السيد الرب: وآخذ أنا من فرع الأرز العالى، وأغرسه وأقطف من رأس خراعيـبه غصنا، وأغرسـه على جبل عال وشامخ، فى جبل إسـرائيل العالى. أغرسه. فينبت أغصانا، ويحمل ثمرا، ويكون أرزا واسعا؛ فيسكن تحته كل طائر كل ذى جناح يسكن فى ظل أغصانه؛ فتعلم جـميع أشجار الحقل أنى أنا الرب وضعت الشجـرة الرفيعة، ورفـعت الشجرة الوضـيعة، ويبّـست الشجرة الخضـراء وأفرخت الشجرة اليابسة. أنا الرب تكلمت وفعلت» (حزقيال ١٧ : ٢٢ ـ ٢٤)

﴿فالفارقات فرقا﴾

وفى سفر حزقيال نبوءة عن أن علماء بـنى إسرائيل خالفوا شريعة الله ونجسوا أقداسه. ولم يميزوا بين المقـدّس والمحلل، ولم يعلموا الفرق بين النجس والطاهر. وبسبب ذلك «سـكبت سخطى عليـهم. أفنيتهم بنـار غضبى. جلبت طريـقهم على رءوسهم. يقول السيد الرب»

وهذا هو النص:

«وكان[1] إلى كلام الرب قائـلا. وأنت يا ابن آدم هل تدين اهل تدين مدينة الدماء؟ فعرفها كل رجاساتها وقل: هكذا قال السيد الرب. أيتها المدينة السافكة الدم فى وسطها ليأتى وقـتها المصانعة أصنامـاً لنفسها لتتـجنس بها قد أثمت بدمك الذى سفكت ونجـست نفسك بأصنامك التى عملت وقـربت أيامك وبلغت سنيك فلذلك جعلتك عاراً للأمم وسخـرة لجميع الأراضى. القريبة إليك والبعـيدة عنك يسخرون منك يا نجسة الاسم يا كثيرة الشغب هوذا رؤساء إسرائيل كل واحد حسب استطاعته كانوا فـيك لأجل سفك الدمـاء. فيك أهانوا أباً وأماً فى وسطك ملو الـغر بالظلم. فيك اضطهـدوا اليتيم والأرملة. ازدريت أقـداسى ونجست سبوتى. كـان فيك أناس

(١) حزقيال ٢٢.

وشاة لسفك الدم وفيك أكلوا على الجبال فى وسطك عملوا رزيلة. فيك كشف الإنسان عورة أبيه. فيك أذلوا المتنجسة بطمسها. إنسان فعل الرجس بأمرأة قريبة. إنسان نجس كنته برذيلة. إنسان أذل فيك أخته بنت أبيه. فيك أخذوا الرشوة لسفك الدم أخذت الربا والمرابحة وسلبت أقربائك بالظلم ونسيتنى. يقول السيد الرب

فهأنذا قد صفقت بكفى بسبب خطفك الذى خطفت وبسبب دمك الذى كان فى وسطك. فهل يثبت قلبك أو تقوى يداك فى الأيام التى فيها أعاملك. أنا الرب تكلمت وسأفعل. وأبددك بين الأمم وأذريك فى الأراضى وأزيل نجاستك منك. وتتدنسين بنفسك أمام عيون الأمم وتعلمين أنى أنا الرب

وكان إلى كلام الرب قائلاً يا ابن آدم قد صار لى بيت إسرائيل زغلاً كلهم نحاس وقصدير وحديد ورصاص فى وسط كور. صاروا زغل فضة. لأجل ذلك هكذا قال السيد الرب. من حيث إنكم كلكم صرتم زغلاً فلذلك هأنذا أجمعكم فى وسط أورشليم جمع فضة ونحاس وحديد ورصاص وقصدير إلى وسط كور لنفخ الناس عليها لسبكها كذلك .أجمعكم بغضى وسخطى وأطرحكم وأسبككم. فأجمعكم وأنفخ عليكم فى نار غضبى فتسبكون فى وسطها. كما تسبك الفضة فى وسط الكور كذلك تسبكون فى وسطها فتعلمون أنى أنا الرب سخطى عليكم.

وكان إلى كلام الرب قائلاً يا ابن آدم قل لها أنت الأرض التى لم تطهر. لم يمطر عليها فى يوم الغضب. فتنة أنبيائها فى وسطها كأسد مزمجر يخطف الفريسة. أكلوا نفوسا. أخذوا الكنز والنفيس أكثروا أراملها فى وسطها. كهنتها خالفوا شريعتى ونجسوا أقداسى. لم يميزوا بين المقدس والمحلل ولم يعلموا الفرق بين النجس والطاهر وحجبوا عيونهم عن سبوتى فتدنست فى وسطهم. رؤساؤها فى وسطها كذئاب خاطفة خطفا لسفك الدم لإهلاك النفوس لاكتساب كسب. وأنبياؤها قد طبنوا لهم بالطفال رائين باطلا وعارفين لهم كذبا قائلين: هكذا قال السيد الرب. والرب لم يتكلم. شعب الأرض ظلموا ظلما وغضبوا غضبا واضطهدوا الفقير والمسكين وظلموا الغريب بغير الحق. وطلبت من بينهم رجلا يبنى جدارا ويقف فى الثغر أمامى عن الأرض لكيلا أخربها فلم أجد. فسكبت سخطى عليهم أفنيتهم بنار

غضبى. جلبت طريقهم على رءوسهم. يقول السيد الرب» (حزقيال ٢٢)

﴿فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا﴾

يخبر أن أنبياء الله ورسله قد بلغوا رسالات الله، وألقوا كلاما. ويخبر أن أنبياء ورسلا قد أرسلهم الله ليذكروهم بالكلام الذى ألقاه الأوائل، فموسى عليه السلام ألقى كلاما فى مسامعهم عن مجئ نبى من بعده مماثل له، وأن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشعب. والأنبياء من بعده قد ذكّروا بنى إسرائيل بمجئ هذا النبى، وبالهلاك على يديه للكافرين به فى يوم الرب. مثل يوئيل وعاموس وإرمياء وغيرهم.

وفى المزمور الخمسين لداود عليه السلام مايدل على ذكر لعذر أو لإنذار. ففى آخره: «افهموا هذا يا أيها الناسون الله؛ لئلا أفترسكم، ولا منقذ» وهذا إنذار. لئلا يكون لهم عذر إذا هلكوا؛ أنهم قد نسوا كلام الأوائل.

وهذا هو النص:

«إله الآلهة الرب تكلم ودعا الأرض من مشرق الشمس إلى مغربها. من صهيون كمال الجمال. الله أشرق. يأتى إلهنا ولا يصمت. نار قدامه تأكل وحوله عاصف جدا. يدعو السموات من فوق والأرض إلى مداينة شعبه. اجمعوا إلى أتقيائى القاطعين عهدى على ذبيحة. وتخبر السموات بعدله لأن الله هو الديان. سلاه

اسمع يا شعبى فأتكلم. يا إسرائيل فأشهد عليك. الله إلهك أنا. لا على ذبائحك أوبخك. فإن محرقاتك هى دائماً قدامى. لا آخذمن بيتك ثورا ولا من حظائرك أعتدة. لأن لى حيوان الوعر والبهائم. على الجبال الألوف. قد علمت كل طيور الجبال ووحوش البرية عندى. إن جعت فلا أقول لك؛ لأن لى المسكونة وملأها. هل آكل لحم الثيران أو أشرب دم التيوس؟ اذبح لله حمدا وأوف العلى نذورك وادعنى فى يوم الضيق؛ أنقذك فتمجدنى.

وللشرير قال الله: مالك تحدث بفرائضى وتحمل عهدى على فمك. وأنت قد أبغضت التأديب وألقيت كلامى خلفك. إذا رأيت سارقا وافقته ومع الزناة نصيبك. أطلقت فمك بالشر ولسانك يخترع غشا. تجلس تتكلم على أخيك. لابن أمك تضع

معثرة. هذه صنعت وسكت. ظننت أنى مثلك. أوبخك وأصف خطاياك أمام عينيك. **افهموا هذا يا أيها الناسون الله لئلا أفترسكم ولا منقذ**. ذابح الحمد يمجدنى والمقوم طريقه أريه خلاص الله» (مزمور ٥٠)

﴿إنما توعدون لواقع﴾

تذكروا هذه النبوءات، واعلموا منها: ﴿إنما توعدون لواقع﴾

أى أنتم تعلمون من هذه النبوءات: أن الذى توعدون به من الهلاك؛ سوف يقع فى يوم الرب. ثم شرع فى الإفصاح عن يوم الرب بمثل ما أفصح عنه موسى والأنبياء. فقال: ﴿فإذا النجوم طمست...﴾ إلخ تعلمون أنه ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾

﴿فإذا النجوم طمست﴾

التعبير كناية عن هول المعارك وشدتها فى يوم الرب.

ففى نبوءة حَبَقُّوق: «الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران، سِلاه. **جلاله غطى السموات**، والأرض امتلأت من تسبيحه...» وفى الترجمة اليونانية السبعينية: «الله جاء من الجنوب» ولفظ «الجنوب» فى التوراة يدل على «مكة المكرمة» ومن الكلام الدال على ذلك: «فبنى هناك مذبحا للرب، ودعا باسم الرب. ثم ارتحل ارتحالا متواليا نحو الجنوب» ـ «فصعد أبرام من مصر، هو وامرأته، وكل ما كان له ولوط معه إلى الجنوب» وتغطية جلاله السموات: هو كناية عن عظم مجده وقوته واقتداره. ويدل أسلوب الكناية هذا على أن جلاله غطى الشمس والقمر والنجوم، على طريق الكناية.

وفى نبوءة إشعياء: «هو ذا يوم الرب قادم قاسيا بسخط، وحمو غضب؛ ليجعل الأرض خرابا ويبيد منها خطاتها. فإن نجوم السموات وجبابرتها؛ لا تُبرز نورَها. تظلم الشمس عند طلوعها، والقمر لا يلمع بضوءه، وأعاقب المسكونة على شرها والمنافقين على إثمهم. وأبطل تعظم المستكبرين، وأضع تجبر العتاة، وأجعل الرجل أعزّ من الذهب الإبريز، والإنسان أعزّ من ذهب أوفير. لذلك أزلزل

السموات، وتتزعزع الأرض من مكانها، فى سخط رب الجنود، وفى يوم حمو غضبه» (إشعياء ١٣ : ٩ ـ ١٣)

لاحظ : **«فإن نجوم السموات وجبابرتها؛ لا تبرز نورها»**

وفى نبوءة للمسيح عن يوم الرب: «وللوقت بعد ضيق تلك الأيام، تظلم الشمس والقمر لا يُعطى ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السموات تتزعزع، وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء» (متى ٢٤ : ٢٩ ـ ٣٠)

﴿وإذا السماء فرجت﴾

فى نبوءة فى سفر إشعياء عن يوم الرب: «ليتك تشق السموات وتنزل. من حضرتك تتزلزل الجبال» وفى نبوءة فى نفس السفر: «تشققت الأرض تشققا. تزعزعت الأرض تزعزعا» (إش ٢٤ : ١٩)

وفى نبوءة تشقق السماء :

«ليتك تشق السموات وتنزل. من حضرتك تتزلزل الجبال. كما تشعل النار الهشيم وتجعل النار المياه تغلى لتعرّف أعداءك اسمك، لترتعد الأمم من حضرتك. حين صنعت مخاوف لم ننتظرها. نزلت تزلزلت الجبال من حضرتك. ومنذ الأزل لم يسمعوا ولم يصغوا. لم تر عين إلها غيرك يصنع لمن ينتظره. تلاقى الفرح الصانع البر. الذين يذكرونك فى طرقك. ها أنت سخطت إذ أخطأنا. هى إلى الأبد فنخلص. وقد صرنا كلنا كنجس وكثوب عدة كل أعمال برنا وقد ذبلنا كورقة وآثامنا كريح تحملنا. وليس من يدعو باسمك أو ينتبه ليتمسك بك لأنك حجبت وجهك عنا وأذبتنا بسبب آثامنا. والآن يا رب أنت أبونا. نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك.

لا تسخط كل السخط يا رب، ولا تذكر الإثم إلى الأبد. ها انظر. شعبك كلنا. مدن قدسك صارت برية. صهيون صارت برية، وأورشليم موحشة. بيت قدسنا وجمالنا حيث سبحك آباؤنا قد صار حريق نار وكل مشتهياتنا صارت خرابا. ألأجل هذه تتجلد يا رب؟ أتسكت وتذلنا كل الذل؟» (إشعياء ٦٤)

﴿وإذا الجبال نسفت﴾

فى نبوءة حبقوق: «نظر فرجف الأمم، ودكت الجبال الدهرية، وخسفت آكام القدم» وفى نبوءة حزقيال عن هلاك يأجوج ومأجوج فى يوم الرب. وعبر عنه بالأيام الأخيرة لبنى إسرائيل. وهى نفسها الأيام الأولى لبدء أيام بنى إسماعيل فى الملك والنبوة من محمد ﷺ : «فترعش أمامى سمك البحر وطيور السماء ووحوش الحقل، والدبابات التى تدب على الأرض، وكل الناس الذين على وجه الأرض، وتندك الجبال وتسقط المعاقل، وتسقط كل الأسوار إلى الأرض»

وهذا هو النص من حزقيال ـ الأصحاح الثامن والثلاثون:

«لذلك تنبأ يا ابن آدم وقل لجوج. هكذا قال السيد الرب. فى ذلك اليوم عند سكنى شعبى إسرائيل آمنين أفلا تعلم. وتأتى من موضعك من أقاصى الشمال أنت وشعوب كثيرون معك كلهم راكبون خيلا جماعة عظيمة وجيش كثير. وتصعد على شعبى إسرائيل كسحابة تغشى الأرض. **فى الأيام الأخيرة يكون**. وآتى بك على أرضى لكى تعرفنى الأمم حين أتقدس فيك أمام أعينهم يا جوج.

هكذا قال السيد الرب. هل أنت هو الذى تكلمت عنه فى الأيام القديمة عن يد عبيدى أنبياء إسرائيل الذين تنبأوا فى تلك الأيام سنينا أن آتى بك عليهم؟ ويكون فى ذلك اليوم يوم مجئ جوج على أرض إسرائيل. يقول السيد الرب. أن غضبى يصعد فى أنفى. وفى غيرتى فى نار سخطى تكلمت أنه فى ذلك اليوم يكون رعش عظيم فى أرض إسرائيل. فترعش أمامى سمك البحر وطيور السماء ووحوش الحقل والدبابات التى تدب على الأرض وكل الناس الذين على وجه الأرض وتندك الجبال وتسقط المعاقل وتسقط كل الأسوار إلى الأرض. وأستدعى السيف عليه فى كل جبالى. يقول السيد الرب. فيكون سيف كل واحد على أخيه. وأعاقبه بالوباء وبالدم وأمطر عليه وعلى جيشه وعلى الشعوب الكثيرة الذين معه مطرا جارفا وحجارة برد عظيمة ونارا وكبريتا. فأتعظم وأتقدس وأعرف فى عيون أمم كثيرة؛ فيعلمون أنى أنا الرب» (حزقيال ٣٨: ١٤ ـ ٢٣)

﴿وإذا الرسل أقتت﴾

جعل الله يوما معينا لهلاك اليهود المكذبين بمحمد ﷺ . وقد استعجل اليهود هذا الهلاك. ورد عليهم بقوله: إنه مؤجل ليوم الفصل بين المسلمين وبين اليهود، وسيكون بغتة، وأنه إلى أمة معدودة. ثم ذكر أدلة على قدرته على الإهلاك. وقال عن يوم الرب: ﴿هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ - ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين﴾ جمع اليهود للمعركة فقتلوا. ولما بعثوا من بعد القتل مباشرة التقوا بالأولين. فصار يوم الفصل مقسوما إلى مدتين. مدة للأحياء فى يوم الرب، ومدة للمشابهين بهم من آبائهم. وإذ الإحساس منتف من بعد الموت؛ عبر عنها بيوم واحد.

***

وفى سورة النبأ:

فى بدء السورة الكريمة؛ ذكر اختلاف اليهود فى نبوة محمد ﷺ ثم كرر الله الدلائل على قدرته كما فى السورة السابقة. فقال: ﴿كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون﴾ ما يحدث لهم فى يوم الرب.

ثم قال: ﴿**يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا**﴾ (الآية ١٨ - ٣٠)

البيان:

كان من عادة المحاربين القدماء النفخ فى الأبواق لجمع الناس للحرب. وهو على هذه العادة يتكلم. وعلى هذه العادة تكلم كتاب التوراة وأسفار الأنبياء من قبل. ففى سفر يوئيل: «اضربوا بالبوق فى صهيون. صوّتوا فى جبل قدسى؛ ليرتعد جميع سكان الأرض. لأن يوم الرب قادم؛ لأنه قريب. . .إلخ» (يؤ ٢ : ١)

﴿وفتحت السماء فكانت أبوابا﴾

لقّب دانيال رسول الله محمد ﷺ بلقب «ابن الإنسان» فى الأصحاح السابع من سفره. واستدل بكلامه المسيح عيسى عليه السلام وقال: إن «ابن الإنسان» سيأتى من بعدى. وقال: إن موسى فى التوراة فى نشيده، أنبأ عن نزول الملائكة من السماء لنصرة «ابن الإنسان» فمن الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله تنزل من السماء، وتصعد إلى السماء لنصرة ابن الإنسان. ذلك قوله: «الحق الحق أقول لكم: من الآن ترون السماء مفتوحة، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان» (يوحنا ١ : ٥١)

﴿وسيرت الجبال فكانت سرابا﴾

فى الأصحاح الأول من سفر مِيخا:

«اسمعوا أيها الشعوب جميعكم. أصغى أيتها الأرض وملؤها، وليكن السيد الرب شاهدا عليكم. السيد من هيكل قدسه. فإنه هو ذا الرب يخرج من مكانه، وينزل ويمشى على شوامخ الأرض؛ فتذوب الجبال تحته، وتنشق الوديان كالشمع قدام النَار. كالماء المنصب فى منحدر. . .» (مى ١ : ١ ـ)

﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا. . .﴾

بعدما فرغ من الكلام عن هلاك الكافرين من اليهود بالنبى ﷺ فى يوم الرب. وعن نجاة المؤمنين به؛ شرع فى الكلام عن الهلاك والنجاة فى يوم القيامة. لاغيا مدة الحياة فى القبر. على معنى: «من مات فقد قامت قيامته» والمراد بالروح: محمد ﷺ بلغة أهل الكتاب وذلك لأن عيسى عليه السلام ذكر اسم أحمد فى إنجيل يوحنا، وذكر بعده الروح القدس. فقال: «بِيراكليت الروح القدس» أى المنسوب إلى الله القدوس الطاهر. فإن من عادة أهل الكتاب نسبة الإنسان المؤمن إلى الروح القدس، يعنون أنه يُلهم أعماله من الله. ونسبة الإنسان الكافر إلى الروح النجس يعنون أنه يُلهم أعماله من الشيطان. والمراد بالملائكة: الملائكة الأربعة وهم جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وأوريل. ـ الذى هو عزرائيل ـ والمراد من القيام: أنه مكتوب فى التوراة عن محمد ﷺ أنه سيشفع فى المذنبين. لذلك يقوم ليبين مقدار حبّ الله له، ومقدار شفاعته. وقد بين أنها لفصل القضاء، وأنها ليست لليهود. وإنما هى

لأمّته بمعنى عدم تخليدهم فى جهنم.

وهذا هو نص التوراة من الأصحاح الثانى والخمسين وما بعده من سفر إشعياء على أنه سيشفع فى المذنبين من أمته فقط:

«هو ذا عبدى يعقل يتعالى ويرتقى ويتسامى جدا. كما اندهش منك كثيرون. كان منظره كذا مفسدا أكثر من الرجل وصورته أكثر من بنى آدم. هكذا ينضح أمما كثيرين. من أجله يسد ملوك أفواههم لأنهم قد أبصروا ما لم يخبروا به وما لم يسمعوه فهموه.

من صدق خبرنا، ولمن استعلنت ذراع الرب؟ نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة. لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه. محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا. محتقر فلم نعتد به.

لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا. وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا. كلنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه. والرب وضع عليه إثم جميعنا. ظلم. أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه. من الضغطة ومن الدينونة أُخذ. وفى جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء. أنه ضرب من أجل ذنب شعبى. وجعل مع الأشرار قبره ومع غنى عند موته. على أنه لم يعمل ظلما ولم يكن فى فمه غش.

أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن. إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح. من تعب نفسه يرى ويشبع. وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها. لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة. من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصى مع أثمة. وهو حمل خطية كثيرين **وشفع فى المذنبين**» (إشعياء ٥٢: ١٣ +)

ونص الإنجيل على مقدار حب الله له، وشفاعته لأمته بمعنى عدم تخليدهم فى النار

قـد ذكرناه فى كـتـابنا الشفـاعـة بين المسلمـين وأهل الكتـاب، وفى كتـابنا هرمجدون حقيقة أم خيال؟ وسنذكر منه فى ما بعد فى هذا الكتاب ما يؤدى الغرض.

وقد جاء فى إنجيل مرقس: أن المسيح عليه السلام لن يشفع فى اليهود، وتعجب من عدم إيمانهم. والتعجب معناه: أنهم غير مؤمنين. ولا شفاعة إلا للمؤمن. ذلك قوله: «فقال لهم يسوع: ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وبين أقربائه وفى بيته، ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قـوة واحدة، غـير أنه وضع يديـه على مرضى قليلين فـشفـاهم. وتعجب من عدم إيمانهم، وصار يطوف القرى المحيطة؛ يُعلّم» (مرقس ٦: ٤ ــ ٦)

وفى نهاية سورة النبأ يقول لليهود:

﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾

البيان:

العذاب القريب يكون فى يوم الرب.

ومعنى ﴿ويقـول الكافر يا ليتنى كـنت ترابا﴾ يحكيه المسيح عـيسى عليه السلام فى إنجيل برنابا. وسيأتى ذكره فيما بعد.

***

وفى سورة النازعات:

يقول الله تعالى:

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾

البيان:

قوله تعالى ﴿والنازعات غرقا﴾ إشارة إلى نبوءة فى التوراة عن محمد ﷺ يريد من اليهود أن يتذكروها؛ ليؤمنوا به فينجو من الهلاك على يديه فى يوم الرب. وهى نبوءة فاران فى سفر حبقوق. وفيها: «عريت قوسك تعرية. سباعيات سهام كلمتك» وفى التراجم القديمة: «وستنزع فى قسيك إغراقا، وترتوى السهام بأمرك ارتواء» وفى ترجمة: «هل غضبك منصب على الأنهار يا رب؟ أعلى الأنهار احتدم سخطك؟ أم على البحر سكبت جام غيظك. عندما ركبت خيولك ومركبات ظفرك؟ جردت قوسك، وتأهبت لإطلاق سهامك الكثيرة، وشققت الأرض أنهارا»

والمعنى: أن السهام والقسى سيستغرقان فى نزع أرواح اليهود؛ كناية عن كثرة القتلى، والفناء العام.

وهذا هو النص:

«الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران. سِلاه. جلاله غطى السموات والأرض امتلأت من تسبيحه. وكان لمعان كالنور. له من يده شعاع وهناك استتار قدرته. قدامه ذهب الوبأ وعند رجليه خرجت الحمى. وقف وقاس الأرض. نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية وخسفت آكام القدم. مسالك الأزل له. رأيت خيام كوشان تحت بلية. رجفت شقق أرض مديان. هل على الأنهار حمى يا رب. هل على الأنهار غضبك. أو على البحر سخطك، حتى إنك ركبت خيلك، مركباتك مركبات الخلاص. **عريت قوسك تعرية. سباعيات سهام** كلمتك. سَلاه. شققت الأرض أنهارا، أبصرتك ففزعت الجبال. سيل المياه طما. أعطت اللجة صوتها. رفعت يديها إلى العلاء. الشمس والقمر وقفا فى بروجهما لنور سهامك الطائرة للمعان برق مجدك. بغضب خطرت فى الأرض. بسخط دست الأمم. خرجت **لخلاص شعبك لخلاص مسيحك**. سحقت رأس بيت الشرير معريا الأساس حتى العنق. سلاه. ثقبت بسهامه رأس قبائله. عصفوا لتشتيتى. ابتهاجهم كما لأكل المسكين فى الخفية. سلكت البحر بخيلك كوم المياه الكثيرة.

سمعت فارتعدت أحشائى. من الصوت رجفت شفتاى. دخل النخر فى عظامى، وارتعدت فى مكانى **لأستريح فى يوم الضيق، عند صعود الشعب الذى يزحمنا.**

فمع أنه لا يزهر التين ولا يكون حمل فى الكروم، يكذب عمل الزيتونة والحقول لا تصنع طعاما، ينقطع الغنم من الحظيرة، ولا بقر فى المذاود؛ فإنى أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصى. الرب السيد قوتى ويجعل قدمى كالأيائل ويمشينى على مرتفعاتى» (حبقوق ٣)

﴿والناشطات نشطا﴾

هذه صفات المسلمين المحاربين على الخيول فى يوم الرب. وهى مجموعة مع غيرها من الصفات التى تدل على النشاط والشجاعة[١] فى نبوءة يوئيل، وفى الأصحاح الرابع من سفر إرمياء. وفى نبوءة إرمياء هذه: «نظرت إلى الجبال وإذا هى ترتجف، وكل الآكام تقلقلت» ـ «هو ذا كسحاب يصعد، وكزوبعة مركباته. أسرع من النسور خيله» وهذا هو نص إرمياء:

«إن رجعت[٢] يا إسرائيل. يقول الرب. إن رجعت إلى وإن نزعت مكرهاتك من أمامى فلا تتيه. وإن حلفت حى هو الرب بالحق والعدل والبر فتتبرك الشعوب به وبه يفتخرون.

لأنه هكذا قال الرب لرجال يهوذا ولأورشليم: احرثوا لأنفسكم حرثا ولا تزرعوا فى الأشواك. اختتنوا للرب وانزعوا غرل قلوبكم يا رجال يهوذا وسكان أورشليم لئلا يخرج كنار غيظى فيحرق وليس من يطفئ بسبب شر أعمالكم. أخبروا فى يهوذا وسمعوا فى أورشليم وقولوا: اضربوا بالبوق فى الأرض. نادوا بصوت عال وقولوا: اجتمعوا فلندخل المدن الحصينة. ارفعوا الراية نحو صهيون. احتموا. لا تقفوا. لأنى آتى بشر من الشمال وكسر عظيم. قد صعد الأسد من غابته **وزحف مهلك الأمم.**

---

(١) فى سفر حزقيال وهو يتكلم عن بئر زمزم كلام عن السبح فى الماء، فى الأصحاح السابع والأربعين «ثم قاس ألفا وإذا بنهر لم أستطع عبوره؛ لأن المياه طمت مياه سباحة نهر لا يعبر» (حز ٣٧: ٥).

(٢) الأصحاح الرابع من سفر إرمياء.

خرج من مكانه ليجعل أرضك خرابا. تخرب مدنك فلا ساكن. من أجل ذلك تنطقوا بمسوح. الطموا، وولولوا؛ لأنه لم يرتد حمو غضب الرب عنا. **ويكون فى ذلك اليوم يقول الرب: أن قلب الملك يعدم وقلوب الرؤساء. وتتحير الكهنة وتتعجب الأنبياء.**

فقلت: آه يا سيد الرب حقا إنك خداعا خادعت هذا الشعب[1] وأورشليم قائلا: يكون لكم سلام وقد بلغ السيف النفس. فى ذلك الزمان يقال لهذا الشعب ولأورشليم: ريح لافحة من الهضاب فى البرية نحو بنت شعبى لا للتذرية ولا للتنقية. ريح أشد تأتى لى من هذه. الآن أنا أيضاً أحاكمهم.

هو ذا كسحاب يصعد وكزوبعة مركباته. أسرع من النسور خيله. ويل لنا لأننا قد أخربنا. اغسلى من الشر قلبك يا أورشليم لكى تخلصى. إلى متى تبيت فى وسطك أفكارك الباطلة. لأن صوتا يخبر من دان ويسمع ببلية من جبل أفرايم. اذكروا للأمم. انظروا. أسمعوا على أورشليم. المحاصرون آتون من أرض بعيدة فيطلقون على مدن يهوذا صوتهم. كحارسى حقل صاروا عليها حواليها لأنها تمردت على. يقول الرب. طريقك وأعمالك صنعت هذه لك. هذا شرك. فإنه مر قد بلغ قلبك.

أحشائى أحشائى. توجعنى جدران قلبى. يئن فىّ قلبى. لا أستطيع السكوت. لأنك سمعت يا نفسى صوت البوق وهتاف الحرب. بكسر على كسر نودى لأنه قد خربت كل الأرض. بغتة خربت خيامى وشققى فى لحظة. حتى متى أرى الراية وأسمع صوت البوق. لأن شعبى أحمق. إياى لم يعرفوا. هم بنون جاهلون وهم غير فاهمين. هم حكماء فى عمل الشر ولعمل الصالح ما يفهمون.

نظرت إلى الأرض وإذا هى خربة وخالية وإلى السموات فلا نور لها.

نظرت إلى الجبال وإذا هى ترتجف وكل الآكام تقلقلت. نظرت وإذا لا إنسان وكل طيور السماء هربت. نظرت وإذا البستان برية وكل مدنها نقضت. من وجه

(١) فى القرآن الكريم: ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ - ﴿يخادعون الله والذين آمنوا، وما يخدعون إلا أنفسهم، وما يشعرون﴾

الرب، من وجه حمو غضبه.

لأنه هكذا قال الرب. خرابا تكون كل الأرض ولكننى لا أفنيها. من أجل ذلك تنوح الأرض **وتظلم السموات من فوق**[1]. من أجل أنى قد تكلمت. قصدت ولا أندم ولا أرجع عنه. من صوت الفارس ورامى القوس كل المدينة هاربة. دخلوا الغابات وصعدوا على الصخور. كل المدن متروكة ولا إنسان ساكن فيها. وأنت أيتها الخربة ماذا تعملين. إذا لبست قِرمزا، إذا تزينت بزينة من ذهب، إذا كحلت بالإثمد عينيك؛ فباطلا تحسنين ذاتك فقد رذلك العاشقون. يطلبون نفسك. لأنى سمعت صوتا كماخضة ضيقا مثل ضيق بكربة. صوت ابنة صهيون تزفر. تبسط يديها قائلة: ويل لى لأن نفسى قد أغمى عليها بسبب القاتلين» (إرمياء ٤)

نبوءة ﴿السابحات﴾

هذا هو كلام إرمياء، فى الناشطات ﴿السابحات﴾ المراد: هو المذكور فى الأصحاح السابع والأربعين من سفر حزقيال وهو يتكلم عن بئر زمزم ويقول: «ثم قاس ألفا، وإذا بنهر لم أستطع عبوره؛ لأن المياه طمت. مياه سباحة نهر. لا يعبر»

والنص طويل فى سفر حزقيال. وهو يبدأ من الأصحاح الأربعين. ويقول عن الهيكل الجديد. ويعنى به تغيير الشريعة القديمة التي هيكل سليمان رمز لها، بالشريعة الجديدة التى الكعبة البيت الحرام ستكون رمزها. وعبر بقوله «من جهة الجنوب» عن «مكة» وقد قال المسيح إن محمدا سيخرج من أرض الجنوب. وفى التوراة اليونانية فى نبوءة حبقوق أن النبى الآتى سيأتى من أرض الجنوب.

وتكلم عن السور الذى يحيط بالهيكل الجديد، وعن الدار الداخلية من المدخل الجنوبى، ثم وصف الهيكل، والأبنية التى خارج الهيكل وقال إن مجد الله سيجئ من طريق الشرق، وصوته كصوت مياه غزيرة، والأرض تلألأت من مجده.

وتكلم عن المذبح والذبائح.

---

(١) فى القرآن الكريم: ﴿وخسف القمر﴾

وأكثر الكلام فى استعمال الباب الشرقى من الهيكل. وقال عن الكهنة: «ولا يحلقون شعر رءوسهم، ولا يرسلونه، بل يقصرونه فى انتظام. ولا يشرب كاهن خمرا عند دخوله إلى الدار الداخلية، ولا يتزوجون أرملة، ولا مطلقة»

وتكلم عن حصة الرب من الأرض. فقال: «وقال الرب: وإذا قستم الأرض ميراثا؛ تقدمون لى منها قطعة. طولها خمسة وعشرون ألف ذراع، وعرضها عشرة آلاف ذراع، وتكون هذه كلها مكرسة لى. ويكون من هذه الأرض للهيكل مربع طوله خمس مئة ذراع وعرضه خمس مئة ذراع على المحيط. وتكون الفسحة من حوله خمسين ذراعا. وتقيس من الأرض المقدسة قطعة طولها خمسة وعشرون ألف ذراع وعرضها عشرة آلاف ذراع. وعليها يكون الهيكل وقدس الأقداس.

وهناك يكون مكان مقدس للهيكل ولبيوت الكهنة الذين يقتربون منى؛ ليخدمونى»

ثم تكلم عن المكاييل والموازين، ووصف بنى إسرائيل بتطفيف المكاييل والموازين فقال: «وقال السيد الرب: كفاكم يارؤساء إسرائيل. كفّوا عن الظلم والعنف وأجروا الحق والعدل، وارفعوا عن شعبى اغتصابكم. سيكون لكم موازين عادلة»

وفى هذا المعنى ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

بين أنهم سيبعثون خلقا جديدا. وسيحاسب الكافرون منهم فى يوم عظيم بين أنه لليهود فقط بقوله ﴿الناس﴾ فإن الناس لفظ خاص باليهود فى قوله ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

ثم تكلم حزقيال عن الأعياد وعن ميراث رئيس الكهنة. ثم تكلم عن النهر الجارى من الهيكل الجديد. فقال: «ورجع بى الرجل إلى المدخل الشرقى؛ فرأيت

تحت العتبـة مياها تجري على طول جـانب الهيكل الأمامى، صـوب الجنوب، وعبر المذبح إلى الشرق، وخرج بى من طريق باب الشمال، ودار بى فى الطريق الخارجى إلى الباب الخـارجى عند الطريق المتجـه نحو الشرق؛ فـإذا بالمياه تجـرى من الجانب الجنوبى.

ولما خرج الرجل نحو الشرق. كان بيـده خيط. فقاس ألف ذراع، واجتاز بى المياه التى غمرتنـى حتى الكعبين. ثم قاس ألف ذراع؛ فغمرتنـى المياه إلى الركبتين. ثم قاس ألف ذراع؛ فغمرتنى المياه إلى الحقوين، ثم قاس ألف ذراع؛ فإذا بنهر تعذّر علىّ الاجتياز فيه؛ لأن المياه صارت طاغيـة، لايمكن اجتيازها إلا سباحة. فقال لى: أرأيت يا ابن البشر؟»... إلخ.

***

وفى سفـر حزقيال كـلام كثير عن مـعاصى بنى إسرائيل. وقد عـددها وقال بعدها: أن الله سيعاقبهم عقـابا شديدا، وسيبعثرهم فى البلدان. ومن هذه المعاصى: أنهم صنعـوا الأصنام، وسفكوا الدم البـرئ، وأهانوا الأب والأم، وعاملوا الغـريب بالظلم، واضطهدوا اليتيم والأرملة، واحتقروا الأمكنة المقدسة، ودنسوا يوم السبت.

«رجال نميـمة» كما قـال الله عنهم فى القرآن الكريم: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ وارتكبوا الفجور، وزنوا بامرأة الأب، واضـجعوا مع المرأة الحائض، وزنوا وارتكبوا بنساء الأقارب وبعضـهم مع حماته وبعضهم مع أختـه، وأخذوا الرشوة لسفك الدم البرئ وأكلوا الربا الفاحش، وأغتصبوا أموال أقربائهم. وفى نهاية هذا الكلام يقول: «فهل يحتمل قلبك، أو تقوى يداك أيام أجُرى حسابى معك؟» (حزقيال ٢٢)

﴿فالسابقات سبقا﴾

لأن السبّح فى الماء مـقصود به بـئر زمزم؛ يكون المقـصود بالسابقـات: وفود الحـجـاج إلى مكة، فى مـواسم الحج والعـمـرة. وفى سـفر إشـعـيـاء عن هذا: «ويُحضرون كل إخـوتكم من كل الأمم تقدمة للرب على خيل وبمركـبات وبهوا دج

وبغال وهجن إلى جبل قدسى أورشليم. قال الرب. كما يُحضر بنو إسرائيل. تقدمة فى إناء طاهر إلى بيت الرب»

والخيل يسبق بعضها بعضا وركابها خارجون من بلدة واحدة. فإذا خرجوا فى الأشهر المعلومات من بلاد كثيرة؛ فإنهم لا يصلون كلهم فى يوم واحد. لكنهم ينتظرون يوما واحدا لا يريدون أن يتعدوه إلى غيره؛ لئلا يفسد حجهم. وهو يوم عرفة. ثم إن الهوادج على الجمال لا تتحرك كلها فى يوم واحد. وإذا تحركت مع الخيول؛ فإن الخيول تسبقها، والبغال لا تسبقها. والهجن أيضا.

ومحرف النص كتب «قدسى. أورشليم» وهو يعلم أن جبل أورشليم وهو صهيون غير مقدس، ويعلم أن لليهود المكذبين عقابا فى يوم القيامة عبر عنه بقوله: «ويخرجون ويرون جثث الناس الذين عصوا على؛ لأن دودهم لا يموت، ونارهم لا تطفأ. ويكونون رذالة لكل ذى جسد»

وهذا هو النص من الأصحاح السادس والستين من سفر إشعياء:

«لأنه هكذا قال الرب. هأنذا أدير عليها سلاما كنهر ومجد الأمم كسيل جارف؛ فترضعون. وعلى الأيدى تحملون، وعلى الركبتين تدللون. كإنسان تعزيه أمه هكذا أعزيكم أنا وفى أورشليم تعزون. فترون وتفرح قلوبكم وتزهو عظامكم كالعشب. وتعرف يد الرب عند عبيده ويحنق على أعدائه. لأنه هو ذا الرب بالنار يأتى ومركباته كزوبعة ليرد بحمو غضبَه وزجره بلهيب نار. لأن الرب بالنار يعاقب وبسيفه على كل بشر ويكثر قتلى الرب. الذين يقدسون ويطهرون أنفسهم فى الجنات وراء واحد فى الوسط آكلين لحم الخنزير والرجس والجرذ؛ يفنون معا. يقول الرب.

وأنا أجازى أعمالهم وأفكارهم.

حدَثَ لجمع كل الأمم والألسنة فيأتون ويرون مجدى. وأجعل فيهم آية وأرسل منهم ناجين إلى الأمم إلى ترشيش وفول ولود النازعين فى القوس إلى توبال وياوان إلى الجزائر البعيدة التى لم تسمع خبرى ولا رأت مجدى فيخبرون بمجدى بين الأمم. ويحضرون كل إخوتكم من كل الأمم تقدمة للرب على خيل وبمركبات

وبهوادج وبغال وهجن إلى جبل قدسى أورشليم. قال الرب.

كما يحضر بنو إسرائيل تقدمة فى إناء طاهر إلى بيت الرب. وأتخذ أيضا منهم كهنة ولاويين. قال الرب. لأنه كما أن السموات الجديدة والأرض الجديدة التى أنا صانع تثبت أمامى يقول الرب. هكذا يثبت نسلكم واسمكم.

ويكون من هلال إلى هلال ومن سبت إلى سبت أن كل ذى جسد يأتى ليسجد أمامى. قال الرب. ويخرجون ويرون جثث الناس الذين عصوا على؛ لأن دودهم لا يموت ونارهم لا تطفأ. ويكونون رذالة لكل ذى جسد» (إشعياء ٦٦ : ١٢ ـ ٢٤)

ويتحدث إرمياء عن هلاك مصر فى يوم الرب فيقول فى الأصحاح السادس والأربعين:

«كلمة الرب التى صارت إلى إرميا النبى عن الأمم. عن مصر عن جيش فرعون نخو ملك مصر الذى كان على نهر الفرات فى كركميش الذى ضربه نبوخذراصر ملك بابل فى السنة الرابعة ليهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا.

أعدوا المجن والترس وتقدموا للحرب. أسرجوا الخيل واصعدوا أيها الفرسان وانتصبوا بالخوذ. اصقلوا الرماح. البسوا الدروع. لماذا أراهم مرتعبين ومدبرين إلى الوراء وقد تحطمت أبطالهم وفروا هاربين ولم يلتفتوا. الخوف حواليهم. يقول الرب.

الخفيف لا ينوص والبطل لا ينجو. فى الشمال بجانب نهر الفرات عثروا وسقطوا. من هذا الصاعد كالنيل كأنهار تتلاطم أمواهها. تصعد مصر كالنيل وكأنهار تتلاطم المياه. فيقول: أصعد وأغطى الأرض. أهلك المدينة والساكنين فيها. اصعدى أيتها الخيل وهيجى أيتها المركبات ولتخرج الأبطال. كوش وفوط القابضان المجن واللوديون القابضون والمادون القوس. فهذا اليوم للسيد رب الجنود يوم نقمة للانتقام من مبغضيه فيأكل السيف ويشبع ويرتوى من دمهم. لأن للسيد رب الجنود ذبيحة فى أرض الشمال عند نهر الفرات. **اصعدى إلى جلعاد وخذى بلسانا يا عذراء بنت مصر. باطلا تكثرين العقاقير. لا رفادة لك. قد سمعت الأمم بخزيك وقد ملأ الأرض عويلك؛ لأن بطلا يصدم بطلا فيسقطان كلاهما معا.**

الكلمة التى تكلم بهـا الرب إلى إرميا النبى فى مجئ نبـوخذراصر ملك بابل ليضرب أرض مصر. أخـبروا فى مصر واسمعوا فى مجـدل واسمعوا فى نوف وفى تحفنحيس قـولوا انتصب وتهيأ لأن السيف يأكل حواليك. لماذا انـطرح مقتدروك؟ لا يقـفون لأن الرب قـد طرحهم. كـثر العـاثرين حتى يسـقط الواحد علـى صاحـبه ويقولوا: قومـوا فنرجع إلى شعبنا وإلى أرض ميلادنا من وجه السـيف الصارم. قد نادوا هناك: فـرعون ملك مصـر هالك. قد فـات الميعاد. حى أنا يـقول الملك رب الجنود. اسمه كتابور بين الجبال وككرمل عند البحر يأتى. اصنعى لنفسك أهبة جلاء أيتهـا البنت الساكنة مصر؛ لأن نـوف تصير خربة وتحـرق فلا ساكن. مصـر عجلة حسنة جـدا. الهلاك من الشمال جـاء جاء. أيضا مستـأجروها فى وسطها كـعجول صيرة. لأنهم هم أيضا يرتدّون يهربون معـا. لم يقفوا لأن يوم هلاكهم أتى عليهم. وقت عقابهم. صوتها يمشى كحيّة لأنهم يسـيرون بجيش وقد جاءوا إليها بالفؤوس، كمـحتطبى حطب، يقطعون وعـرها. يقول الرب. وإن يكن لا يحـصى؛ لأنهم قد كثـروا أكثـر من الجراد ولا عـدد لهم. قد أخـزيت بنت مصـر ودفعت ليـد شعب الشمال. قال رب الجنود إله إسرائيل. هأنذا أعاقب أمون نو وفـرعون ومصر وآلهتها وملوكها. فـرعون والمتوكلين عليه. وأدفعـهم ليد طالبى نفوسهم وليد نبـوخذراصر ملك بابل وليد عبيده. ثم بعد ذلك تسكن كالأيام القديمة. يقول الرب.

وأنت فلا تخف يا عبدى يعقوب، ولا ترتعب يا إسرائيل؛ لأنى هأنذا أخلصك من بعيد ونسلك من أرض سبيهم. فيرجع يعقوب ويطمئن ويستريح ولا مخيف.

أما أنت يا عبدى يعـقوب فلا تخف لأنى أنا معك لأنى أفنى كل الأمم الذين بددتك إليهم. أما أنت فلا أفنيك بل أؤدبك بالحق ولا أبرئك تبرئة» (إرمياء ٤٦)

لاحظ:

أن ظاهر النص يدل على أن المعـارك فى أيام سبى بابل. والظاهر غيـر مراد. وذلك لأن سفـر إرمياء مكتوب بعـد هذه المعارك بسنين طويلة، ومسلم على حـالته هذه للنصارى فى مجمع يمنيه بعد المسيح بما يقرب من مئة عام.

﴿يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة﴾

فى نبوءة إرمياء: «نظرت إلى الجبال وإذا هى ترجف» فى يوم الرب. والرجفة للأرض والجبال والسماء والتلال «ترتجف السماء» (يؤ ٢ : ١٠) «الجبال ترجف منه والتلال» (نا ١ : ٥) والرادفة هى رجفة بعد الأولى من المحتمل أنها يوم القيامة العامة من الأموات. وفى المزمور الثانى: «يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه» (مز ٢ : ٥) والغرض من الرجفات: هو تخويف القلوب ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ وهى قلوب اليهود المكذبين، ولم يقل كل القلوب ليخرج المسلمين من الفزع. وهؤلاء المكذبين يقولون: ﴿أإنا لمردودون فى الحافرة؟ أإذا كنا عظاما نخرة﴾؟

يقولون ما معناه: إذا كنا عظاما نخرة؛ أإنا لمردودون فى الحافرة؟ أى إذا متنا عن شريعة موسى؛ لأن تركها موت. وقبلنا الشريعة الجديدة؛ لأن قبولها حياة. فإن حياتنا على الشريعة الجديدة؛ ستجرنا إلى الهلاك كما جرتنا إليه الشريعة القديمة؛ لأنها تعرفنا الخطأ من الصواب. ونحن نخطأ. ولا يعرف أحد الخطأ إلا من الشريعة. فإن كل الطعام كان حلا من قبل موسى؛ فمن أعلمنا أن الخنزير حرام إلا الشريعة؟ فكما هلكنا ونحن على القديمة، إذ نحن نخطأ، سنهلك ونحن على الجديدة. وإذا دخلنا فى الجديدة كما كنا فى القديمة. ﴿تلك إذاً كرة خاسرة﴾ لأنه لا مُلك لنا فيها، ولا سلطان لنا على الناس.

﴿فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة﴾

إذ يزجرون[1] إلى ساحة القتال؛ يكونون بالساهرة أى مكان السهر

---

(١) **نص الأصحاح الثلاثين من سفر إشعياء عن الزجرة الواحدة:**

«ويل للبنين المتمردين يقول الرب حتى إنهم يجرون رأيا وليس منى ويسكبون سكيبا وليس بروحى ليزيدوا خطيئة على خطيئة الذين يذهبون لينزلوا إلى مصر ولم يسألوا فمى ليلتجأوا إلى حصن فرعون ويحتموا بظل مصر فيصير لكم حصن فرعون خجلا والاحتماء بظل مصر خزيا. لأن رؤساءه صاروا فى صوعن وبلغ رسله إلى حانيس. قد خجل الجميع من شعب لا ينفعهم. ليس للمعونة ولا للمنفعة. ليس للمعونة ولا للمنفعة بل للخجل وللخزى. وحى من جهة بهائم الجنوب. فى أرض شدة وضيقة منها اللبؤة والأسد الأفعى والثعبان السام الطيار يحملون على أكتاف الحمير ثروتهم وعلى أسنمة الجمال كنوزهم إلى شعب لا ينفع. فإن مصر تعين باطلا وعبثا لذلك دعوتها رهب الجلوس.==

والاستعداد. فإذا كانوا فيه. فمن كان من الأخيار؛ فإنه سينجو بالهرب ومن كان من الأشرار فإنه سيغفل وفى غفلته يهلك. وكان المسيح عليه السلام قد حذرهم من الغفلة عن يوم الرب، وحثهم على السهر بقوله: «فاسهروا إذاً لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان» (متى ٢٥: ١٣) ولكنهم غفلوا. وسهر الأخيار فنجو.

== تعال الآن اكتب هذا عندهم على لوح وارسمه فى سفر ليكون لزمن آت للأبد إلى الدهور لأنه شعب متمرد أولاد كذبة أولاد لم يشاءوا أن يسمعوا شريعة الرب.

الذين يقولون للرائين: لا تروا، وللناظرين لا تنظروا لنا مستقيمات. كلمونا بالناعمات انظروا مخادعات. حيدوا عن الطريق ميلوا عن السبيل اعزلوا من أمامنا قدوس إسرائيل.

لذلك هكذا يقول قدوس إسرائيل. لأنكم رفضتم هذا القول وتوكلتم على الظلم والاعوجاج واستندتم عليهما لذلك يكون لكم هذا الإثم كصدع منقض ناتئ فى جدار مرتفع يأتى هده بغتة فى لحظة. ويكسر ككسر إناء الخزافين مسحوقا بلا شفقة حتى لا يوجد فى مسحوقه شقفة لأخذ نار من الموقدة أو لغرف ماء من الجب .

لأنه هكذا قال السيد الرب قدوس إسرائيل. بالرجوع والسكون تخلصون. بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم. فلم تشاءوا. وقلتم: لا بل على خيل نهرب. لذلك تهربون. وعلى خيل سريعة نركب. لذلك يسرع طاردوكم. **يهرب ألف من زجرة واحد من زجرة خمسة تهربون حتى أنكم تبقون كسارية على رأس جبل وكراية على أكمة.**

ولذلك ينتظر الرب ليتراءف عليكم ولذلك يقوم ليرحمكم لأن الرب إله حق. طوبى لجميع منتظريه. لأن الشعب فى صهيون يسكن فى أورشليم. لا تبكى بكاء يتراءف عليك عند صوت صراخك. حينما يسمع يستجيب لك. ويعطيكم السيد خبزا فى الضيق وماء. فى الشدة. لا يختبئ: معلموك بعد، بل تكون عيناك تريان معلميك. وأذناك تسمعان كلمة خلفك قائلة: هذه هى الطريق اسلكوا فيها حينما تميلون إلى اليمين وحينما تميلون إلى اليسار. وتنجسون صفائح تماثيل فضتكم المنحوتة وغشاء تمثال ذهبكم المسبوك. تطرحها مثل فرصة حائض. تقول لها: أخرجى.

ثم يعطى مطر زرعك الذى تزرع الأرض به وخبز غلة الأرض فيكون دسما وسمنا وترعى ماشيتك فى ذلك اليوم فى مرعى واسع. والأبقار والحمير التى تعمل الأرض تأكل علفا مملحا مذرى بالمنسف والمذراة. ويكون على كل جبل عال وعلى كل أكمة مرتفعة سواق ومجارى مياه فى يوم المقتلة العظيمة حينما تسقط الأبراج. ويكون نور القمر كنور الشمس ونور الشمس يكون سبعة أضعاف كنور سبعة أيام فى يوم يجبر الرب كسر شعبه ويشفى رض ضربه.

هو ذا اسم الرب يأتى من بعيد غضبه مشتعل والحريق عظيم. شفتاه ممتلئتان سخطا ولسانه كنار آكله. ونفخته كنهر غامر يبلغ إلى الرقبة. لغربلة الأمم بغربال السوء وعلى فكوك الشعوب رسن مضل. تكون لكم أغنية كليلة تقديس عيد وفرح قلب كالسائر بالناى **ليأتى إلى جبل الرب** إلى صخر إسرائيل. ويسمع الرب جلال صوته ويرى نزول ذراعه بهيجان غضب ولهيب نار آكلة نوء وسيل وحجارة برد. لأنه من صوت الرب يرتاع أشور. بالقضيب يضرب. ويكون كل مرور عصا القضاء التى ينزلها الرب عليه بالدفوف والعيدان. وبحروب ثائرة يحاربه. لأن تفتة مرتبة منذ الأمس مهيأة هى أيضا للملك عميقة واسعة كومتها نار وحطب بكثرة. نفخة الرب كنهر كبريت توقدها» (إشعياء ٣٠)

ثم قال تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (٣٦) فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾

البيان:

فى نبوءة عاموس عن يوم الرب: «أليس من أجل هذا ترتعد الأرض، وينوح كل ساكن فيها، وتطمو كلها كنهر، وتفيض وتنضب كنيل مصر»

فالطامة: هى المصيبة التى تأتى عقب تفاقم الشرور من الإنسان. وفى نبوءة عاموس ما نصه:

«هكذا أرانى السيد الرب وإذا سلة للقطاف. فقال: ماذا أنت راء يا عاموس؟ فقلت: سلة للقطاف. فقال لى الرب: قد أتت النهاية على شعبى إسرائيل. لا أعود أصفح له بعد. فتصير أغانى القصر ولاول فى ذلك اليوم. يقول السيد الرب. الجثث كثيرة يطرحونها فى كل موضع بالسكوت.

اسمعوا هذا أيها المتهممون المساكين لكى تبيدوا بائسى الأرض قائلين: متى يمضى رأس الشهر لنبيع قمحا والسبت لنعرض حنطة. لنصغر الإيفة ونكبر الشاقل ونعوج موازين الغش. لنشترى الضعفاء بفضة والبائس بنعلين ونبيع نفاية القمح.

قد أقسم الرب بفخر يعقوب إنى لن أنسى إلى الأبد جميع أعمالهم. أليس من أجل هذا ترتعد الأرض وينوح كل ساكن فيها وتطمو كلها كنهر وتفيض وتنضب كنيل مصر. ويكون فى ذلك اليوم. يقول السيد الرب: أنى أغيب الشمس فى الظهر وأقتم الأرض فى يوم نور. وأحول أعيادكم نوحا وجميع أغانيكم مراثى وأصعد

على كل الأحقاء مسحا وعلى كل رأس قرعة وأجعلها كمناحة الوحيد، وآخرها يوما مرا» (عاموس ٨: ١ ـ ١٠)

***

وفى سورة عبس:

يقول الله تعالى عن يوم الرب:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾

البيان:

يصور حال اليهود فى يوم الرب أنهم إذا رأوا شدة الأهوال؛ يتمنى المرء الفرار من أخيه... إلخ. وسبب الفرار: ﴿لكل امرئ منهم يومئذ﴾ فى يوم الرب ﴿شأن يغنيه﴾ ثم صوّر حال المسلمين فقال: ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾... إلخ. وصور حال اليهود الكافرين فقال: ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾...إلخ.

***

سورة التكوير:

يقول الله تعالى:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾

البيان:

يصور الحالة السيئة لليهود وللأمم فى يوم الرب بتعبيرات كنائية تعبر عن شدة الهول والفزع. وهذه التعبيرات تشير إلى نبوءات عن محمد ﷺ فى التوراة وفى الإنجيل؛ ليقرأها علماء بنى إسرائيل، فيعلموا منها: أن هلاكهم محقق على يد هذا النبى.

﴿إذا الشمس كورت﴾ - ﴿وإذا الجبال سيرت﴾ - ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ إلخ

فى سفر الرؤيا: «والسماء انفلقت كَـدرْج ملتفّ، وكل جبل وجزيرة تزحزحا من موضعهما»

وفى سفر إشعياء: «ويفنى كل جند السموات، وتلتف السموات كدرج، وكل جندها ينتثر، كانتثار الورق من الكرمة، والسقاط من التينة»

لاحظ: «وكل جندها ينتثر» وتذكر قول الله تعالى فى سورة الانفطار: ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾

وهذا هو نص الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر إشعياء. وما بعده:

«اقتربوا أيها الأمم لتسمعوا وأيها الشعوب اصغوا. لتسمع الأرض وملؤها. المسكونة وكل نتائجها. لأن للرب سخطا على كل الأمم وحموا على كل جيشهم. قد حرمهم دفعهم إلى الذبح. فقتلاهم تطرح وجيفهم تصعد نتانتها وتسيل الجبال بدمائهم. ويفنى كل جند السموات وتلتف السموات كدَرْج وكل جندها ينتثر كانتثار الورق من الكرمة والسقاط من التينة.

لأنه قد روى فى السموات سيفى. هوذا على أدوم ينزل وعلى شعب حرمته للدينونة. للرب سيف قد امتلأ دما اطّلى بشحم بدم خراف وتيوس بشحم كلى كباش. لأن للرب ذبيحة فى بصرة وذبحا عظيما فى أرض أدوم. ويسقط البقر الوحشى معها والعجول مع الثيران وتروى أرضهم من الدم وترابهم من الشحم يسمّن. لأن للرب يوم انتقام سنة جزاء من أجل دعوى صهيون.

وتتحول أنهارها زفتا وترابها كبريتا وتصير أرضها زفتا مشتعلا. ليلا ونهارا لا

تنطفئ. إلى الأبد يصعد دخانها. من دور إلى دور تخرب. إلى أبد الآبدين. لا يكون من يجتاز فيها، ويرثها القوق والقنفذ والكركى والغراب يسكنان فيها، ويمد عليها خيط الخراب ومطمار الخلاء. أشرافها ليس هناك من يدعونه للملك، وكل رؤساؤها يكونون عدما، ويطلع فى قصورها الشوك.

القريص والعوسج فى حصونها. فتكون مسكنا للذئاب، ودارا لبنات النعام وتلاقى وحوش القفر بنات آوى ومعز الوحش يدعو صاحبه. هناك يستقر الليل ويجد لنفسه محلا. هناك تحجر النكارة وتبيض وتفرخ وتربى تحت ظلها. وهناك تجتمع الشواهين بعضها ببعض.

فتشوا فى سفر الرب، واقرأوا. واحدة من هذه لا تفقد. لا يغادر شىء صاحبه؛ لأن فمه هو قد أمر وروحه هو جمعها. وهو قد ألقى لها قرقمة ويده قسمتها لها بالخيط إلى الأبد ترثها. إلى دور خدود تسكن فيها. تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر ويزهو كالنرجس يزهو إزهارا ويبتهج ابتهاجا، ويرنم. يُدفع إليه مجد لبنان. بهاء كرمل وشارون. هم يرون مجد الرب بهاء إلهنا. شددوا الأيادى المسترخية والركب المرتعشة ثبتوها. قولوا لخائض القلوب: تشددوا. لا تخافوا. هو ذا إلهكم الانتقام يأتى. جزاء الله. هو يأتى ويخلصكم.

حينئذ تتفتح عيون العمى وآذان الصم تتفتح. حينئذ يقفز الأعرج كالأيل، ويترنم لسان الأخرس؛ لأنه قد انفجرت فى البرية مياه، وأنهار فى القفر، ويصير السراب أجما، والمعطشة ينابيع ماء. فى مسكن الذئاب مربطها دار للقصب والبردى. وتكون هناك سكة وطريق يقال لها: الطريق المقدسة. لا يعبر فيها نجس، بل هى لهم. من سلك فى الطريق حتى الجهال لا يضل. لا يكون هناك أسد وحش مفترس لا يصعد إليها. لا يوجد هناك، بل يسلك المفديون فيها، ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم وفرح أبدى على رءوسهم. ابتهاج وفرح يدركانهم. ويهرب الحزن والتنهد» (إشعياء ٣٤ و ٣٥)

وفى سفر رؤيا يوحنا ـ الأصحاح السادس:

«ونظرت لما فتح الختم السادس وإذا زلزلة عظيمة حدثت، والشمس صارت سوداء كمسح من شعر، والقمر صار كالدم، **ونجوم السماء سقطت[1] إلى الأرض كما تطرح شجرة التين سقاطها إذا هزتها ريح عظيمة**. والسماء انفلقت كدرج ملتف وكل جبل وجزيرة تزحزحا من موضعهما. وملوك الأرض والعظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء وكل عبد وكل حر أخفوا أنفسهم فى المغاير وفى صخور الجبال»

البيان:

أشار إشعياء بقوله: «وتلتف السموات كدَرْج» ـ بسكون الراء المهملة ـ إلى تكوير الشمس؛ لأن التفاف السموات ودورانها مثل الدرج. يكوّر الشمس. وهذا تعبير كنائى عن هول القتال. لقوله: «لأن للرب يوم انتقام» وأشار كاتب سفر الرؤيا بقوله: «وكل جبل وجزيرة تزحزحا من موضعهما» إلى تسيير الجبال. وقد قال تعالى: ﴿وإذا الجبال سيرت﴾ وأشار إشعياء بقوله: «وكل جندها ينتشر» إلى انتثار الكواكب. وتكلم إشعياء عن مكان المعركة فقال: «فى بُصرة. وذبحا عظيما فى أرض أدوم» أى الأردن. وهذا المكان هو خط سير العرب إلى فلسطين فى يوم الرب فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٦٣٨ م. وتكلم عن حشر الوحوش فى موضع المعركة. أى تجمعها ـ كما هو واضح من النص ـ وذلك لالتهام جثث القتلى.

﴿وإذا النجوم انكدرت﴾

فى رسالة يهوذا يصف المعاندين لله فى يوم الرب. ويقول: «ويل لهم» وشبههم بأمواج بحر هائجة مزبدة، بخزيهم «**نجوم تائهة محفوظ لها قتام الظلام إلى الأبد**» وقال يهوذا: إن هؤلاء المعاندين تنبأ عنهم «أخنوخ» وهو إدريس عليه السلام قائلا: «**هو ذا قد جاء الرب فى ربوات قديسيه**؛ ليصنع دينونة على الجميع، ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم...»

يريد أن يقول: فى يوم الرب العظيم، سيأتى نبى الرب فى آلاف من أصحابه المقدسين، وأن هؤلاء المعاندين من اليهود والأمم المشبهين بالنجوم المكدرة بقتام

(١) فى القرآن الكريم: ﴿والنجم إذا هوى﴾.

الظلام؛ سيكون لهم هلاك، على أيديهم.

وهذا هو نص سفر يهوذا:

«ولكن هؤلاء يفترون على ما لا يعلمون. وأما ما يفهمونه بالطبيعة كالحيوانات غير الناطقة. ففى ذلك يفسدون. ويل لهم لأنهم سلكوا طريق قايين وانصبوا إلى ضلالة بلعام لأجل أجرة وهلكوا فى مشاجرة قورح. هؤلاء صخور فى ولائمكم المحبية. صانعين ولائم معا بلا خوف راعين أنفسهم. غيوم بلا ماء تحملها الرياح أشجار خريفية بلا ثمر ميتة مضاعفا مقتلعة. أمواج بحر هائجة مزبدة بخزيهم. نجوم تائهة محفوظ لها قتام الظلام إلى الأبد. وتنبأ عن هؤلاء أيضا أخنوخ السابع من آدم قائلا: هوذا قد جاء الرب فى ربوات قديسيه. ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التى فجروا بها وعلى جميع الكلمات الصعبة التى تكلم بها عليه خطاة فجار، هؤلاء هم مدمدمون متشكون سالكون بحسب شهواتهم وفمهم يتكلم بعظائم يحابون بالوجوه من أجل المنفعة. وأما أنتم أيها الأحباء فاذكروا الأقوال التى قالها سابقا رسل ربنا يسوع المسيح. فإنهم قالوا لكم: **إنه فى الزمان الأخير** سيكون قوم مستهزئون سالكين بحسب شهوات فجورهم. هؤلاء هم المعتزلون بأنفسهم نفسانيون لا روح لهم» (رسالة يهوذا)

﴿وإذا العشار عطلت﴾

العشور والصدقات والتقدمات والزكوات. كل ذلك منصوص عليه فى شريعة التوراة. وكان علماء بنى إسرائيل لا يقدمون العشور للفقراء والمساكين بالحق والعدل. فلذلك قال لهم الله: أنتم سلبتمونى فى العشور أى لم تؤتوها الفقراء. فلذلك أنتم ملعونون. وإذ سلبتمونى؛ فإنكم تسلبون هذه الأمة كلها. وإن قدمتم العشور كاملة، فأنا أفتح عليكم بركات من السماء والأرض. ثم تكلم عن الأمة الآتية عوضا عن أمة اليهود، وعن النبى الآتى المماثل لموسى. وقال: إن شريعة التوراة ستتعطل أحكامها، وسيحل محلها شريعة النبى الآتى. ذلك قوله بعد الكلام

عن يوم الرب، وأن كل الأشرار سيفنون: «هأنذا أُرسل إليكم إيليا النبى قبل مجئ يوم الرب العظيم والمخوف. فيرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم؛ لئلا آتى وأضرب الأرض بلعن» وقوله فى بدء النص: «هأنذا أرسل ملاكى؛ فيهيئ الطريق أمامى، ويأتى بغتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه، وملاك العهد الذى تسرون به. هو ذا يأتى. قال رب الجنود»

والسيد: هو النبى الأمى الآتى على مثال موسى. وبين أنه سيحارب اليهود، وسينقى بنى لاوى - وهم علماء بنى إسرائيل - ويصفيهم كالذهب والفضة. وذكر شاهدا على ظلمهم للمساكين وهو أن العشار لا توزع توزيعا عادلا. وسوف يأتى اليوم الذى تتعطل فيه الشريعة. لأنه سيحل محلها شريعة النبى «إيليا» وإيليا هو اسم أحمد ﷺ بحساب الجمل.

وهذا هو نص الأصحاح الثالث من سفر ملاخى:

«هأنذا أرسل ملاكى فيهيئ الطريق أمامى، ويأتى بغتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه وملاك العهد الذى تسرون به. هوذا يأتى قال رب الجنود. ومن يحتمل يوم مجيئه ومن يثبت عند ظهوره. لأنه مثل نار الممحص ومثل أشنان القصار.

فيجلس ممحصا ومنقيا للفضة. فينقى بنى لاوى ويصفيهم كالذهب والفضة ليكونوا مقربين للرب تقدمة بالبر. فتكون تقدمة يهوذا وأورشليم مرضيّة للرب كما فى أيام القدم وكما فى السنين القديمة. وأقترب إليكم للحكم وأكون شاهدا سريعا على السحرة وعلى الفاسقين وعلى الحالفين زورا، وعلى السالبين أجرة الأجير الأرملة واليتيم ومن يصد الغريب[(١)] ولا يخشانى. قال رب الجنود. لأنى أنا الرب لا أتغير. فأنتم يا بنى يعقوب لم تفنوا.

من أيام آبائكم حدتم عن فرائضى ولم تحفظوها. ارجعوا إلىّ أرجع إليكم. قال رب الجنود. فقلتم: بماذا نرجع؟ أيسلب الإنسان الله؟ فإنكم سلبتمونى. فقلتم:

(١) فى القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ﴾؟

بم سلبناك؟ فى العشور والتقدمة. قد لُعنتم لعنا[١] وإياى أنتم سالبون هذه الأمة كلها. هاتوا جميع العشور إلى الخزنة ليكون فى بيتى طعام وجربونى بهذا. قال رب الجنود. إن كنت لا أفتح[٢] لكم كوى السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا تُوسع. وأنتهر من أجلكم الآكل فلا يفسد لكم ثمر الأرض ولا يُعقر لكم الكرم فى الحقل. قال رب الجنود. ويطوّبكم كل الأمم لأنكم تكونون أرض مسرة. قال رب الجنود.

أقوالكم اشتدت على. قال الرب. وقلتم: ماذا قلنا عليك؟. قلتم: عبادة الله باطلة، وما المنفعة من أننا حفظنا شعائره وأننا سلكنا بالحزن قدام رب الجنود. والآن نحن مُطوِّبون المستكبرين، وأيضا فاعلو الشر يُبنون، بل جربوا الله ونجوا.

حينئذ كلم متقو الرب كل واحد قريبه والرب أصغى وسمع وكُتب أمامه سفر تذكرة للذين اتقوا الرب وللمفكرين فى اسمه: ويكونون لى قال رب الجنود فى اليوم الذى أنا صانع خاصة وأشفق عليهم كما يشفق الإنسان على ابنه الذى يخدمه. فتعودون وتميزون بين الصدّيق والشرير، بين من يعبد الله ومن لا يعبده» (ملاخى ٣)

وبعدما فرغ من الكلام عن تعطيل شريعة التوراة، تكلم عن يوم الرب، وعن ظهور إيليا من قبله وهو محمد ﷺ فقال: «فهو ذا يأتى اليوم المتقد كالتنور. وكل المستكبرين، وكل فاعل الشر؛ يكونون قشا، ويحرقهم اليوم الآتى... الخ»

﴿وإذا الوحوش حشرت﴾

فى سفر إشعياء يتكلم عن يوم الرب ويقول: إن القتلى سيكثرون، وإن الوحوش ستتجمع لتأكل جثث القتلى «**بل تربض هناك وحوش القفر...**»

وهذا هو النص من إشعياء ـ الأصحاح الثالث عشر:

«أقيموا راية على جبل أقرع. ارفعوا صوتا إليهم. أشيروا باليد ليدخلوا أبواب العتاة. أنا أوصيت مقدسّى ودعوت أبطالى لأجل غضبى مفتخرى عظمتى. صوت

(١) فى القرآن الكريم: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾.

(٢) فى القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

جمهور على الجبال. شبه قوم كثيرين. صوت ضجيج ممالك أمم مجتمعة. رب الجنود يعرض جيش الحرب. يأتون من أرض بعيدة من أقصى السموات. الرب وأدوات سخطه ليخرب كل الأرض.

ولولوا لأن يوم الرب قريب قادم كخراب من القادر على كل شئ. لذلك ترتخى كل الأيادى ويذوب كل قلب إنسان فيرتاعون. تأخذهم أوجاع ومخاض يتلوون كوالدة. يبهتون بعضهم إلى بعض. وجوههم وجوه لهيب.

هو ذا يوم الرب قادم قاسيا بسخط وحموّ غضب ليجعل الأرض خرابا ويبيد منها خطاتها. **فإن نجوم السموات وجبابرتها لا تبرز نورها**. تظلم الشمس عند طلوعها والقمر لا يلمع بضوءه. وأعاقب المسكونة على شرها والمنافقين على إثمهم وأبطّل تعظم المستكبرين وأضع تجبر العتاة. وأجعل الرجل أعز من الذهب الإبريز والإنسان أعز من ذهب أوفير. **لذلك أزلزل السموات** وتتزعزع الأرض من مكانها فى سخط رب الجنود وفى يوم حمو غضبه. ويكونون كظبى طريد وكغنم بلا من يجمعها. يلتفتون كل واحد إلى شعبه ويهربون كل واحد إلى أرضه. كل من وجد يطعن وكل من انحاش يسقط بالسيف. وتحطم أطفالهم أمام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفضح نساؤهم.

هأنذا أهيج عليهم الماديين الذين لا يعتدون بالفضة ولا يسرون بالذهب. فتحطم القسى الفتيان ولا يرحمون ثمرة البطن. لا تشفق عيونهم على الأولاد. وتصير بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين كتقليب الله سدوم وعمورة. لا تعمر إلى الأبد ولا تسكن إلى دور فدور. ولا يخيم هناك أعرابى ولا يربض هناك رعاة. **بل تربض هناك وحوش القفر ويملأ البوم بيوتهم وتسكن هناك بنات النعام وترقص هناك معز الوحش وتصيح بنات آوى فى قصورهم والذئاب فى هياكل التنعم.**

ووقتها قريب المجئ وأيامها لا تطول» (إشعياء ١٣)

﴿وإذا البحار سجرت﴾

البحار جمع بحر. وقد ذكرنا فى سورة الطور نبوءة ﴿والبحر المسجور﴾ وفى سفر الرؤيا: «وكل من لم يوجد مكتوبا فى سفر الحياة؛ طرح فى بحيرة النار» (رؤ ٢٠ : ١٥) «وإبليس الذى كان يضلهم طرح فى بحيرة النار» (رؤ ٢٠ : ١٠) «وسلّم البحرُ الأمواتَ الذين فيه، وسلّم الموتُ والهاوية الأمواتَ الذين فيهما، ودينوا كل واحد بحسب أعماله[١]. وطرح الموت والهاوية فى بحيرة النار» (رؤ ٢٠ : ١٣ - ١٤) «وطرح الاثنان حيين إلى بحيرة النار المتقدة بالكبريت» (رؤ ١٩ : ٢٠) «ورأيت كبحر من زجاج مختلط بنار» (رؤ ١٥ : ٢)

﴿وإذا النفوس زوجت﴾

فى نهاية أيام اليهود على الأرض. وهى بدء أيام المسلمين. يقول إشعياء: إن الأخيار من أهل أورشليم سيسر الله بهم. ويتزوج بعضهم من بعض فينجبون نسلا خيرا، وكفرح العريس بالعروس، يفرح الله بالأخيار ونسلهم. ثم تكلم عن النبى محمد ﷺ فقال: «هو ذا مخلّصك آت، ها أجرته معه، وجزاؤه أمامه. ويسمونهم شعبا مقدسا، مفديى الرب» يريد أنه يخلصهم من ذل الملوك الأجانب.

وهذا هو النص من الأصحاح الثانى من سفر إشعياء:

«من أجل صهيون لا أسكت ومن أجل أورشليم لا أهدأ حتى يخرج برها كضياء وخلاصها كمصباح يتقد. فترى الأمم برك وكل الملوك مجدك وتسمين باسم جديد يعينه فم الرب. وتكونين إكليل جمال بيد الرب وتاجا ملكيا بكف إلهك. لا يقال بعد لك: مهجورة ولا يقال بعد لأرضك: موحشة بل تدعين حفصيبة وأرضك تدعى بعولة. لأن الرب يسر بك وأرضك تصير ذات بعل. لأنه كما يتزوج الشاب عذراء يتزوجك بنوك. وكفرح العريس بالعروس يفرح بك إلهك.

على أسوارك يا أورشليم أقمت حراسا لا يسكتون كل النهار وكل الليل على

---

(١) يدعى المسيحيون أن المسيح قتل وصلب لمغفرة الخطايا. مع أنه فى سفر الحكمة أن آدم تاب، وتاب الله عليه. وفى الأناجيل نصوص كثيرة على أن الإدانة بالعمل. ومنها: «ودينوا كل واحد بحسب أعماله».

الدوام. يا ذاكرى الرب لا تسكتوا ولا تدعوه يسكت حتى يثبت ويجعل أورشليم تسبيحة فى الأرض. حلف الرب بيمينه وبذراع عزته قائلا: إنى لا أدفع بعد قمحك مأكلا لأعدائك ولا يشرب بنو الغرباء خمرك التى تعبت فيها. بل يأكله الذين جنوه ويسبحون الرب ويشربه جامعوه فى ديار قدسى.

اعبروا اعبروا بالأبواب هيئوا طريق الشعب أعدوا أعدوا السبيل. نقوه من الحجارة ارفعوا الراية للشعب. هو ذا الرب قد أخبر إلى أقصى الأرض قولوا لابنة صهيون: هوذا مخلصك آت. ها أجرته معه وجزاؤه أمامه. ويسمونهم شعبا مقدسا مفديى الرب وأنت تسمين المطلوبة المدينة غير المهجورة» (إشعياء ٦٢)

﴿وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت﴾

واذكر نبوءة الموءودة وهى فى المزمور المئة والسادس.

فى هذا المزمور أن اليهود ذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان. وبسبب هذا سينزع منهم الملك والنبوة. وقد نسب اليهود إلى العرب أنهم هم الذين وأدوا البنين والبنات. والحق: أن العرب شعب الله وخاصته أهل بيته. والذين وأدوا البنين والبنات هم اليهود. وهذا هو النص:

«هللويا. احمدوا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته. من يتكلم بجبروت الرب؟ من يخبر بكل تسابيحه؟ طوبى للحافظين الحق وللصانع البرِّ فى كل حين. اذكرنى يا رب برضا شعبك. تعهدنى بخلاصك. لأرى خير مختاريك. لأفرح بفرح أمتك. لأفتخر مع ميراثك.

أخطأنا مع آبائنا. أسأنا وأذنبنا. آباؤنا فى مصر لم يفهموا عجائبك، لم يذكروا كثرة مراحمك. فتمردوا عند البحر. عند بحر سوف. فخلصهم من أجل اسمه ليعرف بجبروته. وانتهر بحر سوف فيبس، وسيرهم فى اللجج كالبريّة. وخلصهم من يد المبغض وفداهم من يد العدو. وغطت المياه مضايقيهم. واحد منهم لم يبق. فآمنوا بكلامه. غنوا بتسبيحه. أسرعوا فنسوا أعماله. لم ينتظروا مشورته.

بل اشتهوا شهوة فى البرية وجربوا الله فى القفر. فأعطاهم سؤلهم وأرسل هزالا فى أنفسهم. وحسدوا موسى فى المحلة وهرون قدوس الرب. فتحت الأرض وابتلعت داثان وطبقت على جماعة أبيرام. واشتعلت نار فى جماعتهم. اللهيب أحرق الأشرار.

صنعوا عجلا فى حوريب وسجدوا لتمثال مسبوك. وأبدلوا مجدهم بمثال ثور آكل عشب. نسوا الله مخلصهم الصانع عظائم فى مصر وعجائب فى أرض حام ومخاوف على بحر سوف. فقال بإهلاكهم لولا موسى مختاره وقف فى الثغر قدامه ليصرف غضبه عن إتلافهم. ورذلوا الأرض الشهية. لم يؤمنوا بكلمته. بل تمرمروا فى خيامهم. لم يسمعوا لصوت الرب. فرفع يده عليهم ليسقطهم فى البرية وليسقط نسلهم بين الأمم وليبددهم فى الأراضى. وتعلقوا ببعل فغور وأكلوا ذبائح الموتى. وأغاظوه بأعمالهم فاقتحمهم الوبأ. فوقف فينحاس ودان؛ فامتنع الوبأ. فحسب له ذلك برا. إلى دور فدور إلى الأبد.

وأسخطوه على ماء مريبة حتى تأذى موسى بسببهم. لأنهم أمرّوا روحه حتى فرط بشفتيه. **لم يستأصلوا الأمم الذين قال لهم الرب عنهم بل اختلطوا بالأمم وتعلموا أعمالهم وعبدوا أصنامهم فصارت لهم شركا. وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان، وأهرقوا دما زكيا. دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان، وتدنست الأرض بالدماء، وتنجسوا بأعمالهم، وزنوا بأفعالهم**. فحمى غضب الرب على شعبه وكره ميراثه. وأسلمهم ليد الأمم وتسلط عليهم مبغضوهم. وضغطهم أعداؤهم؛ فذلوا تحت يدهم. مرات كثيرة أنقذهم. أما هم فعصوه بمشورتهم وانحطوا بإثمهم. فنظر إلى ضيقهم إذ سمع صراخهم وذكر لهم عهده وندم حسب كثرة رحمته. وأعطاهم نعمة قدام كل الذين سبوهم.

خلصنا أيها الرب إلهنا واجمعنا من بين الأمم لنحمد اسم قدسك ونتفاخر بتسبيحك. مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد. ويقول كل الشعب: آمين. هللويا» (مزمور ١٠٦)

﴿وإذا الصحف نشرت﴾

فى الأصحـاح الثانى من سفـر حزقيال: يصف الله اليـهود بالبيت المتـمرد. وإنهم يعلمون أن نبيا كان بينهم. ويقول حزقيال: «فنظرت وإذا بيد ممدودة إلىّ، وإذا بدرج سفر فيها. فنشره أمامى. وهو مـكتوب من داخل، ومن قفاه وكتب فيه مراث ونحيب وويل»

وهذا هو نص النبوءة:

«فقال لى: يا ابن آدم قم علي قدميك فأتكلم معك. فدخل فى روح لما تكلم معى وأقامنى على قدمى فسمعت المتكلم معى. وقال لى: يا ابن آدم أنا مرسلك إلى بنى إسرائيل إلى أمة متمـردة قد تمردت على. هم وآباؤهم عصوا على إلى ذات هذا اليوم. والبنون الـقساة الوجـوه والصلاب القلوب أنا مرسلك إلـيهم. فتـقول لهم: هكذا قال السـيد الرب. وهم إن سـمعوا وإن امـتنعوا. لأنهم بيت مـتمـرد. فإنهم يعلمـون أن نبيا كـان بينهم. أما أنت يا ابن آدم فـلا تخف منهم، ومن كـلامهم لا تخف؛ لأنهم قريس وسلاه لديك. وأنت ساكن بين العقارب. من كلامهم لا تخف ومن وجوههم لا ترتعب. لأنهم بيت متمرد. وتتكلم معهم بكلامى. إن سمعوا وإن امتنعوا لأنهم متمردون.

وأنت يا ابن آدم فاسـمع ما أنا مكلمك به. لا تكن متـمردا كالبيت المتـمرد. افتح فمك وكل مـا أنا معطيكه. فنظرت وإذا بيد ممدودة إلىّ وإذا بدَرْج سفر فـيها. فنشـره أمامى وهو مكتـوب من داخل ؤمن قفـاه وكتب فـيه مراث ونحـيب وويل» (حزقيال ٢)

﴿وإذا السماء كشطت﴾

الكشط يكون من أجل المحو. فكشط السماء معناه تغيـير نظامها. وتعبير آخر الأيام: هو تعبيـر فى كتب أهل الكتاب يدل على آخر أيام بركـة بنى إسرائيل، وبدء أيام بركة النبى الأمى الآتـى. ومعلوم أن لإسماعـيل بركة، تبـدأ من نبى يظهر من

نسله. وفى رسالة بطرس الثانية كلام عن يوم الرب يقول فـيه: إن السموات ستتبدل والأرض ستتبـدل فى يوم الرب. كناية عن نسخ التـوراة، وظهور شـريعة بدلـها. والمحـرف بين أن موعـد المجئ هو للمسـيح عيـسى عليه السلام وأن يوم الرب له. وأن الشريعة الجديدة له، بقوله: «أين هو موعد مـجيئه؟» والحق: أن موعد المجئ لمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك لأن نبـوءات دانيـال تحدد زمـنه بأنه إذا أتى؛ يزيل المملكة الرومـانيـة بالحرب. والمسيـح عيسى عليه السلام لم يحارب، ومحـمد صلى الله عليه وسلم هو الذى أزال الدولة الرومانية. فلماذا انتظار يوم الرب إلى يومنا هذا؟

***

وفى سورة الانفطار:

يقول الله تعالى:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾

البيان:

إن نبوءات يـوم الرب تدل على أن النبى المنتظر سيكـون محاربا لأعـدائه فى معارك حربية شديدة؛ عبرت عنها الكتب بتزلزل الأرض والسماء وتشقق الصخور.

والنصارى أخذوا جـميع نبوءات التوراة عن النبى المنتظر بما فيـها نبوءات يوم الرب ووضعوها على المسيح عيسى عليه السلام وذلك ليوصدوا باب النبوة فى وجه محمد صلى الله عليه وسلم من قبل ظهـوره. وهم يعلمون أن عـيسى عليه السلام من اليهـود، والله قد رفض اليهود من السير أمامه. وهذا معلوم من نشيـد موسى، ونبوءة إشعياء ٦٥ وغيرهما، ويعلمون أن النبى الآتى سيكون مثل مـوسى فى الحروب، والانتصار على الأعداء، والملك، وعـمل المعجـزات (تث ١٨ : ١٥) ولا نبى سـيأتى مـن بنى إسرائيل مـثل موسى (تث ٣٤: ١٠ ـ ١٢)

ولما ظهر عـيسى عليه السلام بين أن يوم الرب سـيأتى من بعده ولـم يحارب ولم

ينتصر وقال: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» وعلى ذلك لا يكون المسيح هو النبى المنتظر. وقد احتال كتّاب الأناجيل على هذا المعنى بقولهم: إن عيسى حينما قتل وصلب «وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل. والأرض تزلزلت. والصخور تشققت. والقبور تفتحت. وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين. وخرجوا من القبور بعد قيامته. ودخلوا المدينة المقدسة. وظهروا لكثيرين» (متى ٢٧: ٥١ ـ ٥٣)

لماذا كتبوا هذا؟

إن تزلزل الأرض وتشقق الصخور هما كناية عن شدة المعارك فى يوم الرب فنسبوهما زورا إلى المسيح[١] **وإن تفتح القبور، له معنى فى سفر حزقيال. وهو أن اليهود وقعوا تحت الجزية لملك** بابل. والجزية تدل على سقوط مملكة اليهود، ويعبر بسقوط المملكة بالموت مجازا. وجاء من بعدهم ملك فارس ثم ملك اليونان ثم ملك الرومان. ولم يرفع عنهم مهانة الجزية إلا محمد ﷺ فهو الذى أحيا الدولة بشريعته الجديدة بعدما كانت ميتة بالوقوع تحت الجزية. وفى هذا المعنى يقول الله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾** وهذا المعنى الموجود فى سفر حزقيال. وهو موت اليهود موتا مجازيا وإحياؤهم حياة مجازية؛ نسبه كتّاب الأناجيل إلى المسيح. فقالوا: «والقبور تفتحت»

وأما معنى خروج القديسين ودخولهم المدينة المقدسة: فإن الأخيار من اليهود. وهم فى الدولة التى تؤدى الجزية للأجانب شبيهون بالموتى. فلما جاء الإسلام انضموا إلى العرب ـ ولم يكن للعرب ملك مستقل، ولا شريعة فى نسلهم ـ ودخلوا المدينة المقدسة أورشليم مع المسلمين فاتحين ومحاربين. وقد حوّل المحرفون هذا المعنى وطبقوه على المسيح؛ ليبعدوا نبوءات يوم الرب عن محمد ﷺ ويدل على ذلك

(١) السبب فى قولهم بقتل المسيح وصلبه؛ مبين فى كتابنا «اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة» - نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة.

أيضا: قول المحرفين: «وأما قائد المائة والذين معه يحرسون يسوع؛ فلما رأوا الزلزلة وما كان؛ خافوا جدا؛ وقالوا: حقا كان هذا ابن الله» ما هو المراد بالزلزلة؟ يريدون أن يجعلوا نبوءات يوم الرب التى فيها تزلزل السموات والأرض وتزلزل الصخور وتشققها وهى كناية عن شدة القتال وهوله؛ على المسيح من بعد القتل، والصلب. والعجب من هؤلاء: أن الزلزلة تدل على نصرة الله للنبى، والقتل يدل على هوانه؛ فكيف تنطبق النبوءات على المسيح فى هذا الموقف؟ ثم انظر إلى قوله: «كان هذا ابن الله» ما معنى هذا القول؟

إن من نبوءات التوراة على محمد ﷺ نبوءة المزمور الثانى وفيها أنه ابن الله مجازا. بمعنى المنتسب إلى الله. وفى هذه النبوءة أنه سينتصر على أعدائه، وسيحطمهم بقضيب من حديد، مثل إناء خزاف يكسرهم.

وهذا لا ينطبق على عيسى عليه السلام.

راجع:

حزقيال ٣٧: ١٣ مزمور ٧٨: ١٥ إشعياء ٢٤: ١٨ وإرمياء ١٤: ٤

والآن. بعدما بينا سرقة النصارى لنبوءات التوراة عن محمد ﷺ ووضعها على المسيح عيسى عليه السلام؛ نبين نبوءات سورة الانفطار؛ فنقول:

﴿إذا السماء انفطرت﴾

الفطر: هو الخلق من العدم. يقول الله تعالى: **﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾** أى خلقكم. وفى التوراة: «فى البدء خلق الله السموات والأرض،» (تك ١: ١) وقال الله تعالى حكاية عن اليهود: **﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾** والإجابة موجودة فى أول سفر التكوين. وهى: «فى البدء خلق الله السموات والأرض»

والانفطار ههنا معناه التشقق. وهو ههنا كناية عن هول المعارك فى يوم الرب؛ كقوله: ﴿إذا السماء انشقت﴾ ويشبه هذا: ﴿وإذا السماء كشطت﴾ فإن الكشط يدل

على تغيير خلق أول بخلق ثانى. ومعنى هذا كله: هو أن فطر على الحقيقة بمعنى خلق من العدم. وانفطر معناه هدم خلقه بطريق التشقق. ثم يستعمل الانفطار مجازا بمعنى شدة الحرب.

﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾

عن هذا يقول إشعياء: «ويفنى كل جند السموات، وتلتف السموات كدرْج، وكل جندها ينتثر، كانتثار الورق من الكرمة، والسقاط من التينة» (إش ٣٤: ٤)

وهذا هو نص نبوءة الانتثار:

فى الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر إشعياء:

«اقتربوا أيها الأمم لتسمعوا وأيها الشعوب اصغوا. لتسمع الأرض وملؤها المسكونة وكل نتائجها. لأن للرب سخطا على كل الأمم وحموا على كل جيشهم. قد حرمهم دفعهم إلى الذبح. فقتلاهم تطرح وجيفهم تصعد نتانتها وتسيل الجبال بدمائهم. ويفنى كل جند السموات وتلتف السموات كدرج وكل جندها ينتثر كانتثار الورق من الكرمة والسقاط من التينة.

لأنه قد روى فى السموات سيفى. هوذا على أدوم ينزل وعلى شعب حرمته للدينونة. للرب سيف قد امتلأ دما. اطلى بشحم بدم خراف وتيوس بشحم كلى كباش. لأن للرب ذبيحة فى بُصرة وذبحا عظيما فى أرض أدوم. ويسقط البقر الوحشى معها والعجول مع الثيران وتروى أرضهم من الدم وترابهم من الشحم يسمن. لأن للرب يوم انتقام سنة جزاء من أجل دعوى صهيون.

وتتحول أنهارها زفتا وترابها كبريتا وتصير أرضها زفتا مشتعلا. ليلا ونهارا لا تنطفئ. إلى الأبد يصعد دخانها. من دور إلى دور تخرب. إلى أبد الآبدين لا يكون من يجتاز فيها. ويرثها القوق والقنفذ. والكركى والغراب يسكنان فيها. ويمد عليها خيط الخراب ومطمار الخلاء. **أشرافها ليس هناك من يدعونه للملك**. وكل رؤسائها يكونون عدما. ويطلع فى قصورها الشوك. القريص والعوسج فى حصونها. فتكون

مسكنا للذئـاب ودارا لبنات النعام. **وتلاقى وحوش القـفر بنات آوى ومـعز الوحش يدعو صاحبه**. هناك يستـقر الليل ويجد لنفسـه محلا. هناك تحجـر النكازة وتبيض وتفرخ وتربى تحت ظلها. وهناك تجتمع الشواهين بعضها ببعض.

فتشوا فى سفر الرب واقرأوا. واحـدة من هذه لا تفقد. لا يغادر شئ صاحبه لأن فمه هو قد أمر، وروحـه هو جمعها. وهو قد ألقى لها قرعة ويده قسـمتها لها بالخيط. إلى الأبد ترثها. إلى دور فدور تسكن فيها» (إش ٣٤)

﴿وإذا البحار فجرت﴾

فى المزمور الرابع والسـبعين عن الشعب الآتى بدل شـعب اليهود؛ ليـقيم الله مملكة على الأرض، كما كانت مملكة بنى إسرائيل فى البدء ما نصه:

«لماذا رفضـتنا يا ألله إلى الأبد. لماذا يدخن غضـبك على غنم مرعـاك. اذكر جماعتك التـى اقتنيتها منذ القدم وفـديتها. سبط ميراثك. جبـل صهيون هذا الذى سكنت فيـه. ارفع خطواتك إلى الخرب الأبدية. الكل قد حطم العـدو فى المقدس. قد زمجـر مقاوموك فى وسط مـعهدك. جعلوا آياتهم آيات. يَبـان كأنه رافع فؤوس على الأشجار المـشتبكة. والآن منقوشاتـه معا بالفؤوس والمعاول يكـسرون. أطلقوا النار فى مقدسك. دنسـوا للأرض مسكن اسمك. قالوا فى قلوبهم: لنـفنينهم معا. أحرقـوا كل معاهد الله فى الأرض. آياتنا لا نرى. لا نبى بعـد. ولا بيننا من يعرف حتى متى.

حتى مـتى يا ألله يعير المقـاوم ويهين العدو اسمك إلـى الغاية؟ لماذا ترد يدك ويمينك. أخرجها من وسط حـضنك. افن. والله ملكى منذ القدم فاعل الخلاص فى وسط الأرض. أنت **شققت البـحر بقوتك**. كسرت رءوس التنانين على المياه. أنت رضضت رءوس لوياثـان. جعلته طعـاما للشعـب لأهل البرية. **أنت فـجرت عـينا وسيلا**[1]. أنت يبست أنهارا دائمة الجريان. لك النهار ولك أيضا الليل. أنت هيأت النور والشمس. أنت نصبت كل تخوم الأرض. الصيف والشتاء أنت خلقتهما.

(١) لاحظ: أنت فجرت عينا وسَيْلا.

اذكر هذا أن العدو قد عير الرب، وشعبا جاهلا قد أهان اسمك. لا تسلم للوحش نفس يمامتك. قطيع بائسيك لا تنس إلى الأبد. انظر إلى العهد. لأن مظلمات الأرض امتلأت من مساكن الظلم. لا يرجعن المنسحق خازيا. الفقير والبائس ليسبحا اسمك.

قم يا ألله. أقم دعواك. اذكر تعيير الجاهل إياك اليوم كله. لا تنس صوت أضدادك. ضجيج مقاوميك الصاعد دائما» (مزمور ٧٤)

﴿وإذا القبور بعثرت﴾

فى الأصحاح السابع والثلاثين من سفر حزقيال: «لذلك تنبأ وقل لهم: هكذا قال السيد الرب: هاأنذا أفتح قبوركم، وأصعدكم من قبوركم يا شعبى وآتى بكم إلى أرض إسرائيل فتعلمون أنى أنا الرب عند فتح قبوركم وإصعادى إياكم من قبوركم يا شعبى وأجعل روحى فيكم فتحيون وأجعلكم فى أرضكم فتعلمون أنى أنا الرب تكلمت وأفعل. يقول الرب» (حز ٣٧: ١٢ ـ ١٤) وبعده يتكلم عن تأليف قلوب اليهود العبرانيين والسامريين ويكون عليهم ملك واحد ويكونون أمة واحدة ويتطهرون من معاصيهم وأقطع معهم عهد سلام فيكون معهم عهدا مؤبدا. وقد حدث هذا لما ظهر محمد ﷺ.

وفى بدء النبوءة يتكلم عن وقوع اليهود تحت الجزية للملوك الأجانب وأنهم بالجزية ماتوا موتا مجازيا كما هو المعنى فى قوله تعالى فى القرآن الكريم: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾** الطبيعى على يد جنود ملك بابل سنة ٥٨٦ ق. م **﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾** موتا مجازيا بالأسر ودفع الجزية

وأيضاً: **﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾** أى بعد موتها موتا مجازيا وظلت أورشليم ميتة مجازا إلى أن ظهر محمد ﷺ فأحياهم الله به. ذلك قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾**

وهذا هو نص النبوءة:

فى الأصحاح السادس والثلاثين وما بعده من حزقيال:

«وأنت يا ابن آدم فتنبأ لجبال إسرائيل وقل: يا جبال إسرائيل اسمعى كلمة الرب. هكذا قال السيد الرب. من أجل أن العدو قال عليكم: هَهْ. إن المرتفعات القديمة صارت لنا ميراثا فلذلك تنبأ وقل: هكذا قال السيد الرب. من أجل أنهم قد أخربوكم وتهمموكم من كل جانب لتكونوا ميراثا لبقية الأمم وأصعدتم على شفاه اللسان وصرتم مذمة الشعب. لذلك فاسمعى يا جبال إسرائيل كلمة السيد الرب. هكذا قال السيد الرب للجبال وللآكام وللأنهار وللأودية وللخرب المقفرة وللمدن المهجورة التى صارت للنهب والاستهزاء لبقية الأمم الذين حولها. من أجل ذلك هكذا قال السيد الرب: إنى فى نار غيرتى تكلمت على بقية الأمم وعلى أدوم كلها الذين جعلوا أرضى ميراثا لهم لفرح كل القلب، وبغضة نفس لنهبها غنيمة. فتنبأ على أرض إسرائيل وقل للجبال وللتلال وللأنهار وللأودية هكذا قال السيد الرب. هأنذا فى غيرتى وفى غضبى تكلمت من أجل أنكم حملتم تعيير الأمم. لذلك هكذا قال السيد الرب: إنى رفعت يدى فالأمم الذين حولكم هم يحملون تعييرهم. أما أنتم يا جبال إسرائيل فإنكم تنبتون فروعكم وتثمرون ثمركم لشعبى إسرائيل لأنه قريب الإتيان. لأنى أنا لكم وألتفت إليكم فتحرثون وتزرعون. وأكثر الناس عليكم. كل بيت إسرائيل بأجمعه. فتعمر المدن وتبنى الخرب. وأكثر عليكم الإنسان والبهيمة فيكثرون ويثمرون وأسكنكم حسب حالتكم القديمة وأحسن إليكم أكثر مما فى أوائلكم فتعلمون أنى أنا الرب. وأمشى الناس عليكم شعبى إسرائيل فيرثونك فتكون لهم ميراثا ولا تعود بعد تثكلهم. هكذا قال السيد الرب من أجل أنهم قالوا لكم أنت آكالة الناس ومثكلة شعوبك. لذلك لن تأكلى الناس بعد ولا تثكلى شعوبك بعد يقول السيد الرب. ولا أسمع فيك من بعد تعيير الأمم، ولا تحملين تعيير الشعوب بعد، ولا تعثرين شعوبك بعد. يقول السيد الرب.

وكان إلى كلام الرب قائلا: يا ابن آدم إن بيت إسرائيل لما سكنوا أرضهم

نجسوها بطريقهم وبأفعالهم. كانت طريقهم أمامى كنجاسة الطامث. فسكبت غضبى عليهم لأجل الدم الذى سفكوه على الأرض وبأصنامهم نجسوها. **فبددتهم فى الأمم فتذروا فى الأراضى.** كطريقهم وكأفعالهم دنتهم. فلما جاءوا إلى الأمم حيث جاءوا نجسوا اسمى القدوس إذ قالوا لهم: هؤلاء شعب الرب وقد خرجوا من أرضه. فتحننت على اسمى القدوس الذى نجسه بيت إسرائيل فى الأمم حيث جاءوا.

لذلك فقل لبيت إسرائيل: هكذا قال السيد الرب: ليس لأجلكم أنا صانع يا بيت إسرائيل بل لأجل اسمى القدوس الذى نجستموه فى الأمم حيث جئتم. فأقدس اسمى العظيم المنجس فى الأمم الذى نجستموه فى وسطهم فتعلم الأمم أنى أنا الرب. يقول السيد الرب حين أتقدس فيكم قدام أعينهم. **وآخذكم من بين الأمم وأجمعكم من جميع الأراضى وآتى بكم إلى أرضكم. وأرش عليكم ماء طاهرا فتطهرون. من كل نجاستكم ومن كل أصنامكم؛ أطهركم. وأعطيكم قلبا جديدا وأجعل روحا جديدة فى داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم. وأجعل روحى فى داخلكم وأجعلكم تسلكون فى فرائضى وتحفظون أحكامى وتعملون بها.** وتسكنون الأرض التى أعطيت آباءكم إياها وتكونون لى شعبا وأنا أكون لكم إلها. وأخلصكم من كل نجاساتكم وادعوا الحنطة وأكثرها ولا أضع عليكم جوعا. وأكثر ثمر الشجر وغلة الحقل لكيلا تنالوا بعد عار الجوع بين الأمم. فتذكرون طرقكم الرديئة وأعمالكم غير الصالحة وتمقتون أنفسكم أمام وجوهكم من أجل آثامكم وعلى رجاساتكم. لا من أجلكم أنا صانع. يقول السيد الرب فليكن معلوما لكم. فاخجلوا واخزوا من طرقكم يا بيت إسرائيل. هكذا قال السيد الرب. فى يوم تطهيرى إياكم من كل آثامكم؛ أسكنكم فى المدن فتبنى الخرب. وتفلح الأرض الخربة عوضا عن كونها خربة أمام عينى كل عابر. فيقولون: هذه الأرض الخربة صارت كجنة عدم والمدن الخربة والمقفرة والمنهدمة محصنة معمورة. فتعلم الأمم الذين تركوا حولكم أنى أنا الرب بنيت المنهدمة وغرست المقفرة. أنا الرب تكلمت وسأفعل. هكذا قال السيد الرب. بعد هذه أطلب من بيت إسرائيل لأفعل لهم. أكثرهم كغنم أناس. كغنم مقدس كغنم أورشليم فى مواسمها فتكون المدن الخربة ملآنة غنم أناس. فيعلمون أنى أنا الرب.

كانت على يد الرب فأخرجنى بروح الرب وأنزلنى فى وسط البقعة وهى ملآنة عظاما. وأمرّنى عليها من حولها وإذ هى كثيرة جدا على وجه البقعة وإذا هى يابسة جدا. فقال لى: يا ابن آدم أتحيا هذه العظام؟ فقلت: يا سيد الرب أنت تعلم. فقال لى: تنبأ على هذه العظام وقل لها: أيتها العظام اليابسة اسمعى كلمة الرب. هكذا قال السيد الرب لهذه العظام. هأنذا أدخل فيكم روحا فتحيون. وأضع عليكم عصبا وأكسيكم لحما وأبسط عليكم جلدا وأجعل فيكم روحا فتحيون وتعلمون أنى أنا الرب.

فتنبأت كما أمرت وبينما أنا أتنبأ كان صوت وإذا رعش فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه. ونظرت وإذا بالعصب واللحم كساها وبسط الجلد عليها من فوق وليس فيها روح. فقال لى: تنبأ للروح. تنبأ يا ابن آدم وقل للروح: هكذا قال السيد الرب: هلم يا روح من الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا. فتنبأت كما أمرنى فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جدا جدا.

ثم قال لى: يا ابن آدم هذه العظام هى كل بيت إسرائيل: ها هم يقولون: يبست عظامنا وهلك رجاؤنا. قد انقطعنا. لذلك تنبأ وقل لهم هكذا قال السيد الرب: هأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبى، وآتى بكم إلى أرض إسرائيل. فتعلمون أنى أنا الرب عند فتحى قبوركم وإصعادى إياكم من قبوركم يا شعبى. وأجعل روحى فيكم فتحيون، وأجعلكم فى أرضكم؛ فتعلمون أنى أنا الرب تكلمت وأفعل. يقول الرب.

وكان إلى كلام الرب قائلا: وأنت يا ابن آدم خذ لنفسك عصا واحدة واكتب عليها ليهوذا ولبنى إسرائيل رفقائه. وخذ عصا أخرى واكتب عليها ليوسف عصا أفرايم وكل بيت إسرائيل رفقائه. واقرنهما الواحدة بالأخرى كعصا واحدة فتصيرا واحدة فى يدك. فإذا كلمك أبناء شعبك قائلين: أما تخبرنا ما لك وهذا؟

فقل لهم: هكذا قال السيد الرب: هأنذا آخذ عصا يوسف التى فى يد أفرايم وأسباط إسرائيل رفقاءه وأضم إليها عصا يهوذا وأجعلهم عصا واحدة؛ فيصيرون

واحدة فى يدى. وتكون العصوان اللتان كتبت عليهما فى يدك أمام أعينهم. وقل لهم: هكذا قال السيد الرب: هأنذا آخذ بنى إسرائيل من بين الأمم التى ذهبوا إليها وأجمعهم من كل ناحية وآتى بهم إلى أرضهم. وأصيرهم أمة واحدة فى الأرض على جبال إسرائيل، وملك واحد يكون ملكا عليهم كلهم، ولا يكونون بعد أمتين ولا ينقسمون بعد إلى مملكتين، ولا يتنجسون بعد بأصنامهم ولا برجاساتهم ولا بشئ من معاصيهم بل أخلصهم من كل مساكنهم التى فيها أخطأوا وأطهرهم؛ فيكونون لى شعبا وأنا أكون لهم إلها. وداود عبدى يكون ملكا عليهم، ويكون لجميعهم راع واحد فيسلكون فى أحكامى ويحفظون فرائضى ويعملون بها. ويسكنون فى الأرض التى أعطيت عبدى يعقوب إياها التى سكنها آباؤكم ويسكنون فيها هم وبنوهم وبنو بنيهم إلى الأبد وعبدى داود رئيس عليهم إلى الأبد. وأقطع معهم عهد سلام فيكون معهم عهدا مؤبدا وأقرهم وأكثرهم وأجعل مقدسى فى وسطهم إلى الأبد. ويكون مسكنى فوقهم وأكون لهم إلها ويكونون لى شعبا. فتعلم الأمم أنى أنا الرب مقدس إسرائيل إذ يكون مقدسى فى وسطهم إلى الأبد» (حزقيال ٣٦ ـ ٣٧)

***

وفى سورة المطففين:

يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

البيان:

فى المزمور الثانى والخمسين أن الصدّيقين يضحكون على الكفار من اليهود. وهذا هو النص:

«لماذا تفتخر بالشر أيها الجبار. رحمة الله هى كل يوم. لسانك يخترع مفاسد كموسى مسنونة يعمل بالغش. أحببت الشر أكثر من الخير. الكذب أكثر من التكلم بالصدق. سلاه. أحببت كل كلام مهلك ولسان غش. أيضا يهدمك الله إلى الأبد. يخطفك ويقلعك من مسكنك ويستأصلك من أرض الأحياء. سلاه. **فيرى الصديقون ويخافون. وعليه يضحكون**. هوذا الإنسان الذى لم يجعل الله حصنه بل اتكل على كثرة غناه واعتز بفساده.

أما أنا فمثل زيتونة خضراء فى بيت الله. توكلت على رحمة الله إلى الدهر والأبد. أحمدك إلى الدهر؛ لأنك فعلت وأنتظر اسمك؛ فإنه صالح قدام أتقيائك» (مرمور ٥٢)

البيان:

المتكلم بأنه مثل زيتونة هو محمد ﷺ وقد حكى كلامه داود بظهر الغيب.

وقد قال الله فى القرآن:

﴿والتين والزيتون﴾

وفى إنجيل لوقا يقول المسيح: «ويل لكم أيها الضاحكون الآن لأنكم ستحزنون وتبكون. ويل لكم إذا قال لكم جميع الناس حسنا؛ لأنه هكذا كان آباؤهم يفعلون بالأنبياء والكذبة» (لوقا ٦: ٢٥ ـ ٢٦) وفى المزمور الخامس والثلاثين: أن اليهود يتغامزون بالعين بلا سبب على النبى المنتظر[١]

***

وفى سورة الانشقاق:

(١) «خاصم يا رب مخاصمى. قاتل مقاتلى. أمسك مجنا وترسا وانهض إلى معونتى وأشرع رمحا وصد تلقاء مطاردى. قل لنفسى خلاصك أنا. ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسى. ليرتد إلى الوراء ويخجل المتفكرون بإساءتى. ليكونوا مثل العصافة قدام الريح وملاك الرب داحرهم. ليكن طريقهم ظلاما وزلقا وملاك الرب طاردهم. لأنهم بلا سبب أخفوا لى هوة شبكتهم. بلا سبب حفروا لنفسى. لتأته التهلكة وهو لا يعلم ولتنشب به الشبكة التى أخفاها وفى التهلكة نفسها ليقع. أما نفسى فتفرح بالرب وتبتهج بخلاصه. جميع عظامى تقول يا رب من مثلك المنقذ المسكين ممن هو أقوى منه والفقير والبائس من سالبه ==

يقول الله تعالى:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ② وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾

قد ذكرنا من قبل انشقاق السماء.

﴿وإذا الأرض مدت﴾

إشارة إلى نبوءة المزمور المائة والسادس والثلاثين. وفيه يقول: الباسط الأرض على المياه. وفى سفر إشعياء ٤٢ وهو يتكلم عن عبد الرب المسالم. وهو محمد ﷺ يقول:

«هكذا يقول الله الرب خالق السماوات وناشرها، باسط الأرض ونتائجها»

نص المزمور ١٣٦

«احمدوا الرب لأنه صالح؛ لأن إلى الأبد رحمته. احمدوا إله الآلهة لأن إلى الأبد رحمته. احمدوا رب الأرباب لأن إلى الأبد رحمته. الصانع العجائب العظام وحده لأن إلى الأبد رحمته.

الصانع السموات بفهم لأن إلى الأبد رحمته. الباسط الأرض على المياه لأن إلى الأبد رحمته. الصانع أنوارا عظيمة لأن إلى الأبد رحمته. الشمس لحكم النهار

== شهود زور يقومون وعما لم أعلم يسألوننى. يجازوننى عن الخير شرا ثكلا لنفسى. أما أنا ففى مرضهم كان لباسى مسحا. أذللت بالصوم نفسى. وصلاتى إلى حضنى ترجع. كأنه قريب كأنه أخى كنت أتمشى. كمن ينوح على أمه انحنيت حزينا. ولكنهم فى ظلعى فرحوا واجتمعوا. اجتمعوا على شاتمين ولم أعلم. مزقوا ولم يكفوا. بين الفجار المجان لأجل كعكة حرقوا على أسنانهم

يا رب إلى متى تنظر. استرد نفسى من تهلكاتهم وحيدتى من الأشبال. أحمدك فى الجماعة الكثيرة فى شعب عظيم أسبحك. لا يشمت بى الذين هم أعدائى باطلا ولا يتغامز بالعين الذين يبغضوننى بلا سبب. لأنهم لا يتكلمون بالسلام وعلى الهادئين فى الأرض يتفكرون بكلام مكر. فغروا على أفواههم قالوا: هه هه قد رأت أعيننا. قد رأيت يا رب. لا تسكت يا سيد لا تبتعد عنى. استيقظ وانتبه إلى حكمى يا إلهى وسيدى إلى دعواى. اقض لى حسب عدلك يا رب إلهى فلا يشمتوا بى. لا يقولوا فى قلوبهم: هه شهوتنا. لا يقولوا: قد ابتلعناه. ليخز وليخجل معا الفرحون بمصيبتى. ليلبس الخزى والخجل المتعظمون على ليهتف ويفرح المبتغون حقى وليقولوا دائما: ليتعظم الرب المسرور بسلامة عبده. ولسانى يلهج بعدلك. اليوم كله بحمدك» (مزمور ٣٥)

لأن إلى الأبد رحمته. القمر والكواكب لحكم الليل لأن إلى الأبد رحمته.

الذى ضرب مصر مع أبكارها لأن إلى الأبد رحمته. وأخرج إسرائيل من وسطهم لأن إلى الأبد رحمته. بيد شديدة وذراع ممدودة لأن إلى الأبد رحمته. الذى شق بحر سوف إلى شقق؛ لأن إلى الأبد رحمته. وعبر إسرائيل فى وسطه لأن إلى الأبد رحمته. ودفع فرعون وقوته فى بحر سوف؛ لأن إلى الأبد رحمته. الذى سار بشعبه فى البرية؛ لأن إلى الأبد رحمته.

الذى ضرب ملوكا عظماء؛ لأن إلى الأبد رحمته. وقتل ملوكا أعزاء؛ لأن إلى الأبد رحمته. سيحون ملك الأموريين لأن إلى الأبد رحمته. وعوج ملك باشان؛ لأن إلى الأبد رحمته. وأعطى أرضهم ميراثا لأن إلى الأبد رحمته. ميراثا لإسرائيل عبده؛ لأن إلى الأبد رحمته.

الذى فى مذلتنا ذكرنا لأن إلى الأبد رحمته. ونجانا من أعدائنا؛ لأن إلى الأبد رحمته. الذى يعطى خبزا لكل بشر؛ لأن إلى الأبد رحمته. احمدوا إله السموات لأن إلى الأبد رحمته» (مزمور ١٣٦)

إشعياء ٤٢

«هوذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسى. وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ. إلى الأمان يخرج الحق. لا يكل ولا ينكسر حتى بضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته.

هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض ونتائجها معطى الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحا. أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم لتفتح عيون العمى لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة.

أنا الرب هذا اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر ولا تسبيحى للمنحوتات. هوذا

الأوّليات قـد أتت والحديثات أنا مخـبر بها. قبل أن تنبـت أعلمكم بها. غنوا للرب أغنية جديـدة تسبيحه من أقـصى الأرض. أيها المنحدرون فى البحـر وملؤه والجزائر وسكانها. لترفع البرية ومدنها صوتهـا. الديار التى سكنها قيدار. لتترنم سكان سالع. من رءوس الجبال ليهتـفوا. ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسـبيحه فى الجزائر. الرب كالجبار يخرج. كرجل حروب ينهض غيرته. يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه.

قد صـمت منذ الدهر. سكت تجلدت. كالوالدة أصـيح. أنفخ وأنخر مـعا. أخرب الجبال والآكام وأجفف كل عشبها وأجعل الأنهار يبسا وأنشف الآجام. وأسير العمى فى طريق لم يعرفوها. فى مسالك لم يدروها أمشيهم. أجعل الظلمة أمامهم نورا والمعوجات مـستقيـمة. هذه الأمور أفعلها ولا أتركـهم. قد ارتدوا إلى الوراء. يخزى خزيا المتكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات: أنتن آلهتنا.

أيها الصم اسـمعوا. أيهـا العمى انظروا لتبـصروا. من هو أعمى إلا عـبدى وأصم كرسولى الذى أرسله. من هو أعمى كالكامل وأعمى كعبد الرب. ناظر كثيرا ولا تلاحظ. مفتـوح الأذنين ولا يسمع. الرب قد سر من أجل بره. يعـظم الشريعة ويكرمـها. ولكنه شـعب منهوب ومـسلوب قـد اصطيد فى الحـفر كله وفى بيـوت الحبوس اختبأوا. صاروا نهبا ولا منقذ وسلبا وليس من يقول: رد.

من منكم يسـمع هذا. يصغى ويسـمع لما بعـده من دفع يعقـوب إلى السلب وإسرائيل إلى الناهبين. أليس الرب الذى أخطأنا إليه ولم يشاءوا أن يسلكوا فى طرقه ولم يسمعوا لشريعته. فسكب عليه حمو غضبه وشدة الحرب. فأوقدته من كل ناحية ولم يعرف وأحرقته ولم يضع فى قلبه» (إشعياء ٤٢)

***

وفى سورة الغاشية:

يقول الله تعالى:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾؟

ثم قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾

البيان:

يتكلم عن الغاشية وهى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، فى يوم الرب، ويبين أن اليهود سيكونون خاشعين من الذل، وأنه يذكرهم بهذا اليوم الذى سيعذبهم فيه العذاب الأكبر. ثم يردون إلى النار من بعد القتل فى يوم الرب.

﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾؟

فى المزمور الخامس والخمسين يقول النبى ﷺ لله بظهر الغيب: «اصغ يا أالله إلى صلاتى ولا تتغاض عن تضرعى» ثم يتكلم عن أهوال القتال فى يوم الرب وهو يقصد جنوده المحاربين. فيقول: «غشينى رعب» ثم دعا على أعدائه، وطلب من الله أن ينجيه وينصره وقال: إن الله نصره «فدى بسلام نفسى. من قتال علىّ؛ لأنهم بكثرة كانوا حولى» ومعنى هذا: أن الغاشية حلّت عليهم.

نص المزمور ٥٥

«اصغ يا أالله إلى صلاتى ولا تتغاض عن تضرعى. استمع لى واستجب لى. أتحير فى كربتى وأضطرب من صوت العدو من قبل ظلم الشرير. لأنهم يحيلون على إثما وبغضب يضطهدوننى. يمخض قلبى فى داخلى وأهوال الموت سقطت على. خوف ورعدة أتيا على وغشينى رعب. فقلت: ليت لى جناحا كالحمامة فأطير وأستريح. هأنذا كنت أبعد هاربا وأبيت فى البرية. سلاه. كنت أسرع فى نجاتى من الريح العاصفة ومن النوء.

أهلك يا رب. فرق ألسنتهم لأنى قد رأيت ظلما وخصاما فى المدينة. نهارا وليلا يحيطون بها على أسوارها وإثم ومشقة فى وسطها. مفاسد فى وسطها ولا يبرح من ساحتها ظلم وغش. لأنه ليس عدو يعيرنى فأحتمل. ليس مبغضى تعظم

على فأختبئ منه. بل أنت إنسان عديلى إلفى وصديقى الذى معه كانت تحلو لنا العشرة. إلى بيت الله كنا نذهب فى الجمهور. ليبغتهم الموت. لينحدروا إلى الهاوية أحياء لأن فى مساكنهم فى وسطهم شروراً.

أما أنا فإلى الله أصرخ والرب يخلصنى. مساء وصباحا وظهرا أشكو وأنوح فيسمع صوتى. فدى بسلام نفسى من قتال على لأنهم بكثرة كانوا حولى. يسمع الله فيذلهم والجالس منذ القدم. سلاه. الذين ليس لهم تغير ولا يخافون الله. ألقى يديه على مسالميه. نقض عهده. أنعم من الزبدة فمه وقلبه قتال. ألين من الزيت كلماته وهى سيوف مسلولة.

ألق على الرب همك فهو يعولك. لا يدع الصديق يتزعزع إلى الأبد. وأنت يا ألله تحدرهم إلى جب الهلاك. رجال الدماء والغش لا ينصفون أيامهم. أما أنا فأتكل عليك» (مزمور ٥٥)

وتكلم عيسى عليه السلام عن معركة الساعة فى يوم الرب فقال: «**والناس يُغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتى على المسكونة**» وقد ذكرنا النص بتمامه.

***

وفى سورة الفجر:

يقول الله تعالى:

﴿**كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ**﴾

البيان:

المراد من اندكاك الأرض: التعبير عن هول المعارك فى يوم الرب. والمراد من مجئ ربك: مجئ أمره ببدء المعارك ونصره المسلمين على اليهود بواسطة الملائكة

المكتوب عنهم فى نشيد موسى. والمراد من المجئ بجهنم: هو هزيمة اليهود فى يوم الرب وهلاكهم، ومن بعد الهلاك يدخلون جهنم مع الداخلين. إذ لا فاصل زمنى بين يوم القتل وبين يوم الدخول فى جهنم. وأشار بالتذكر إلى أن اليهود يعلمون ذلك من كتبهم وقد غفلوا عنه. وفى أيام المعارك يذكرونه ولكن بلا فائدة.

وأشار بقوله: ﴿**إذا دكت الأرض دكا دكا**﴾ إلى نبوءة حبقوق التى فيها: ﴿**ودكت الجبال الدهرية**﴾

***

وفى سورة البلد:

يقول الله تعالى:

﴿**لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ**﴾

البيان:

فى النص القرآنى ﴿هذا البلد﴾ ـ ﴿هذا البلد﴾ فهل هما بلدتان أم بلدة واحدة؟

يدعى اليهود: أن الله تعالى أقسم لداود عليه السلام أن لا ينقطع من نسله حاكم على أورشليم عاصمة ملك اليهود فى أيام بركة بنى إسرائيل. وهو يريد أن يقول: كيف أقسم بأورشليم أن يظل بها ملك اليهود، والحال أنى وعدت إسماعيل ببركة، وأنك مقيم بمكة؟

والوالد الواحد هو إبراهيم. وقد أنجب ولدان إسماعيل الساكن فى مكة. وقد ولد العرب الحالّين فى مكة والساكنين بها من أيام إسماعيل والولد الثانى هو إسحق، الذى منه إسرائيل ونسله. وهم يملكون على أورشليم. كيف يصح لى أن أقسم بأن يظل الملك فى أورشليم وأنت مقيم بمكة وبك تبدأ بركة إسماعيل التى هى ملك ونبوة وقد وعدت بها؟ والغرض من القسم وغيره: هو أنهم لا يريدون النبوة

فى نسل إسماعيل. ففى المزمور التاسع والثمانين يقول: «مرة حلفت بقدسى أنى لا أكذب لداود. نسله إلى الدهر يكون، وكرسيه كالشمس أمامى[1]» كيف يحلف لداود أن يظل نسله حاكما إلى يوم القيامة. وهو قد أعطى بركة لإسماعيل؟

مزمور ٨٩

(١) «بمراحم الرب أغنى إلى الدهر. لدور فدور أخبر عن حقك بفمى. لأنى قلت: إن الرحمة إلى الدهر تبنى. السموات تثبت فيها حقك. قطعت عهدا مع مختارى. حلفت لداود عبدى إلى الدهر أثبت نسلك وأبنى إلى دور فدور كرسيك. سلاه. والسموات تحمد عجائبك يا رب وحقك أيضا فى جماعة القديسين. لأنه من فى السماء يعادل الرب. من يشبه الرب بين أبناء الله. إله مهوب جدا فى مؤامرة القديسين ومخوف عند جميع الذين حوله.

يا رب إله الجنود من مثلك قوى. رب .وحقك من حولك. أنت متسلط على كبرياء البحر. عند ارتفاع لجحه أنت تسكنها. أنت سحقت رهب مثل القتيل. بذراع قوتك بددت أعداءك. لك السموات. لك أيضا الأرض. المسكونة وملؤها أنت أسستهما. الشمال والجنوب أنت خلقتهما. تابور وحرمون باسمك يهتفان. لك ذراع القدرة. قوية يدك. مرتفعة يمينك. العدل والحق قاعدة كرسيك. الرحمة والأمانة تتقدمان أمام وجهك. طوبى للشعب العارفين الهتاف. يا رب بنور وجهك يسلكون. باسمك يبتهجون اليوم كله. وبعدلك يرتفعون لأنك أنت فخر قوتهم. وبرضاك ينتصب قرننا. لأن الرب مجننا وقدوس إسرائيل ملكنا.

حينئذ كلمت برؤيا تقيك وقلت: جعلت عونا على قوى. رفعت مختارا من بين الشعب. وجدت داود عبدى. بدهن قدسى مسحته. الذى تثبت يدى معه. أيضا ذراعى تشدده. لا يرغمه عدو وابن الإثم لا يذلله. وأسحق أعداءه أمام وجهه وأضرب مبغضيه. أما أمانتى ورحمتى فمعه وباسمى ينتصب قرنه. وأجعل على البحر يده وعلى الأنهار يمينه. هو يدعونى أبى أنت. إلهى وصخرة خلاصى. أنا أيضا أجعله بكرا أعلى من ملوك الأرض. إلى الدهر أحفظ له رحمتى. وعهدى يثبت له. وأجعل إلى الأبد نسله وكرسيه مثل أيام السموات. إن ترك بنوه شريعتى ولم يسلكوا بأحكامى. إن نقضوا فرئضى ولم يحفظوا وصاياى أفتقد بعصاً معصيتهم وبضربات إثمهم. أما رحمتى فلا أنزعها عنه ولا أكذب من جهة أمانتى. لا أنقض عهدى ولا أغير ما خرج من شفتى. مرة حلفت بقدسى إنى لا أكذب لداود. نسله إلى الدهر يكون. وكرسيه كالشمس أمامى. مثل القمر يثبت إلى الدهر. والشاهد فى السماء أمين. سلاه

لكنك رفضت ورذلت. غضبت على مسيحك. نقضت عهد عبدك. نجست تاجه فى التراب. هدمت كل جدرانه. جعلت حصونه خرابا. أفسده كل عابرى الطريق. صار عارا عند جيرانه. رفعت يمين مضايقيه. فرحت جميع أعدائه. أيضا رددت حد سيفه ولم تنصره فى القتال. أبطلت بهاءه وألقيت كرسيه إلى الأرض. قصرت أيام شبابه غطيته بالخزى. سلاه.

حتى متى يا رب تختبئ كل الاختباء. حتى متى يتقد كالنار غضبك. اذكر كيف أنا زائل. إلى أى باطل خلقت جميع بنى آدم. أى إنسان يحيا ولا يرى الموت. أى ينجى نفسه من يد الهاوية. سلاه. أين مراحمك الأول يا رب التى حلفت بها لداود بأمانتك. اذكر يا رب عار عبيدك. الذى أحتمله فى حضنى من كثرة الأمم كلها الذى به عير أعداؤك يا رب. **الذين عيروا آثار مسيحك**. مبارك الرب إلى الدهر. آمين فآمين» (مزمور ٨٩)

كيف وأنبياء بنى إسرائيل قد تكلموا عن مجد الكعبة؟ والمجد يكون بملك وشريعة من الله.

وفى إشعياء يتكلم عن مجد الكعبة فيقول:

«ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد. أشيدى بالترنم أيتها التى لم تمخض لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل. قال الرب. أوسعى مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك. لا تمسكى. أطيلى أطنابك وشددى أوتادك. لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلك أمما ويعمر مدنا خربة. لا تخافى لأنك لا تخزين. ولا تخجلى لأنك لا تستحين. فإنك تنسين خزى صباك. وعار ترملك لا تذكرينه بعد. لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه. ووليك قدوس إسرائيل إله كل الأرض يدعى. لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب وكزوجة الصبا إذا رذلت. قال إلهك. لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك. بفيضان الغضب حجبت وجهى عنك لحظة وبإحسان أبدى أرحمك. قال وليك الرب. لأنه كمياه نوح هذه لى. كما حلفت أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض هكذا حلفت أن لا أغضب عليك ولا أزجرك. فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع أما إحسانى فلا يزول عنك وعهد سلامى لا يتزعزع. قال راحمك الرب.

أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية: هأنذا أبنى بالإثمد حجارتك، وبالياقوت الأزرق أؤسسك. وأجعل شرفك ياقوتا وأبوابك حجارة بهرمانية، وكل تخومك حجارة كريمة، **وكل بنيك تلاميذ الرب، وسلام بنيك كثيرا**[1]. بالبر تثبتين، بعيدة عن الظلم فلا تخافين، وعن الارتعاب فلا يدنو منك. ها إنهم يجتمعون اجتماعا ليس من عندى. من اجتمع عليك فإليك يسقط. هأنذا قد خلقت الحداد الذى ينفخ الفحم فى النار ويخرج آلة لعمله وأنا خلقت المهلك ليخرب.

كل آلة صورت ضدك لا تنجح، وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين

(١) استدل المسيح بهذه الآية على مجىء الأمة الإسلامية، وعلى أن علماء المسلمين سيحلون محل علماء اليهود. وذلك فى الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا.

عليه. هذا هو ميراث عبيد الرب، وبرّهم من عندى. يقول الرب» (إشعياء ٥٤)

***

وفى سورة التين:

قال الله تعالى:

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ⑤ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ⑥ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ⑦ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾

قال الإمام أحمد بن تيمية ــ رحمة الله عليه ــ فى كتابه الجواب الصحيح: إن التين والزيتون إشارة إلى مكان فلسطين، ومنها كان المسيح عيسى عليه السلام وإن طور سينين إشارة إلى مكان نزول التوراة، وإن البلد الأمين إشارة إلى مكان شريعة القرآن. لأن إسماعيل عليه السلام سكن فى فاران. وهى أرض مكة[1]. وهذا يعنى ثلاث شرائع.

والصحيح فى هذا الموضوع: أنهما شريعتان. والمسيح عيسى كان مصدقا للتوراة.

والصحيح أيضا فى هذا الموضوع: هو أنه يشير إلى نبوءات بعينها ولا يشير إلى أماكن. وقبل أن نذكر النبوءات نبين أنه فى نبوءة حبقوق عن النبى الآتى من فاران وهو محمد صلى الله عليه وسلم يقول: إنه لو فرض ولو قدر: أن التين لم يزهر، وأنه لا يكون ثمر فى العنب، ولا ثمر فى الزيتون، وأنه قد انقطع الغنم من الحظيرة، والبقر من المذاود. لو فرض وقدر هذا. فإن وعدى بظهور نبى فاران؛ لابد أن يتحقق. ذلك قوله: «فمع أنه لا يزهر التين، ولا يكون حمل فى الكروم. يكذب عمل الزيتونة، والحقول لا تصنع طعاما. ينقطع الغنم من الحظيرة، ولا بقر فى المذاود؛

(١) فى الجواب الصحيح ما نصه:

«أقسم بالتين والزيتون، وهو الأرض المقدسة التى ينبت فيها ذلك، ومنها بُعث المسيح، وأنزل عليه فيها الإنجيل وأقسم بطور سيناء وهو الجبل الذى كلم الله فيه موسى. وناداه من واديه الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة، وأقسم بالبلد الأمين. وهى مكة. البلد الذى أسكن إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه فيه. وهو الذى جعله الله حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم وجعله آمناً» أ.هـ

فإنى أبتهج بالرب، وأفرح بإله خلاصى» (حب ٣: ١٧ ـ ١٨) القائل: «فإنى أبتهج» هو محمد، المعبر عنه فى النص بالمسيح، وبالقدوس.

فإنه عبر عن محمد ﷺ بلغة اليهود بالمسيح فقال: «خرجت لخلاص شعبك لخلاص مسيحك» أى أنه سيحارب اليهود وسينصره الله عليهم. وعبر عنه بالقدوس فقال: «الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران»

﴿وطور سينين﴾

يشير إلى العهد المأخوذ على اليهود فى طور سيناء، من قبل أن تنزل التوراة من أنهم يعملون بها ويبلغونها للناس. وأنهم قالوا: «كل ما تكلم به الرب نفعل» ومن أحكامها الإيمان بمحمد ﷺ إذا ظهر؛ لأنه هو النبى الأمى الآتى خلفا لموسى. المكتوب عنه فيها. ولا يكمل إيمان اليهودى إلا بالدخول فى دينه إذا جاء (تثنية ١٨: ١٥ ـ ٢٢)

﴿وهذا البلد الأمين﴾

يشير إلى مكة المكرمة؛ لأنها حرم آمن. وفيها جدد إبراهيم وإسماعيل بناء الكعبة، وفيها سكن إسماعيل وبنيه. وفيها تتم المواعيد الإلهية بمحمد ﷺ ومن نصوص نبوءات التوراة عن الحج إلى الكعبة:

المزمور الرابع والثمانين، ونصه:

«ما أحلى مساكنك يا رب الجنود. تشتاق بل تتوق نفسى إلى ديار الرب. قلبى ولحمى يهتفان بالإله الحى. العصفور أيضا وجد بيتا والسنونة عشا لنفسها حيث تضع أفراخها. مذابحك يا رب الجنود ملكى وإلهى. طوبى للساكنين فى بيتك أبدا. يسبحونك. سلاه

طوبى لأناس عزّهم بك. **طرق بيتك فى قلوبهم**. عابرين فى وادى البكاء يصيرونه ينبوعا. أيضا ببركات يغطون مورة. يذهبون من قوة إلى قوة. يرون قدام الله فى صهيون.

يا رب إله الجنود اسمع صلاتى واصغ يا إله يعقوب. سلاه. يا مجننا انظر يا ألله والتفت **إلى وجه مسيحك**. لأن يوما واحدا فى ديارك خير من ألف. اخترت الوقوف على العتبة فى بيت إلهى على السكن فى خيام الأشرار. لأن الرب الله شمس ومجن. الرب يعطى رحمة ومجدا. لا يمنع خيرا عن السالكين بالكمال. يارب الجنود طوبى للإنسان المتكل عليك» (مزمور ٨٤)

والمزمور الثانى والأربعين ونصه:

«كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسى إليك يا ألله. عطشت نفسى إلى الله إلى الإله الحى. متى أجئ وأتراءى قدام[١] الله. صارت لى دموعى خبزا. نهارا وليلا إذ قيل لى كل يوم: أين إلهك؟ هذه أذكرها فأسكب نفسى على. لأنى كنت أمر مع الجُمّاع. أتدرج معهم إلى بيت الله بصوت ترنم وحمد. جمهور معيِّد. لماذا أنت منحنية يا نفسى؟ ولماذا تئنين فى؟ ارتجى الله لأنى بعد أحمده لأجل خلاص وجهه.

يا إلهى نفسى منحنية فىّ. لذلك أذكرك من أرض الأردن وجبال حرمون من جبل مصعر. غمر ينادى غمرا عند صوت ميازيبك. كل تياراتك ولججك طمت على. بالنهار يوصى الرب رحمته وبالليل تسبيحه عندى صلاة لإله حياتى. أقول لله صخرتى: لماذا نسيتنى؟ لماذا أذهب حزينا من مضايقة العدو؟ بسحق فى عظامى عيرنى مضايقى بقولهم لى كل يوم: أين إلهك؟ لماذا أنت منحنية يا نفسى؟ ولماذا تئنين فى؟ ترجى الله لأنى بعد أحمده خلاص وجهى وإلهى» (مزمور ٤٢)

نبوءة ﴿والزيتون﴾

فى المزمور الثانى والخمسين بين أن محمدا ﷺ مثل زيتونة خضراء فى بيت الله. وفى هذه النبوءة أن الله سينصر نبيه وسيهدم اليهود إلى الأبد. وهذا هو النص: «لماذا تفتخر بالشر أيها الجبار. رحمة الله هى كل يوم. لسانك يخترع مفاسد. كموسى مسنونة يعمل بالغش. أحببت الشر أكثر من الخير. الكذب أكثر من التكلم

(١) هذا مزمور من مزامير الحج إلى الكعبة. وفيه يتكلم عن مناسك الحج.

بالصدق. سلاه. أحببت كل كلام مهلك، ولسان غش. أيضا: يهدمك الله إلى الأبد. يخطفك ويقلعك من مسكنك ويستأصلك من أرض الأحياء. سلاه. فيرى الصديقون ويخافون. وعليه يضحكون. هو ذا الإنسان الذى لم يجعل الله حصنه، بل اتكل على كثرة غناه، واعتز بفساده. أما أنا فمثل زيتونة خضراء فى بيت الله. توكلت على رحمة الله إلى الدهر والأبد. أحمدك إلى الدهر؛ لأنك فعلت وأنتظر اسمك؛ فإنه صالح قدام أتقيائك» (مزمور ٥٢)

نبوءة ﴿والتين﴾

نبوءة ﴿والتين﴾ تدل على هلاك اليهود إذا لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وذلك لأن المسيح بدأ دعوته هو ويوحنا المعمدان بدعوة اليهود إلى التوبة لقبول ملكوت السموات. وفى الأصحاح الثالث عشر من إنجيل لوقا يكرر المسيح قوله: «إن لم تتوبوا؛ فجميعكم كذلك تهلكون»

«وقال هذا المثل: كانت لواحد شجرة تين مغروسة فى كرمه؛ فأتى يطلب فيها ثمرا، ولم يجد. فقال للكرام: هو ذا ثلاث سنين آتى أطلب ثمرا فى هذه التينة، ولم أجد. اقطعها ولماذا تُبطّل الأرض أيضا؟ فأجاب وقال له: يا سيد. اتركها هذه السنة أيضاً حتى أنقب حولها، وأضع زبلا. فإن صنعتَ ثمرا، وإلا ففيما بعد تقطعها» (لوقا ١٣ : ٦ ـ ٩)

فيكون التقدير: ﴿و﴾ اذكروا مَثَل ﴿التين﴾ والغرض من هذا المثل: هو أن الله أعطى فرصة لليهود لكى يتوبوا ويقبلوا الدخول فى ملكوت السموات. وهو ملكوت محمد ﷺ وإذا لم يقتنصوا هذه الفرصة؛ فإنه لا يكون لهم العذر إن هلكوا فى يوم الرب.

***

ثم قال: ﴿خلقنا الإنسان﴾ والمراد به: اليهود جميعا ﴿فى أحسن تقويم﴾ أى فى صورة حسنة. كما قال فى سورة المنافقون: ﴿تعجبك أجسامهم﴾ وأنعم عليهم بالخيرات الوفيرة من أيام يعقوب ويوسف إلى بدء ظهور الإسلام. ووقتئذ يُرد اليهود

المكذبين بمحمد أسفل سافلين. وهو الهلاك فى يوم الرب، ومن بعده جهنم. وبئس المصير، لكن الأخيار الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ فإنهم سيحيون خلقا جديدا، بشريعة الإسلام. يوضح هذا قوله: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾؟ أى ألست عادلا حين قسمت رحمتى بين نسل إسماعيل ونسل إسحق؟

***

وفى سورة العلق

يقول عن الإنسان الطاغى. والمراد بهم: اليهود. إنهم إن لم ينتهوا عن عداوة محمد وحربهم له؛ فإننا سنهلكهم فى يوم الرب.

***

وفى سورة الزلزلة:

يتكلم عن هول المعركة فى يوم الرب، ويصفها بزلزال شديد، ويبين أن الناس وهم اليهود يصدرون يومئذ فى يوم الرب فرقا فرقا؛ ليروا أعمالهم. وقد بين ذلك إشعياء فى الأصحاح الرابع والعشرين وغيره. والقرينة التى تدل على أن الزلزلة ستكون فى يوم الرب: أنه يقول: ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتا﴾ والناس فى القرآن تعبير عن نسل بنى إسرائيل خاصة. ولو كان المراد بالزلزلة يوم القيامة؛ لعبر بما يفيد عموم بنى آدم.

نبوءة حَجّاى عن زلزلة الأرض.

فى زمن محمد رسول الله ﷺ:

والكلام كثير فى التوراة والإنجيل عن زلزلة الأرض. كناية عن شدة الحرب فى يوم الرب. وقد ذكرنا منه ما يدل على ذلك. ونذكر ههنا من سفر النبى حَجّاى هذا النص: «لأنه هكذا قال رب الجنود: هى مرة بعد قليل. فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة. وأزلزل كل الأمم، **ويأتى مشتهى كل الأمم**؛ فأملأ هذا البيت مجدا. قال رب الجنود. لى الفضة ولى الذهب. يقول رب الجنود. مجد هذا البيت

الأخير يكون أعظم من مجد الأول. قال رب الجنود. وفى هذا المكان أعطى السلام. يقول رب الجنود» (حج ٢: ٦ ـ ٩)

ولقب «مشتهى كل الأمم» قال المسيح عيسى عليه السلام طبقا لرواية إنجيل بَرنابا: إنه لقب لمحمد ﷺ

تنبيه:

وفكرة هذا الكتاب. وهى أن النص القرآنى منه ما يشير بطريق خفى أو جلى إلى نبوءة عن محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل. هذه الفكرة ليست مبتكرة فى هذا الزمان. فإن علماءنا انتبهوا إليها وكتبوا عنها ووضوحها بالنصوص توضيحا تاما. والمبتكر ههنا هو ذكر كثير من النبوءات الخاصة بيوم الرب. من سور القرآن. فشيخ الإسلام الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير يذكر نبوءات من التوراة والإنجيل ويقول: وعن هذه النبوءة فى القرآن الكريم، ويذكر نص القرآن الذى لفت الأنظار إليها. وشيخ الإسلام ابن تيمية فى الجواب الصحيح قد حذا حذوه. ومثله الشيخ ابن قيم الجوزية. ومؤلف إظهار الحق.

وفى الأجوبة الفاخرة للإمام القرافى وهو يتكلم عن نبوءة الفِيراقليط وهو اسم أحمد ﷺ فى إنجيل يوحنا يقول: «فى إنجيل يوحنا قال المسيح عليه السلام: «إن خيرا لكم أن أنطلق؛ لأنى إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط. فإذا انطلقت أرسلته إليكم. فإذا جاء هو، يوبخ العالم على الخطية. ذلك الذى يرشدكم إلى جميع الحق. لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بعلم ما يأتى، ويعرفكم جميع ما للأب»

يقول: ففى هذه البشارة عدة مقاصد. منها... إلى أن قال: ومنها الشهادة لنبينا عليه السلام أنه لا ينطق عن الهوى، وإنما يتكلم بما يوحى إليه. ولذلك قال الكتاب العزيز: ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى﴾

فقد طابق بين نص النبوءة وبين القرآن. ولكنه وضع نص القرآن بعد الشرح والبيان. على عادة السابقين عليه. ونحن مرة وضعناه رأسا. ومرة وضعنا بعد

الشرح. والطريقتان تؤديان إلى المطلوب. وإن صح التطابق؛ فذلك ما كنا. على يدنا أو يد غيرنا. نبغى. وإن لم يصح؛ فإنها محاولات ستعقبها المعانى الصحيحة حتما. وفى اعتقادى أن ما فتح الله به على اليهود ولم يحدثوا به المسلمين عن محمد ﷺ قد عرفه المسلمون وحدثوا هم به بدلا عنهم. ومعرفة النبوءات عن محمد ﷺ هى أساس علم مقارنة الأديان. ومن يعرفها ويعرف توجيهها؛ فإنه يكون ملما بهذا العلم من أوله إلى آخره. ومن لا يعرفها فإنه إن عرف غيرها فى هذا العلم، يعرفها معرفة غير صافية من اللغو.

***

وفى سورة العاديات:

يقول الله تعالى:

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾

البيان:

يتكلم عن الخيول التى تعدو مسرعة وعليها فرسان المسلمين لتهلك اليهود فى يوم الرب. وهذا واضح فى سفر يوئيل. والمراد بالإنسان جميع اليهود. والتعبير ببعثرة القبور وهو شبيه بأنهم كانوا فى غطاء عن ذكر الله. هو الكناية عن غفلتهم عن الهلاك فى يوم الرب. وأنهم استيقظوا من هذه الغفلة ورأوا الهلاك التام.

***

وفى سورة القارعة:

يقول الله تعالى:

﴿الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ⑤ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ⑥ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ⑦ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ⑧ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ⑨ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ⑩ نَارٌ حَامِيَةٌ ⑪﴾

وهذه القارعة تكون فى يوم الرب يوم يكون الناس كالفراش المبثوث؛ كناية عن الهلاك التام. والمراد بالناس: اليهود خاصة.

***

سورة التكاثر:

يقول الله تعالى:

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾

البيان:

يخاطب اليهود بأنهم يحبون كثرة الأموال والأولاد. وأنهم انشغلوا بحب الأموال والأولاد حتى فاجأهم الهلاك فى يوم الرب، وزاروا القبور وهم مكرهون على الزيارة، وسكنوا فيها. وهددهم بالهلاك. ومن بعده يرون الجحيم ويعيشون فيها. إذ لا مدة بين يوم الموت ـ عندهم ـ وبين يوم القيامة. وأيام انتظار المعارك؛ يتذكرون النعيم الذى أنعم الله به عليهم، ويعرفون مدى تقصيرهم فى الانتفاع به. حتى إذا دخلوا الجحيم، يعلمون أن الله لم يظلمهم بعذابهم فيه.

***

سورة العصر:

يقول الله تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

البيان:

فى عصر شريعة محمد ﷺ يكون اليهود الكافرون به فى خسر. لأن من أوصافه فى التوراة أنه يبيد من الشعب من لا يؤمن به. وأتباعه يهلكون منهم خلقا كثيرا على طول الزمان. وأما الأخيار من اليهود وهم الذين آمنوا به؛ فإنهم سيحيون حياة طيبة، وستكون لهم الجنة من بعد الموت.

***

سورة الهمزة:

يقول الله تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾

البيان:

يخبر عن هلاك لليهود فى يوم الرب. ويصف اليهودى بأنه يوقع العداوة والبغضاء بين الناس، وبأنه محب للمال. وهدده بالنبذ فى النار وأنه إن نبذ فيها لن يخرج منها. وهذا كله كناية عن الهلاك فى الدنيا، ومن بعد الهلاك يدخلون النار الأبدية.

***

سورة الفيل:

يقول الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾

البيان:

يدلل على قدرته على إهلاك اليهود فى يوم الرب. بإهلاك أصحاب الفيل. لأن الغرض الباعث على الإهلاك واحد. وهو أنه حال ولادة النبى ﷺ أراد اليهود[1] فى الحبشة غزو مكة لقتل كل مولود ذكر فى هذا العام ومنهم محمد ﷺ وقد حفظه الله من كيدهم، وحال فتحه فلسطين يمنعونه من نشر دين الله، وسوف يحفظه الله من كيدهم.

***

سورة قريش:

يذكر أنه أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف؛ لئلا يقصروا فى لقاء اليهود.

***

سورة الماعون:

يهدد بويل للذين يكذبون بالدين وهم اليهود الذين لا يقسطون فى اليتامى ولا يحضون على طعام المساكين وهم مذبذبون ومراءون ولا يذكرون الله إلا قليلا، ويمنعون الخير عن الناس. ولما كان التهديد فى سور كثيرة موضحا بأنه فى يوم الرب. يكون الويل ههنا فى نفس اليوم.

***

وفى سورة الكوثر:

يخبر أن اليهود أعداء محمد ﷺ سينقطع ملكهم من العالم لأن التوراة قد نسخت بالقرآن. والقطع هو البتر. أى لا ملك لهم من بعد ظهور الإسلام. والملك على العالم سيكون للمسلمين من الآن فصاعدا. وإذا حارب اليهود فى يوم الرب لمنع انقطاع ملكهم. فإنهم سيهزمون. وعبر بالكوثر عن الخيرات الكثيرة التى سيتمتع بها المسلمون من البلاد التى سيملكون عليها بعد هلاك أعدائهم. وليس لهم أعداء

(١) المؤرخون يقولون النصارى. مع أن النصارى فى نجران قُتّلوا من اليهود بسبب تبشيرهم بمحمد.

إلا اليهـود. وأمر بالصـلاة ليربط المسلم بالله، وأمـر بالنحر. والغـرض منه: إكرام الضيفان والصدقة على الفقراء على طول الأيام ليحب المسلمون بعضهم بعضا.

***

رفى سورة الكافرون:

يخبـر عن زمانين من أزمنة عـبادة اليهـود لله. زمن عبادتـهم لله على التوراة الصحيحة. وزمن عبادتهم لله على التوراة المحـرفة. فيقول: يا أيها اليهود الكافرون بى. أنتم تعبدون الله فى هذا العـصر على التوراة المحرفة، وأنا لا أعبـد الله عليها. كما تعبدون بهـا. وحتى لو كانت التوراة صحيحة فلن أعبـد عليها. فيكون المعنى: قل يا محمـد: يا أيها الكافرون بى. لا أعبـد ما تعبدون الله به بشريعـتكم المحرفة. ولا أنتم عابـدون ما أعبـد الله به. بشريعـة القرآن. ولا أنا عـابد ما عـبدتم به الله سابقا. وهو التوراة الصحيحة التى عبد بها آباؤكم. ولا أنتم عابدون ما أعبد الله به. وهو القـرآن. وبذلك انقطعت الصلـة بيننا وبينكم، وتقطعت الأنـساب والأرحـام. ولكم دينكم المحرف، ولى دينى الصحـيح. وقطع الصلة على الحق أو على الباطل؛ هو تهديد مقنّع بعذاب سيحل بهم من بعد هذا القطع.

***

وفى سورة النصر:

المراد بالناس فى السورة اليهود خاصة. فيكون المعنى: سوف يأتى الزمان الذى فيـه تكون بلاد الكفـر قد فُتـحت وانتصـر المسلمون علـى أعدائهم. فـإذا جاء هذا الزمان، ورأيتم اليـهود يدخلون فى الإسلام أفـواجا؛ فاعلموا أيهـا المسلمون أن يوم القـيامـة ليس بعيـدا منكم. وقوله ﴿والفـتح﴾ يدل على حـروب بين المسلمين وبين اليهود. إذ لا يحارب المسلمون إلا اليهود.

***

وفى سورة المسد:

يخبر أن اليـهودى سيصلى نارا. وبين أن هذه النار على الحقيـقة بقوله ﴿ذات

لهب﴾ وليست علـى المجاز بمعنى العذاب بالفتن والمصـائب. وليس المراد بأبى لهب إنسانا مـعينا من العـرب أو من غيـرهم. وإنما المراد هو: أنه فى اللغة يقـال للرجل الخيـر: أبو الخيـر، ويقال للرجل الشـرير: أبو الشر. ومـثله: أبو النار للداعى إلى الدخول فـيها بالصـد عن الإسلام والجنة، ومثله أبو الجنـة للداعى إلى الدخول فى الجنة والبعد عن النار. ومثله للرجل الذى يُتـفاءل به: يا وجه الأحباب. وعلى ذلك فالداعى إلـى النار يُطلق عليه أبو لهب. أى أبى النار. فـيكون المعنى: خـسرت يدا «أبى لهب» وهو لا يقصد يديه، وإنما يقصد كل ما يعمله؛ وعبر باليد؛ لأن اليد هى السبب فى فعل الفعل. والمراد بأبى لهب: جمـيع اليهود الكافرين بمحمد ﷺ الذين انشـغلوا بالمال عن الدين. ولن يصلى النار وحـده، بل ستـصلى مـعه امـرأته التى تساعده على الشر. حتى أنه يجمع كل حطام الدنيا ويضعه أمامها؛ لإرضائها. وبدل أن تضع زينة فى صدرها سـتضع فى صورها، وهى فى جهنم حـبل من مسد. يدل على المهانة والذلة. وهذا تهديد بعذاب فى الدنيا والآخرة.

***

وفى سورة الإخلاص:

يقول الله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

البيان:

يشيـر بأن الله واحد إلى نبوءة نشيـد موسى. وفيـها: «أنا أنا هو، وليس إله معى. أنا أميت وأحيى» وفيها: «أعـطوا عظمة لإلهنا. هو الصخر الكامل صنيعه» - «لأنه ليس كصخرنا صـخرهم» وفيها: «تهللوا أيها الأمم مع شـعبه؛ لأنه ينتقم بدم عبيده» فى يوم الرب. فـالسورة كلها تشير إلى ما بعد الوحدانيـة والصمدانية. وهو الانتقام. وهو بذلك يذكرهم بهذه النبوءة التى تتحدث عن هلاك الكافرين به.

***

وفى سورة الفلق:

يقول الله تعالى:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

البيان:

من الذين خلقهم الله اليهود وشركاؤهم الذين سيحاربون المسلمين فى يوم الرب. وحربهم لهم؛ شر لا خير. وهو يطلب من الله أن ينجيهم من شرهم وينصرهم عليهم.

***

وفى سورة الناس:

يختم المصحف الشريف بالتعوذ برب الناس وهم اليهود خاصة. ووصفهم بأنهم شركاء للشياطين الحقيقيين فى الإبعاد عن الله بقوله: ﴿من الجنة والناس﴾

***

وفى سورة البقرة:

يقول الله تعالى:

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

البيان:

إن الله تعالى أراد أن يبين للعالم أجمع مقدار حب إبراهيم له. فأمره بالختان وبذبح ابنه البكر الوحيد، وبمحو عبادة الأوثان، وبالجهاد فى سبيله. وما شاكل ذلك من المشقات. فامتثل للأمر. وقال له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ أى تكون قدوة لفئة من نسلك؛ ليعملوا كما عملت، وليجاهدوا كما جاهدت ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ اجعل إماما. وكلمة الناس ههنا تدل على فئة من نسله وهم اليهود وكل نسل إسحق. ولذلك طلب إماما لنسل إسماعيل.

وهذا الموضع ـ كما ترى ـ وارد على حكاية قائل له من علماء بنى إسرائيل وأنبيائهم. يحكى ويقول: واذكر يا محمد أن رب إبراهيم قد ابتلاه بمشقات؛ فنفذها لحبه لله. ولما نفذها؛ قال له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ إجعل إماما. ورد عليه بقوله: ﴿لا ينال عهدى﴾ الذى عقدته معك فى نسل إسماعيل. ﴿الظالمون﴾ من ذريتك[1]. وهم اليهود. الذين حرفوا التوراة فى العهد[2]، وجعلوه فى اليهود إلى نهاية الحياة الدنيا.

---

(١) ههنا إشكال. وهو أن الناس تعبير خاص بنسل إسحق ويعقوب؛ فكيف يكون إماما لهم، وإسحق لم يولد بعد؟ قد يكون المعنى: فى السنة الآتية أهبك ولدا من سارة هو إسحق. وإلى أن تموت تكون إماما لذرية إسحق، المعبر عنهم بالناس. وعندئذ قال إبراهيم: وهذه الذرية من إسماعيل المقيمة فى مكة. إجعل لها إماما. يجاهد بها الأمم الوثنية، كما جاهدت وأجاهد. فاستجاب له، وعقد عهدا مع إبراهيم نيابة عن إسماعيل. عهد نبوة وجهاد وملك يبدأ من محمد.

(٢) النص على العهد الذى لا يناله الظالمون:

«وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابنا، وتدعو اسمه إسحق، وأقيم عهدى معه عهدا أبديا لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا. اثنى عشر رئيسا يلد، وأجعله أمة كبيرة. ولكن عهدى أقيمه مع إسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة الآتية» (تك ١٧ : ١٨ ـ ٢١)

ومما يدل على أن هذا العهد خاص بإسماعيل عليه السلام: هو «ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة؛ ظهر الرب لأبرام، وقال له: أنا الله القدير. سر أمامى، وكن كاملا؛ فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جدا» (تك ١٧ : ١ ـ ٢)

وهذا العهد كان وإبراهيم ابن تسع وتسعين سنة، وكان من قبل ولادة إسحق. لقوله: «وكان إبراهيم ابن مائة سنة، حين ولد له إسحق ابنه» (تك ٢١ : ٥) فكيف يكون العهد فى إسحق إذا كان هو الذبيح؟ ومن المؤكد أنه أخذ بعد الابتلاء، ونجاة إسماعيل من الذبح. ولو كان الذبيح إسحق، وذبح ولم يفد؛ فكيف يتحقق الوعد فيه؟

وليس واردا على حكاية الطلب والرد بين إبراهـيم وبين الله. إذ لو كان واردا على الطلب والرد. لما كـان يقول ﴿ربـه﴾ وكان يقـول ﴿الله﴾ وما كـان يتكلم عن العهد بوصف الظلم. لأن التحريف فيـه كان من زمان سبى بابل بعد إبراهيم بسنين طويلة. والتحريف فيه ظلم لهم، ولم يـظهر لهم التحريف إلا فى سبى بابل. ومن أنبياء بنى إسـرائيل وعلمائهم الذين حكوا عن هذا الموضع؛ المسيح عـيسى بن مريم عليه السلام ـ وهذا هو نص كلامه:

«قال أندراوس: لقد حـدثتنا بأشياء كثـيرة؛ فتكرم بالتصـريح لنا بكل شيئ. فأجاب يسوع: كل من يعمل؛ فإنما يعمل لغاية يجد فيها غناء، لذلك أقول لكم: إن الله لما كان بالحـقيـقة كامـلا؛ لم يكن له حاجـة إلى غناء؛ لأن الغناء عنده نفـسه. وهكذا لما أراد أن يعـمل، خلق قبل كل شـيئ نفس رسوله، الذى لأجله قـصد إلى خلق الكل؛ لكى تجد الخـلائق فرحا وبركـة بالله، ويسر رسوله بكل خـلائقه، التى قدر أن تكون عبيدا له. ولماذا؟ وهل كان هذا هكذا، إلا لأن الله أراد ذلك؟

الحق أقول لكم: إن كل نبى متى جاء؛ فإنه إنما يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمـة الله. ولذلك لم يتجاوز كـلامهم الشعب الذى أرسلوا إليـه ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ماهو بمثابة خاتم يده؛ فيحمل خلاصا ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليـمه. وسيـأتى بقوة على الظالمين. ويبيـد عبادة الأصنام، بحـيث يخزى الشـيطان. لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قـائلا: «أنظر فـإنى بنسلك أبارك كل قبـائل الأرض. وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيما؛ هكذا سيفعل نسلك»

أجاب يعـقوب: يا مـعلم قل لنا بمن صنع هذا العـهد. فـإن اليهود يـقولون بإسحق. والإسماعيليون يقولون بإسماعيل؟

أجاب يسوع: ابن من كان داود؟ ومن أى ذرية؟ أجاب يعقوب: من إسحق. لأن إسحق كان أبا يعقوب ويعقوب كان أبا يهوذا، الذى من ذريته داود.

فـحينئـذ قال يسـوع: ومتى جـاء رسـول الله. فمن نسل من يكون؟ أجـاب التلاميذ: من داود. فأجاب يسـوع؛ لا تغشوا أنفسكم. لأن داود يدعوه فى الروح؛

ربا قائلا هكذا: «قال الله لربى: اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك. يرسل الرب قضيبك الذى سيكون ذا سلطان فى وسط أعدائك»

فإذا كان رسول الله الذى تسمونه مَسِيّا ابن داود؛ فكيف يسميه داود ربا؟ صدقونى لإنى أقول لكم الحق: إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحق.

حينئذ قال التلاميذ: يا معلم هكذا. كتب فى كتاب موسى: أن العهد صنع بإسحق. أجاب يسوع متأوها: هذا هو المكتوب. ولكن موسى لم يكتبه ولا يشوع. بل أحبارنا الذين لا يخافون الله. الحق أقول لكم: إنكم إذا أعملتم النظر فى كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا؛ لأن الملاك قال: يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله. ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله؟ حقا يجب عليك أن تفعل شيئا؛ لأجل محبة الله. أجاب إبراهيم: ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله. فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً: «خذ ابنك بكرك إسماعيل، واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة» فكيف يكون إسحق البكر وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين؟

فأجاب حينئذ التلاميذ: إن خداع الفقهاء لجلى. لذلك قل لنا أنت الحق؛ لأننا نعلم أنك مرسل من الله؛ فأجاب حينئذ يسوع: الحق أقول لكم: إن الشيطان يحاول دائما إبطال شريعة الله. فلذلك قد نجس هو وأتباعه، والمراءون، وصانعو الشر؛ كل شيئ اليوم. الأولون بالتعليم الكاذب، والآخرون بمعيشة الخلاعة. حتى لا يكاد يوجد الحق تقريباً. ويل للمرائين لأن مدح هذا العالم سينقلب عليهم إدانة وعذابا فى الجحيم.

لذلك أقول لكم: إن رسول الله يسر كل ما صنع الله تقريبا؛ لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة، روح الحكمة والقوة. روح الخوف والمحبة. روح التبصر والاعتدال. مزدان بروح المحبة والرحمة، روح العدل والتقوى. روح اللطف والصبر، التى أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه، ما أسعد الزمن الذى سيأتى فيه إلى العالم. صدقونى أنّى رأيته، وقدمت له الاحترام. كما رآه كل نبى؛ لأن الله

يعطيهم روحه نبوة.

ولما رأيته امتلأت عزاء قائلا: يا محمد. ليكن الله معك وليجعلنى أهلا لأن أحل سير حذائك؛ لأنى إذا قلت هذا، صرت نبيا عظيما، وقدوس الله؟ ولما قال يسوع هذا؛ شكر الله. ثم جاء الملاك جبريل إلى يسوع، وكلمه بصراحة، حتى أننا نحن أيضا سمعنا صوته يقول: قم، اذهب إلى أورشليم. فانصرف يسوع وصعد إلى أورشليم، ودخل يوم السبت الهيكل، وابتدأ يعلم الشعب. فأسرع الشعب إلى الهيكل مع رئيس الكهنة الذين اقتربوا من يسوع قائلين: يا معلم. قيل لنا: إنك تقول سوءا فينا، لذلك احذر من أن يحل بك سوء.

أجاب يسوع: الحق أقول لكم: إنى أقول سوءا عن المرائين، فإذا كنتم مرائين؛ فإنى أتكلم عنكم. فقالوا: من المرائى؟ قل لنا صريحا.

قال يسوع: الحق أقول لكم: إن كل من يفعل حسنا؛ لكى يراه الناس؛ فهو مرائى. لأن عمله لا ينفذ إلى القلب الذى لا يراه الناس؛ فيترك فيه كل فكر نجس، وكل شهوة قذرة.

أتعلمون من هو المرائى؟ هو الذى يعبد بلسانه الله، ويعبد بقلبه الناس. إنه بغى. لأنه متى مات، يخسر كل جزاء. لأن فى هذا الموضوع يقول النبى داود: «لا تثقوا بالرؤساء، ولا بأبناء الناس، الذين ليس لهم خلاص؛ لأنه عند الموت تهلك أفكارهم» بل قبل الموت يجدون أنفسهم محرومين من الجزاء. لأن الإنسان كما قال أيوب نبى الله: «غير ثابت فلا يستقر على حال» فإذا مدحك اليوم، ذمك غدا، وإذا أراد أن يجزيك اليوم. سلبك غدا.

ويل إذاً للمرائين؛ لأن جزاءهم باطل. لعمر الله الذى أقف فى حضرته: إن المرائى لص، ويرتكب التجديف؛ لأنه يتذرع بالشريعة، ليظهر صالحا، ويختلس مجد الله، الذى له وحده الحمد، والمجد إلى الأبد.

ثم أقول لكم أيضا: إنه ليس للمرائى إيمان. لأنه لو آمن بأن الله يرى كل

شئ، وأنه يقاص الإثم بدينونة؛ لكان ينقى قلبه، الذى يبقيه ممتلئا بالإثم، لأنه لا إيمان له.

الحق أقول لكم: إن المرائى كقبر أبيض من الخارج، ولكنه مملوء فسادا وديدانا. فإذا كنتم أيها الكهنة تعبدون الله؛ لأن الله خلقكم، ويطلب ذلك منكم؛ فلا أندد بكم؛ لأنكم خدمة الله. ولكن إذا كنتم تفعلون كل شئ؛ لأجل الربح، وتبيعون وتشترون فى الهيكل، كما فى السوق، غير حاسبين: أن هيكل الله؛ بيت للصلاة لا للتجارة، وأنتم تحولونه مغارة لصوص. وإذا كنتم تفعلون كل شئ؛ لترضوا الناس وأخرجتم الله من عقلكم؛ فإنى أصيح بكم: إنكم أبناء الشيطان، لا أبناء إبراهيم، الذى ترك بيت أبيه حبا فى الله راضيا أن يذبح ابنه.

ويل لكم أيها الكهنة والفقهاء إذا كنتم هكذا، لأن الله يأخذ منكم الكهنوت.

وتكلم يسوع قائلاً: أضرب لكم مثلا:

غرس رب بيت كرما وجعل له سياجا؛ لكى لا تدوسه الحيوانات. وبنى وسطه معصرة للخمر. وأجره للكرامين. ولما حان الوقت ليجمع الخمر أرسل عبيده، فلما رآهم الكرامون؛ رجموا بعضا، وأحرقوا بعضا، وبقروا الآخرين بمدية. وفعلوا هذا مرارا عديدة. فقولوا لى: ماذا يفعل صاحب الكرم بالكرامين؟ فأجاب كل واحد: إنه ليهلكهم شر هلكة، ويسلم الكرم لكرامين آخرين.

لذلك قال يسوع: ألا تعلمون: أن الكرم: هو بيت إسرائيل. والكرامين: شعب يهوذا وأورشليم. ويل لكم؛ لأن الله غاضب عليكم؛ لأنكم بقرتم كثيرين من أنبياء الله، حتى أنه لم يوجد فى زمن أخآب، واحد يدفن قديسى الله. ولما قال هذا، أراد رؤساء الكهنة أن يمسكوه؛ لكنهم خافوا العامة، الذين عظموه» (بر ٤٣ : ٥ ـ)

ثم تكلم عن الكعبة البيت الحرام.

وليس فى التوراة أن الحج إليها فرض من زمن نوح عليه السلام وذلك لأن شريعة نوح كانت خالية من فرض الحج. كما هو مبين فى الأصحاح التاسع من سفر

التكوين. ولكن نوحا من بعد استقرار السفينة فى «مكة» بنى بيتا للرب، وقَدّم عليه ذبائح لله، والبيت فى لغة التوراة هو «المذبح» وحث المؤمنين من أجل شكر الله على نجاتهم أن يزوروا هذا البيت. وكانوا يزورونه إلى عهد إبراهيم للشكر؛ استحسانا لا فرضا. فلما رأى إبراهيم البيت فى حاجة إلى إصلاح؛ جدّد بناءه هو وإسماعيل ولم يفرض الحج فرضا؛ لأنه كان على شريعة نوح. وأذّن فى الناس بالحج.

وما المراد بالناس؟ هل هم أهل العالم أم بنوه من نسل إسحق عليه السلام؟ إن كلمة الناس لا تأتى إلا للدلالة على بنى إسرائيل. فكأنه يقول: أعلم بنى إسرائيل الساكنين ناحية فلسطين أن يأتوا كل سنة إلى بنى إسماعيل فى مكة؛ ليشهدوا منافع لهم، وليصلوا أرحامهم. وجميع البشر يكونون مخاطبين من خلالهم.

وقال: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ يخبر عن أن الكعبة كانت مرجعا لبنى إسرائيل، وكانت حرما آمنا. ثم يأمرهم بقوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ والهدف من هذا الأمر: هو الدخول فى الإسلام.

ثم رجع إلى الكلام فى العهد فقال: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ أى أن العهد لمنع عبادة الأصنام عند الكعبة. من زمان إبراهيم. ويبلغ العهد تمامه من زمان محمد ﷺ لأنه بالحرب سيطهر العالم أجمع من عبادة الأوثان، وسيعطى شريعة.

ثم طلب الأمان لأهل مكة، والرزق لأهل البيت. ـ والبيت هو الكعبة ـ وأهل البيت: هم جميع نسل إبراهيم من إسماعيل وإسحق وغيرهما؛ سواء من سكن عنده أو من سكن بعيدا عنه؛ لأنهم جميعا عشيرة واحدة. ذلك قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ ولكنه اشترط فى أهل البيت: الإيمان بالله واليوم الآخر. وذلك ليخرج الكافرين من بنى إسرائيل بمحمد من أهل البيت، فى الأيام الأولى لظهور محمد ﷺ ذلك

قوله: ﴿ومن كـفر﴾ سأرزقه أيـضا، ومدة قليلة أمتـعه هى مدة بركـته على الأرض بشريعة موسى ﴿ثم أضطره إلى عذاب النار﴾ أى إلى الهلاك فى يوم الرب فى معركة الساعة ﴿وبئس المصير﴾

وفى سورة إبراهيـم يطلب إبراهيم من الله أن يجنبه هو وبنيـه من إسمـاعيل عليه السلام عـبادة الأصنام؛ لأنه فى وقت الـطلب كمـا فى سـورة البقـرة لم يكن له إلا إسمـاعيل. ثم قال: إنه أسكن من ذريتـه بواد غير ذى زرع. وهم بنو إسمـاعيل. لغرض إقامة الصلاة ﴿فاجعل أفـئدة من الناس تهوى إليهم، وارزقهم من الثمرات﴾ والمراد بالناس ههنا: بنو إسـرائيل، لأن الملك سـيكون فيـهم أولا. وفى هذا الوقت كان إبراهيم قـد أنجب على الكبر إسـماعـيل وإسحق، وعلم أن البركـة ستـبدأ فى إسحق أولا.

والنص على شريعة نوح عليه السلام هو:

«وبارك الله نوحا وبنيـه، وقال لهم: أثمروا واكثـروا واملأوا الأرض. ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حـيوانات الأرض، وكل طيور السماء. مع كل ما يدب على الأرض. وكل أسمـاك البحر قـد دُفعت إلى أيديكم. كل دابة حـية تكون لكم طعاما كالعشب الأخضر؛ دفعتُ إليكم الجميع. غير أن لحما بحياته دمه؛ لا تأكلوه. وأطلب أنا دمكم لأنفسكم فـقط. من يد كل حيوان أطلبـه. ومن يد الإنسان أطلب نفس الإنسان من يد الإنسان أخيه. سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه؛ لأن الله على صورته عمل الإنسان» (تك ٩: ١ ـ ٦)

ومن بعـده ارتحل المؤمنون به شـرقا إلى أرض شِـنعار. وهى أرض العـراق، «وحدث فى ارتحالهم شرقا أنهم وجـدوا بقعة فى أرض شنعار، وسكنوا هناك» (تك ١١: ١ ـ ٢) ومكة المكرمة قـبْل العراق. والعراق شـرقى مكة. فتكون السفـينة قد استقرت فى مكة.

***

وفى سورة الحج يخبر عن اليهود الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدوا عن سبيل الله والمسجد الحرام فيقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ(١) بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾

إنه بوأ لإبراهيم مكان الكعبة، ـ أى ملكه ـ وأعلم بنى إسحق ـ الذين منهم جاء اليهود ـ بمكان الكعبة للحج. وكانوا يومئذ ساكنين فى مدينة الخليل فى فلسطين. أن يأتوا

(١) المراد بالناس: نسل إسحق الذى جاء منه اليهود. والأذن ههنا على سبيل التوصية لا الغرض. لأن إبراهيم لم تكن معه شريعة مستقلة عن شريعة نوح.

إليها رجالا وركبانا، وبين لهم منافع الحج فقال: إنها ذكر الله. وذكره يأتى بالخير، وبين لهم أنه سيرزقهم من بهيمة الأنعام. وبين لهم من المناسك: النظافة والوفاء بالنذر والطواف بالكعبة.

وهذا كله خطاب لليهود لقوله: ﴿وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم﴾ فإن كثيرا من الأنعام كان محرما عليهم، وقد أحلّ لهم كل الأنعام فى القرآن إلا الميتة والدم ولحم الخنزير والمذبوح للأوثان. ولقوله ﴿فإلهكم إله واحد﴾

وتوصية بنى إسرائيل بالحج؛ هى نفسها توصية للأمم عن طريقهم فيما بعد. فإنهم هم الأئمة فى أيام بركة إسحق عليه السلام. ولكن هذه التوصية من إبراهيم عليه السلام كانت على سبيل الاستحسان؛ لشكر الله، ولم تكن على سبيل الفرض، ولما نزلت شريعة موسى عليه لم يكن فيها الإلزام بالحج، ولم يكن فيها الإلزام بالتوجه إلى الكعبة فى الصلاة. وإنما فيها الاستحسان فى الأمرين. لأن نوحا وإبراهيم قد وصيا بهما توصية. ذلك قوله: «مذبحا من تراب تصنع لى، وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك. غنمك وبقرك. فى كل الأماكن التى فيها أصنع لاسمى ذكرا؛ آتى إليك وأباركك» (خر ٢٠: ٤ ـ ٢٥)

ومع أن الجهة فى الصلاة كانت استحسانا إلى الكعبة؛ كان الناس وهم اليهود يتجهون إليها باعتبار أنها جهة. ومع أن الحج إلى الكعبة لم يكن فرضا، وإنما كان توصية من إبراهيم وتوصية من نوح؛ كان الناس وهم اليهود يحجون إلى الكعبة ويقدمون الهدى والقلائد والنذور ويقفون بعرفات. ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فلما جاء الإسلام أمر الله بالحج. على جهة التمام. أى أن المسلمين يفعلون مثلما فعل الناس من قبلهم، ويزيدون عليهم. ولذلك قال:

﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ ومن الإتمام الحلق والجمع بين الحج والعمرة فى سنة واحدة. . . الخ.

وفى زبور داود عليه السلام وصف لمناسك الحج إلى الكعبة. ففى المزمور ٨٤: «طوبى لأناس عزّهم بك. طرق بيتك فى قلوبهم. عابرين فى وادى البكاء» وفى الترجمة الإنجليزية Baka «بكة» ثم يقول: «يذهبون من قوة إلى قوة»

وفى التوراة أن المحرفين من بعد سبى بابل صرفوا الحجاج عن مكة، وأحلوا لهم النجس والطاهر من اللحوم. بقولهم: «بل المكان الذى يختاره الرب إلهكم من جميع أسباطكم ليضع اسمه فيه. سكناه تطلبون، إلى هناك تأتون، وتقدمون إلى هناك محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفائع أيديكم ونذوركم ونوافلكم وأبكار بقركم وغنمكم، وتأكلون هناك أمام الرب إلهكم وتفرحون بكل ما تمتد إليه أيديكم، أنتم وبيوتكم كما بارككم الرب إلهكم» (تث ١٢: ٥ ـ ٧)

«ولكن من كل ما تشتهى نفسك؛ تذبح، وتأكل لحما فى جميع أبوابك، حسب بركة الرب إلهك التى أعطاك، النجس والطاهر يأكلانه كالظبى والأيّل» (تث ١٢: ١٥)

يعنون بالمكان المختار مكانا فى أرض فلسطين. ولكن من يعينه لهم؛ فإن موسى مات وليس من نبى مشرع منهم من بعده؟ وفى القرآن الكريم: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾

وفى زمان عيسى عليه السلام كان السامريون يحجون إلى جبل جِرزِّيم، وكان العبرانيون يحجون إلى جبل صهيون.

وهذا يدل على أن التوراة لم تحدد لهم غير الكعبة. توصية من نوح وتوصية من إبراهيم ـ عليهما السلام ـ فلما جاء الإسلام أمروا بإتمام مناسك الحج والعمرة على النحو الموجود إلى اليوم، وصار الحج فرضا على المسلمين. ولكنه فرض على المستطيعين. ولا تُقبل فيه النيابة عن الغير. لقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ

﴿اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

وفى التوراة: أن أهل العالم فى زمن إبراهيم عليه السلام كانوا يحجون إلى الكعبة. فإنه لما أمر بذبح ابنه الوحيد؛ أخذ ابنه وشد على حماره وأخذ اثنين من غلمانه. ولما أبصر الموضع من بعيد «قال إبراهيم لغلاميه: اجلسا أنتما ههنا مع الحمار. وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك، ونسجد، ثم نرجع إليكما» (تك ٢٢: ٥)

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾

قوله ﴿وُضِعَ﴾ بالبناء للمجهول. يدل على أن واضعا غير الله قد وضعه. وليس إلا نوح بعد الطوفان؛ لأن الطوفان محا كل قائم كان على وجه الأرض. وما بعد الطوفان قد بقى. فنوح هو الذى وضعه. ولكن معنى ﴿وُضِعَ﴾ ههنا هو التوصية. ولو كانت هى من الله لنسب الوضع إلى نفسه. فيكون المعنى: وضع توصية لليهود من إبراهيم.

وقوله ﴿فيه آيات بينات﴾ عدد منها: ﴿مقام إبراهيم﴾ ومنها: ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ وأنه كان قد أذن فى بنى إسحق بالحج؛ وهذه من الآيات البينات. لأن ﴿فى الناس﴾ تدل على اليهود. وأنهم حجوا وسجلوا حجهم فى كتبهم. ثم قال: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾ أى يجب على اليهود الحج. ومعنى الوجوب هو الدخول فى الإسلام. والالتزام بكل ما فيه وإلا فإنهم يكونون كافرين، ويستحقون العقاب.

***

وفى سورة البقرة:

قال الله تعالى لعلماء بنى إسرائيل:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ

﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

البيان:

يوبخهم على أنهم يهدون جنسهم إلى الله، ولا يهدون أنفسهم. بقوله: ﴿أتأمرون الناس﴾؟ والمراد بالناس: اليهود خاصة. وذلك لأن علماء بنى إسرائيل لا يدعون الأمم إلى الله من زمان سبى بابل. ولازم الأمر بالبر ـ وهو العمل بالتوراة ـ هو النجاة فى الدار الاخرة من حر نار جهنم، والدخول فى الجنة. والعالم محتاج إلى النجاة والجنة احتياج الأمى إليهما. فكيف تنسى نفسك من الخير، ولا تنسى غيرك؟ أنت أيها العالم تتلو فى الكتاب نبأ مجئ محمد ﷺ وتعلم من نبإه: أن من لا يؤمن به؛ سيكون من الهالكين. وهذا النبأ فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية وغيره. فهل أخذت من الله عهدا أنك إن كفرت به ستنجو؟ أم أنك كاره لنفسك؟ ﴿أفلا تعقلون؟﴾

ثم خاطب العلماء الخاشعين لله بقوله: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ على ملاقاته فى يوم الرب. وهى نفس النصيحة التى وجهها إليهم عيسى عليه السلام فإنه قال لهم وهو يتكلم عن خراب أورشليم وهدم الهيكل:

١ ـ «بصبركم؛ اقتنوا أنفسكم. ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فاعلموا: أنه قد اقترب خرابها. حينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال، والذى فى وسطها؛ فليفروا خارجا، والذين فى الكُوَر؛ فلا يدخلوها؛ لأن هذه أيام انتقام؛ ليتم كل ما هو مكتوب. وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام؛ لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض، وسُخْط على هذا الشعب، ويقعون بفم السيف، ويُسبون إلى جميع الأمم، وتكون أورشليم مدوسة من الأمم، حتى تُكَمَّل أزمنة الأمم...» (لوقا ٢١: ١٩ ـ)

٢ ـ «وصلّوا؛ لكى لا يكون هربكم فى شتاء؛ لأنه يكون فى تلك الأيام ضيق، لم يكن مثله منذ ابتداء الخليقة التى خلقها الله إلى الآن، ولن يكون» (مرقس ١٣ : ١٨)

وفى رواية متى: «وصلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت؛ لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن، ولن يكون» (متى ٢٤ : ٢٠)

ومعنى **﴿الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم﴾**: هو أن الظن ههنا ليس بمعنى العلم واليقين. وإنما هو على ظاهر اللفظ ومعناه: أن أصحاب محمد يأتون إلى فلسطين بغتة فى ساعة لا يعرفونها. فإن عيسى عليه السلام لما أخبرهم بمجئ «ابن الإنسان» ليحارب اليهود فى «فلسطين» قال لهم: استعدوا للقائه؛ وإذا جاء وعرفتموه؛ فانضموا إلى جيشه؛ لئلا تهلكوا. واسهروا «اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم. واعلموا هذا: أنه لو عرف رب البيت فى أى هزيع يأتى السارق، لسهر ولم يدع بيته يُنقب. لذلك كونوا أنتم أيضا مستعدين؛ **لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان**» (متى ٢٤: ٤٣ ـ ٤٤)

وملاقاة الله: معناها: أن الحرب لله من أجل التمكين لشريعته. فإن أصحاب طالوت عليه السلام كانوا قاصدين فتح فلسطين لنشر التوراة فيها. ذلك قوله: **﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**

وأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم سيقصدونها لنشر القرآن فيها. فيكون معنى ملاقاة الله: ملاقاته من أجل الثواب الموصل إلى الجنة وهو الاستشهاد فى المعركة. ومن بعد الاستشهاد؛ يرجعون إلى الله فى الدار الآخرة ليدخلوا الجنة التى خرج منها آدم عليه السلام.

وحذرهم من الهلاك فى يوم الرب بقوله: ﴿واتقوا يوما...﴾ بقرينة ﴿ولا هم ينصرون﴾ لأن النصر لايكون إلا فى المعارك الحربية.

***

فى سورة آل عمران:

يقول الله تعالى:

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾

البيان:

يخبر عن أنه نزل القرآن بالحق، ومن قبله أنزل التوراة والإنجيل ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ ويخبر عن عذاب شديد للذين كفروا. وهم اليهود والنصارى (المسيحيون) فى يوم الرب.

والمراد بالناس: اليهود خاصة. وهم يبلغونه لغيرهم من الأمم. فيكون الناس أولا، والأمم ثانيا. وهذا هو ما حدث فى بدء نزول التوراة. فإن موسى عليه السلام سلّمها للأئمة من بنى لاوى. وأمر قومه جميعا بنشرها بين الأمم. وقد نشروها فى سيناء فى حياته فى بلاد الأمم الستة، ونشروها فى فلسطين من زمن طالوت وداود، ونشروها فى اليمن من زمن سليمان. وبين لهم فيها: أن نبيا سيأتى. وإذا لم يتبعوه؛ يهلكهم هلاكا رديا فى يوم الرب. فى الأيام الأولى لظهوره. ذلك قوله: «أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه» (تث ١٨ : ١٨ ـ ١٩) وفى سفر أعمال الرسل: «فإن موسى قال للآباء: إن نبيا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم. له تسمعون فى كل ما يكلمكم به. ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشعب» (أع ٣: ٢٢ ـ ٢٣)

وهذا هو معنى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾

وقد جاء فى بعض كتب التفاسير: أن الألف واللام فى ﴿الناس﴾ للعموم. والمراد به: العالم أجمع. بدليل: أن الألف واللام فى ﴿الفرقان﴾ وهو القرآن للعالم أجمع. وحذف للعالم أجمع لدلالة ﴿الناس﴾ عليه. وهذا صحيح على المعنى الذى ذكرته. وهو أن الناس هم اليهود. ثم إنهم يبلغونه للأمم. وهذا هو نفسه ما حدث فى القرآن؛ فإن العرب بعدما فهموه؛ انطلقوا به إلى الأمم.

وجاء فى كتب التفاسير: أن ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ فى المرحلة الأولى. وأن ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ فى المرحلة الأخرى. وهذا غير صحيح. فإن عشيرة محمد ﷺ هى العرب. والعشيرة الأقرب للعرب هى اليهود؛ وهم المكلفون أولا لأن إسحق هو الأخ الثانى لإسماعيل. والثانى أقرب إلى الأول من الثالث. وهكذا. والعرب داخلون فى المرحلة الأخرى مع الأمم.

لأنه يقول فى سورة الأنعام: ﴿فإن يكفر بها هؤلاء؛ فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين﴾ أى إن كفر اليهود المعاصرون للنبوة بالقرآن. ورفضوا الإيمان به، ورفضوا تبليغه للعالم؛ فإن العرب سيحلون محلهم فى الإيمان وفى التبليغ. وهذا هو ما يدل على أن المرحلة الأولى للقرآن: أن القرآن نازل لليهود كطلبهم من موسى عليه السلام لما رأوا النار والدخان على جبل سيناء. ومع ذلك رفضوه. ففى التوراة: «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى. له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الإجتماع قائلا: لا أعود أسمع صوت الرب إلهى، ولا أرى هذه النار العظيم أيضا؛ لئلا أموات. قال لى الرب: قد أحسنوا فى ما تكلموا. **أقيم لهم**: نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به» (تث ١٨ : ١٥ ـ ١٨) وأما المرحلة الأخرى: فإن اليهود لما رفضوه؛ قام به العرب.

ففى القرآن الكريم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ

مِّنَ الرُّسُلِ﴾ قد خلت. أى على مدة مضت من زمان موسى إلى زمن ظهور محمد ﷺ كان فيها موسى ورسل من بعده يعرفونكم به. مثل داود وإشعياء وإرمياء والمعمدان والمسيح عيسى. وغيرهم كثيرون.

ثم تكلم عن حشر اليهود خاصة فى يوم الرب للهلاك وبين أنه سيحدث؛ لأنه وعد به. فقال: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ والمراد بالناس: اليهود خاصة.

وبين أن الذين كفروا وهم اليهود خاصة ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أى سيهزمون فى يوم الرب ﴿وأولئك هم وقود النار﴾ أى بدء القتل فى معركة يوم الرب. وشبهها بالنار. وإذا سعرت بهم النار. يدخلها مع اليهود الكافرون من الأمم؛ لقوله: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا﴾

ودلل على هزيمتهم بكثرة آل فرعون وقلة بنى إسرائيل حال الخروج من مصر مع موسى عليه السلام. وهزيمة الكثرة ونصرة القلة.

ثم بين سبب استحقاق اليهود للعذاب فى يوم الرب فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

وسبب استحقاقهم للعذاب هو الكفر بآيات الله، وقتل النبيين بغير حق، وقتل العلماء والصالحين الذين يأمرون بالعدل من اليهود.

ثم تكلم عن نزع الملك من اليهود. والنزع يدل على أخذ الملك منهم بالقوة. والقوة هى الحرب. والحرب تكون فى الساعة التى قال المسيح عنها: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده» (متى ٢٤ : ٣٦)

وفى أمثلة ملكوت السموات التى ضربها المسيح لأمة محمد ﷺ مثل يعرف بمثل الكرامين الأردياء. وفى نهايته يقول لليهود: «إن ملكوت الله يُنزع منكم،

ويعطى لأمة تعمل أثماره» وهذا المثل فى الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل متى.

ثم قال تعالى:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

لفظ **﴿الآخِرَةِ﴾** محتمل لعذاب فى آخر أيام اليهود التى هى بدء أيام محمد ﷺ ومحتمل لعذاب الدار الآخرة من بعد القيام من الأموات. وعلى أى معنى فإن اليهودى خاسر إذا كفر بمحمد ﷺ ومعنى كفرهم بعد إيمانهم: هو أنهم آمنوا بأن التوراة من الله وفيها ذكر محمد ﷺ فكيف يهديهم بعد إيمانهم به إذا كفروا به؟ وقد شهدت أنبياؤهم بأن محمدا سيأتى وبأنه رسول من الله. ففى إنجيل يوحنا بعدما أدى عيسى الشهادة عنه قال للحواريين: «ومتى جاء المعزِّى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب. روح الحق الذى من عند الآب ينبثق؛ فهو يشهد لى. وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء. فد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا. سيخرجونكم من المجامع، بل تأتى ساعة، فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله... إلخ» (يوحنا ١٥ : ٢٦ ـ)

وقوله **﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾** أى الدلائل الدالة على نبوته وهى إخباره بالغيوب كما قال عنه موسى وعيسى عليهما السلام: «ويخبركم بأمور آتية»

وقوله **﴿وَلا هُمْ يُنظَرُونَ﴾** يدل على أنهم لن يهلكوا قبل يوم الرب. ولن يؤخر الله عنهم العذاب فى يومه إلى يوم آخر.

وقال تعالى:

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ

لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾

يخبر عن تفرق أهل الكتاب بشأن محمد ﷺ فإنه لما جاءتهم البينات عنه. قال السامريون: إنه سيأتى من جنسنا من سبط يوسف عليه السلام وقال العبرانيون: إنه سيأتى من جنسنا من سبط يهوذا. مع أنه سيأتى من نسل إسماعيل؛ لأن إسماعيل مبارك فيه. وفيه تمت المواعيد الإلهية من قبل ولادة إسحق عليه السلام وقال موسى فى أوصافه. أنه سيخبر بغيوب. وقال عيسى فى أوصافه كما قال موسى. «ويخبركم بأمور آتية» (يو ١٦ : ١٣ تث ١٨ : ٢٢) وهو قد أخبر بغيوب، ووقعت كما أخبر.

وكنّى عن الهزيمة فى يوم الرب بسواد الوجوه الذى يدل على الخزى. وكنى عن الانتصار فى يوم الرب ببياض الوجوه.

ثم خاطب الله علماء اليهود بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ كنتم أيها العلماء فى زمان مضى ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ ومن بعد ظهور محمد ﷺ لستم خير أمة. لأن الخيرية انتقلت منكم إلى علماء المسلمين.

ولو أنكم آمنتم بدين الإسلام لكنتم مع المسلمين فى الخيرية ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ ثم تكلم عن هزيمة اليهود على يد المسلمين فى يوم الرب وغيره، فقال: ﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ﴾

***

وفى سورة النساء:

يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ[1] وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا﴾

البيان:

الخطاب فى ﴿يا أيها الناس﴾ لليهود خاصة. وقد نصحهم بالتقوى. ثم قال لهم: ﴿و﴾ احفظوا ﴿الأرحام﴾ لا تقطعوها. بعدم إيمانكم بمحمد رسول الله. لأنه

---

(١) المراد من ﴿الذى خلقكم من نفس واحدة. . .﴾ عشيرة واحدة. هى نفس إبراهيم عليه السلام. والمراد من ﴿وخلق منها زوجها﴾ نساؤهم من نفس العشيرة. وخلق من جنسها. سارة، وهى أخته من أبيه (تك ٢٠: ١٢) يبين ذلك: أن آدم نفس، وحواء ليست من جسده، وإنما هى من جنسه. يريد أن يقول: إن زوجة الآدمى. ليست من نفس جنس الملائكة النورانيين، وليست من جنس الشياطين أو الطيور. وهذا هو معنى ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم. من ظهورهم ذريتهم﴾ وإبراهيم هو الذى تناسل من نفسه جنس اليهود. وزوجته سارة هى أخته من أبيه. وقد بث الله من نفسيهما رجالا ونساء. ذرية كثيرة العدد. ومن إسماعيل جاء العرب. فهم واليهود من جنس إبراهيم. أى من نفس واحدة. وهم أولو رحم وذوو قرابة. ولكن الرحم قد قطعت بكفرهم. وهو هنا يأمرهم بصلة الرحم بالإيمان. بمحمد ﷺ.

ومثله: ﴿يا أيها الناس﴾ اليهود ﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ أى إبراهيم وسارة. فلماذا التكبر عن الدخول فى الإسلام؟ ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ثم يقاس جميع بنى آدم على اليهود فى المعنى.

لا أرحام تُوصل بين المؤمنـين وبين الكافرين[1]. ويعنى بعـدم قطعهـا: أن محـمدا ﷺ وأصـحابه وعـشيـرته هم من جنس إبراهيم عليه السلام الذى اليهـود عشـيرة من جنسـه. وهم أقرب عـشيرة إلى بـنى إسماعـيل عليه السلام لأنهم من إسحق عليه السلام وهو التالى لإسماعيل من إبراهيم.

ثم تكلم عن اليتامى. من الذكور والإناث.

واعلم: أنه فى الكلام عن اليتامى ينـسخ حكما من أحكام التوراة. هو حكم امرأة الأخ، التى يحـرم عليها الزواج مـن بعد موت زوجـها بأجنبى، إلا إذا رفض أخو الميت أو أقرب ولى لهـا أن يتزوجها؛ فإنهـا بالرفض يحل لها أن تتزوج. ذلك قوله: «إذا سكن إخوة معا. ومات واحد منهم، وليس له ابن؛ فلا تصر امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبى. والبكر الذى تلده يقوم باسم أخيه الميت؛ لئلا يُمحى اسمه من إسرائيل» (تث ٢٥: ٥ ـ ١٠)

فامرأة الأخ الذى لم ينجب من قبل موته **«لا تصر»** لآخر غير أخيه أو أقرب ولى لها.

وقد نسخ الله هذا الحكم فى مواضع.

أولهما: أنه فى صـدر سورة النساء جعل الأخ على الاختـيار، بقوله: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى؛ فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ أى أن زوجة الميت صارت فى حكم اليتـيمة؛ لأنها لا تقدر على الزواج من غيـر أخيه، أو الولى. ولا تقدر على الخروج من بيت الميت للزواج ممن تريد، ولا أن تعود إلى أهلها. فإذا قدر أخو الميت أو الولى على العدل فيها؛ فإنه يحل لأى منهما أن يتزوجها. وإن لم يقدر

(١) قال أمير الشعراء أحمد شوقى لخليفة المسلمين عن شريف مكة:

أدبه أدب أمير المؤمنين. فمـا	فى العفو عن فاسق فضل ولا كرم
لا ترج فيه وقارا للرسول فمـا	بين البغـاة وبين المصطفى؛ رحـم
ابنُ الرسولِ فتى فيه شمائلـه	وفيه نخوتـه والعهـد والشـمم
ما كان طه لرهط الفاسقين أبا	آل النبى بأعـلام الهـدى؛ خُتموا

أحدهما على العدل فيها؛ فلينكح مـا طاب له من النساء؛ لأن التعدد مباح بلا عدد فى التوراة.

وثانيهمـا: أنه فى صدر سورة الأحزاب؛ جعل نسب الولد لأبيـه المباشر، لا لأبيه المتوفَّى. بقوله ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عندَ اللَّه﴾فسواء أتزوجت بالأخ أو بالولى أو لم تتزوج بواحد منهما. فإنها إن أنجبت ولدا؛ يُنسب إلى أبيه المباشر، ولا ينسب إلى غيره.

وثالثهما: قوله فى سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ إلخ

«وإن لم يرض الرجل الأخ أن يأخذ امرأة أخيه؛ تصـعد امرأة أخيه إلى الباب إلى الشيوخ وتقول: قد أبى أخو زوجى أن يُقيم لأخيه اسما فى إسرائيل. لم يشأ أن يقوم لى بواجب أخى الزوج. فيدعوه شيوخ مدينته ويتكلمون معه. فإن أصرّ وقال: لا أرضى أن أتخذها. تتـقدم امـرأة أخيه إليـه أمام أعين الشيـوخ، وتخلع نعله من رجله، وتبصق فـى وجهه، وتقـول: هكذا يُفعل بالرجل الذى لا يبنى بيت أخـيه؛ فيُدعى اسمه فى إسرائيل بيت مخلوع النعل» (تث ٢٥: ٥ ـ ١٠)

ومما له صلة بهـذا الموضع: «فقـال بوعـز: يوم تشتـرى الحقل من يد نُعـمِى تشترى أيضا من راعوث الموآبية، امـرأة الميت؛ لتقيم اسم الميت على ميراثه» ـ «وكذا راعوث الموآبية امرأة محلون قد اشتريتها لى امرأة؛ لأقيم اسم الميت على ميراثه، ولا ينقرض اسم الميت من بين إخوته؛ ومن باب مكانه» (را ٤: ٥ ـ)

الولى بعد الأخ:

وإذا رفض الأخ، أو إذا لم يكن أخ للمـتوفى؛ **كان أقـرب قريب له؛ يُعتـبر وليا**. فيتزوج بامـرأة قريبه المتوفى. وإذا رفض هذا الولى الأقرب فإنـه يتزوجها من يليه فى القـرابة. وهكذا كما كـان الحال مع «بوعز» الذى تزوج «راعوث» الموآبيـة، جدة داود عليه السلام.

ويلاحظ فى زواج بوعز وراعوث: أن بوعز هو الذى خلع عن الولى نعله:

أ ـ إما لأن مفسرى التوراة قد علموا بهذا، وحفظه الناس بطريق التقليد.

ب ـ وإما لأن العروس لم تعرف هذا الإجراء؛ لأنها كانت أجنبية. فعلمه بوعز.

ج ـ وإما لأنه كان مصرحا للزوج الجديد نفسه أن يفعل هذا ما دام الولى ليس أخا للمتوفَّى، بل مجرد قريب له.

ولعل الرأى الأخير هو الأرجح.

رفض الأقارب:

وإذا رفض جميع الأقارب أن يكونوا أولياء للشخص الذى مات ليتزوجوا بامرأته، ويقيموا له نسلا. كان للزوجة الحرية أن تتزوج بأى رجل آخر من أسرة غير أسرة زوجها. ومن أى سبط خلاف سبطه. **على أن يبقى ميراث زوجها المتوفى ملكا لأقرب قريب له، من سبطه**. أما إذا أرادت أن تحتفظ بميراث زوجها؛ فكان يجب أن يكون زوجها هذا من نفس السبط، كما هو الحال مع بنات صلفحاد[1] (عدد ٣٦: ٦ ـ ٩)

وقد شدد الله على نسخ هذا الحكم فى القرآن؛ فإنه بعد كلام عن اليتامى والمواريث التى نسخها القرآن أيضا قال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾ أى أعطوها الحرية لتتزوج بمن تشاء ولا تتزوجوهن، وهن كارهات لكم، كما كان الحال فى شريعة التوراة. وفى هذه الشريعة كانت امرأة الأخ المتوفى تتزوج بلا صداق. وفى شريعة القرآن أوجب لها صداقا، وحرم عضلها لإسقاط بعضه، وفى حالة استبدالها بأخرى؛ لا يحل له أن يسترد صداقها منها.

وليس ههنا محل البيان. فالغرض: أنه يذكر أحكاما كانت مفروضة على الناس فى التوراة، وقد نسخها بالقرآن الكريم. وهدّد وتوعّد بقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾

(١) راجع موضوع ﴿يا أخت هارون﴾ فى كتابنا إعجاز القرآن ـ نشر مكتبة الانجلو المصرية.

ولنتكلم عن الموضع الثالث وهو تفسير: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ فنقول:

تمهيد:

إذا أحس الإنسان بلذة طعام مّا فإن الحس يحثه على معاودة أكله، حيثما وجده من حلال أو من حرام. وقد يبالغ الحس فى الحث والمعاودة، إلى أن يصير التعود على هذا الطعام أمرا يصعبُ التخلص منه. وفى هذه الحالة تصير المعاودة التى يصعب التخلص منها؛ عشقا لهذا الطعام. ولكن المرء يقدر على ترك المعاودة إن هو صبر على الصيام، وإن هو استيقن بأن ما يتركه حبا فى الله؛ سيناله فى الدار الآخرة أضعافا مضاعفة.

وإذا أحس بلذة النكاح. فإن الحس يغريه بالنظر إلى الحسان من النساء؛ ليستكمل اللذة. وإن هو عشق النساء. يكون بالعشق شبيها بالحيوانات التى لا تعقل. لأنه لم يستعمل عقله فى غض البصر وحفظ الفرج. وشهوة النساء: هى عشق غير مكبوح الجماح. كالفرس الذى يسير بلا لجام، لا يقدر أن يوجهه صاحبه إلى ما يريد. ولكن العقل يقدر على كبح جماح الشهوة. بالنهى عن الأسباب الموصلة إليها. وإذا لم يفعل العقل ذلك، تجاوز الإنسان حدود البصيرة والعواطف. وقليلون هم الذين قدروا على كبح جماح شهواتهم. فما أكثر الذين هلكوا بسبب الشهوة بطوفان نوح عليه السلام، وما أكثر الذين هلكوا بسبب فعل قوم لوط عليه السلام. ولولا عمل الحسّ فى الإنسان: لما ظهر ميل الإنسان إلى النساء.

يقول عيسى عليه السلام: «لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته لو لم تكن فى قلب الإنسان شهوة داخلية، لما سقط فى الخارجية؛ لأنه إذا اقتلع الجذر ماتت الشجرة سريعا. فليقنع الرجل بالمرأة التى أعطاه إياها خالقه، ولينس كل امرأة أخرى»

ونصح بغض البصر فقال: «فمن ينظر إذاً إلى النساء، وينسى الله الذى خلق المرأة لأجل خير الإنسان يكون قد أحبها واشتهاها، وتبلغ منه شهوته هذه مبلغا

يحب معه كل شئ شبيه بالشئ المحبـوب. فتنشأ عن ذلك؛ الخطيئة التى يُخجل من ذكرها ـ وهى الزنا ـ فـإذا وضع الإنسان لجاما لعـينيه؛ يصير سـيّد الحسّ، الذى لا يشتهى مـا لا يقدم له. وهكذا يكون الجسد تحت حكم الروح. فكمـا أن السفينة لا تتحرك بدون ريح، لا يقدر الجسد أن يخطئ بدون الحس»

ثم نقول:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا.

تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾

المعنى العام: إن قـول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ليس المراد به النبى ﷺ وحده، وإنما المـراد به: كل مسلم آمن بشـريعة النبى والتـزم بها. وقـد خاطب الله المسلم الذى يريد النكاح بقـوله: إنه يحل لك ١ ـ زواج المرأة بمهر تعطيـه لها. ذلك قوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ أى مهورهن. وأشار بالأجر إلى الزواج من الحرة؛ لأنها تملك أمـر نفسها. فيكون الأجر فى مـقابل المنفعة. ٢ ـ ويحل لك أن تشترى الأمة فتكون أنت المالك لأمر نفـسها لا هى. ويكون الاستمتاع بها مثل الزوجـة فى مقابل ثمن الشراء الذى دل على الملك. كمـا يشترى المرء دارا، وينتفع بها، ولا إرادة للدار. ٣ ـ ولو فرضنا أن امرأة حرة قـبضت مهرها. ثم وهبته

لزوجها وسلمت له نفسها بلا مهر. فإن هذا يجوز. لأنه يشبه ما لو كان لرجل مائة دينار على آخر. ولما حان وقت الرد، أحضر إليه المائة. فنظر صاحب المال إلى الفقير الذى استلف منه نظرة عطف، وسامحه من السلف، ووهبه المائة. وإذا وهبه المائة. فإن حقه يكون قد استوفاه؛ لأنه تركه باختياره. وعلى هذا. لو فرض رجل لامرأة مهرا وسماه، أو قال لها: لك فى ذمتى مهر بحسب الشريعة ولكننى لا أقدر على دفعه. فقالت له: أنا أعلم بأن الشريعة تفرض لى مهرا. ولكننى لا أريده منك، وقد سامحتك فيه؛ فإنه يجوز له أن يتزوجها بلا مهر. لا فى الحال ولا فى المآل. ويسمى هذا بزواج الهبة. ودليله: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾

وزواج الهبة أ ـ يصح للنبى، ب ـ ويصح لأى مسلم. والفرق بينهما: هو أن النبى إذا تزوج امرأة بالهبة أو بمهر غير متنازلة عنه. ثم طلقها أو مات عنها؛ فإنه لا يصح لأى إنسان من المؤمنين أن يتزوجها من بعده. لقوله: ﴿ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبدا﴾ وأما المسلم فإنه إذا طلق امرأته أو مات عنها؛ فإنها يحل لها أن تتزوج غيره. وهذا مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أما الموهوبة لأى مسلم فإنه إن أراد المسلم أن يستنكحها؛ لا تكون خالصة له من دون المؤمنين. إذ يحل لأى مسلم أن يستنكحها بعد طلاقها أو موت رجلها.

ثم خاطب الله كل مسلم فى شخص النبى ﷺ يريد الزواج من نساء المسلمين.

فقال ما معناه: إن المسلم الموسر أمامه نساء المسلمين. يتزوج منهن. فهب أنه يقدر على الإنفاق على واحدة الآن. وأمامه عشرة نساء، كل واحدة منهن مثل الأخرى. فإنه يؤوى إليه الواحدة. أى يتزوجها ويرجئ الزواج من الثانية إلى وقت آخر. ومثل ذلك مثل الفاكهة الطيبة فى سوق الفاكهة. فإن الرائى يرى العنب والتين والبلح والبطيخ. ويختار صنفا يؤويه إلى مائدته، ويرجئ صنفا إلى يوم آخر فى مائدته. ذلك معنى قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾

وهب أن مسلما كان متـزوجا من ثلاث نساء. وطلق منهن واحدة. والطلاق عزل. والزواج ابتغـاء. لقوله: ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فـأولئك هم العادون﴾ وأراد هذا المطلق أن يؤوى إليـه المعـزولة بالطلاق. وذلك بالزواج منهـا؛ فـإن هذا الزواج جائز. وذلك هو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾

وشرع الله للمـسلم أن يتزوج من ذوى قـرابته. من بنت العم أو العـمة ومن بنت الخال أو الخـالة. واشتـرط الهجرة فى المرأة القـريبة. وغيـرها؛ تبعـا لها؛ لأن الهجـرة تدل على تمكن الإسلام من القلب. وهو لا يريد الهجـرة فى الحال. إذ ربما لا يكون من داعى إليـها. وإنما يريد أنه لو حـصلت اضطهادات للمـسلمة؛ بـسبب إسلامها؛ فإنها تكون على استعداد للتمسك بدينها، والفرار به، وتحمل الأذى فى سبيله.

وشرع الله للمـسلم أن يتزوج امـرأة ليست من ذوى قـرابته. بشـرط الإسلام والعفاف. وأشـار إلى ذلك بقوله: ﴿آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ وهذا عام فى جمـيع النساء، ومنهن ذوى القرابة. وبقوله: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا﴾ سواء أكانت من الأقربين أو كانت من الغرباء.

وهذا التشريع جديد وناسخ لتشـريع التوراة فى الزواج. وإليه الإشارة بقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ فإنه قد فـرض على اليهود: إن البنت تتزوج فى سبطها ـ إن أرادت أن ترث فى أرض بنى إسرائيل ـ لتـتميز الأسباط. هذا فى الحرائر. وأما فى الإماء فإن الله قد فرض على اليهودى إذا اشترى أمة عبرانية من جنسه أنه لا يقربها كما يقرب زوجته، وإنما تكون للخدمة فقط. وفرض عليه أنه بعد ست سنين من شرائها؛ أن يُطْلقها حرة مجـانا بلا ثمن. وإذا هو أطلقها حرة؛ فإنها تلتحق بسـبطها وتتزوج وتـنجب فيه. فـيكون السبط متـميزا عن غـيره. وعلى هذا الفرض لا يحل له أن يطأها وهى أمة؛ لأنه لو وطئـها وأنجبت منه؛ فإن الولد ينسب إلى سـبط الأب. ويرث فيـه. ولو حدث هذا؛ لا تتـميـز الأسباط. ولـو أن الأمة أصرت على العبودية بعد ست سنوات؛ فإنـها أيضا لا تبقى عند السيد. وذلك لأنه فى سنة اليوبيل تعـتق مجانا بلا ثمن. رضـيت بالعتق أم لم ترض. أما فى شـريعة

الإسلام فإن للسيد أن يطأ الجارية وأن ينجب منها؛ لأنه ليس فى الإسلام قبائل متميزة، بل الجميع إخوة وأكرمهم عند الله أتقاهم. وفى هذا المعنى يقول الله لليهود عن الإماء والحرائر: **﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾**

ومما فرضه الله على اليهود: أنه يصح لليهودى أن يتزوج من اليهوديات، وأن يتزوج من نساء الأمم المؤمنين بالتوراة والعاملين بها. وقد تزوج نبى الله موسى عليه السلام من امرأة حبشية. وامرأة تسمى «راعوث» الموآبية جاء من نسلها داود عليه السلام ولكن اليهود من بعد سبى بابل سنة ٥٨٦ ق. م جعلوا الزواج فى جنسهم، وحرموا على اليهودى الزواج من الأممية المسلمة أو غير المسلمة. وهذا واضح من سفر نَحَمْيا. وعلى هذا الذى هو فى التوراة والذى هو فى القرآن. يتبين أن تشريع القرآن أنفع للناس وأحسن وأيسر.

ثم قال تعالى: **﴿وإذ تقول للذى أنعم الله عليه﴾** من عبيد اليهود بنعمة الإسلام ﴿وأنعمت عليه﴾ بالحرية. وليس المراد النبى نفسه صلى الله عليه وسلم وإنما المراد أى مسلم يكون سيدا لعبد. ويكون هذا السيد قد زوج هذا العبد أمة من عنده، من مما ملكت يمينه. ففى التوراة فى هذه الحالة: أن السيد إذا زوج عبده أمة من عنده، وأراد العبد فراق سيده بعد السنوات الست أو فى سنة اليوبيل. فإنه يترك لسيده زوجته ولا يخرج بها من بيت سيده. لأنها ملك للسيد وليست ملكا للعبد. وفى القرآن قد غيّر الله هذا الحكم بما معناه: أن العبد ولا يتركها لسيده. وهذا هو معنى: ﴿أمسك عليك زوجك﴾ أى أن العصمة للعبد. أى ولا تتركها لسيدك كما أمرت به الشريعة القديمة؛ لأن الأولاد فى الشريعة الجديدة ليسوا للسيد وإنما هم لآبائهم، ولا يفصل بين الأم وأولادها.

ثم قال تعالى: ﴿واتق الله﴾ وهذا أمر بالتقوى. والغرض منه: ترك أحكام التوراة والعمل بأحكام القرآن؛ لقوله فى أول السورة: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾** والأمر بالتقوى ليس للنبى وحده. وإنما هو له ولأى مسلم فى شخصه صلى الله عليه وسلم .

وشريعة التوراة كانت لليهود وللعرب وللأمم. وفيها: أن من يتعدى على أى حكم من أحكامها يكون مستوجب القتل؛ لخروجه على أمر الله. والخارج على أمر الله يكون مستهزئا بربه. ولا يكون له قيمة عند اليهود. فخاطب الله نبيه بقوله ما معناه: لا تخشى اليهود فى إظهار الحكم الجديد، ونسخ الحكم القديم. وذلك لأن غرضك ليس هو الاستهزاء وإنما هو تنفيذ أمر الله نفسه. وأنت تخفى فى نفسك خواطر النفس. وهى التردد بين إظهار مخالفة الحكم القديم وبين إظهار الحكم الجديد؛ لأن فى اليهود إلى هذا الوقت من يشك فى نبوتك، والشاك فيها سيحكم عليك بالردة عن الشريعة القديمة، ليتوصل بالردة إلى إقناع اليهود بقتلك. وفى هذا المعنى يقول تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ والمراد بالناس: اليهود الخاصة. وهذا أمر يعرض للمسلم الذى على التوراة، ويود تركها والدعوة إلى القرآن. ولذلك قال: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ﴾

وفى التوراة: أن العبد إذا دخل بيت سيده، وأعطاه سيده امرأة وأراد العبد أن يخرج من بيت السيد بعد السنوات الست أو سنة اليوبيل؛ فإن امرأة العبد لا تكون حرة، وإنما تكون أمة للسيد. إذ العصمة بيد السيد لا بيد العبد. والسيد لا يقدر على وطئها لأنها للخدمة وليست للأولاد. وفى القرآن أن العبد ماسكها بعقد النكاح، والعصمة بيده. والأولاد له تماما كما يمسك الحر زوجته. وأولاده له. فإذا طلقها العبد. فإنها تصير بعد تمام عدتها متهيئة للأزواج. ويحل لأى مسلم أن يتزوجها. وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ وعبر بزيد لأنه فى عرف اليهود اسم فرضى. لا مسمى له. وكذلك العبد لا نسب له معروف. إذ هو من سوق الرقيق لا يدرى البائع عن آبائه وأجداده شيئا يوثق به، ولا يدرى عن بلده التى نشأ فيها شيئا يوثق به. ويريد أن يقول: فلما أراد العبد فراق زوجته، وفارقها بالفعل؛ أبحنا لك يا محمد ولأى مسلم أن يتزوجها؛ لأن سيد العبد لا سيادة له عليها. وعلل الإباحة لأى مسلم بقوله: ﴿لكى لا يكون عليك حرج﴾

ونص التوراة فى السيد والعبد العبرانى هو:

«إذا اشتريت عبدا عِبرانيا؛ فست سنين يخدم، وفى السابعة يخرج حرا مجانا. إن دخل وحده فوحده يخرج. إن كان بعل امرأة تخرج امرأته معه. **إن أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين أو بنات؛ فالمرأة وأولادها يكونون لسيده. وهو يخرج وحده**، ولكن إن قال العبد: أحب سيدى وامرأتى وأولادى، لا أخرج حرا؛ يقدمه سيده إلى الله، ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة ويثقب سيده أذنه بالمثقب؛ فيخدمه إلى الأبد. وإذا باع رجل ابنته أمة؛ لا تخرج كما يخرج العبيد. إن قبحت فى عينى سيدها الذى خطبها لنفسه؛ يدعها تُفكّ. وليس له سلطان أن يبيعها لقوم أجانب لغدره بها. وإن خطبها لابنه فبحسب حق البنات يفعل لها. إن اتخذ لنفسه أخرى لا ينقّص طعامها وكسوتها ومعاشرتها، وإن لم يفعل لها هذه الثلاث؛ تخرج مجانا بلا ثمن» (خروج ٢١: ١ ـ ١١)

لاحظ: «إن أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين أو بنات. فالمرأة وأولادها يكونون لسيده، وهو يخرج وحده»

ومواريث التوراة لا تعطى الأخت إذا كان لها أخ. وإن مات الميت عن نساء فقط؛ فهن يرثن مال أبيهن. وهذا إن أردن التزوج فى سبطهن. فإن تزوجت واحدة من سبط غير سبطها فإنها لا ترث فى سبط أبيها. والمتوفى عنها ولم تنجب إن لم تتزوج من أخى المتوفى أو من الولى القريب وأرادت الزواج فى سبط آخر؛ يلزمها ترك ميراثها فى سبطها. وقد نسخ الله هذا الحكم فى القرآن؛ فإنه قد فرض لها ميراثا وملّكه إياها سواء تزوجت فى سبطها أو لم تتزوج فى سبطها.

وفى تفسير الإمام ابن كثير الدمشقى: «أخبرنى عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى﴾ قالت: يا ابن أختى. هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها، تشركه فى ماله، ويعجبه مالها وجمالها. فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط فى صداقها؛ فيعطيها مثل ما يعطيها غيره. فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا إليهن، ويبلغوا بهن أعلى سنّتهن فى الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن. قال عروة: قالت عائشة: وإن الناس

استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية؛ فأنزل الله: ﴿ويستفتونك فى النساء﴾ قالت عائشة: وقول الله فى الآية الأخرى: ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ رغبة أحدكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال والجمال؛ فنهوا أن ينكحوا من رغبوا فى مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقسط، من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال»

وفى تفسير الإمام ابن كثير فى تفسير قوله تعالى: ﴿لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾: «أخبرنى عطاء: أن أهل الجاهلية كانوا إذا هلك الرجل وترك امرأة؛ حبسها أهله على الصبى يكون فيهم».

هذا خبر عطاء. والصحيح: أن اليهود هم الذين كانوا يفعلون ذلك. كما فى الأصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين فى قصة يهوذا وثامار. وهم كانوا يفعلون ذلك من تشريع بيت مخلوع النعل.

والتعبير بأهل الجاهلية خطأ. وذلك لأن الحكم موجود فى التوراة. واليهود يعملون به والعرب والأمم.

ومما سبق يُعلم أن التعدد بلا عدد فى الإسلام جائز فى الحرائر من النساء جوازه فى الإماء. والتعبير الصحيح هو: أن أهل التوراة كانوا إذا هلك... إلخ.

***

وفى سورة المائدة:

يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦) يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾

البيان:

ما هو المراد من عذاب يوم القيامة؟ هل هو العذاب فى الدار الآخرة أم العذاب فى يوم الرب؟ وقد بين فى آيات كثيرة أن شدة المعركة فى ساعة يوم الرب

تشبه النار. وفى نفس السورة جاءت النار مجازا بمعنى الاستعداد للحرب فى قوله: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ وبين أنهم إذا رأوا العذاب فى يوم الرب يتمنون الفرار منه ولكن بلا جدوى. وههنا نفس المعنى.

وإن قلنا بقيامة بنى إسماعيل على بنى إسرائيل فى يوم الرب. فإن قيامتهم عليهم موصلة إلى النار الحقيقية؛ فكأنهم قد دخلوها من بعد القتل مباشرة. وذلك على معنى: «من مات فقد قامت قيامته» إذ الأحساس مفقود من يوم القتل إلى يوم القيامة العامة. مثلهم مثل قوم نوح ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ لأنه من بعد الغرق إلى زمان الدخول فى النار لا يحسون بمدة، لفقد الروح وفناء الجسم.

وفى الإنجيل يعبر يحيى عليه السلام عن حروب محمد ﷺ وهو النبى الآتى من بعده لليهود بأنها «نار» ذلك قوله: «ولكن الذى يأتى بعدى؛ هو أقوى منى، الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه. هو سيعمدكم بالروح القدس **ونار**. الذى رفشه فى يده، وسينقى بيدره، ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ» (متى ٣: ١١ ـ ١٢)

وقيامة قوم على قوم. إما أن تكون قيامة أخيار على أشرار، وإما أن تكون قيامة أشرار على أخيار. وفى كل معنى؛ انتصار وهزيمة. فإذا قام الأشرار على الأخيار وغلبوهم. يقال: قيامة الأشرار. وإذا قام الأخيار على الأشرار وغليوهم يقال: قيامة الأخيار. فإذا قام بنو إسماعيل وهم موصوفون فى التوراة بأنهم أبرار على بنى إسرائيل وهم موصوفون فى التوراة بأنهم أشرار؛ يصح أن يقال فى معركة يوم الرب إن بنى إسماعيل قد قاموا على بنى إسرائيل ونزعوا منهم الملك. ففى سفر الأمثال: «إذا فرح الصديقون عَظُم الفخر. وعند قيام الأشرار تختفى الناس» (أمثال ٢٨ : ١٢)

وفى نفس السفر: «عند قيام الأشرار تختبئ الناس، وبهلاكهم يكثر الصديقون» (أم ٢٨ : ٢٨). فى سفر عُوبَدْيا: «سمعنا خبرا من قبل الرب، وأرسل رسول بين الأمم. قوموا، ولنقم عليها للحرب» (عو ١)

معنى نفى الافتداء:

ومعنى نفى الافتداء: هو معنى نفى الشفاعة عنهم. وهذا هو البيان:

نفى الشفاعة عن اليهود والمسيحيين:

أثبت إشعياء الشفاعة فى المذنبين فى نبوءة العبد المتألم بقوله: «وشفع فى المذنبين» (إش ٥٣: ١٢) والمراد: أن العبد المتألم من إعراض الناس عن دعوته وهو محمد ﷺ سيشفع فى المذنبين. فهل هو سيشفع فى اليهود الكافرين به أم سيشفع فى أمته؟

حكى مرقس فى إنجيله: أن المسيح عيسى عليه السلام تعجب من عدم إيمان اليهود بدعوته وهى الإيمان بمحمد إذا ما ظهر ـ وتعجبه من عدم إيمانهم؛ هو دليل على أنه لن يشفع فيهم ـ ففى مرقس: «ولم يقدر أن يعمل هناك أية معجزة، غير أنه لمس بيديه عددا قليلا من المرضى؛ فشفاهم، وتعجب من عدم إيمانهم، ثم أخذ يطوف بالقرى المجاورة وهو يعلّم» (مر ٦: ٥ ـ ٦)

وفى سفر إشعياء تفريق بين الأشرار وبين الأخيار. ويقول: إن الأشرار هم اليهود، وإن الأخيار هم الأمة الآتية مع النبى الآتى. ذلك قوله على لسان الله تعالى: «أما أنتم الذين نبذتم الرب، ونسيتم جبلى المقدس، وهيأتم مذبحا لإله الحظ، وملأتم الكؤوس خمرا ممزوجة لإله القدر؛ فأجعل مصيركم الهلاك بالسيف، وتسجدون جميعا لذابحيكم؛ لأننى دعوت فلم تجيبوا، تكلمت فلم تسمعوا، وارتكبتم الشرّ على مرأى منى، واخترتم ما أبغضه. لذلك هكذا يقول السيد الرب: ها عبيدى يأكلون، وأنتم تخزون. ويترنّمون فى غبطة القلب وأنتم تعولون من أسى القلب، وتولولون من انكسار الروح، وتُخلفون اسمكم لعنة على شفاه مختارى، ويميتكم الرب، ويطلق على عبيده اسما آخر...» (إش ٦٥: ١١ ا ١٥)

فقد فرق بين الأشرار وبين المختارين، ومن المؤكد أن المختارين غير الأشرار وهىنا حكم بهلاك الأشرار فى الوقت الذى يظهر فيه النبى المنتظر. وقد أيد المسيح عيسى إشعياء فى حكمه هذا فقال. إنه ستحدث علامات من قبل ظهور النبى الآتى ومن بعد العلامات تقوم معركة عنيفة بين المختارين وبين الأشرار فى ساعة لا يعلمها إلا الله وإن الله يقصر أيام المعركة من أجل المختارين حتى لا يهلكوا ولا أحد يشعر

بهم. ففى متى: «فعندما ترون رجاسة الخراب التى قيل عنها بلسان دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس. ليفهم القارئ. عندئذ ليهرب الذين فى منطقة اليهودية إلى الجبال ومن كان فى السطح فلا ينزل ليأخذ ما فى بيته ومن كان فى الحقل فلا يرجع ليأخذ ثوبه والويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام. فصلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء أو فى سبت فسوف تحدث عندئذ ضيقة عظيمة لم يحدث مثلها منذ بدء العالم إلى الآن ولن يحدث. ولولا أن تلك الأيام ستختصر لما كان أحد من البشر ينجو ولكن من أجل المختارين؛ ستختصر تلك الأيام...» (متى ٢٤: ١٥ ـ ٢٢)

وجاء فى إنجيل بَرنابا: أن محمدا ﷺ بعدما يتكلم مع الله؛ يعطيه الله كتابا فيه أسماء كل المختارين. ذلك قوله: «وبعد أن يتكلم هكذا؛ يُعطى الله رسوله كتابا مكتوبا فيه أسماء كل مختارى الله. ومعنى ذلك: أن اليهود قد استُبعدوا من رحمة الله، ومن شفاعة محمد ﷺ فيهم. سواء أكانت شفاعته فى فصل القضاء، أم كانت فى إدخال أحد منهم الجنة. وهو مذنب.

واستبعد المسيح من المحاسبة بين يدى الله؛ جميع المساكين الذين خدموا الله بمسكنة حقيقية من القلب. لأنهم صرفوا الغنى العالمى عن قلوبهم، وقال: إنهم «لمباركون ثلاثة أضعاف وأربعة أضعاف؛ لأنهم يكونون خالين فى هذا العالم من المشاغل العالمية؛ فتمحى عنهم لذلك خطايا كثيرة، ولا يضطرون فى ذلك اليوم أن يقدموا حسابا كيف صرفوا الغنى العالمى، بل يجزون لصبرهم ومسكنتهم»

وأكد المسيح على مجازاة الكافر والمنبوذ. من اليهود فقال: «ثم يدعى بعد ذلك إلى الدينونة كل الكافرين والمنبوذين. فيقوم عليهم أولا كل الخلائق التى هى أدنى من الإنسان، شاهدة أمام الله كيف خدمت هؤلاء الناس، وكيف أن هؤلاء أجرموا مع الله وخلقه. ويقوم كل من الأنبياء شاهدا عليهم؛ فيقضى الله عليهم باللهب الجحيمية. الحق أقول لكم: إنه لا كلمة أوْ لا فِكر من الباطل؛ لا يُجازى عليه فى ذلك اليوم الرهيب»

والمنبوذون: من عصاة المؤمنين. بمحمد: كيف يعطيه الله كتابا فيه أسماء كل مختارى الله. ومن المختارين المؤمنين؛ عصاة؟ إن هذا فيه مساواة بين كل المؤمنين بمحمد ﷺ. وفيه أن العصاة لن يجازوا بالنار على أعمالهم السيئة. مع أنه منع المساواة بين المؤمن التقى وبين المؤمن العاصى. بقوله: «الحق أقول لكم: إنه لا كلمة أو لا فكر من الباطل؛ لا يُجازى عليه فى ذلك اليوم الرهيب» وفى رواية متى: «على أنى أقول لكم: إن كل كلمة باطلة يتكلم بها الناس؛ سوف يؤدون عنها الحساب فى يوم الدينونة؛ فإنك بكلامك تبرر، وبكلامك تدان»؟ (متى ١٢ : ٣٦)

والإجابة على ذلك: ١ ـ أنه أعطاه كتابا فيه أسماء كل مختارى الله. الذين سبقت لهم من الله الحسنى وهم الذين عبدوا الله بمسكنة حقيقية؛ لقوله: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ ٢ ـ أما ما عداهم من أتباعه؛ فإنهم يجزون بحسب أعمالهم. إلى ٧٠,٠٠٠ سنة ويكون الكتاب الذى استلمه، الذى فيه أسماء المختارين؛ دال على تعجيل الفصل بين الناس. والتعجيل راحة من هول الموقف العظيم. والدليل على أن غير المساكين يجزون بحسب أعمالهم: قول المسيح نفسه: إن آخر مسلم عاصى يخرج من النار؛ سيخرج بعد مكثه فيها سبعين ألف سنة.

ونص كلامه: «أما ما يختص بالمؤمنين الذين لهم اثنان وسبعون درجة مع أصحاب الدرجتين الأخريين، الذين كان لهم إيمان بدون أعمال صالحة. إذ كان الفريق الأول حزينا على الأعمال الصالحة والآخر مسرورا بالشر؛ فسيمكثون جميعا فى الجحيم سبعين ألف سنة»

ومعنى هذا: هو أن الفرق بين اليهود وبين أمة محمد ﷺ فى دخول النار: هو أن اليهود مخلدون فى النار، وأن العصاة من أمة محمد ﷺ لن يخلدوا فى النار، وسيمكثون فيها أحقابا.

ثم قال المسيح فى معنى: ﴿ويقول الكافر: يا ليتنى كنت ترابا﴾ ما نصه:

«حينئذ يعيد الله إلى التراب كل نفس حية أدنى من الإنسان، ويرسل إلى

الجحيم الفجار، الذين يرون مرة أخرى فى أثناء سيرهم ذلك التراب يعود إليه الكلاب والخيل وغيرها من الحيوانات النجسة. فحينئذ يقولون: أيها الرب الإله أعدنا نحن أيضا إلى هذا التراب، ولكن لا يُعطون سؤلهم»

***

وفى سورة المائدة:

يحكى أن الحواريين طلبوا مائدة من السماء بنفس الطلب الذى طلب به بنو إسرائيل من موسى عليه السلام وهو ﴿**هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ**﴾؟ ففى الزبور أنهم «قالوا: هل يقدر الله أن يرتب مائدة فى البرية؟ هو ذا ضرب الصخرة فجرت المياه وفاضت الأودية، هل يقدر أيضا أن يعطى خبزا، أو يهيئ لحما لشعبه؟» (مز ٧٨: ١٩ ـ ٢٠)

وكانت المائدة فى زمان موسى. وهو أول زمان ملك بنى إسرائيل. وكانت المائدة فى زمان عيسى. وهو آخر نبى فى بنى إسرائيل. فلذلك قال: ﴿تكون لنا عبدا لأولنا وآخرنا﴾ فنزلت المائدة آية على صدق عيسى فى تبشيره بمحمد ﷺ. فإذا جاء وكفروا به. فإنهم يبادون على يديه فى يوم الرب.

والإبادة عذاب لن يكون بعده عذاب؛ لأنه عذاب لأمة معها شريعة وعليها مُلك. وليس فى العالم غيرهم من له شريعة وملك؛ ليحفظها.

ولما أكد له إن كفروا بعد به، وبالنبى الذى يبشر به؛ أن سيحصل لهم عذاب؛ رد بقوله ما معناه: «لتكن مشيئتك» ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾ المسرفون ﴿**وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ وكان المسيح يعلم الحواريين أن يقولوا لله فى الصلاة: «أبانا الذى فى السموات. ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك. **لتكن مشيئتك**. كما فى السماء كذلك على الأرض. خبزنا كفافنا؛ أعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا فى تجربة. ولكن نجنا من الشرير؛ لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد. آمين» (متى ٦: ٩ ـ ١٣)

وقد جاء الملكوت. وهو ملكوت محمد ﷺ

وقوله **«لتكن مشيئتك»** مع قوله **«واغفر لنا ذنوبنا»** ومع قوله لبطرس: لما سأله **«كم مرة يخطئ إلىّ أخى وأنا أغفر له**؟ هل إلى سبع مرات؟ قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة؛ سبع مرات» (متى ١٨ : ٢١ ـ ٣٤) يدل قوله هنا على أنه فوض مشيئة العذاب فى يوم الرب لله. إن شاء عذب وإن شاء غفر.

ومما يدل على محمد ﷺ فى هذا الموضع من الإنجيل: أنه بعدما رد على بطرس قال: **«لذلك يشبه ملكوت السموات** إنسانا ملكا؛ أراد أن يُحاسب عبيده. فلما ابتدأ فى المحاسبة قدم إليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنة. وإذ لم يكن له ما يوفى؛ أمر سيده أن يُباع هو وامرأته وأولاده وكل ماله ويوفى الدين. فخر العبد وسجد له قائلا: يا سيد تمهل علىّ؛ فأوفيك الجميع؛ فتحنن سيد ذلك العبد وأطلقه وترك له الدين. ولما خرج ذلك العبد؛ وجد واحدا من العبيد رفقائه؛ كان مديونا له بمئة دينار. فأمسكه وأخذ بعنقه قائلا: أوفنى مالى عليك. فخر العبد رفيقه، على قدميه، وطلب إليه قائلا: تمهل على فأوفيك الجميع. فلم يرد عليه بل مضى وألقاه فى سجن حتى يوفى الدين.

فلما رأى العبيد رفقاؤه ما كان؛ حزنوا جدا، وأتوا وقصوا على سيدهم كل ما جرى. فدعاه حينئذ سيده، وقال له: أيها العبد الشرير كل ذلك الدين تركته لك؛ لأنك طلبت إلىّ. أفما كان ينبغى أنك أنت أيضا ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا؟ وغضب سيده، وسلمه إلى المعذبين حتى يوفى كل ما كان له عليه.

فهكذا أبى السماوى يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاّته» (متى ١٨ : ٢٣ ـ)

فماذا كان رد الله على عيسى عليه السلام بعدما فوض إليه المشيئة؟ هو أنه قال على لسان محمد ﷺ هكذا: ﴿**قَالَ اللَّهُ**﴾ من قبل نزول القرآن عن يوم الرب: ﴿**هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ**﴾

وقوله هذا مسجل فى الكتب. ففى سفر ملاخى: «فهو ذا يأتى اليوم المتّقد كالتنور. وكل المستكبرين وكل فاعلى الشر؛ يكونون قشا، ويحرقهم اليوم الآتى. قال رب الجنود. فلا يبقى لهم أصلا ولا فرعا.

ولكم أيها المتقـون اسمى؛ تُشرق شمس البِرّ، والشفاءُ فـى أجنحتها. . .إلخ» (ملا ٤ : ١ ـ)

***

وفى سورة الأنعام:

يقول عـن اليهود الكـافرين: ﴿**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ وبعـدما هددهم بالإهلاك كمـا أهلك القرون من قـبلهم قال: ﴿**قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾

ويوم القيامـة محتمل للمعنيين. وهمـا معنيان فى الظاهر. وهما فى الحقـيقة معنى واحـد . لأن القتل فى يوم الرب فى يوم قـيامة بنى إسـماعيل على اليـهود، موصل إلى الخلود فى جـهنم من بعد القتل مبـاشرة؛ لانتفاء الإحـساس بالمدة. فإذا جمـعهم ليوم قـيام بنى إسماعـيل عليهم؛ فكأنه جـمعهم ليوم القـيامة العـامة من الأموات. شبه قوله: «من مات فقد قامت قيامته»

ثم تكلم عن الجـمع وأكد عليه فـقال: ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾

وهو قد حشرهم مع أفواج من الأمم الكافرة مثلهم. فصار فى الحشر فريقان: اليهـود وشركاؤهم. ثم يقول بلـسان الحال لليهـود عن المشركين: ﴿**أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾ أنهم سينصرونكم على نبينا وأصـحابه؟ يريد أنهم موجودون ولكنهم خذلوهم. وقـد كذبوا فى قولهم: ﴿**وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾ لأنهم أتوا لحرب الله والصد عن سبيله. وهذا يكفى فى بيان شركهم.

ثم بين أحوالهم وقت اشتداد الحرب. وعبـر عنها بالنار ـ مجازا ـ فقال: إنهم

إذا شاهدوا شدة المعركة؛ يتمنون الفرار منها، ليكونوا مع المؤمنين بمحمد ﷺ ولا يكذبون بآيات الله. والله الذى يعلم الغيب وما خفى فى الضمائر يقول: إننا لو رحمناهم ورددناهم عن هذه الحرب؛ فإنهم سيعودون لما نهوا عنه، وسيحاربون المؤمنين. وحكى عن اعتقادهم أنهم سيحيون على شريعة موسى، ولن يتركوها ليبعثوا خلقا جديدا على شريعة محمد. ثم حكى أنهم لو وقفوا أمام الله للحساب. سواء أوقفوا فى يوم المعركة أم فى يوم غيره؛ فإنهم إذا سألوا عن حشرهم فى يوم الرب للهلاك. يقولون لله: أنت ما ظلمتنا. ونحن نستحق هذا. ذلك قوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

ثم تكلم الله عن ساعة المعركة التى قال المسيح عليه السلام عنها: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد...» وبين أنهم سيندمون إذا عاينوا أهوالها. فقال:

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾

وأعاد الكلام عن العذاب والساعة. والمراد بالعذاب: العذاب الخفيف الذى هو دون العذاب الأكبر. مثل قتلهم فى خيبر وغيرها. أما العذاب الأكبر فهو فى يوم الرب. فى الساعة التى قال عنها المسيح إنها ستأتى بغتة، ولا يعلم بها إلا الله وحده. فإذا أتى هذا العذاب أو إذا أتت الساعة؛ فهل يمنع عنهم العذاب إله غير الله؟ إنه قال فى نشيد موسى بعد الكلام عن العذاب: «أنا أنا هو وليس إله معى أنا أميت وأحيى» (تث ٣٢: ٣٩)

يقول تعالى: **﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ**

اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾

وأكد على هلاك الظالمين من اليهود فى يوم الرب الذى سيأتى بغتة. كما قال عيسى عليه السلام: «فاحترزوا لأنفسكم؛ لئلا تثقل قلوبكم فى خمار وسكر وهموم الحياة؛ فيصادفكم ذلك اليوم بغتة» (لو ٢١: ٣٤) بقوله: **﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾**

يعنى: لو أتى بغتة، أو لم يأت بغتة. فهل تقدرون أيها الظالمون على دفعه؟

وبين سبب العذاب فى يوم الرب. وهو أنهم فاسقون. بقوله: **﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾**

وذكر فى سور كثيرة أن اليهود يستعجلون هلاكهم فى يوم الرب؛ استهزاء بالله ويقولون: **﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾**؟) وههنا يأمر نبيه أن يقول لهم: ما عندى أسباب تعجل العذاب عن موعده. ولو أن عندى ما أقدر به على تعجيله؛ لعجلت. وعندئذ يكون النزاع بينى وبينكم قد تم. ذلك قوله: **﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾**

ثم إن الله تعالى حكى عن اليهود: **﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾**

والمعنى: أن اليهود ينكرون نبوة محمد عليه السلام بقولهم: **﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ**

بَشَرٍ﴾ من بعد موسى ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ لأنه لا نبى من بعد موسى. والتوراة شريعة أبدية لا ينسخها ناسخ لا من بنى إسرائيل ولا من غيرهم. لقوله عن يوم السبت: «فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم. من دنسه يقتل قتلا. إن كل من صنع فيه عملا؛ تقطع تلك النفس من بين شعبها. ستة أيام يصنع عمل. وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة. مقدس للرب. كل من صنع عملا فى يوم السبت يقتل قتلا. فيحفظ بنو إسرائيل السبت ليصنعوا السبت فى أجيالهم عهدا أبديا. هو بينى وبين بنى إسرائيل علامة إلى الأبد؛ لأنه فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفى اليوم السابع استراح وتنفّس» (خروج ٣١: ١٤ ـ ١٧)

ورد على هذا القول بأن فى كتاب موسى الذى كان من قبل التحريف نورا وهدى للناس نبوءات عن محمد. ولو أنكم أظهرتم كل ما فيه؛ لعرفها الناس وآمنوا به. ولكنكم تظهرون بعضا وتخفون كثيرا. **ومما تخفوه مما يدل عليه**:

أن الله قسم بركة إبراهيم عليه السلام بين إسماعيل وإسحق، وأن إسماعيل مبارك فيه كإسحق. والبركة ملك ونبوة. وأن إسماعيل سكن فى فاران. وأن شريعة ستأتى من فاران، كما أتت شريعة موسى من سيناء. وأنه لن يزول الملك من اليهود حتى يأتى نبى السلام وإليه تجتمع الشعوب، وأن الله سيغيظ اليهود بأمة أمية. وأن موسى وعد بنبى يأتى على مثاله فى الحروب والانتصار على الأعداء والملك والمعجزات. وقال: لن يأتى مثلى من بنى إسرائيل. ولو كانت التوراة شريعة أبدية ما نبه موسى على من سيخلفه. فيكون معنى الأبد فى التوراة: هو إلى ظهور النبى الأمى الآتى. ولو كانت التوراة شريعة أبدية؛ ما كان الله يرفض بنى إسرائيل من السير أمامه. كما قال إشعياء وموسى (رومية ١٠: ١٩ ـ ٢١) وما كان الله ينبه على هلاك اليهود الكافرين فى يوم الرب على يد النبى الآتى. فإن من أوصاف النبى الآتى أن يُبيد من لا يسمع له من الشعب فى الأيام الأولى لظهوره. والقرآن يبين الإبادة بعد الرد عليهم بأنهم يخفون كثيرا؛ ليبين بها أنه مكتوب عنه فى كتاب موسى، وإلا فلماذا يبيدهم إذا كانت شريعة موسى أبدية؟ ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي

غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴿٩٣﴾ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾

والمعنى: وهم فى شدة الموت فى يوم الرب تقول لهم الملائكة: ﴿أخرجوا أنفسكم﴾ أى لا هرب من ذلك اليوم العصيب ﴿اليوم﴾ وهو يوم الرب ﴿تجزون عذاب الهون﴾ ومن بعد القتل تسيرون إلى نار جهنم. ولم يأت معكم ما تمتنعون به عنا من مال وولد؛ فإنكم جئتمونا كما ولدتكم أمهاتكم، أو كما ابتدأناكم من موسى بعد الخروج من مصر خلقا للملك على الأمم بعد حياة البداوة والذلة والمسكنة. وهم فى يوم الرب سيكون معهم من كل أمة فوجا. فلماذا يقول: إننا لا نرى معكم الشفعاء الشركاء؟ يريد أن يقول: إنكم والشركاء متساوون فى المحنة والمصيبة. فلذلك لم يتقدم من الشركاء ما يشفع. وفى الإنجيل أن عيسى عليه السلام لا يشفع فى اليهود الكافرين بدعوته. وهى قبولهم محمدا إذا ظهر. ففى إنجيل مرقس بعدما صنع معجزات بإذن الله «تعجب من عدم إيمانهم» (مرقس ٦ : ٦).

***

هلاك الجن الكافر مع اليهود وأفواج من الأمم فى يوم الرب:

وفى القرآن الكريم: أن الشياطين والشيطانات نوع من الجن. والجن غير جنس الشياطين منهم المؤمن ومنهم الكافر. فعندنا ثلاثة: ١ ـ الجن المؤمن بشريعة موسى ٢ ـ والجن الكافر بها. والاثنان يشبهان بنى آدم فى الإيمان والكفر. أما الجن المؤمن أو الكافر فإنهم لا يتصلون ببنى آدم. لا بالوسوسة ولا بالصرع ولا بغيرهما. ٣ ـ وأما جنس الشياطين فإنهم لا يؤمنون، ويتصلون ببنى آدم بأى وسيلة من وسائل

الاتصال، وبأى حيلة من الحيل؛ ليصرفوهم عن الإيمان إلى الكفر. وفى سورة الأعراف يكثر الخطاب ببنى آدم ليميزهم جميعا عن جنس الجن. بينما يكون الخطاب بيا أيها الناس خاص باليهود. فى سور أخرى. فإنه بعد كلام كثير عن بنى آدم يقول: ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾

ومعنى هذا: أن بنى آدم أمم. ولكل أمة بدء ونهاية. وأن الجن أمم. ولكل أمة بدء ونهاية.

وفى سورة الأحقاف يعطى إنذارا للجن الكافر بالهلاك كما يعطى إنذارا لليهود. وهذا يدل على أن أمة كافرة من الجن، ستهلك فى يوم الرب مع اليهود. وسيبقى المؤمنون من الجن. وبعد طول سنين ينفصم عرى الإيمان عن الجن المؤمنين بواسطة وسوسة الشياطين لهم. وتتكون أمة كافرة. من أمة مؤمنة. وعندئذ تهلك الكافرة. وهكذا.

ففى سورة الأحقاف:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾

البيان:

إنهم ولوا إلى قومهم منذرين. والإنذار يعقبه هلاك. وهذا الإنذار لمن لا يُجب داعى الله. وقال بعد الإنذار: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

وأكد على أن العذاب واقع فى يوم الرب ولن يكون قبله، فى قوله: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ وقال: إن هذا موعود به فى يوم الرب. وقال: إن مدة المعركة ستكون قصيرة؛ لأنه لو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد. وقال: هذا بلاغ ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾؟

***

وفى سورة الأنعام:

يخبر عن حشر الجن الكافر والشياطين مع اليهود والشركاء فى يوم الرب. ويخبر عن هلاك الشياطين معهم. وتحشر الشياطين معهم فى يوم الرب؛ ليقول الشيطان لما قضى الأمر: ﴿إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم﴾ وهذا على معنى أن منظرون تدل على أن جنس الشيطان باق إلى يوم القيامة كبقاء بنى آدم. وهم يحيون ويموتون. فإن منهم من سيحشر مع اليهود فى يوم الرب ويهلك. قبل حلول أجله. وهذا لا يمنع من أن للشياطين عذاب فى وقت معلوم.

وإذا حشر الجميع يقول: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ أى الشياطين ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ﴾ أى بالوسوسة وبالصرع وبالزنا وبسائر أنواع الممازجة والمخالطة. ويرد أولياؤهم من الإنس: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ أما أجل الجن فهو فى يوم الرب مع اليهود. وعند أجل كل فى يوم الرب وغيره؛ تكون النار.

ثم بين أن من الجن ـ غير الشياطين ـ رسلا إليهم، وأن من الإنس رسلا إليهم. وأن الرسل قد أنذرت بيوم الرب؛ لأن الجن كانوا مكلفين بشريعة موسى عليه السلام.

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

***

وفى ختام سورة الأنعام يقول عن يوم الرب:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾

البيان:

قد ذكرنا إتيان الملائكة وإتيان الرب... إلخ فى كتابنا هرمجدون ـ نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة ص ٩١ ـ ٩٦

***

وفى سورة الأعراف:

يقول الله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾

البيان:

يتحدث عن ساعة هلاك اليهود فى يوم الرب. وفى إنجيل متى: أن العلم بها لله وحده. ولم يقل: إنه يعلمها. ذلك قوله: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده» (متى ٢٤: ٣٦) وفى إنجيل مرقس أن العلم بها لله وحده، وقال: إن الابن لا يعلمها. ذلك قوله: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب» (مرقس ١٣: ٣٢)

وقوله تعالى: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ - ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾** يشير إلى أن «الابن» لا يعلمها. والابن: هو محمد ﷺ فى المزمور الثانى لداود بحسب لسان أهل الكتاب. وقد استدل به كثيرون من المسلمين على نبوة محمد ﷺ. وبدؤه: «لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب فى الباطل. قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه... إلخ»

***

وفى سورة الإنفال:

يقول الله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

فمن هم السائلون؟

ويقول الله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾

البيان:

الكعبة بيت الله، ونسبها إلى النبى لأنها مقر شريعة الله والنبى مبلغ لها. ومعنى من بيتك أى من بلد بيتك.

وقد اضطره اليهود إلى الخروج منها هو وأصحابه أيام الهجرة إلى «يثرب» بحجة أنهم هم المالكون على الأرض بحكم بركة إسحق التى قال الله عنها: ﴿وباركنا عليه وعلى إسحق﴾ وهى ملك ونبوة، ولا تزول شرعا إلا إذا بعث النبى الأمى الآتى من نسل إسماعيل. فإنه إذا بعث يزول ملك بنى إسرائيل الحاملين لبركة إسحق، ويبدأ ملك بنى إسماعيل فى الظهور. وهو ههنا يخبر بخروجه من بيته بسبب الحق الذى نزل عليه، ولو لم يكن قد نزل عليه القرآن الذى هو الحق ما كانوا قد أخرجوه. وحروب غزوة بدر وما تلاها ليست من محمد ﷺ للملك وإنما هى لإضعاف شوكة اليهود. حتى إذا كانت المعركة الفاصلة فى يوم الرب، لا يكون لليهود قوة تذكر. وفى هذا المعنى يقول الله تعالى: ﴿ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين﴾ وهم اليهود.

وفى التوراة - فى نشيد موسى - أن الله سينصر محمدا بالملائكة على اليهود. وقد تكلم عن نزولها ونصرتها. وقال: إنه سيلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب. والتعبير بالذين كفروا فى القرآن هو تعبير خاص باليهود؛ لأنهم كافرون بآيات الله وبنبوة محمد ﷺ وخاطب علماء اليهود الذين كانوا من قبل يستفتحون على

اليهـود من جنسهم بقـولهم: سيأتى زمـان نحارب فيـه الأمم لنملك على بلادهم. وهذا الزمان سيكون زمـان ظهور النبى المماثل لموسى. بقـوله: ﴿إن تستفتحـوا فقد جاءكم الفتح﴾ إن كنتم أيها اليهود تريدون قتال الأمم لتملكوا على بلادهم. فها هو زمان الفـتح قد جـاء على يد محـمد ﷺ فادخلوا فى ديـنه وافتحـوا البلاد مـعه واملكوا عليهـا مع أصحابه. ثم تـكلم عن هلاك اليهود فى يوم الرب فـقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ والمعنى: أن اليهود سينفقون أموالهم ليصدوا الناس عن القرآن. وأنهم لذلك سـيحشرون مع أفواج من الأمم فى يوم الرب للقتل. والقتل موصل فى الحال إلى جهنم. وبئس المصير.

***

وفى سورة التوبة:

يقول الله تعالى:

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾

البيان:

عاصـمة ملك اليهـود العبـرانيين هى «أورشليم» فى أرض فلسطين. من زمن داود وطالوت ـ عليهـما السلام ـ ثم إن اليهـود السامريين اتخذوا «شكيم» عـاصمة لهم: وههنا يخـبر عـن العبـرانيين أنهم ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ وأوعدهم بـثلاث عذابات. آخرهن ﴿عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ فى يوم الرب. وعذاب المرة الأولى هو فى المرة الأولى من مرتى الفـساد والعلو فى الأرض مرتين. وعذاب المرة الثـانية هو فى المرة الآخرة من مرتى الفساد والعلو. والثـلاث فى التوراة وفى القرآن. فى سورة الإسراء وفى الأصحـاح الثامن والثانى عشـر من سفر دانيـال. وعن يوم الرب العظيم كلام كثير فى سفر يوئيل، وغيره.

والمراد بالأعراب: الذين يتكلمون غير العربية، ويتكلمون العربية بمشقة والمراد بهم ههنا: بنو إسرائيل. والمراد بالمدينة مدينة «أورشليم» التى هى القدس. وفى سورة الحجرات يخبر عن إيمانهم وإسلامهم ويقول: ﴿قل أتعلمون الله بدينكم؟﴾ وأصحاب الدين المنسوخ هم اليهود.

وقد تجرأ «اللواء محمد شبل» على الأشهر المعلومات المذكورة فى سورة البقرة بقوله: يجب توزيع الحجاج على أشهر السنة لأن الحج فى موعده لا يتناسب مع عدد الحجاج الذين كثروا كثرة هائلة. وقوله هذا باطل؛ لأن أقصى الحجاز بلاد اليمن وأعلاها بلاد الشام ومن الكعبة إلى العراق مساحة هائلة من الأرض. ومنها إلى البحر الأحمر مساحة هائلة. وكثرة الحجاج لا تؤثر فى الموعد الواحد المحدد فى الأشهر المعلومات لأنه لا فواصل طبيعية فى دائرة الكعبة أثناء الطواف بها.

وسمعت رأيا قد يكون صوابا. وهو أنه فى سورة براءة جعل أربعة أشهر

---

(١) فى سورة الحجرات: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

البيان: إنهم قالوا آمنا بشريعة التوراة ولن نتركها إلى شريعة القرآن. وهم بالتوراة كافرون لأن فيها إلزامهم بالدخول فى شريعة القرآن من قوله: « يقم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون...» وخاطبهم بقوله: ﴿قولوا: أسلمنا﴾ والمعنى: أسلمنا الوجه لله على ما يأمر به. فإنه فى زمان مضى أمرنا بالتوراة فأسلمنا وجوهنا إليه وعملنا بها وجاهدنا فى سبيله بها. وإنه الآن فى هذا الزمان يأمرنا بالقرآن فيجب أن نعمل به ونجاهد فى سبيله به كما كان حالنا على شريعة التوراة. وإلى هذا اليوم ﴿لما يدخل الإيمان﴾ على القرآن ﴿فى قلوبكم﴾ وسوف يأتى هذا اليوم كما نبه فى سورة النصر. ثم قال لليهود ــ وهم الأعراب ــ لست مؤمنين لشريعة التوراة. لأن الإيمان إيمان بالله وإيمان برسوله محمد مع الثقة فى رسالته. وجهاد فى سبيل الله بالأموال والأنفس. وأنتم لا تجاهدون مع أصحاب رسول الله محمد ﷺ.

وكان اليهود من زمان موسى يهدون العرب إلى الله بالتوراة. أيام كانوا مسلمين وجوههم إلى الله ومستسلمين لإرادته. ولذلك خاطبوا محمدا نيابة عن العرب بقولهم: لنا عليكم منّة. فقد هديناكم إلى الله من قبل. ورد عليهم نيابة عن العرب بقوله: لا تمنوا علينا بإسلامكم الوجه لله والجهاد فى سبيله والهداية بشريعته. فلولا أن الله هداكم للإيمان بالتوراة وقتئذ؛ ما كنتم مؤمنين ولا هادين ولا مجاهدين.

لسياحة المشركين فى الأرض. فى قوله: ﴿فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر﴾ وتحديد الأربعة الأشهر يدل على أن القتال محرم فيهن. وهذا هو معنى ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾ أى المحرم فيهن القتال مدة السياحة فى الأرض. وأكد على تحريم القتال فى مدة السياحة بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام﴾ يعنى الأربعة الأشهر المحرم فيهن القتال مدة السياحة فى الأرض. وقال: إن عدد شهور السنة اثنا عشر شهرا. منها الأربعة الأشهر المحرم فيهن القتال مدة السياحة فى الأرض. ومعنى هذا الرأى: هو أن الأشهر الحرم كانت مرة واحدة ولا تتكرر. وهذا الرأى يشبه رأى القائلين بنسخ الأشهر الحرم.

فلما ذكرت للقائل: ما فى سورة المائدة وهو أنه يحرم قتل الصيد ﴿وأنتم حرم﴾ أجاب بأن قوله ﴿وأنتم حرم﴾ تحتمل وأنتم محرمون بالحج، وتحتمل وأنتم فى الأشهر الأربعة المحرم فيهن القتال مدة السياحة فى الأرض. وقوله ﴿ومن عاد﴾ يبين أن المراد هو الإحرام بالحج. وقوله ﴿وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما﴾ هو فى الإحرام بالحج. وقوله عن الشهر الحرام إنه جعله ﴿**قياما للناس**﴾ هو فى الأشهر الأربعة المحرم فيهن القتال مدة السياحة فى الأرض. ولم يقبل منى مناقشة. مع أنها من شيم العلماء. ولفظ ﴿الناس﴾ فى القرآن يُراد به اليهود خاصة. فيكون المراد بالمشركين اليهود لا مشركى العرب. ويكون معنى ﴿قياما للناس﴾ أن الشهر الحرام لليهود المبرم معهم العهد.

***

وفى سورة يونس:

يقول الله تعالى:

﴿الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾

البيان:

المراد بالناس: اليهود خاصة. والمراد بالرجل: محمد ﷺ وهو ﴿منهم﴾ أى من اليهود على معنى أنه من عشيرة إبراهيم عليه السلام. فإنهم جميعا اليهود والإسماعيليون من نسله. ودعوته هى إنذار الناس وهم اليهود الكافرون وتبشير المؤمنين به بأن لهم الجنة. ولما سمع اليهود الكافرون بهلاكهم على يديه، وصفوه بأنه ساحر.

ثم قال:

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

والمعنى: إن اليهود يستعجلون الخير. وأيضا: يستعجلون الشر حتى أنهم قالوا عن عذابهم فى يوم الرب: ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾؟ ولو عجل الله إليهم الشر قبل موعده؛ لكانت مواعيد الله فى غير حينها. وإذا جاءت فى غير حينها؛ فإن الهدف منها سيكون متحققا. ولكنه لا يريد صرفها عن مواعيدها؛ لئلا يتشكك العالم فيها.

ثم تكلم عن حشر اليهود والأمم فى يوم الرب فقال:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

والمعنى: أن اليهود إذا حشروا مع الأمم. يقول الله لهم بلسان الحال: هذا مكان هلاككم أنتم والأمم. وردت أفواج الأمم بقولهم لليهود: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ لأنكم عبدتم على شريعتكم، ونحن عبدنا على قوانين بلادنا. والله يشهد ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾

وحدد الله مكان الحشر لليهود والأمم بقوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ أى فى المكان البعيد عن أرض مكة المكرمة. كما هو المعنى فى سورتى آل عمران والكهف. وبين أنهم سيهلكون جميعا فى يوم الحشر بقوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

ثم تكلم عن قدرته. ومما قاله عن كمال قدرته لليهود: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

والمعنى: إننى ابتدأت خلقكم على شريعة موسى. وها أنتم اليوم فى نهاية خلقكم على هذه الشريعة. وها هم بنو إسماعيل سنبدأ خلقهم خلقا جديدا على شريعة نبى منهم. فهل يقدر على ذلك إله غيرى؟ إن شركاءكم من الأمم الوثنية. هل منهم من يهدى إلى الحق بشريعة تشبه شريعتنا؟ ليس منهم من يهدى إلى الحق. فنحن وهم. من منا الذى يهدى إلى الحق؟ ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ باستقلال عن غيره ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَىٰ﴾؟ كما أخذ الرومانيون من شرائع التوراة قوانين لهم. اهتدوا بها وهدوا بها ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؟

ثم تكلم عن مدة المعركة فى يوم الرب. وبين أنها قليلة شبه ساعة من النهار. فقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾

والمعنى: إذا جمعناهم مع أفواج من الأمم المكذبة فى يوم الرب، ودارت المعركة؛ فإنها لن تطول أيامها. شبه جماعة من الناس اجتمعوا وتعارفوا فى ساعة من النهار. وسيهزم الجمع وسيخسرون المعركة. وإذا كنت حيا أو إذا كنت متوفى فى يوم الرب؛ فإن يوم الرب سيكون، وستكون الدائرة عليهم. ولا نهلك أمة من الأمم إلا إذا أرسلنا إليها رسولنا. وها نحن قد أرسلناك ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾

ثم تكلم عن استبعادهم هلاكهم فى يوم الرب. فقال:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

والمعنى: متى هذا الوعد بهلاكنا فى يوم الرب؟ ورد بأن النبى لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا. ويعنى بعدم الملك ههنا: أن ساعة هلاكهم ستأتيهم بغتة. كما فى سورة الأعراف. وأتى ههنا بجزء من الكلام وهو أنه لا يملك لنفسه شيئا. وبين هناك الكلام كله.

ولماذا الاستعجال وهم أمة من الأمم لها بدء ولها نهاية؟ ﴿لكل أمة أجل﴾ ولو أنه وقع قبل موعده. فهل يقدرون على دفعه؟ من يقدر على الله؟

وإذا جاء الأجل ووقع العذاب؛ فإنكم ستؤمنون بأن محمدا رسول الله. ولن ينفعكم الإيمان به فى حالة وقوع العذاب المترتب على الكفر به ﴿آلآن﴾ تؤمنون؟ إيمانا كإيمان فرعون بموسى رسولا من الله. وما ينفعكم ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾؟

وحكم على اليهود بالخلود فى النار من بعد القتل بقوله: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾

ثم حكى عن طلبهم من محمد ﷺ التأكد من هلاكهم فى يوم الرب، وأكد بأنه مؤكد، وأنهم لن يعجزوا الله عن إهلاكهم. وشدد على أنهم لن يقدروا على افتداء أنفسهم بأية فدية ثمينة. ولما تأكدوا من أن الفدية لن تقبل منهم؛ أسروا الندامة لما رأوا العذاب. وأخيرا: شدد على أن الوعد حق بقوله: **﴿أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾** ودلل على قدرته بقوله: **﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾** وقد أحياكم على شريعة موسى. ومن قبل موسى كنتم أمواتا، وكنتم فى ظلمات؛ لأن الشريعة التى قبله وهى شريعة نوح عليه السلام كان زمانها فى علم الله قد مضى. وهو الذى ينسخ الشرائع، ويجعل الناس أمواتا فى حالة تركهم لها. **﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** ومعناها هو معنى ﴿ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا﴾

ومن إعجاز القرآن: وجود المتشابه فيه. وهو أن كلمات وجمل تحتمل معنيين، والمعنى منهما له محكم. فيكون محكمان ومتشابهان للكلمة وللجملة. وفى الظاهر يكون معنيان للكلمة أو الجملة. وفى الحقيقة يكون معنى واحد. ومثال ذلك: لفظ ﴿الآخرة﴾ فإنه متشابه يحتمل آخرة اليهود لبدء ملك العرب وشريعتهم. ويحتمل الحياة التى نحن فيها. ولنا دنيا بعدها لنحاسب فيها ونحيا فيها على حسب أعمالنا. ثم إن الآخرة إذا كانت بمعنى آخرة اليهود على الأرض. فإن يوم آخرتهم على الأرض. هو نفسه يوم أول آخرتهم بعد القيامة من الأموات. إذ لا مدة من بعد القتل إلى بدء الحياة الآخرة التى فيها النار الأبدية.

ومثال ذلك أيضاً: لفظ الرجوع. فإنه يحتمل الرجوع إلى الله بالدخول فى الإسلام ويحتمل الرجوع إلى الله. فى يوم القيامة العامة. ولكل من الاحتمالين محكم. فاليهودى قد يتوب. وقد حببه الله فى التوبة والرجوع إليه ووعده بقبول توبته. وهذا رجوع. ومن المؤكد رجوعه إلى الله فى الدار الآخرة. وعلى الاحتمالين هو راجع إلى الله.

وبعدما أكد قدرته على علمه بما فى السماوات وما فى الأرض. قال: **﴿ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾**

والمعنى: أنهم سيرجعون إليه فى يـوم الرب؛ ليذوقوا العذاب الشديد بما كانوا يكفرون.

وفى نفس السورة بعدما قال لفرعون[1]: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾

شبـه ما قال عن اليـهود فى يوم الرب: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾؟

قال: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

والمعنى: أنه أعطى بنى إسـرائيل الملك على الأمم ورزقهم من الطيـبات. ثم اختلفوا فى النبى الآتى على مثال موسى وتسـاءلوا عنه. فقال السامريون: إنه سيأتى من سبط يوسف. وقال العبرانيون: إنه سيأتى من نسل داود من سبط يهوذا. يعنون أنه سيـأتى من اليهـود. وعندهم فى التوراة: أن النبى إذا ظهر سـيشن على اليـهود والأمم حربا فى يوم الرب. وها هى الحرب ستقوم. وإذا رأوها سيعرفون من رؤيتهم لها: أن النبى الذى شنهـا هو محمد ﷺ من نسل إسـماعيل عليه السلام وإذا رأوه فإن الخلاف سيزول فى أمر النبى المنتظر. لأنه هو محمد ﷺ . وهذا هو معنى القضاء

(١) فى كتاب الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفـية للشيخ عبد الوهاب الشعرانى صفحة ٤٠٨ ـ ٤٠٩ ما نصه عن فتوى ابن عربى بإيمان فرعون:

«ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ يقول بقبول إيمان فـرعون، وأن فرعون كان من أهل الكشف. قال شيخ الإسلام المخزومى، وشـيخ الإسلام الخالدى: هذا افتراء وتجديف على الشـيخ، فإن الشيخ لم يذكر هذه العبارة، وإنما حكى مذاهب من قال بقبـول إيمانه من السلف أخذاً من قوله تعالى: ﴿قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾. وأن ذلك كان آخر عهده بالدنيا.

وكان القاضى أبو بكر الباقلانى رحمه الله يقول: قبول إيمان فرعون هو الأقوى من حيث الاستدلال، ولم يرد لنا نص صريح أنه وقع منه بعد حكاية الله عنه الإيمان ما يكفر به. وقد صرح الشيخ محيى الدين فى الباب الرابع وثلثمائة من «الفتوحات» بعدم قبول توبة أهل إلياس ـ عليه السلام ـ وأنها لم تقبل إلا من أهل يونس خاصة، فدخل فرعون فيمن لم تقبل توبته».

بينهم فى يوم القيامة. أى قيامة بنى إسماعيل عليهم لنزع الملك منهم.

ثم ختم السورة بالصبر حتى يتم الله هلاكهم فى يوم الرب. ذلك قوله: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾

***

وفى سورة هود:

يخاطب فئة من بنى آدم، سيعينها فيما بعد بقوله: ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾

وهذه الفئة المعينة هى فئة اليهود دون بنى آدم جميعا. لدلالة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وأيضا: قولهم ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾؟

وقد قال لهذه الفئة: ﴿إننى لكم منه نذير وبشير﴾ وطلب منهم الاستغفار. وقد طلبه منهم فى سورة الزمر وغيرها. وعلل طلب الاستغفار بأنه يمتعهم إلى أجل مسمى هو يوم القيامة. وحذرهم من عذاب يوم الرب بقوله: ﴿فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾

وتكلم عن الخليقة الجديدة بالشريعة الجديدة. فقال لليهود: ﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ﴾ أى من بعد الموت عن شريعة التوراة. عبر عن تركها بالموت ـ مجازا ـ ليدخلوا من بعد تركها فى القرآن الكريم. ورد الكافرون منهم بأن القرآن ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾

وفى الأصحاح السابع من سفر دانيال: أن أربعة ممالك ستقوم على الأرض. وعددها بأنها بابل وفارس واليونان والرومان. ثم يأتى فى نهاية حكم الرومان على العالم نبى. وهذا النبى يحارب اليهود والرومان فى فلسطين ليؤسس لله مملكة لا

تنقرض أبدا. وهذه الحرب تكـون فى ساعة لا يعلمها إلا الله وحـده، وتكون بغتة. وتكون فى يوم الرب؛ لأن الحرب لله من أجل التمكين لشـريعته. وإذا أخر الله عن اليهود ﴿الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ هى أمة الرومان ﴿ لَّيَقُولُنَّ﴾ استـهزاء ﴿ مَا يَحْبِسُهُ﴾؟ وأكد على هلاكهم فى هذا اليوم بقوله: ﴿ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

يخاطب اليهـود بقوله: إن من يطلب الدنيا منهم؛ فإنه يعطيـه منها على قدر كسبه فيها. فإذا وصل إلى الآخرة؛ فليس له فيها إلا النار.

وإما أن يراد بالآخـرة: آخرة أيام اليهـود على الأرض. وهى نفسـها أول أيام بنى إسمـاعيل على الأرض. فـإنه قد كـان لهم ملك ونبوة بدآ من نبـى الله موسى عليه السلام ويزول الملك منهم وتنسخ النبوة ـ أى شـريعة التوراة ـ فى آخر أيامـهم بحرب فى يوم الرب.

وإما أن يراد بالآخرة الدار التى من بعد الموت. وهما معنيان فى الظاهر. وفى الحقـيقة هما مـعنى واحد. وذلك لأن القتل فى يوم الرب، هو آخـر أيامهم فى دار الدنيا وأول أيامهم من الآخـرة. وعبر عن هول يوم الرب بالنار الحقيقـية ـ بلا مدة ـ وهذا هو معنى قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾

فإن الأحزاب هم من اليهود، والقـتل هو فى موعدهم فى يوم الرب. والقتل موصل إلى النار الحقيقية فى جـهنم. وهو نفسه نار ـ مجازا ـ والعرض على الرب: هو حشـر اليهود وأفواج من الأمم فى يوم الرب. ويتـقدم الأشهاد ويقـولون بلسان الحال: هؤلاء هم اليهود الكافرون الذين كذبوا على ربهم بقولهم: إنه لا شريعة من بعد موسى، ولا هلاك لنا وللأمم فى يوم الرب. ولهذا صدوا عن سبيل الله من آمن

﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ والمراد بالآخرة: الشـريعة الآخرة. وهى شريعة القرآن. فى مقابل الشـريعة الأولى. وهى شريعة التوراة. وأكـد على هزيمتهم فى يوم الرب فى أرض فلسطين بقولـه: ﴿أولئك لم يكونوا معجـزين فى الأرض﴾ وأكد على أن شركاء اليهود من الأمم لن ينصرونهم بقوله: ﴿وما كان لهم من دون الله من أولياء﴾ ينصرونهم. وبين أن اليـهود لأنهم حملة الشـريعة سيـأخذون عذابا أكثـر من عذاب الأمم بقوله: ﴿يضاعف لهم العذاب﴾

وعلل سبب أخذهم عذابا مضاعفا بقوله: ﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ المفيد ﴿وما كانوا يبصرون﴾ الحق الواضح. وكرر هذا المعنى فقال: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾

وبعدمـا فرغ الله من الكلام عن قـرى ﴿منها قـائم وحصيـد﴾ تكلم عن يوم الرب الذى سـيكون هو اليـوم الآخـر لبنى إسـرائيل على الأرض. وفـيه ﴿عـذاب الآخرة﴾ بالنسبة لهم.

وقال ﴿ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾ والمراد بالناس: اليهود خـاصة. وكلمـة ﴿الناس﴾ عـينت أن المراد بهذا اليـوم هو يوم الرب. مع كلمـات غيرها. فـفى أول السورة يقول: ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمـة معدودة﴾ وهو ههنا يقـول: ﴿وما نؤخـره إلا لأجل معـدود﴾ وفى سـور عن يوم الرب؛ أنه ينفى الشفاعة. وههنا نفس المعنى.

ووصف هول المعركة بالنار ههنـا وفى سور أخرى. والخلود لا يكون فى النار إلا لليهود. وهم من بعـد القتل صائرون إلى نار جهنم. والقـتل نار ـ مجازا ـ وهو موصل إليها.

وختم السورة بتهديد اليهود الكافرين به ﷺ فقال:

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

وقوله تعالى: ﴿وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ يشير به إلى نبوءات فى التوراة تدل على أنهم ينتظرون النبى ﷺ ويوم الرب الذى سيكون عقب ظهوره. أما الأخيار فإنهم سيفرحون به، وأما الأشرار فإنه سيكون لهم ضيق. وأشار بقوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ إلى أن من أوصاف محمد ﷺ فى التوراة أن يخبر بغيب، ويقع الغيب كما يقول. وها هو قد أخبر بهلاك الكافرين به من اليهود وشركائهم فى يوم الرب ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾

ومن نبوءات التوراة عن أن محمدا ﷺ ينتظر الرب؛ نبوءة المزمور ١١٩ وهذا هو نصه:

أ

«طوبى للكاملين طريقا السالكين فى شريعة الرب. طوبى لحافظى شهاداته. من كل قلوبهم يطلبونه. أيضا لا يرتكبون إثما. فى طرقه يسلكون. أنت أوصيت بوصاياك أن تحفظ تماما ليت طرقى تثبت فى حفظ فرائضك. حينئذ لا أخزى إذا نظرت إلى كل وصاياك. أحمدك[١] باستقامة قلب عند تعليمى أحكام عدلك. وصاياك أحفظ. لا تتركنى إلى الغاية.

ب

بم يزكى الشاب طريقه. بحفظه إياه حسب كلامك. بكل قلبى طلبتك. لا تضلنى عن وصاياك. خبأت كلامك فى قلبى لكيلا أخطئ إليك. مبارك أنت يا رب. علمنى فرائضك. بشفتى حسبت كل أحكام فمك. بطريق شهاداتك فرحت كما على كل الغنى. بوصاياك ألهج وألاحظ سبلك. بفرائضك أتلذذ. لا أنسى كلامك.

ج

أحسن إلى عبدك فأحيا وأحفظ أمرك. اكشف عن عينى فأرى عجائب من

(١) يقول أهل الكتاب: إن داود فى سفر المزامير يتكلم بالنيابة عن النبى المنتظر. وإذا جاء النبى المنتظر ونطق بكلام يشبه ما فى سفر المزامير. فإنهم يعلمون من التشابه أنه هو النبى الذى أخبر عنه داود.

شريعتك. غريب أنا فى الأرض. لا تخف عنى وصاياك. انسحقت نفسى شوقا إلى أحكامك فى كل حين. **انتهرت المتكبرين الملاعين**[1] **الضالين عن وصاياك**. دحرج عنى العار والإهانة لأنى حفظت شهاداتك. جلس أيضا رؤساء تقاولوا على. أما عبدك فيناجى بفرائضك. أيضا شهاداتك هى لذتى أهل مشورتى.

د

لصقت بالتراب نفسى فأحينى حسب كلمتك. قد صرحت بطرقى فاستجبت لى. علمنى فرئضك. طريق وصاياك فهمنى فأناجى بعجائبك. قطرت نفسى من الحزن أقمنى حسب كلامك. طريق الكذب أبعد عنى وبشريعتك ارحمنى. اخترت طريق الحق. جعلت أحكامك قدامى. لصقت بشهاداتك. يا رب لا تخزنى. فى طريق وصاياك أجرى لأنك ترحب قلبى.

هـ

علمنى يا رب طريق فرائضك فأحفظها إلى النهاية. فهمنى فألاحظ شريعتك وأحفظها بكل قلبى. دربنى فى سبيل وصاياك لأنى به سررت. أمل قلبى إلى شهاداتك لا إلى المكسب. حول عينى عن النظر إلى الباطل. فى طريقك أحينى. أقم لعبدك قولك الذى لمتقيك. أزل عارى الذى حذرت منه لأن أحكامك طيبة. هأنذا قد اشتهيت وصاياك. بعدلك أحينى.

و

لتأتنى رحمتك يا رب. خلاصك حسب قولك فأجاوب معيّرى كلمة. لأنى اتكلت على كلامك. ولا تنزع من فمى كلام الحق كل النزع لأنى انتظرت أحكامك. فأحفظ شريعتك دائما إلى الدهر والأبد. وأتمشى فى رحب لأنى طلبت وصاياك. وأتكلم بشهاداتك قدام ملوك ولا أخزى، وأتلذذ بوصاياك التى أحببت. وأرفع يدى إلى وصاياك التى وددت وأناجى بفرائضك.

---

(١) فى القرآن الكريم: ﴿لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم﴾ هذا هو موضع داود عليه السلام. وقال ﴿على لسان داود﴾ فيكون اللاعن غير داود وغير الله. وهو محمد نفسه.

ز

اذكر لعبدك القول الذى جعلتنى أنتظره. هذه هى تعزيتى فى مذلتى. لأن قولك أحيانى. المتكبرون استهزأوا بى إلى الغاية. عن شريعتك لم أمل. تذكرت أحكامك منذ الدهر يا رب فتعزيت. الحمية أخذتنى بسبب الأشرار تاركى شريعتك. ترنيمات صارت لى فرائضك فى بيت غربتى. ذكرت فى الليل اسمك يا رب وحفظت شريعتك. هذا صار لى لأنى حفظت وصاياك.

ح

نصيبى الرب. قلت لحفظ كلامك. ترضيت وجهك بكل قلبى. ارحمنى حسب قولك. تفكرت فى طرقى، ورددت قدمى إلى شهاداتك. أسرعت ولم أتوان لحفظ وصاياك. حبال الأشرار التفت على. أما شريعتك فلم أنسها. فى منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك. رفيق أنا لكل الذين يتقونك ولحافظى وصاياك. رحمتك يا رب قد ملأت الأرض. علمنى فرائضك.

ط

خيرا صنعت مع عبدك يا رب حسب كلامك. ذوقا صالحا ومعرفة علمنى لأنى بوصاياك آمنت. قبل أن أذلل أنا ضللت. أما الآن فحفظت قولك. صالح أنت ومحسن. علمنى فرائضك. المتكبرون قد لفقوا على كذبا. أما أنا فبكل قلبى أحفظ وصاياك. سمن مثل الشحم قلبهم. أما أنا فبشريعتك أتلذذ. خير لى أنى تذللت لكى أتعلم فرائضك. شريعة فمك خير لى من ألوف ذهب وفضة.

ى

يداك صنعتانى وأنشأتانى. فهمنى فأتعلم وصاياك. متقوك يروننى فيفرحون لأنى انتظرت كلامك. قد علمت يا رب أن أحكامك عدل وبالحق أذللتنى. فلتصر رحمتك لتعزيتى حسب قولك لعبدك. لتأتنى مراحمك فأحيا لأن شريعتك هى لذتى. ليخز المتكبرون لأنهم زورا افتروا على. أما أنا فأناجى بوصاياك. ليرجع إلى متقوك وعارفو شهاداتك. ليكن قلبى كاملا فى فرائضك لكيلا أخزى.

ك

تاقت نفسى إلى خلاصك. كلامك انتظرت. كلت عيناى من النظر إلى قولك فأقول متى تعزينى. لأنى قد صرت كزق فى الدخان. أما فرائضك فلم أنسها.

كم هى أيام عبدك. متى تجرى حكما على مضطهدى. المتكبرون قد كروا لى حفائر. ذلك ليس حسب شريعتك. كل وصاياك أمانة. زورا يضطهدوننى. أعنى. لولا قليل لأفنونى من الأرض. أما أنا فلم أترك وصاياك. حسب رحمتك؛ أحينى فأحفظ شهادات فمك.

ل

إلى الأبد يا رب كلمتك مثبتة فى السموات. إلى دور فدور أمانتك. أسست الأرض فثبتت. على أحكامك ثبتت اليوم لأن الكل عبيدك. لو لم تكن شريعتك لذتى لهلكت حينئذ فى مذلتى. إلى الدهر لا أنسى وصاياك لأنك بها أحييتنى. لك أنا فخلّصنى لأنى طلبت وصاياك. إياى انتظر الأشرار ليهلكونى. بشهاداتك أفطن. لكل كمال رأيت حدا. أما وصيتك فواسعة جدا.

م

كم أحببت شريعتك. اليوم كله هى لهجى. وصيتك جعلتنى أحكم من أعدائى لأنها إلى الدهر هى لى. أكثر من كل معلمى تعقلت؛ لأن شهاداتك هى لهجى. أكثر من الشيوخ فطننت؛ لأنى حفظت وصاياك. من كل طريق شر منعت رجلى لكى أحفظ كلامك. عن أحكامك لم أمل لأنك أنت علمتنى. ما أحلى قولك لحنكى أحلى من العسل لفمى. من وصاياك أتفطن. لذلك أبغضت كل طريق كذب.

ن

سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى. حلفت فأبره أن أحفظ أحكام برك. تذللت إلى الغاية. يا رب أحينى حسب كلامك. ارتض بمندوبات فمى يا رب وأحكامك علمنى. نفسى دائما فى كفى. أما شريعتك فلم أنسها. الأشرار وضعوا

لى فخما. أما وصاياك فلم أضل عنهـا. ورثت شهاداتك إلى الدهر لأنها هى بهجة قلبى. عطفتُ قلبى لأصنع فرائضك إلى الدهر. إلى النهاية.

س

المتقلبين أبغضت وشـريعتك أحببت. سـترى ومجنى أنت. كلامك انتظرت. انصرفوا عنى أيهـا الأشرار فأحفظ وصايـا إلهى. اعضدنى حسب قولك فـأحيا ولا تخزنى من رجائى. أسندنى فأخلص وأراعى فرائضك دائمـا. احتقرت كل الضالين عن فرائضـك لأن مكرهم باطل. كزغل عـزلت كل أشرار الأرض. لذلك أحـببت شهاداتك. قد اقشعر لحمى من رعبك. ومن أحكامك جزعت.

ع

أجريت حكما وعدلا. لا تسلمنى إلى ظالمى. كن ضامن عـبدك للخير لكيلا يظلمنى المستكبـرون. كلّت عيناى اشتياقا إلى خـلاصك وإلى كلمة برك. اصنع مع عبدك حسب رحمتك. وفرائضك علمنى. عـبدك أنا. فهمنى فأعرف شهاداتك. إنه وقت عمل للرب. قد نقضوا شريعتك. لأجل ذلك أحببت وصاياك أكثر من الذهب والإبريز. لأجل ذلك حسبت كل وصاياك فى كل شئ مستقيمة. كل طريق كذب أبغضت.

ف

عجيبة هى شـهاداتك لذلك حفظتها نفسى. فتح كلامك يـنير يعقل الجهال. فغرت فـمى ولهثت لأنى إلى وصاياك اشتـقت. التفت إلى وارحمنى كـحق محبى اسـمك. ثبت خطواتى فى كلمـتك ولا يتسلط علـى إثم. افدنى من ظلم الإنسـان فأحفظ وصـاياك. أضئ بوجهك على عبدك وعلمنى فرائضك. جـداول مياه جرت من عينى؛ لأنهم لم يحفظوا شريعتك.

ص

بار أنت يا رب وأحكامك مستقيمة. عدلا أمرت بشهاداتك وحقا إلى الغاية. أهلكتنى غيرتى لأن أعدائى نسوا كلامك. كلمتك ممحصة جدا وعبدك أحبها. صغير أنا وحقير. أمـا وصاياك فلم أنسها. عدلك عدل إلى الدهر وشـريعتك حق. ضيق

وشدة أصابانى أما وصاياك فهى لذاتى. عادلة شهاداتك إلى الدهر. فهمنى فأحيا.

ق

صرخت من كل قلبى. استجب لى يا رب. فرائضك أحفظ. دعوتك. خلصنى فأحفظ شهاداتك. تقدمت فى الصبح وصرخت. كلامك انتظرت. تقدمت عيناى الهزع لكى ألهج بأقوالك. صوتى استمع حسب رحمتك. يا رب حسب أحكامك أحينى. اقترب التابعون الرذيلة. عن شريعتك بعدوا. قريب أنت يا رب وكل وصاياك حق. منذ زمان عرفت من شهاداتك أنك إلى الدهر أسستها.

ر

انظر إلى ذلى وأنقذنى لأنى لم أنس شريعتك. أحسن دعواى وفكنى. حسب كلمتك أحينى. الخلاص بعيد عن الأشرار لأنهم لم يلتمسوا فرائضك. كثيرة هى مراحمك يا رب. حسب أحكامك أحينى. كثيرون مضطهدى ومضايقى. أما شهاداتك فلم أمل عنها. رأيت الغادرين ومقت لأنهم لم يحفظوا كلمتك. انظر أنى أحببت وصاياك. يا رب حسب رحمتك أحينى. رأس كلامك حق وإلى الدهر كل أحكام عدلك.

ش

رؤساء اضطهدونى بلا سبب. ومن كلامك جزع قلبى. أبتهج أنا بكلامك كمن وجد غنيمة وافرة. أبغضت الكذب وكرهته. أما شريعتك فأحببتها. سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك. سلامة جزيلة لمحبى شريعتك وليس لهم معثرة. رجوت خلاصك يا رب ووصاياك عملت. حفظت نفسى شهاداتك وأحبها جدا. حفظت وصاياك وشهاداتك لأن كل طرقى أمامك.

ت

ليبلغ صراخى إليك يا رب. حسب كلامك فهمنى. لتدخل طلبتى إلى حضرتك. ككلمتك نجنى. تنبع شفتاى تسبيحا إذا علمتنى فرائضك. يغنى لسانى بأقوالك لأن كل وصاياك عدل. لتكن يدك لمعونتى لأننى اخترت وصاياك. اشتقت

إلى خلاصك يا رب وشريعتك هى لذتى. لتحى نفسى وتسبحك. وأحكامك لتعنى. ضللت كشاة ضالة. أطلب عبدك لأنى لم أنس وصاياك» (المزمور ١١٩)

***

لاحظ:

١ ـ الحروف الأبجدية العبرانية من أول الألف إلى حرف التّاء. وتذكّر بدء سورة الشورى.

٢ ـ والمتكلم فى هذا المزمور هو محمد ﷺ بظهر الغيب. وقد بينا هذا فى كتابنا «البداية والنهاية لأمة بنى إسرائيل»

***

وفى سورة يوسف:

يقول الله تعالى:

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾

البيان:

عبر عن اليهود بلفظ الناس فقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ وكرر هذا المعنى فى

أكثر من سورة. ومنها سورة الرعد. وقال: إن أكثرهم مشركون؛ فإنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله. وأيضا: يوالون الأمم الوثنية، ويتخذونهم أولياء من دون الله. وهددهم بالعذاب فى موضعين. الموضع الأول: أن ينالهم جزء من عذاب الله الموعودون به فى يوم الرب وغيره مثل هزيمتهم فى غزوة خيبر. والموضع الآخر: أن ينالهم العذاب كله بغتة وهم لا يشعرون فى الساعة التى تكلم عن هلاكهم فيها عيسى عليه السلام. (متى ٢٤: ٣٦) وختم التهديد بقوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾

***

وفى سورة الرعد:

يبين الله تعالى أن أكثر اليهود لا يؤمنون بالقرآن الذى أنزله على محمد ﷺ مع أنه هو الحق. ثم ذكر دلائل على قدرته وعقب عليها بقوله لليهود: ﴿لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ والمراد باللقاء: لقاؤهم للنبى وأصحابه النائبين عن الله فى يوم الرب؛ لأن الحرب من أجل التمكين لشريعته.

ثم تعجب من قولهم: ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ؟﴾

والمعنى: هل إذا تركنا الشريعة القديمة التى بها نحن أحياء. والترك موت مجازا. هل نبعث خلقا جديدا على شريعة جديدة؟ ورد بقوله: إنكم إذا لم تموتوا عن الشريعة القديمة لتحيوا على الشريعة الجديدة فإنكم؛ تكونون كفارا بالاثنتين. ولذلك تستحقون الهلاك فى يوم الرب بوضع الأغلال فى أعناقكم. وتستحقون الخلود فى النار.

وقال لمحمد ﷺ: إن هؤلاء الكفار من اليهود يستعجلونك بأن تهلكهم. والغرض من الاستعجال: أنهم يستبعدون الإهلاك ويقولون: ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾؟ ولماذا الاستعجال وقد رأوا بأعينهم مصارع أمثالهم من المكذبين؟ ومع ذلك فإن اليهود لو تابوا؛ فإنى أغفر لهم وأرحمهم، وإن لم يتوبوا؛ فإن عقابى لشديد، فى يوم الرب

ثم قال عن اليهود: إنهم يدعون من دونه شركاؤهم من الأمم لينصروهم على محمد وأصحابه فى يوم الرب. والأمم لن تنصرهم. ثم يقول له: قل لهم إن رب السموات والأرض هو الله، وإنكم إن اتخذتم من دونه من الوثنيين أولياء لتنتصروا بهم؛ فإنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا. ومن لا يملك لنفسه لا يملك لغيره.

وبعد كلام طويل. بين أن المصائب سيتوالى نزولها على اليهود الكافرين به حتى يأتى وعد الله بإهلاكهم فى يوم الرب ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾

***

وفى سورة إبراهيم:

يقول الله تعالى:

﴿الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾

البيان:

فى كتاب التوراة: أن الله سيرسل لليهود نبيا مثل موسى؛ ليكلمهم بكل ما يوصيه الله به. ذلك قوله: «أقيم لهم: نبيا. من وسط إخوتهم. مثلك. وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به» (تث ١٨ : ١٨) وفى كتاب القرآن: **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾** وفى بدء هذه السورة يقول ما معناه: إنا أنزلنا إليك كتابا. الغرض منه: إخراج الناس من الظلمات إلى النور. والمراد بالناس: اليهود، وقد وصف التوراة بقوله: إنها كانت﴿نورا وهدى للناس﴾ إلى زمان سبى بابل. وهو زمان حرف فيه بنو إسرائيل التوراة عمدا. وبالتحريف صارت ظلمات. ويوضح ذلك: أن شرائعها فى البدء كانت تنهى عن ظلم الأممى، وتساويه باليهودى فى الوقوف أمام الله، وتحرم سفك دمه، ونهب أمواله وهتك عرضه، بل كانت تحث

اليهود على الجهاد فى سبيل الله لمنع عبادة الأوثان. ومعنى الجهاد: هو جذب الأممى إلى الله ليعيش فى نور الشريعة. وليترك العيش فى ظلمات شرائع الأمم الوثنية. فلما قعدوا عن الجهاد، وظلموا الأمم، ومنعوا عنهم نور الشريعة؛ صاروا فى ضلال بعيد، وصارت الشريعة المحرفَة ظلمات لا أنوار. وفى القرآن ما يدل على ذلك. ومنه: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

وفى التوراة ما يدل على ذلك، ومنه: «لا تقرض أخاك بربا. ربا فضة أو ربا طعام، أوربا شىء ما مما يقرض بربا. للأجنبى تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا؛ لكى يباركك الرب إلهك فى كل ما تمتد إليه يدك فى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها» (تث ٢٣: ١٩ ــ ٢٠)

وذكر الله أوصاف اليهود فقال: إنهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة والمعنى: إنهم يستحبون شريعة الحياة الأولى. وهى التوراة، على شريعة الحياة الآخرة. وهى القرآن. فإنهما شريعتان لمدتين من الزمان. الشريعة الأولى لمدة بركة إسحق. وبدأت من موسى والشريعة الآخرة لمدة بركة إسماعيل. وبدأت من محمد. وكما صدوا عن التوراة من بعد سبى بابل. هم فى حياة محمد ﷺ يصدون عن القرآن. وعبر بالمضارع المفيد للدوام والاستمرار للدلالة على أنهم مستمرون فى الصد.

وهدد بالعذاب فقال: ﴿ولئن كفرتم إن عذابى لشديد﴾

وبعدما تكلم عن الأمم السابقة عليهم ووضح أنه أرسل إليهم الرسل. تكلم عن رسل محمد ﷺ إلى اليهود الكافرين به. وهم أصحابه. فقال:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ

لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾

البيان:

كان اليهود يحكمون على شبه الجزيرة العربية؛ لأن بركة إسحق هم يعيشون فيها. وهى ملك من أجل التمكين لشريعة. ولهم حق الحكم على العرب فى أى قرية يكونون فيها إلى أن تنتهى مدة بركة إسحق الحاملين لها، وتبدأ مدة بركة إسماعيل من محمد ﷺ وعند مبعثه لا يكون لليهود ملك ولا شريعة. وقد كلمهم نفر من أصحاب محمد ﷺ بالقرآن وعرفوا ما فيه. فلما عرفوا ما فيه. وهو أنهم سيخرجون من الأرض قالوا لرسلهم الذين أرسلهم إليهم محمد ﷺ: لن نخرج من الأرض؛ لأنها أرضنا بحكم البركة، ومحمد ليس هو النبى المنتظر حتى نترك له أرضنا. وإن أنتم اتبعتم محمدا. فإننا سنحاربكم ونخرجكم من أرضنا، وسنمنع ملككم عليها. أو تكونون معنا فى أرضنا تحت الجزية حيث بدأتمونا بالحرب، وترجعون إلى اليهودية وتتركون الإسلام.

وردت عليهم الرسل بأنكم ستهلكون من الآن، وفى يوم الرب؛ طبقا لما فى القرآن وإننا نحن الوارثون للأرض.

وكان علماء اليهود يقولون لليهود عن طريق التوراة من قبل مبعث محمد رسول الله ﷺ : إننا سنفتح بلاد الأمم وسنملك عليها إذا بعث فينا النبى الأمى المماثل لموسى عليه السلام وقد رد عليهم الله بقوله ﴿فقد جاءكم الفتح﴾ أى بعث النبى. فاستفتحوا ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾

وقد استفتحوا فى حياة النبى ﷺ على معنى إعادة فتح، لا إنشاء فتح. فإنهم كانوا يملكون على شبه الجزيرة العربية، وغيرها. ولما شاهدوا النبى ﷺ يجمع حوله الأصحاب والأنصار؛ لاقوه فى معركة حربية هى معركة بدر ليحكموا قبضتهم على البلاد. وكانت نتيجة هذه المعركة: هزيمة اليهود، المعبر عنهم بالذين كفروا. وأخذ المسلمون جزءا من الأرض، اقتطعوه من أملاك اليهود. ذلك قوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾

***

وكتّاب السيرة عكسوا هذا المعنى. بقولهم: إن غزوة بدر كانت مع كفار مكة.

ومن يقرأ الآيات التى قبل الغزوة وبعدها يعلم أنها كانت بين النبى وبين اليهود. فإنه تكلم عن أهل الكتاب. وقال: ﴿إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا. وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ والأموال والأولاد والخلود فى النار صفات لازمة فى اليهود. ثم نهى عن اتخاذ بطانة منهم، وبين أنهم لا يؤمنون بالكتاب كله. وهو التوراة. لأنهم لو آمنوا به كله؛ لدخلوا فى دين الإسلام. لأن التوراة لا تكمل إلا به. إذ فيها النص على الإيمان به إذا جاء. فحتى مجيئه لا يعملون بها كلها.

فإذا جاء وآمنوا به وسمعوا لكلامه؛ يكونون مؤمنين بالكتاب كله. ووصفهم بالنفاق. إذا لقوا المسلمين قالوا آمنا، وإذا انفردوا؛ حسدوهم. ثم تكلم عن غزوة بدر وبين أن الملائكة نزلت فيها نزولا حسيا جسديا لنصرة المسلمين. كما هو فى نشيد موسى. عن نصرة محمد بالملائكة. وهذا يبين لليهود أنه هو النبى المكتوب عنه فى التوراة. وختم الكلام بقوله: ﴿ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين﴾ وبقوله: ﴿هذا بيان للناس﴾ أى اليهود ليسلموا.

ثم تكلم عن ظهور اليهود والأمم فى يوم الرب لحرب المسلمين، وبين أن الضعفاء وهم اليهود وأن الذين استكبروا وهم الأمم التى كانت تملك على بلادهم؛ كلهم جميعا سيلاقون الفناء التام. وهذا الحوار مكرر فى أكثر من سورة. والغرض

منه: أن لا يحتج اليهود ساعة الهلاك بأنهم كانوا مغلوبين على أمرهم خاصة من المملكة الرومانية. فقال تعالى:

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

وعاد إلى الكلام عن المخاصمة بين اليهود والأمم فى يوم الرب فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ والمعنى: أن التوراة كانت نعمة، ولكنها كانت نعمة ناقصة. إذ فيها حكم فقهى هو أنهم يؤمنون بنبى سيأتى مثل موسى. هو محمد ﷺ فحتى مجيئه عملوا بأحكامها كلها إلا حكم السماع من هذا النبى. وبذلك يصير عملهم بها غير كامل. فتكون التوراة نعمة ناقصة، فإذا بعث هذا النبى تتم به النعمة. وهذا هو معنى ﴿وأتممت عليكم نعمتى﴾ فلما تمت النعمة بدلها اليهود من إسلام عليها إلى كفر بها. وأضلوا قومهم وأوردوهم موارد التهلكة. وسيكون هلاكهم فى يوم الرب موصلا إلى جهنم. وكذبوا على الله بقولهم: إن الذين استكبروا وهم الحاكمون علينا هم الذين أضلونا ورد بقوله: أنتم الذين جعلتم لله أندادا لتنتصروا بهم على عبادى. وأنتم والأمم مصيركم إلى الهلاك فى يوم الرب. والهلاك سيوصلكم إلى النار. ثم خاطب الله نبيه أن يقول لعباده اليهود الذين قد أسرفوا على أنفسهم: إننى أحذركم من يوم الرب ﴿يوم لا بيع فيه ولا خلال﴾ وإذا أرادوا النجاة من هَوْله؛ فعليهم أن يقيموا

الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية.

وفى سورة إبراهيم:

يقول الله تعالى:

﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

البيان:

المراد بالناس: اليهود خاصة. والإنذار: لابد أن يعقبه هلاك. وهو ههنا ينذر اليهود بيوم معروف لهم يأتيهم فيه العذاب المعهود إذا كفروا بمحمد ﷺ. واليوم المعهود لهم هو يوم الرب العظيم. وسوف يكونون فى هذا اليوم على قسمين. قسم سيؤمن وينضم إلى شعب محمد ﷺ وقسم سيظلم نفسه بالكفر به. وهؤلاء الظالمون لأنفسهم إذا رأوا العذاب سيقولون بلسان الحال: ﴿ربنا أخرنا إلى أجل قريب﴾ وعللوا الطلب بقولهم بلسان الحال: أبلغتنا دعوتك وهى القرآن. عن طريق أصحاب هذا النبى وقد تأكدنا من صحتها حين رأينا العذاب؛ فأعطنا مهلة ﴿نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾

ورد الله عليهم بقوله لهم بلسان الحال:

١ ـ ﴿أو لم تكونوا أقسمتم من قبل: ما لكم من زوال﴾؟

وبيان قسمهم: هو أن اليهود كتبوا فى كتبهم: أن الله أقسم لداود عليه السلام أن يظل نسله حاكما على «أورشليم» إلى الأبد[1]. ومعنى أن يظل نسله حاكما إلى يوم القيامة: هو أن لا يكون لبنى إسماعيل ملك عليها. والملك لا يكون إلا للتمكين للشريعة، والشريعة لا تكون إلاّ من نبى. وعلى هذا فإن قسمه الذى نسبوه زورا إلى الله. معناه فى نظرهم: إنكار نبوة محمد ﷺ وإنكاره معناه: أن ملكهم لا يزول من فلسطين، وأن شريعتهم لا تنسخ. والله لا يريد ذلك لأنه استجاب دعاء إبراهيم فى إسماعيل، وجعله مباركا. وإذا أقسم لداود ببقاء الملك فى نسله؛ يكون مخلفا وعده. وهذا لا يليق بذاته المقدسة.

٢ ـ ﴿وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم، وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾

وبيان ذلك: أن أهل فلسطين الذين فتح بنو إسرائيل بلادهم. أيام طالوت وداود ـ عليهما السلام ـ كانوا عبّاد أصنام. وعبادة الأصنام ظلم للنفس. ولعبادتهم للأصنام؛ نصر الله بنى إسرائيل عليهم، ومكنهم من الملك على بلادهم لتعليم التوراة. ففى سفر صموئيل الأول: «ولما نظر الفلسطينى ورأى داود؛ استحقره... ولعن الفلسطينى داود بآلهته... فقال داود للفلسطينى: أنت تأتى إلىّ بسيف وبرمح وبترس. وأنا آتى إليك باسم رب الجنود، إله صفوف إسرائيل» (١ صم ١٧) ونتج عن هذه المعركة: سكنى بنى إسرائيل فى أرض فلسطين إلى أن جاء الإسلام وأخرجهم منها فى يوم الرب بالقتل والسبى.

٣ ـ ﴿وضربنا لكم الأمثال﴾:

فى القرآن الكريم: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ

(١) نص المزمور التاسع والثمانين الذى فيه القسم؛ مكتوب فى هذا الكتاب. وهذا الموضع له صلة بما فى سورة البلد.

شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

وفى الأناجيل أمثلة كثيرة لملكوت السموات. وهو ملكوت محمد ﷺ الذى سيتأسس عقب زوال مملكة الروم التى أنبأ عن زوالها على يديه النبى دانيئال فى الأصحاح الثانى والسابع والتاسع من سفره. ومن هذه الأمثال: «وقال بماذا نشبه ملكوت الله؟ أو بأى مثل نمثّله؟ مثل حبة خردل. متى زرعت فى الأرض؛ فهى أصغر جميع البزور التى على الأرض، ولكن متى زُرعت؛ تطلع وتصير أكبر جميع البقول، وتصنع أغصانا كبيرة حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها» (مرقس ٤ : ٣٠ ـ ٣٢) وهذا هو مثل الأمة الإسلامية فى الإنجيل.

ثم قال: ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾

يعنى بالوعد: الوعد بمجئ محمد ﷺ الذى أنبأ عن مجيئه رسل الله من إبراهيم إلى عيسى ـ عليهم السلام ـ

وسوف يتحقق هذا الوعد **﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾** كناية عن تبديل شريعة التوراة بشريعة القرآن. والتبديل على الحقيقة: تبديل جسم بجسم. كمن يبدل ثوبا بثوب أو قلما بقلم. وما شابه ذلك. والتبديل على المجاز: هو تبديل معنى بمعنى أو فكر بفكر. وما شابه ذلك. فمن سمع قولا هو حق. وأدّاه بغير ما سمعه فإنه مع كذبه يقال عليه: إنه بدل معنى بمعنى. وإذا كانت مملكة من الممالك تؤمن بالشيوعية ـ مثلا ـ وتطبقها على رعاياها. ثم بدلتها بفكر اشتراكى أو رأسمالى. يقال: إنها بدلت فكرا بفكر.

ومن الأساليب المستحسنة فى هذا المعنى: أن يقال: إن نظام العالم قد تبدل. على معنى أنه قد تغير فكر الناس، وتغيرت أعمالهم تبعا للفكر الجديد. وفى هذا المعنى يقال على أسلوب الكناية: تبدلت الأرض. أى تبدل عمل سكان الأرض. من عمل على قوانين إلى عمل على قوانين غيرها. فقوانين العبيد التى كانت سائدة فى الأرض، لما تبدلت بقوانين إلغاء العبيد. قيل على أن الناس بدلوا القوانين القديمة

بالقوانين الجديدة: إن الأرض تبدلت. يعنون قد تغير نظامها.

وقد جاء فى التوراة فى سفر إشعياء: أن «النبى الأمى الآتى على مثال موسى عليه السلام» إذا أتى؛ فإن الأرض ستتبدل. ومعنى تبديلها: أن سكان الأرض ستتبدل أعمالهم من عمل بشريعة موسى إلى عمل بشريعة هذا النبى. ففى الأصحاح السادس والستون. وهو يتكلم عن حشر الأمم فى يوم الرب: «لأنه كما أن السموات الجديدة والأرض الجديدة **التى أنا صانع** تثبت أمامى. يقول الرب. هكذا يثبت نسلكم واسمكم. ويكون من هلال إلى هلال، ومن سبت إلى سبت: أن كل ذى جسد يأتى ليسجد أمامى. قال الرب»

يعنى بالسموات الجديدة والأرض الجديدة التى سيصنعها: الأمة الآتية بدل شعب اليهود لتدعو إلى الله.

وفى رسالة بطرس الثانية: «أى أُناس يجب أن تكونوا أنتم فى سيرة مقدسة، وتقوى. منتظرين وطالبين سرعة مجئ يوم الرب، الذى به تنحل السموات ملتهبة، والعناصر محترقة؛ تذوب. ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة، وأرضا جديدة؛ يسكن فيها البِرّ» (٢ بط ٣: ١١ ـ ١٣)

ومن معنى كلامه: هو أ ـ أن يوم الرب لم يكن إلى زمنه قد ظهر. ب ـ وأنه يوم شديد وقعه على اليهود والأمم. وكنّى عن شدة وقعه بالتهاب السموات. ج ـ وأن الله وعد به، ويجب على كل إنسان أن لا يحسب أن الله مخلف وعده د ـ وأن شريعة جديدة ستظهر. تبدل نظام العالم، وكنّى عن تبديل نظام العالم بمجىء سموات جديدة وأرض جديدة. يسكن فيها البِرّ.

وقوله تعالى: **﴿وبرزوا لله الواحد القهار﴾** أى ظهروا لحرب نبى الله القادر على كل شئ. وهذا يذكرنا بفتح طالوت عليه السلام للأرض المقدسة. فإن من جنوده من برزوا لجالوت وجنوده. وبنو إسرائيل فى ذاك الزمان دعاة مخلصون إلى الله. وأهل فلسطين مع الشيطان. وفى يوم الرب يتبدل الحال. فيكون اليهود مع الشيطان، وبنو إسماعيل دعاة مخلصون إلى الله. ومثلما انتصر الدعاة فى ذاك الزمان على أولياء

الشيطان، ينتصر الدعاة فى يوم الرب على اليهود. ولماذا يبرزون لنبى الله الواحد القهار؟ ليس إلا للصد عن سبيل الله. وقوله تعالى ﴿وترى المجرمين﴾ أى اليهود ﴿يومئذ﴾ يوم الرب ﴿مقرنين فى الأصفاد﴾ هو تعبير كنائى يدل على هزيمتهم على يد المسلمين. وهذه التعابير شائعة فى لغة العرب والعبريين أيضا. فلسان الدين بن الخطيب يقول:

فى ليال كتمتْ سرّ الهوى بالدجى. لولا شموس القمر
مال نجم الكأس فيها وهوى(١) مستقيم السير، سعد الأثر
وطر. ما فيه من عيب. سوى أنه مر ﴿كلمح البصر﴾

والليالى لا تكتم سرا. لا بالليل ولا بالنهار. وليس للكأس نجم حتى يميل أو يهوى إلى الأرض.

وقوله ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ هو كناية عن شدة العذاب فى يوم الرب. وعبر عنه بالنار لشدته. كما قال يحيى عليه السلام عن حروب محمد ﷺ: «هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذى رفشه بيده، وسينقى بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ» وعبر بالوجه لأنه أشرف أعضاء الإنسان. وغشيان وجوههم مكرر فى القرآن كثيرا. ومنه ﴿يوم يغشاهم العذاب﴾ - ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ - ﴿فأغشيناهم؛ فهم لا يبصرون﴾ على معنى أن العذاب لما أحاط بهم كالدخان؛ لم يبصروا طريقا للخروج من مكان المعركة. وتعبر اللغة العربية بضد ذلك عن الرحمة على سبيل الكناية. ومنه:

ارحم بَنِىَّ جميع الخلق كلهم وانظر إليهم بعين اللطف والشفقه
وقِّر كبيرهم، وارحم صغيرهم وراع فى كل خلق حَقَّ من خلقه

ويجمع معنى كل ما قلنا:

ولكن إذا حمّ القضاء على امرئ فليس له برّ؛ يقيه ولا بحر

(١) قال الله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى﴾

وقولـه: ﴿هذا بلاغ للناس﴾ معناه: إعـلام لليهـود بأمر سـيحـدث لهم فى المستـقبل. وقـوله: ﴿ولينذروا به﴾ يدل على توقع هلاك لهم بعـد الإنذار. وقوله: ﴿وليذكر أولو الألبـاب﴾ معناه: أن هذا الخبر مكتوب عـنه فى التوراة وفى الإنجيل. وهو يذكرهم به، لا أنه ينشئه إنشاء. كما يقول لسان الدين بن الخطيب:

كـــان فى اللوح لـه مكتـــتـــبـــا قـــوله: ﴿إن عـــذابى لشـــديد﴾

وفى النص القرآنى قرائن تدل على أن هذا العذاب فى الدنيا. منها:

١ ـ أنه يتحدث عن جماعة سكنوا مـكان جماعة. ويقول: إن العذاب للذين سكنوا مؤخـرا. ولو كان هذا العذاب فى يوم القيـامة لعبر بما يـفيد اشتراك الـقدماء والمحدثين فى العذاب.

٢ ـ وأن هذه الجماعة المنذَرة بالعذاب أقـسمت أنها ليس لها من زوال. وليس إلا اليهود هم الذين أقسموا. كما هو واضح من سفر الزبور. ففى التاسع والثمانين:

«مرّة حلفت بقـدسى: أنى لا أكذب لداود. نسله إلى الدهر يكون، وكرسـيه كالشمس أمامى. مثل القمـر يثبّت إلى الدهر. والشاهد فى السماء أمين» (مز ٨٩: ٣٥ ـ ٣٧) وإذا كان هو الحالف؛ فإنه لا يكون هو الشاهد.

***

وفى سورة الحجر:

يقول الله تعالى

﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾

البيان:

يخبـر عن اليهود الكـافرين بأنه ربما يأتى اليوم الذى فـيه يسلمـون ويعملون بالقرآن.

وفى سورة التـوبة أن الثلاثة الذين خلفوا سـتضيق عليـهم الأرض بما رحبت لكثرة المسلمين فيها فى ذاك الزمان، ولن يكون أمامهم إلا الدخول فى دين الإسلام.

وفى سورة النصر يعبر عن اليهود بالناس ويقول: إذا رأيت الناس وهم اليهود خاصة يدخلون فى الإسلام فاعلم أنه قد جاء المنتهى. وليس الخطاب له ﷺ وإنما الخطاب لكل المسلمين فى شخصـه. ذلك قوله تعالى: **﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾**

والثلاثة الـذين خلفوا عن نصـرة المسلمين من نسل إبراهيم عليه السلام هم اليـهود والنصارى والصـابئون. وكان من الواجب عليهـم نصرة المسلمين لأنهم جميـعا من عشيرة إبراهيم عليه السلام ويعرفون من كتبهم أن محمدا رسول الله (تثنية ١٨: ١٥ ـ ٢٢ مزمور ٢ يوحنا ١+)

ثم هدد اليهود فقال: ﴿فسوف يعلمون﴾ ما يحدث لهم فى يوم الرب الآتى. وأكد على هلاكهم بقدرته على هلاك من قبلهم، وأن لكل أمة أجلا لا تعدوه.

وحكى وصفـهم لرسول الله بالجنون. وأنه لو كان صادقـا لحاربهم بالملائكة؛ لأن من أوصافـه فى نشيـد موسى أن تنصره المـلائكة الحقيـقيـون على أعدائه. ورد بقوله: إذا نزلت الملائكة فلن تنأوا عن العـذاب. ذلك قوله تعالى: **﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ⑥ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ⑦ مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ﴾**

وبين الله تعالى للعالم أجمع: أنه أنزل التوراة على موسى عليه السلام وأنه قفّى من بعده بالرسل. وأن الوحى الذى أنزله على مـوسى والأنبياء؛ ليعـرّف بمحمد ﷺ ويُخبر به؛ سيضعه فى القرآن وسـيحفظه من الضياع. ذلك قوله تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ**

﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فى القرآن:

وعبر الله عن اليهود بقوله إنهم هم ﴿المستقدمين﴾ وهم من كانوا فى الزمان من موسى ﷺ إلى محمد ﷺ لقوله ﴿منكم﴾ ولم يقل عن المستأخرين إنهم منهم. وعبر الله عن المسلمين بقوله إنهم هم ﴿المستأخرين﴾ وقال عن المستقدمين: إنه سيحشرهم، ولم يقل عن المستأخرين إنه سيحشرهم. وذلك لأنه يتكلم عن حشر اليهود فى يوم الرب للهلاك. ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾

وقال الله بعد ذلك عن اليهود:

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ (٥٠) وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾

وفى سورة الدخان. وصف الله اليهود الأوائل بأنهم عباد الله فى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨) وَأَن لاَّ تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾

وفى سورة الزمر. وصف الله اليهود المعاصرين بأنهم عباده وقد أسرفوا على أنفسهم وقال لهم: توبوا ولا تقنطوا من رحمة الله من قبل أن يأتيكم العذاب فى يوم الرب، ثم لا تنصرون. ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

وهذا المعنى موجود فى سفر يوئيل. عند الكلام على يوم الرب. وهو: «ولكن الآن يقول الرب ارجعوا إلىّ بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح. ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم، وارجعوا إلى الرب إلهكم؛ لأنه رءوف رحيم. بطيء الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر؛ لعله يرجع ويندم فيبقى وراءه بركة تقدمة وسكيبا للرب إلهكم» (يؤ ٢: ١٢ ـ ١٤)

وفى نهاية السورة يؤكد على الساعة أنها آتية ويقول له: إذ هى آتية؛ فعليك بالصبر والعفو؛ لأن العقاب سيكون فى معركة الساعة.

وحثه على أن ينذرهم بالعذاب بأسلوب واضح. وكرر التهديد بقوله: ﴿فسوف يعلمون﴾ وختم السورة بقوله للمسلمين فى شخص النبى ﷺ ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ أى اعبدوا الله حتى يتحقق خبرى بهلاكهم كما وعدت. ويقين الخبر يجعلكم على يقين من أنكم على الحق المبين. ذلك قوله تعالى:

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩) كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

***

وفى سورة النحل:

يقول الله تعالى لليهود:

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١) يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ (٢) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

البيان:

يتكلم عن استعجالهم العذاب الموعودون به من موسى عليه السلام على يد النبى الأمى الآتى مثله. فإنه قال فى أوصافه: إن من لا يسمع له حال ظهوره؛ يهلك من الشعب. وقد أكد الأنبياء على هذا الوعد، فتكلموا عن يوم الرب كثيرا. وقال دانيال: إن الهلاك مؤكد بعد المملكة الرابعة وهى المملكة الرومانية. فلماذا يستعجلونه وهو آت عما قريب؟

ففى دانيال بعد ذكر الممالك الأربعة فى رؤيا التمثال والحجر: «وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبدا، وملكها لا يترك لشعب آخر، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك. وهى تثبت إلى الأبد»

وهذا المعنى مكرر فى سور كثيرة. وقد حكى عنهم فى سورة هود استبعادهم له بقولهم: ﴿**مَا يَحْبِسُهُ**﴾؟

وقال فى سورة الحج: ﴿**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ**﴾

ثم قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ**﴾

البيان:

من هم الذين يدعون من دون الله؟ هم اليهود. والذين يدعونهم هم الأمم من أجل نصرتهم على المسلمين فى يوم الرب. وهؤلاء اليهود ﴿لا يخلقون شيئا وهم يخلقون﴾ ووصفهم بأنهم أموات. وحقا إنهم أموات لأن الشريعة التى كانوا أحياء بها وهى التوراة قد نسخت. والقرآن المكلفون به لم يدخلوا فيه مع الداخلين. وهم أموات فى نظر الله والراسخين فى العلم. أما فى نظرهم فإنهم يعتقدون بأن شريعة موسى ستبقى إلى يوم القيامة العامة من الأموات. وبقاؤها يدل على أنهم فى نظر أنفسهم أحياء، ولا بعث لهم على شريعة جديدة. فمتى يبعثون من بعد الموت

للمجازاة؟ ﴿لا يشعـرون أيان يبعثون﴾ أى لا يدرون باليوم الذى سيـدخلون فيه فى دين الإسلام، ويحمون به أنفسهم من عذاب الله.

والمراد بالآخرة فى قـوله ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ هى شريعـة القرآن فى مقابل الشريعـة الأولى وهى شريعة التوراة. ووصف اليهود بالاسـتكبار عن الدخول فيها. وحكى قول اليهود أنهم قالوا عن القرآن: ﴿أساطير الأولين﴾ فى قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم: مَّاذَا أَنزلَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾

ثم تكلم الله عن اليهود المعاصرين لمحمد ﷺ واليهود الذين كانوا من قبلهم فقال:

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (٢٦) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٧) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾

البيان:

الذين من قبل المعاصرين هم اليهود الأوائل. وقد أساءوا وأفسدوا؛ فسلط الله عليهم ملك بابل سنة ٥٨٦ ق.م فـقتل، وسبى، وأخرب أورشليم. وأشـار بالبنيان إلى الهيكل خاصة ــ بحسب اعتقادهم ــ لقوله فى سورة التوبة:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ

فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

ورجع إلى الكلام عن المعاصرين فقال: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٧) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾

ورجع إلى الكلام فى المقارنة بين المعاصرين والذين كانوا من قبلهم فقال:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾

البيان:

هل ينظر المعاصرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك؟ فإن فى توراة موسى أن الملائكة الروحانيين ينزلون من السماء لنصرة أصحاب النبى فى المعارك التى تدور بين أصحابه وبين اليهود. وذلك فى نشيد موسى وغيره. فإذا نزلت الملائكة يهلك اليهود. وإذا أتى أمر الله بالإهلاك؛ فإنه سيقع الهلاك. كما حدث فى أيام السبى البابلى. وقال عن اليهود المعاصرين: إنهم إشركوا مع الله. ولذلك سيهلكون. سواء أكان المنفذون للأمر ملائكة أم غير ملائكة. وقال: إن آباءهم الذين من قبلهم قد عصوا أمر الله وأطاعوا إله الهوى، المعبر عنه بإله آخر فى قول صاحب المزامير[1]: «أسرعوا وراء آخر» (مز ١٦ : ٤)

(١) مزمور ١٦ «احفظنى يا ألله لأنى عليك توكلت. قلت للرب: أنت سيدى. خيرى لا شىء غيرك. القديسون الذين فى الأرض والأفاضل كل مسرتى بهم. تكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء آخر. لا أسكب سكائبهم من دم. ولا أذكر أسماءهم بشفتى. الرب نصيب قسمتى وكأسى. أنت قابض قرعتى. حبال وقعت لى فى النعماء. فالميراث حسن عندى أبارك الرب الذى نصحنى. وأيضاً بالليل ==

وأشركوا مع الله فى التحريم وفى التحليل الربانيين والأحبار. وقالوا: إن الله يريد منا أعمالنا التى عملناها. فلماذا هو غاضب علينا؟ إننا ملنا إلى نصرة الأجانب، وملنا إلى المنفعة، فلم نحارب الأجانب وملكناهم علينا، مع أن الله أمرنا بأن لا نملكهم علينا حتى لا نعمل بأعمالهم، ونعبد آلهتهم (تث ١٧ : ١٥) وحرمنا على أنفسنا الأكل بالأيدى غير المغسولة، وتقاليد كثيرة (مرقس ٧: ١+)

وقد فعل الذين من قبلنا من آبائنا كما فعلنا: فأباحوا العمل المعتاد فى أمور المعاش فى يوم السبت، وغضب الله عليهم وجعلهم قردة خاسئين. واستعانوا بالأجانب وأخذوا منهن نساء، عابدات أوثان فأملن قلوبهن. كما هو مسطر فى سفر نحميا ١٣ . وفى أسفار الملوك.

وقولهم هذا عن أنفسهم وعن آبائهم يدل على أنهم يُجبرون من قبل الله على أفعالهم، وأنهم عملوها؛ لأنها مكتوبة عليهم فى اللوح المحفوظ من قبل أن يولدوا من بطون أمهاتهم. وقد رد الله على قولهم هذا بأنه أعطاهم الحرية المطلقة؛ تفضلا منه وكرما. حتى يفعلوا الفعل بإراداتهم. ورده عليهم؛ عليه شواهد من التوراة والإنجيل. فإن الجبر يعطّل الشريعة، والحرية تجبر الناس على العمل بها؛ لئلا يهلكوا.

وهذا هو نص التوراة على الحرية. وقد استدل به المسيح عيسى - عليه السلام -. ولغا بولس فى استدلاله به عليها.

«إن هذه الوصية التى أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك، ولا بعيدة منك. ليست هى فى السماء حتى تقول: من يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها، ولا هى فى عبر البحر، حتى تقول: من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا إياها؛ لنعمل بها. بل الكلمة قريبة منك جدا. فى فمك وفى قلبك؛ لتعمل بها» (تثنية ٣٠: ١١ ــ ١٤)

== تنذرنى كليتاى. جعلت الرب أمامى فى كل حين لأنه عن يمينى فلا أتزعزع. لذلك فرح قلبى وابتهجت روحى. جسدى أيضا يسكن مطمئنا. لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية. لن تدع تقيك يرى فسادا. تعرفنى سبيل الحياة. أمامك شبع سرور. فى يمينك نعم إلى الأبد» (مزمور ١٦).

ثم قال تعالى:

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾

البيان:

قد جاء فى سورتى البقرة وآل عمران اعتراف اليهود بالبعث من الأموات ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾

فيكون قسمهم بأن الله لا يبعث من يموت؛ مراد به: بعث غير بعث الأموات الحقيقى.

والبعث المراد ههنا: هو أنهم إذا تركوا شريعة موسى فإنه لا شريعة بعدها. عندهم. وعبر عن الترك بالموت على أسلوب الكناية. ورد بقوله: إننى وعدت ببعث على شريعة جديدة. أنزلها على النبى المماثل لموسى فى سفر التثنية ١٨ وأكثر اليهود لا يعلمون بهذا الوعد. وأنا قد وعدت بها على يد هذا النبى ﴿ليبين. . وليعلم﴾ أما البيان: فإنه ليحسم النزاع فى الأمور الخلافية، وأما العلم: فإنهم لما قالوا: لا شريعة ولا نبى؛ أردت أن أظهر للناس كذبهم فى قولهم هذا.

وحقا هم أقسموا بالله جهد أيمانهم أنه لا شريعة من بعد موسى، ولا ملك إلا فى نسل داود. فقد كتبوا فى المزمور ٨٩ عن داود عليه السلام[1]: «مرة حلفت بقدسى أنى لا أكذب لداود. نسله إلى الدهر يكون، وكرسيه كالشمس أمامى» ومعنى هذا

---

(١) المزمور ٨٩

«بمراحم الرب أغنى إلى الدهر لدور فدور أخبر عن حقك بفمى. لأنى قلت إن الرحمة إلى الدهر تبنى. السموات تثبت فيها حقك. قطعت عهدا مع مختارى. حلفت لداود عبدى إلى الدهر أثبت نسلك وأبنى إلى دور فدور كرسيك. سلاه. والسموات تحمد عجائبك يارب وحقك أيضا فى جماعة القديسين =.

القسم: أن الملك يظل فى اليهود، ولا يتحول عنهم إلى بنى إسماعيل. وبقاء الملك معناه عدم نسخ التوراة؛ لأن الملك على الأمم كان من أجل تثبيتها فى العالم، وإلزام العالم أن يعملوا بها. ونسبوا إلى الله كذبا أنه حلف لداود ولم يكذب. ورد عليهم بقوله: سيعلم العالم أنكم أنتم الكاذبون؛ فقد بعثت النبى وأنزلت الشريعة.

== لأنه من فى السماء يعادل الرب. من يشبه الرب بين أبناء الله. إله مهوب جدا فى مؤامرة القديسين ومخوف عند جميع الذين حوله.

يارب إله الجنود من مثلك قوى رب وحقك من حولك. أنت متسلط على كبرياء البحر. عند ارتفاع لججه أنت تسكنها. أنت سحقت رهب مثل القتيل. بذراع قوتك بددت أعداءك. لك السموات. لك أيضاً الأرض المسكونة وملؤها أنت أسستهما. الشمال والجنوب أنت خلقتهما. تابور وحرمون باسمك يهتفان. لك ذراع القدرة. قوية يدك. مرتفعة يمينك. العدل والحق قاعدة كرسيك. الرحمة والأمانةتتقدمان أمام وجهك. طوبى للشعب العارفين الهتاف. يارب بنور وجهك يسلكون. باسمك يبتهجون اليوم كله وبعدلك يرتفعون. لأنك أنت فخر قوتهم وبرضاك ينتصب قرننا. لأن الرب مجننا وقدوس إسرائيل ملكنا.

حينئذ كلمت برؤيا تقيك وقلت جعلت عونا على قوى. رفعت مختارا من بين الشعب. وجدت داود عبدى. بدهن قدسى مسحته. الذى تثبت يدى معه. أيضا ذراعى تشدده. لا يرغمه عدو وابن الإثم لا يذلله. وأسحق أعداءه أمام وجهه وأضرب مبغضيه. أما أمانتى ورحمتى فمعه وباسمى ينتصب قرنه. وأجعل على البحر يده وعلى الأنهار يمينه. هو يدعونى أبى أنت. إلهى وصخرة خلاصى. أنا أيضا أجعله بكرا أعلى من ملوك الأرض. إلى الدهر أحفظ له رحمتى وعهدى يثبت له. وأجعل إلى الأبد نسله وكرسيه مثل أيام السموات. إن ترك بنوه شريعتى ولم يسلكوا بأحكامى. إن نقضوا فرائضى ولم يحفظوا وصاياى؛ أفتقد بعصا معصيتهم وبضربات إثمهم. أما رحمتى فلا أنزعها عنه ولا أكذب من جهة أمانتى. لا أنقض عهدى ولا أغير ما خرج من شفتى. مرة حلفت بقدسى أنى لا أكذب لداود. نسله إلى الدهر يكون وكرسيه كالشمس أمامى. مثل القمر يثبت إلى الدهر. والشاهد فى السماء أمين سِلاه.

لكنك رفضت ورذلت. غضبت على مسيحك. نقضت عهد عبدك. نجست تاجه فى التراب. هدمت كل جدرانه. جعلت حصونه خرابا. أفسده كل عابرى الطريق. صار عارا عند جيرانه. رفعت يمين مضايقيه. فرحت جميع أعدائه. أيضا رددت حد سيفه ولم تنصره فى القتال. أبطلت بهاءه وألقيت كرسيه إلى الأرض. قصرت أيام شبابه: غطيته بالخزى سِلاه.

حتى متى يارب تختبىء كل الاختباء. حتى متى يتقد كالنار غضبك. اذكر كيف أنا زائل. إلى أى باطل خلقت جميع بنى آدم. أى إنسان يحيا ولا يرى الموت. أى ينجى نفسه من يد الهاوية. سلاه. أين مراحمك الأول يارب التى حلفت بها لداود بأمانتك. اذكر يارب عار عبيدك. الذى أحتمله فى حضنى من كثرة الأمم كلها الذى به عيّر أعداؤك يارب الذين عيروا آثار مسيحك. مبارك الرب إلى الدهر. آمين فآمين» (مزمور ٨٩)

ثم هدد الله بالعذاب فى يوم الرب فقال: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

والتعبير بقوله: ﴿من حيث لا يشعرون﴾ يدل على البغتة. وهى صفة ملازمة للعذاب فى يوم الرب.

وبعد كلام طويل يقول لليهود عن يوم الرب بصيغة التهديد ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

وكرر الكلام فى التهديد فقال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

والمعنى: لو يؤاخذ الله اليهود خاصة بظلمهم؛ لقضى عليهم من قبل يوم الرب. ولكننى أجلت الفناء التام إلى أجل مسمى عندى. وهو يوم الرب. وإذا جاء هذا الأجل ﴿لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ساعة﴾

وبعدما فرغ من تهديد اليهود؛ تكلم عن تهديد الأمم التى كانت مكلفة مع اليهود بشريعة موسى، وأرسل إليها علماء من بنى إسرائيل ورسلا منهم. كيونس عليه السلام الذى كان رسولا إلى أهل نينوى. ولكنهم مثل اليهود كذبوا. بسبب أن زين لهم الشيطان أعمالهم. وبين أنه فى هذا الزمن والقرآن ينزل ومحمد موجود سيكون لهم عذاب أليم مع اليهود فى يوم الرب ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

وبعد كلام طويل لمح إلى الطريقة التى تثبت بها نبوة محمد ﷺ وليس فى التوراة إلا أنه ينبىء بغيب ويقع الغيب كما يقول. وذكر من أبناء الغيب نبوءة ساعة هلاك اليهود فى يوم الرب التى قال عنها المسيح: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة. . .»

وإذا وقعت من بعده كما أخبر؛ فإنه لا يصح لأحد عاقل أن يشك فى نبوته.

ذلك قول موسى عنه: «وإن قلت فى قلبك: كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبى باسم الرب، ولم يحدث، ولم يصر؛ فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى؛ فلا تخف منه» (تث ١٨: ٢١ ـ ٢٢)

ثم ذكر الله قدرته وعدد فضله على اليهود، وخاطبهم بقوله: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا﴾[1] وفى نهاية الخطاب قال لهم: مثل هذه النعم التى رأيتموها رأى العين ﴿يتم نعمته عليكم﴾ وعلل إتمام النعمة بقوله: ﴿لعلكم تسلمون﴾

والمراد من إتمام النعمة؛ هو نزول القرآن ليتم به التوراة: وذلك لأن أحكام التوراة الفقهية فيها حكم. هو أن الله سيقيم لهم نبيا مثل موسى. له يسمعون فى كل ما يكلمهم به. وهذا الحكم لا يقدر اليهود على العمل به، من قبل ظهوره. ولذلك يكون عملهم بالتوراة ناقصا. فتكون نعمته عليهم التى هى التوراة ناقصة. فإذا جاء فإنه يكون قد أتم عليه النعمة. ومن يؤمن به؛ يكون قد أكمل العمل بكل أحكام التوراة، وانتفع بالنعمة. ومن لا يؤمن به؛ فإنه لا يكون منتفعا بالنعمة، ويكون بالتوراة كافرا؛ لأنه لم يعمل بحكم من أحكامها. وفى هذا المعنى يقول المسيح وهو يبشر بمحمد ﷺ: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. **ما جئت لأنقض بل لأكمل**. فإنى الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض؛ لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس **حتى يكون الكل**. فمن نقض إحدى

(١) وفى القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ والمعنى: ان الله يميز جنسا عن جنس وذلك ببيانه أنه لا يخلق الآدميين إلا من آدميين، ولا يخلق الحمير إلا من حمير، ولا يخلق الحمام إلا من حمام. وهكذا وقد خلق من بنى آدم ذريتهم من ظهورهم. ثم من بعد استواء الجسم وصحة العقل وإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ شهد بعضهم على بعض. فالأنبياء شهدت على أقوامهم. والأقوام شهدوا أن الأنبياء بلغوا رسالات الله. وهكذا وعلى هذا المعنى لا يوجد شبه تعارض بين ﴿والله أخرجكم...﴾ وبين ﴿وإذ أخذ ربك...﴾

هذا معنى. والمعنى الصحيح هو أن ﴿أشهدهم﴾ لليهود خاصة. كما فى نشيد موسى.

هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا؛ يُدعى أصغر فى ملكوت السموات. وأما من عمل وعلم؛ فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات. فإنى أقول لكم: إنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين؛ لن تدخلوا ملكوت السموات[1]» (متى ٥ : ١٧ ـ ٢٠)

ثم تكلم عن عذاب اليهود والأمم فى يوم الرب فقال:

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾

البيان:

قال فى سورة النمل إنه سيحشر من كل أمة فوجا، وقال فى هذه السورة: ﴿من كل أمة شهيدا﴾ والمراد: فوجا يشهد عذاب اليهود وعذابه، ويتحاور مع اليهود؛ ليتبين من المحاورة أن الله ليس بظالم لهم. وفى هذا اليوم العصيب إذا تم حشر اليهود والأمم لا يأذن الله لليهود بالفرار من القتل ﴿ولا هم يستعتبون﴾ فإذا ابتدأ العذاب وأحسوا به؛ لا يخففه الله عنهم، ولا يؤجل الله العذاب إلى أجل آخر.

---

(١) موضوع «الانفصال بين اليهودية والمسيحية» ليست فيه كتب عند المسيحيين. ولم يهتم المسلمون بإفراد تأليفات فيه. وهو موضوع ليس فى صالح المسيحيين وليس فى صالح اليهود. لأن سبب الانفصال هو تبشير عيسى عليه السلام. بمحمد ﷺ فالذين سمعوا كلامه صاروا نصارى وانفصلوا عن اليهود. ثم إن اليهود خدعوهم بقولهم: قولوا إن عيسى هو النبى المنتظر وسوف يأتى مرة أخرى. ومن قال بهذا القول صار يعرف بالمسيحى.

ثم قال عن الحوار الذى سيجرى بلسان الحال: إن المشركين من اليهود إذ رأوا شركاءهم من الأمم كأهل الروم وغيرهم. سيقولون لله: هؤلاء هم الأمم الذين كنا نحتمى فيهم، ونطلب منهم المنفعة، وهم الذين أضلونا؛ لأنهم كانوا هم الحاكمين علينا، وكنا تحت أيديهم نؤدى الجزية. وقد ردت الأمم على اليهود بلسان الحال بقولهم: نحن لم نضلكم، بل كنتم مجرمين ﴿فألقوا إليهم القول: إنكم لكاذبون﴾ وبيان كذبكم: هو أن اليهود الأوائل كانوا يُنصرون بالله والملائكة؛ أيام كانوا محبين لله ومجاهدين فى سبيله، أليس الله قد نصرهم على آل فرعون، والأمم الستة فى سيناء، ونصرهم على أهل فلسطين؟ فما هو السبب فى أنا سدنا عليكم؟ ليس إلا الجرى وراء حب المنفعة. أليس الله قد حارب عوضا عن بنى إسرائيل، ورمى الأعداء بحجارة عظيمة من السماء؟

ففى الأصحاح العاشر من سفر يشوع: «وبينما هم هاربون من أمام إسرائيل وهم فى منحدر بيت حورون؛ رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء، إلى عزيقة. فماتوا. والذين ماتوا بحجارة البرد هم أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل بالسيف...»

وفى التوراة ما يشهد لصحة كلام الأمم. وهو أن الله وكّل ببنى إسرائيل ملكا من الملائكة يسير أمامهم ويهديهم إلى فتح البلاد، وينصرهم على أعدائهم. وإن خالفوا كلام الملاك. يؤدبهم الملاك «لأنه لا يصفح عن ذنوبكم» ذلك قوله: «ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك؛ ليحفظك فى الطريق، وليجىء بك إلى المكان الذى أعددته. احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه؛ لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن اسمى فيه. ولكن إن سمعت لصوته، وفعلت كل ما أتكلم به؛ أعادى أعداءك وأضايق مضايقيك. فإن ملاكى يسير أمامك...» (خر ٢٣ : ٢٠ ـ ٢٣)

ثم إن الأمم واليهود لما رأوا العذاب؛ استسلموا وخضعوا للأمر الواقع. وأزاد الله اليهود عذابا فوق عذاب الأمم ﴿بما كانوا يفسدون﴾

وبعدما فرغ من الكلام عن عذاب اليهود والأمم فى يوم الرب، وعبر عنه

بقوله: ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيدا﴾ شرع فى الكلام عن البعث فى يوم القيامة العامة من الأموات فقال:

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾

والمعنى: فى يوم القيامة. فى كل أمة من الأمم السابقة عليك؛ تكون الشهداء ظاهرة فيهم منهم. وهؤلاء المعاصرون لك من اليهود والأمم؛ يشهد قرآنك وأصحابك عليهم.

***

فى سورة القدر:

قال الله تعالى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾

البيان:

لما كان موسى عليه السلام على جبل طور سيناء ليتلقى التوراة من الله، وحلّ مجد الله على الجبل، وظهر دخان ونار. قال بنو إسرائيل له: إذا أراد الله أن يكلمنا فليكن عن طريقك ولك نسمع ونطيع؛ لأننا لا نريد هذا المنظر المرعب مرة أخرى. وقد بلّغ موسى طلبهم هذا إلى الله. فاستحسنه منهم، وقال لهم: لن أكلمكم عن طريق موسى. وإنما بعد سنين طويلة سأقيم لكم نبيا وأكلمكم بواسطته. ومن لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ فإنى سأبيده من جماعة الرب.

فإذا ظهر هذا النبى فإنه سيظهر ليكلم اليهود نيابة عن الله. وهم يتلقون منه كلامه، ويبلغوه إلى العالم أجمع. وإذا لم يسمعوا له؛ فإن عشيرة النبى تحل محلهم فى التلقى وفى الإبلاغ.

وقد قال الله تعالى: ﴿إنا أنزلناه﴾ يريد أنزلنا القرآن المشتمل على الكلام الذى يريد الله من نبيه أن يوصله إليهم. وقال عنه فى سورة أخرى: ﴿ولقد وصّلنا لهم القول﴾ عن طريقك ﴿لعلهم يتذكرون﴾ كلام الله مع موسى عنك. لما طلب بنو إسرائيل أن لا يروا المنظر المرعب مرة أخرى. ولازم الإنزال هو نفسه لازم ﴿القول﴾ وهو إبادة من لا يؤمن به من الشعب «فإن موسى قال للآباء: إن نبيا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون فى كل ما يكلمكم به، ويكون أن كل نفسا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشعب» فى يوم الرب.

ومعلوم أن نزول الملائكة لأغراض منها نصرة النبى وأصحابه فى الحروب. ومعلوم أن ﴿الروح﴾ هو محمد ﷺ وذلك لأن عيسى عليه السلام نطق باسم «أحمد» ولقَّب أحمد بالروح القدس وروح الحق. وإذا نُطق «الروح» مجردا عن الاسم؛ يُعرف أنه هو أحمد ﷺ ومن كلامه: «وأما الروح القدس المُعين الذى سيرسله الآب باسمى؛ فإنه يعلمكم كل شئ، ويذكركم بكل ما قلته لكم» (يو ١٤: ٢٦) وفى ترجمة «المعزِّى» يدل «المعين» وفى ترجمة «المؤيِّد»

ومعنى كلام القرآن: هو أنا أنزلنا القرآن فى ليلة عظيمة القدر. وأن الملائكة تتنزل فى هذه الليلة. والنبى قد بُعث. ويفيد الفعل المضارع دوام التنزل فى جميع الليالى. والملائكة تتنزل من كل أمر. ومن الأمور التى تتنزل لها؛ أمر يعرفه اليهود ولو لم يذكر فى السورة. وهو نصرة النبى على اليهود الكافرين به ليبيدهم من الشعب فى الأيام الأولى لظهوره. ثم قال ﴿سلام﴾ أى هى شريعة سلام. ثم قال: ﴿هى حتى مطلع الفجر﴾ كناية عن امتداد الشريعة فى العالم المظلم بالبعد عن الله، وأن هذا الامتداد سيظل إلى أن ينمحى ظلام الكفر من العالم. شاء اليهود أم أبوا. وقوله ﴿هى حتى مطلع الفجر﴾ يُدلّ اليهود على أن تفكيرهم فى حرب النبى وأصحابه فى يوم الرب أو غيره؛ سيكون بلا فائدة. لأنها ستبقى شاءوا أو لم يشاءوا.

وعلى هذا التفسير تكون السورة مهددة بيوم الرب. ولا يعرف التهديد إلا الموجه إليهم هذا التهديد.

***

فى سورة البينة:

قال الله تعالى:

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾

البيان:

بنو إسرائيل هم:

١ ـ رأوبين ٢ ـ شمعون ٣ ـ لاوى ٤ ـ يهوذا ٥ ـ زبولون ٦ ـ يسّاكر ٧ ـ دان ٨ ـ جاد ٩ ـ أشير ١٠ ـ نفتالى ١١ ـ يوسف ١٢ ـ بنيامين

وسبط يهوذا. جاء منه داود عليه السلام وسبط لاوى جاء منه موسى عليه السلام وسبط بنيامين جاء منه طالوت عليه السلام الذى هو شاول. وكان ليوسف عليه السلام ولدان هما: أفرايم ومنسّى. وهما سبطان. واللاويون ليس لهم نصيب فى الأرض.

ومن بعد موت داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ انقسم بنو إسرائيل إلى مملكتين: المملكة الأولى كانت مكونة من سبطى يهوذا وبنيامين وبعض بنى لاوى. وتعرف بمملكة اليهود أو العبرانيين أو بمملكة يهوذا. والباقون هم المملكة الأخرى. وتعرف بمملكة السامريين أو بمملكة إسرائيل. وكان العداء مستحكما بين المملكتين، وكان اليهود لا يعاملون السامريين. **فمتى تنفك هذه العداوة؟** ليس إلا بالدخول فى الإسلام. يقول يوحنا: «فإن اليهود كانوا لا يتعاملون مع أهل السامرة» (يو ٤ : ٩)

هذا عن العداء بين يهود المملكتين.

وأما عداء المسيحيين بعضهم لبعض. فإن الكاثوليك الذين يعتنقون عقيدة تثليث التعدد، كانوا يُكرهون الأرثوذكس الذين يعتنقون عقيدة تثليث التجسد. على عقيدتهم. وظهر هذا العداء فى مجمع خليقدونية سنة ٤٥١ م وما يزال إلى يومنا هذا. **ولا ينفك العداء** إلا بالدخول فى الإسلام.

وفى سفر النبى حزقيال أنه سوف يأتى اليوم الذى تزول فيه العداوة من قلوب العبرانيين والسامريين، وسيكون لهم راع واحد، وأن الله سيؤلف بين قلوبهم. فمعنى ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين﴾ أى لا تزول العداوة من قلوب اليهود العبرانيين والسامريين ولا تزول العداوة من قلوب المسيحيين المشركين ﴿حتى تأتيهم البينة﴾ بصدق محمد ﷺ فى دعوى النبوة والرسالة. وهو ﴿رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة﴾ أى أن القرآن فيه كتب الأولين ﴿وما تفرق الذين أوتو الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ عن محمد من التوراة. أى لم يتفرقوا إلى يهود عبرانيين أو سامريين إلا بسببه. ولم يتفرق العبرانيون إلى نصارى ومسيحيين وصابئين ﴿إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ من عيسى ويحيى عن محمد ﷺ فإنهما بشرا به، واستدلا على مجيئه بنصوص من التوراة. وفى السورة تهديد بيوم الرب فى قوله: ﴿ذلك لمن خشى ربه﴾ وهم يعرفون المعنى من نبوءة حزقيال عن تأليف القلوب. وقد سبق ذكرها.

***

وفى سورة الإسراء:

يحكى الله عن إفساد بنى إسرائيل وعلوهم الكبير فى الأرض مرتين ويقول:
﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم

بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾

البيان

المراد بالكتاب: التوراة. والنص على المرتين: فى الأصحاح الثامن والثانى عشر. من سفر دانيئال. والمراد بالأرض: أرض فلسطين.

ثم يخاطب اليهود بقوله ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا﴾ وقد كان بنو إسرائيل عباد لله. والآتون من بعد نزول القرآن هم عباده ولكنهم عباد مسرفون على أنفسهم في المعاصي. ذلك قوله تعالى ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾ ـ ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ ـ ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ والمرة الأولى تمت فى سنة ١٩٦٧ وبعث الله عليهم من عباده المسلمين أولى بأس شديد. فإذا تمت الغلبة للمسلمين عباد الله، فإنه بعد مدة طويلة من سنين الغلبة؛ يأتى اليهود إلى فلسطين لإتمام وعد المرة الآخرة. وسوف ينتصرون على المسلمين، ثم إن المسلمين يردون علوهم. وهاتان المرتان لا صلة لهما ألبتة بمعركة الساعة فى يوم الرب. وذلك لأن معركة الساعة تمت فى سنة ٦٣٨م فى أيام عمر بن الخطاب ﷺ

ثم قال عن معركة يوم الرب: ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾ يريد أن يقول: إننا عاقبناهم فى يوم الرب. وعبر عن هول القتال بجهنم. ثم إن كلمة الآخرة. إما أن يكون المراد بها الحياة من بعد الموت، وإما أن يكون المراد بها: آخرة أيام اليهود، وبدء أيام المسلمين وإما أن يكون المراد بها الشريعة الآخرة. وهى شريعة القرآن فى مقابل الشريعة الأولى. وهى التوراة. ومن المؤكد أن المراد بالآخرة: الشريعة الآخرة. لقوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ

رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ ويقول تعالى: فى زمان ماضى فضلنا بعضهم على بعض؛ فجعلنا لليهود شريعة هى الأولى وجعلنا الآخرة لبنى إسماعيل وهى. أكبر درجات. وأكبر تفضيلا [١].

وقال تعالى حكاية عن اليهود: **﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾**

البيان

يخبر عن استبعاد اليهود للحياة على شريعة القرآن، والموت عن شريعة التوراة، بأسلوب يدل على الموت. وهو لا يقصد الموت الطبيعى، وإنما يقصد الموت عن الشريعة للبعث خلقا جديدا. وبين قدرته على بعثهم للخلق الجديد بقوله: كما بعثكم خلقا أول مرة؛ يقدر أن يبعثكم خلقا جديدا. ولما سمعوا هذا؛ استكبروا. وعبر عن استكبارهم بقوله: ﴿فسينغضون إليك رءوسهم﴾ ثم حكى استبعادهم للهلاك كما حكى فى سورة هود قولهم ﴿ما يحبسه﴾؟ ورد بقوله: ﴿عسى أن يكون قريبا﴾ وتكلم عن يوم الرب بنفس المعانى التى تكلم بها فى سور كثيرة فقال: إنه سيدعوهم إلى القتال، وسيأتون إليه. وعندئذ يحسبون مدة ملكهم على الأرض من موسى إلى محمد عليهما السلام ويظنون أنها مدة قليلة.

---

(١) كان من جنود المسلمين فى معركة اليارموك. وهى معركة يوم الرب. خالد بن الوليد رضي الله عنه. ومؤلف هذا الكتاب من نسله، من فرع الأمير طريف. الكائن مقامه وضريحه فى «نوب طريف» مركز السنبلاوين دقهلية. وقد جاء الأمير طريف مع اثنى عشر ألفا من العرب، أيام الصليبيين، وعسكروا فى المكان المعروف اليوم بميت طريف مركز دكرنس. دقهلية. وهو مكان يوصل بخط مستقيم إلى فرع نيل دمياط عند ميت الخولى عبد اللا مركز الزرقا ـ سابقا فارسكور ـ وأسفله يوصل بخط مستقيم إلى بحر ==

وقوله تعالى: ﴿وقل لعبادى﴾ المراد بعباده ههنا هم اليهود. وقد وصفهم فى سورة الزمر بعباده الذين أسرفوا على أنفسهم. ونزغُ الشيطان يدل على أنهم هم مسرفون على أنفسهم. أما الأوائل منهم فقد أطلق عليهم ﴿عباد الله﴾ فى سورة الدخان. ومعنى ﴿التى هى أحسن﴾ التى هى أحسن فى القرآن بدل اللغو فيه. بقولهم إنه أساطير الأولين. ثم خاطب اليهود بقوله: ﴿ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ أى الشركاء من الأمم لينصروكم على المسلمين فى يوم الرب. ولئن دعوتموهم لينصروكم ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾

واليهود يعبدون إلهين اثنين هما الله والهوى. وهم مع المنفعة. فإن كانت من جهة الله مالوا إليه. وإن كانت من جهة الهوى مالوا إليه. وقد جاء عنهم فى القرآن: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ وفى المزمور السادس عشر هذا المعنى. وهو: «القديسون الذين فى الأرض، والأفاضل كل مسرتى بهم. تكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء آخر. . .» (مز ١٦ : ٣ــ)

وفى سورة النحل عن هذين الإلهين وهما الله والهوى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾

= حادوس. وبين حادوس ودمياط صان الحجر وبحيرة المنزلة. وما تزال إلى اليوم فى هذه المنطقة مقابر مشيدة عظيمة للأولياء الذين كانوا شهداء فى هذه المعارك. ونسل الأمير طريف يملأون هذه المنطقة من الأرض. ويعيش الغرباء بينهم معيشة حسنة.

ومنه الولى الصالح الشيخ عيد بن يوسف الكائن مقامه فى ميت الخولى عبد اللا. وأبوه الولى الصالح الشيخ يوسف بن طريف الكائن مقامه فى السرو، مقابل قرية رأس الخليج على النيل. وأبو غالب كان من مريديه. وكانت الأراضى موقوفة عليهم من أيام الأمير طريف لينفق منها الأمير طريف على المجاهدين فى سبيل الله. إلى زمن محمد على باشا. وما تزال الأرض مسماة بالرزق والأحباس إلى هذا اليوم. وما تزال أسرة الأمير طريف مخلصة فى الدعوة إلى الله؛ فإنهم هم علماء الشرع فى هذه الأرض. وهم الذين أسسوا معهد دمياط الدينى، وملأوه بأولادهم، ودرسوا فيه العلم وأنفقوا على الطلاب من أقوال الوقف. ومايزال عامرا بالعلم والعلماء. ولما جاء السيد أحمد البدوى إلى مصر نزل على أولاد الأمير طريف وأقام بينهم مدة، ثم رحل إلى طنطا. وأمده أولاد الأمير طريف بمن يزرعون له أرضه. وكان دائم الزيارة لقبر الأمير طريف فى «نوب طريف» وابنه الفضل بن طريف. الذى أهل نوب من نسله.

يقول لليهود: لا يصح منكم هذا. وقـد سجل داود على اليهود أنهم اتخذوا الإلهين بقوله:

« «احفظنى يا أالله لأنى علـيك توكلت. قلت للرب أنت سيدى. خـيرى لا شىء غيرك. القديسون الذين فى الأرض والأفاضل كل مسرتى بهم. تكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء آخـر. لا أسكب سكائبهم من دم. ولا أذكر أسمـاءهم بشفتى. الرب نصيب قـسـمـتى وكـأسى. أنت قـابض قـرعـتى. حـبـال وقـعت لى فى النعماء. فالميراث حسن عندى.

أبارك الرب الذى نصحنى. وأيضاً بالليل تنذرنى كليتاى. جعلت الرب أمامى فى كل حين لأنه عن يمينى فلا أتزعزع. لذلك فرح قلبى وابتهجت روحى. جسدى أيضا يسكن مطمـئنا. لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية. لن تدع تقـيك يرى فسادا. تعرفنى سبيل الحياة. أمامك شبع سرور. فى يمينك نعم إلى الأبد» (مزمور ١٦)

وكانت رسالة المسيح عيسى عليه السلام المميزة له عن أنبياء بنى إسرائيل هى تفسير نبوءات التوراة الخاصـة بالنبى المنتظر تفسيرا حسنا يدل على مـحمد ﷺ ومن بعد رفعـه إلى الله؛ اجتهـد بولس وأتباعه فى تحـريف تفسـير المسيح. وفى أول مـجمع للنصارى سنـة ٣٢٥م فسروا نبـوءة «الابن» التى فسرها المسـيح على محـمد، على عيسى. وخرجوا من المجمع وهم مـتفقون على إلهين اثنين هما الله والمسيح. ولكن بعض المسلمين يعتقدون «أن التثليث أو الثالوث وضعهما أثناسيوس فى عقيدة الإيمان النيقاوى سنة ٣٢٥ م»

وهذا باطل، ولا أساس له من الصحـة. وذلك لأن تأليه «الروح القدس» لم يكن فى هذا المجمع، وإنما كان فى مـجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م أى بعـد مجمع الاثنين بمقدار ٥٦ سنة. وفى الإنجيل يقول المسيح لتلاميذه: «أنتم تؤمنون بالله؛ فآمنوا بى» (يو ١٤ : ١) ويقول لله: « وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك» (يو ١٧ : ٣)

ونعود إلى الكلام فى السورة. ونقول:

إنه هنا يبين أنهم وهم يدعون الشركاء من الأمم لنصرتهم على المسلمين فى يوم الرب؛ يريدون بالدعوة التوسل بالأمم إلى المنفعة التى هى ربهم الآخر ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ يعنى بربهم إله الهوى الذى يفضلونه على الله. وقد وبخهم واستهزأ بهم بقوله: ﴿أيهم أقرب﴾؟ هل الله أم إله الهوى؟ ومن الهوى الميل إلى إرضاء الأصنام، والرؤساء والشركاء ـ مع أنهم يرجون رحمة الله ويخافون عذابه ـ

ثم قال تعالى: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾**

البيان:

المراد بالناس: اليهود خاصة. وقد قال تعالى عن مكة المكرمة: ﴿فعجل لكم هذه﴾ وقد كانت مع اليهود بحكم بركة إسحق التى هى ملك ونبوة. فلما توجه المسلمون إلى فتحها قال عن فتحها: ﴿**وكف أيدى الناس**[1] **عنكم**﴾ ففتحتموها أيها المسلمون صلحا لا عنوة. لأن اليهود فروا منها وهربوا وجنبوا عن لقاء الأصحاب والأنصار. ثم قال عن عاصمة ملك اليهود وهى أورشليم: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها﴾ لتفتحوها فى يوم الرب. وقد فتحوا «أورشليم» ثم قال: ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ وهم اليهود خاصة فى يوم الرب ﴿لولوا الأدبار. ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا﴾

وقال مؤرخو السيرة النبوية: إن الذين كفروا هم العرب أهل مكة عبّاد الأوثان. فى قوله: ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام. . .﴾ والحق: أن الذين كفروا هم اليهود. لأن اليهود كانوا مالكين شرعا على الأرض من حياة موسى نفسه إلى أن يبعث محمد رسول الله. فإذا بعث يملك بنو إسماعيل شرعا على الأرض إلى أن تقوم الساعة وتنتهى الحياة الدنيا. فهما ملكان وشريعتان. واحدة

(١) لاحظ: كلمة ﴿الناس﴾ فإنها تدل على أن فتح مكة كان بين المسلمين وبين اليهود، المعبر عنهم فى كل سور القرآن بالناس.

لموسى وأخرى لمحمد عليهما السلام.

ثم تكلم عن الرؤيا بالألف واللام. فى السورتين الإسراء والفتح. وهى الرؤيا المعروفة للعالم من سفر دانيال. الأصحاح الثانى والسابع. وفيها: أن محمدا سيأتى بعد الأمة المعدودة وهى أمة الروم وسيملك على العالم. وقد أرى الله لمحمد ﷺ صدقها عليه فى حياته؛ فإنه ملك على مكة ودانت له شبه الجزيرة العربية. وفى كلام دانيال عن الرؤيا التى رأى فيها انتصار محمد ﷺ على أهل الروم: «الحلم حق، وتعبيره يقين» (دا ٢ : ٤٥)

وفى القرآن يقول الله تعالى عن اليهود: ﴿لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل...﴾ وهم كالشجرة تكثر أولادهم ككثرة أغصانها. وهى شجرة ملعونة فى أكثر من سورة من سور القرآن. ولكن الرواة قد خدعوا المفسرين بقولهم: إنها شجرة الزقوم. وليس فى القرآن من نص على لعنها. وفى القرآن نص على لعن اليهود. وهم ملعونون فى الزبور ١١٩ وفى متى ٢٥ وفى إنجيل الدِّيداكِى.

ثم تكلم الله تعالى عن دعوة اليهود إلى معركة الساعة فى يوم الرب فقال:
﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١) وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾

البيان:

هذا هو معنى ما جاء فى سورة طه. وهو: ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا، ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ والمعنى: أن كل جماعة من اليهود تأتى مع إمامها. الذى علمهم العلم. واقتدوا بآرائه. فمن كان خيرا يؤمن الله ويؤمن بالنبى؛ فإنه سيكون من الفالحين. إذا قتل؛ فله الجنة. وإذا عاش؛ عاش آمنا مطمئنا مع أجر وغنيمة. وليس المراد بإتيان الكتاب؛ إتيانه فى الدار الآخرة. وإنما هو كناية عن فلاحه وسعادته. وليس المراد بالقراءة المعنى الظاهرى. وإنما هو كناية عن معرفة ما له وما عليه. بدليل: المقابل للسعيد وهو الشقى فإنه عبر عنه بالأعمى. وليس هو بأعمى بصر على الحقيقة، حتى يقرأ أو لا يقرأ.

ثم تكلم عن مابعد يوم الرب فى أرض فلسطين. فإنهم لما هلكوا ولم يعد لهم فى فلسطين ملك، وسكنها المسلمون وورثوها؛ يريدون أن يستفزوا المسلمين ليخرجوهم منها. فى إفسادهم وعلوهم مرتين. ولو حدث هذا فى كل مرة من مرتى الفساد والعلو؛ فإنهم لا يلبثون بدل المسلمين إلا مدة قليلة، ثم يخرجون منها. وقد خاطب الله المسلمين فى شخص محمد ﷺ وليس المراد محمدا نفسه.

ثم قال تعالى:

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا﴾

وقال قبل ذلك: **﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾**

البيان:

يوم القيامة. إما أن يراد به القيامة العامة من الأموات، وإما أن يراد به قيامة بنى إسماعيل على بنى إسرائيل فى يوم الرب لإخراجهم من فلسطين، ونزع الملك منهم من جميع الأراضى. وهما فى الظاهر معنيان. وهما فى الحقيقة معنى واحد. لأنه لو قامت القيامة عليهم من بنى إسماعيل عليه السلام؛ فإن المقتول منهم؛ سيدخل النار عقب القتل مباشرة؛ لأن من مات فقد قامت قيامته. فيكون عدم الفاصل دليلا على أن القيامتين هما قيامة واحدة.

ومن قبل قيامة بنى إسماعيل على اليهود فى يوم الرب؛ سيكون للأمم عذاب شديد من قبل الإهلاك مع اليهود ولذلك غاير بين الإهلاك فى يوم الرب، وبين العذاب الشديد قبله.

وقوله ﴿كان ذلك فى الكتاب مسطورا﴾ معناه: أن الإهلاك للقرى أو العذاب منبأ عنه فى التوراة. فلنبحث فى التوراة عن هذا النبأ.

أما حشرهم يوم القيامة على وجوههم: فالمراد به: جمع اليهود فى فلسطين يوم قيامة بنى إسماعيل عليهم للفناء التام. وعقبى الحشر: أن تكون جهنم مأوى لهم. والقتل هو الموصل إليها. لعدم المدة بين القتل وبين الدخول فى جهنم فى الدار الآخرة.

وبين السبب فى هذا الجزاء فقال: إنهم كفروا بآياتنا ولم يكفروا بنا. وقالوا: أإذا متنا عن شريعة التوراة، التى نحن الآن أحياء بها. فهل سنبعث خلقا جديدا على شريعة جديدة؟ هذا مستبعد. وعبر بالعظام والرفات مبالغة فى الموت الذى هو كناية عن ترك التوراة. ورد على استبعادهم بقوله: أنا الخالق للسموات والأرض وحدى. فهل لا أقدر على خلقهم خلقا جديدا على شريعة جديدة؟ وأكد على الفناء التام فى يوم الرب بقوله: ﴿وجعل لهم أجلا لا ريب فيه﴾ وختم السورة الكريمة بالتأكيد على الوعد بقوله: ﴿إن كان وعد ربنا لمفعولا﴾

وفى اللغة العربية عن الأساليب الكنائية؛ كثير. ومنه: قول أبى تمام يصف هزيمة «ثاوفيلوس» قائد الجيش الرومانى فى الحرب:

لما رأى الحرب رأى العين «توفلس» .·. والحرب مشتقة المعنى من الحرب

غدا يصرف بالأموال جريتها .·. فغرة البحر، والتيار، والجذب

هيهات زعزعت الأرض الوقور به .·. عن غزوة محتسب فيها، لا غزو مكتسب

لم ينفق الذهب المربى بكثرته .·. على الحصى، وبه فقر إلى الذهب

إن الأسود أسود الخيل. همتها .·. يوم الكريهة فى المسلوب. لا السلب

ولّى. وقد ألجم الخطى منطقه .·. بسكتة. تحتها الأحشاء فى صخب

انظر إلى قوله تزعزعت الأرض. فهل هى قد تزعزعت على الحقيقة أم

الزعزعة كناية عن شدة هول المعركة؟

وانظر إلى قوله عن فتح عمورية:

فتح الفتوح. تعالى أن يحيط به .·. نظم من الشعر، أو نثر من الخطب

فتح تفتح أبواب السماء له .·. وتبرز الأرض فى أثوابها القشب

يا يوم وقعة عمورية. انصرفت .·. عنك المنى، حفلا، معسولة الحلب

انظر إلى قوله عن هذا الفتح: إنه تفتح له أبواب السماء. وأن الأرض تبرز كالحسناء فى أثواب جديدة. وهذا كناية عن النصر، وليس هو على الحقيقة.

وفى الكتاب عن هلاك الأمم أو عذابها:

نصوص تدل على عذاب أمم قبل يوم الرب لإضعاف شوكتهم حتى إذا كان يوم الرب يكونون ضعفاء أمام المسلمين كما حدث مع فارس والروم. ونصوص تدل على هلاك أمم فى يوم الرب، مع اليهود. ونصوص تدل على هلاك أمم أو عذابها بعد يوم الرب. أما الأمم التى ستهلك فى يوم الرب فهى:

أشور ـ ومـوآب ـ ودمشق ـ ومصر ـ وصور ـ وترشيش ـ وصيدون ـ وبنى عمون ـ وسعير ـ وفلسطين ـ ويأجوج ومأجوج... الخ. وقال حزقيال: «ولولوا يا لليوم. لأن اليوم قريب. ويوم للرب قريب. يوم غيم. يكون وقتا للأمم» (حز ٣٠ : ٢ ـ ٣)

***

وفى سورة الكهف:

بدأ سورة الكهف[١] بالإنذار لليهود وللنصارى (المسيحيين) فقال: ﴿لينذر

(١) أصحاب الكهف دخلوه فى سنة ٢٥١ ميلادية وكان للروم ملك اسمه دقيانوس. وشهرته «دسيوس» (راجع إعجاز القرآن ـ طبعة الأنجلو المصرية)

بأسا شديدا من لدنه﴾ وفسر البأس الشديد فى سور كثيرة بأنه فى يوم الرب. والقرآن يفسر بعضه بعضا. وهؤلاء المنذرون هم اليهود والنصارى ﴿الذين قالوا اتخذ الله ولدا﴾ ولما بشر المؤمنين قال: ﴿أن لهم أجرا حسنا. ماكثين فيه أبدا﴾ وذلك لأنه من بعد قتلهم أو موتهم سيدخلون الجنة ويمكثون فيها إلى الأبد. إذ لا مدة زمنية بين يوم القتل وبين يوم الدخول فى جنة الله فى الآخرة.

وأهل الكهف جماعة من الناس آمنوا بأن محمدا سيظهر فى حينه المقدر له من الله، وهو حين الإعداد لزوال المملكة الرومانية من فلسطين. طبقا لكلام دانيال والمسيح بن مريم. أما كلام دانيال فإنه مسطور فى الأصحاح التاسع وأما كلام المسيح؛ فإنه مسطور فى الأصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى وما بعده وما يوازيه فى مرقس ١٣ ولوقا ٢١ ولما آمنوا ووعوا وآثروا الحياة الآخرة على الحياة الدنيا؛ أحياهم الله تعالى قبل ظهور محمد بقليل؛ ليعلم الرادون لهم ﴿أن وعد الله﴾ بإرسال محمد ﷺ فى حينه ﴿حق﴾ وليعلموا أيضا: أن الساعة التى قال المسيح إن اليهود وشركاءهم سيهلكون فيها؛ ستقع بغتة. لا شك فى وقوعها. فإن المسيح بعد ذكر علامات تكون فى العالم من بعده؛ أنبأ عن حدوث معركة فاصلة بين اليهود وشركائهم وبين أصحاب النبى المنتظر، فى ساعة لا يعلمها إلا الله وحده. فقال: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده» (متى ٢٤ : ٣٦)

ثم تكلم عن هلاك اليهود وشركائهم فى يوم الرب فقال: ﴿ **إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا** ﴾

والمراد بالنار ههنا: الكناية عن شدة الهول الشبيه بالنار فى العذاب. والقتل أول منازل الآخرة. إذ هو المؤدى إليها. فإنه من بعد القتل فى يوم الرب. لن تكون مدة زمنية بين يوم القتل ويوم جهنم الحقيقية؛ لانتفاء الإحساس فى القبر بانعدام الروح. فيكون الميت حال حياته فى يوم القيامة، كحال يوم موته فى الدنيا؛ حتى أنه

ليعتقد أن يوم الموت هو نفسه يوم القيامة. شبه نائم إذا طال نومه؛ لا يحس به ولا يعدّ ساعاته. ويكون فى ساعة استيقاظه متذكرا ساعة نومه. وعبر بإن يستغيثوا. بتعبير يدل على الفرض والتقدير. كأنه يقول: إن حصلت منهم استغاثة؛ يغاثوا بماء كالمهل. وهى لم تحصل؛ لأنه لم يعبر بإذا التى تفيد الوقوع، وعبر بإن التى تفيد عدمه. وصور حال المتقين بأنهم إذا دخلوا الجنة فإنهم سيرون فيها نعيما وملكا كبيرا.

﴿وما كان منتصرا هنالك﴾:

وصور حال الطائفتين المشتركتين فى معركة يوم الرب، وبين مكان المعركة بقوله **﴿هنالك﴾** وذلك التصوير بضرب مثل لرجل غنى. يمثل اليهود الذين يستبعدون قيام معركة الساعة. وسبب ظنهم فى عدم قيامها: هو ذكرها فى الإنجيل بالساعة وبيوم الرب، وذكرها فى التوراة بلفظ يوم الرب وحده. ولرجل فقير لا يستبعد أن يعطيه الله مثل ما أعطى الغنى. وهو يمثل بني إسماعيل. وفي نهاية المثل نجد أنه نزع الخير من اليهود. وقال: **﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ﴾** فى يوم الرب: الذى سيكون فى مكان بعيد عن أرض مكة المكرمة. وهذا المكان هو أرض فلسطين؛ لقوله عن زكريا عليه السلام: ﴿هنالك دعا زكريا ربه﴾ أى فى المحراب الذى هو هيكل سليمان فى أورشليم (القدس) ذلك قوله تعالى: **﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾**

ثم شرع فى وصف المعركة فقال بأسلوب كنائى يدل على الهول والشدة:

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾

البيان:

إن تسيير الجبال، أمر مكرر فى القرآن. ففى سورة النبأ: ﴿وسيرت الجبال فكانت سرابا﴾ وتسييرها كناية عن هول القتال فى ذلك اليوم. وقد كنىّ عنه بتسيير الجبال. لأن من نبوءات التوراة والإنجيل عن محمد ﷺ أنه حينما يبيد من الشعب من لا يؤمن به من اليهود. يكون يوم الإبادة شديدا حتى أنه لو فرض أن الجبال. يقدر المحاربون على تسييرها. لسيرها أصحابه ولا يسيرها أعداؤه.

وقد ذكرنا نص النبوءة فى موضعها.

وأما عن بروز الأرض.

فهو كقول أبى تمام:

فتح تفتح أبواب السماء له . ` . وتبرز الأرض فى أثوابها القشب

وإن بروزها فى التوراة مقترن بحشر الممالك فى يوم الرب. من كل أمة فوج مع اليهود فى فلسطين. للهلاك. وبروزها معناه: أن الله يظهر حكمه لمن يرى عيانا جهارا حتى لا يشك أحد فى ظهور الحكم. وعبر عن ظهور الحكم ببروز الأرض لأنها هى التى ستظهره فى دنيا الواقع.

فصَفَنيا النبى يقول عن يوم الرب: إن مدينة أورشليم متمردة على الله، ولم تسمع الصوت، ولم تقبل التأديب. ولذلك سيهلك أهلها فى يوم الرب «غداة غداة يبرز حكمه إلى النور؛ لا يتعذر» ثم يقول: «لذلك فانتظرونى. يقول الرب» وهو معنى ﴿وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ ـ ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ ثم حدد موعدا

للانتظار فقال: «إلى يوم» وهو يوم الرب. وفى هذا اليوم «يجمع الأمم وحشر الممالك» ومن بعد هذا اليوم «أحول الشعوب إلى شفة نقية ليدعو كلهم باسم الرب» يعنى بذلك تغيير اللغة العبرانية إلى اللغة العربية، وتغيير الشريعة.

ففى الأصحاح الثالث من سفر صَفَنيا:

«ويل للمتمردة المنجسة المدينة الجائرة. لم تسمع الصوت. لم تقبل التأديب. لم تتكل على الرب. لم تتقرب إلى إلهها. رؤساؤها فى وسطها أسود زائرة. قضاتها ذئاب مساء لا يبقون شيئا إلى الصباح. أنبياؤها متفاخرون أهل غدرات كهنتها نجسوا القدس خالفوا الشريعة. الرب عادل فى وسطها لا يفعل ظلما. غداة غداة يبرز حكمه إلى النور لا يتعذر. أما الظالم فلا يعرف الخزى. قطعت أمما خربت شرفاتهم أقفرت أسواقهم بلا عابر. دمرت مدنهم بلا إنسان بغير ساكن. فقلت: إنك لتخشيننى. تقبلين التأديب فلا ينقطع مسكنها حسب كل ما عينته عليها. لكن بكروا وأفسدوا جميع أعمالهم.

لذلك فانتظرونى. يقول الرب إلى يوم. أقوم إلى السلب لأن حكمى هو بجمع الأمم وحشر الممالك لأصب عليهم سخطى. كل حمو غضبى؛ لأنه بنار غيرتى تؤكل كل الأرض. لأنى حينئذ أحول الشعوب إلى شفة نقية ليدعوا كلهم باسم الرب ليعبدوه بكتف واحدة. من عبر أنهار كوش المتضرعون إلى متبددى يقدمون تقدمتى. فى ذلك اليوم لا تخزين من كل أعمالك التى تعديت بها على. لأنى حينئذ أنزع من وسطك مبتهجى كبريائك ولن تعود بعد إلى التكبر فى جبل قدسى، وأبقى فى وسطِكِ شعبا بائسا ومسكينا فيتوكلون على اسم الرب. بقية إسرائيل لا يفعلون إثما ولا يتكلمون بالكذب ولا يوجد فى أفواههم لسان غش لأنهم يرعون ويربضون ولا مخيف.

ترنمى يا ابنة صهيون اهتف يا إسرائيل افرحى وابتهجى بكل قلبك يا ابنة أورشليم. قد نزع الرب الأقضية عليك أزال عدوك. ملك إسرائيل الرب فى وسطك لا تنظرين بعد شرا. فى ذلك اليوم يقال لأورشليم: لا تخافى يا صهيون لا ترتخِ

يداك. الرب إلهك فى وسطك جبار. يخلص. يبتهج بك فرحا. يسكت فى محبته. يبتهج بك بترنم. أجمع المحزونين على الموسم. كانوا منك. حاملين عليها العار. هأنذا فى ذلك اليوم أعامل كل مذلليك وأخلص الظالعة وأجمع المنفية وأجعلهم تسبيحة، واسما فى كل أرض خزيهم. فى الوقت الذى فيه آتى بكم وفى وقت جمعى إياكم. لأنى أصيركم اسما وتسبيحة فى شعوب الأرض كلها، حين أرد مسبييكم قدام أعينكم. قال الرب» (صفنيا ٣)

ثم قال: ﴿وعرضوا على ربك صفا﴾ لأن المعركة لله. والنبى وأصحابه نواب عنه. فيكون المعنى: وعرضوا على النبى وأصحابه. ولسان حاله يقول لهم: ﴿لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ كما كان حالكم يوم بدء ملككم فى العالم. فإنكم خرجتم من أرض مصر ولم يكن لكم ملك. وها هو حالكم اليوم ليس لكم فيه ملك. ﴿بل زعمتم: أن لن نجعل لكم موعدا﴾ للهلاك فى يوم الرب.

ثم تكلم عن كتاب أعمالهم ليعرفوا خطئهم، لا لتوزن عليهم أعمالهم. إذ ليس من إشارة إلى وزن، بل إلى وضع. وليس لهم وزن؛ لأنه لا شريعة لهم قد عملوا بها. وكتاب الأعمال مسطّر فيه أعمالهم. ولكن لا توزن أعمال اليهود المعاصرين ليوم الرب؛ لأنهم عملوا على شريعة منسوخة هى التوراة. ولم يعملوا بالقرآن وعدم عملهم به؛ لا يقيم لهم يوم القيامة وزنا.

يقول تعالى: **﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾**

ثم تكلم عن إبليس. وقال لليهود: أتتركوننى وتسيرون معه؟

ثم عاد إلى الكلام عن يوم الرب فقال: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا (٥٢) وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً (٥٤) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا

﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾

البيان:

شركاء اليهود هم أهل الروم المسيحيون والأمم الوثنية. والحشر فى يوم الرب يكون لليهود ولأفواج من الشركاء. ويقول لهم بلسان الحال: ﴿نادوا شركاءى﴾ فنادوهم لينصروهم على المسلمين. ولم تستجب الشركاء للنداء.

وفى أهبة الاستعداد للقتال ﴿رأى المجرمون النار﴾ أى هول المعركة وشدتها ﴿فظنوا أنهم مواقعوها. ولم يجدوا عنها مصرفا﴾

ثم تكلم عن موعد العذاب الأكبر فى يوم الرب. وقال: إنه محدد فى علمنا. ولولا أنه محدد فى علمنا؛ لعجلناه لهم. وفى سورة هود يخبر أن العذاب مؤجل إلى أمة معدودة. هى أمة الروم. لأن دانيال النبى فى الأصحاح الثانى والسابع قال إن ظهور النبى المنتظر سيكون بعد بابل وفارس واليونان وأهل الروم، ولقبه بابن إنسان وقال: إن الله سيعطيه مجدا وسلطانا وملكوتا. وفى الأصحاح التاسع حدده بسبعين أسبوعاً ولأنه محدد بوقوعه فى نهاية أمة الروم، استعجل اليهود وقوعه استهزاء به. ورد بقوله: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

وقال فى نهاية سورة هود: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾

وتكلم عن موعد الهلاك، لا العذاب فى يوم الرب فقال:

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾

ثم يقول تعالى بعد قصة الإسكندر الأكبر ذى القرنين الذى كان فى سنة ٣٣٣ قبل الميلاد:

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾

البيان:

يتم الكلام عند قول ذى القرنين: ﴿هذا رحمة من ربى﴾ الذى أعبده.

ويبدأ كلام محمد ﷺ من قوله: ﴿فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء. وكان وعد ربى حقا﴾ لأن الذى يصدق فى مواعيده هو الله تعالى. وذو القرنين لم يكن يعبد الله تعالى. وإنما كان يعبد ربه الذى نشأ على عبادته فى بلاد اليونان. ووعد الله هو أنه يمكن لمحمد ﷺ وأصحابه من فتح البلاد وإزالة السدود التى تحجز البلاد عن بعضها. إذ الكل سيكونون أمة واحدة وأراضيهم ستكون أراضى أمة واحدة.

واليوم الذى سيتم فيه هذا. سيموج بعضهم فى بعض. أى سيكثرون ويتلاقون معا لمساعدة اليهود ضد المسلمين. فإذا جاء يوم الرب ﴿نفخ فى الصور فجمعناهم جمعا﴾ إلى أرض فلسطين. ثم تبتدئ المعركة. وعبر عن الهزيمة بعرض جهنم على الكافرين اليهود يومئذ. لأن القتل شبيه بنار جهنم وسبيل إلى الدخول فيها، بلا مدة تحسب كحساب الناس.

ثم قال تعالى ما معناه: إن اليهود الكافرين كانوا يتخذون الأمم الوثنية أولياء لينصروهم على المسلمين. فهل يقدرون على أن يتخذوا المسلمين أولياء؟ ليس للمسلمين إلا أنا. وهم يريدون أن يتخذوهم من دونى وأنا لا أسمح لهم بذلك.

وفى توراة موسى عليه السلام :أن الله نهى اليهود عن مخالطة الأمم الوثنية لئلا يفعلوا مثل فعلهم «متى دخلت الأرض التى يعطيك الرب إلهك لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم. لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار ولا من يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر، ولا من يرقى رقية، ولا من يسأل جانا أو تابعة ولا من يستشير الموتى؛ لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب...» (١٨ : ٩ ـ)

وفى توراة موسى عليه السلام : أن الله نهى اليهود عن أن يملكوا عليهم ملكا أجنبيا لئلا يجبرهم على عباة الأوثان ومخالفة التوراة. وإذا جاءهم أجنبى ليملك عليهم؛ وجب عليهم محاربته. ومن يقتل منهم فى هذه المعارك؛ يكون جزاؤه الجنة. ووعدهم الله إن قاتلوا أن يمدهم بالملائكة لنصرتهم. ذلك قوله: «لا يحل لك أن تجعل عليك رجلا أجنبيا ليس هو أخاك...» (تث ١٧ : ١٤ +)

ولكن اليهود خالفوا. ويدل هذا النص على المخالفة وهو: أن الملك مَنَسَّى «بنى مذابح لكواكب السماء فى ساحتى الهيكل، وأحرق ابنه فى النار قربانا للبعل، ومارس العرافة والسحر، وآمن بالشعوذة والعرافة، وأكثر من فعل الشر فى نظر الرب لإغاظته، وأقام تمثال عشترون فى الهيكل» (٢مل ٢١)

وفى القرآن عن هذا: ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم﴾ والذين قتلوا هم اليهود.

***

وفى سورة مريم:

يقول الله تعالى:

﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٣٨) وَأَنذِرْهُمْ

﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾

البيان:

بعدما ختم الكلام عن حياة المسيح عيسى عليه السلام ودعوته. تكلم عن النهاية السيئة لليهود فى يوم الرب. ووصفه بمشهد يوم عظيم. حيث يأتى اليهود وأفواج من الأمم المكذبة بالنبى محمد ﷺ لحربه فى فلسطين ليمنعوا محمدا ﷺ من فتحها والملك عليها. وإذا أتوا ودارت المعركة يكون الويل للذين كفروا.

ويوم الرب وإن كان فى الظاهر يوم قتال بين العرب وبين اليهود وشركائهم إلا أنه فى الحقيقة يوم قتال . ضد أعداء الله، والعرب نائبون عنه؛ لأن الحرب من أجل شريعته. وسوف يتحسر اليهود فى ذلك اليوم على ضياع ملكهم ونسخ شريعتهم وأيضا: على أنهم خسروا الجنة التى أعدت للمتقين.

وتكلم عن إرث الأرض. فقال: إن الأرض لله. وقد أورثناها لبنى إسرائيل فى أيام شريعتهم. ونحن اليوم نورثها لبنى إسماعيل فى أيام شريعتهم.

وفى زبور داود عليه السلام أن الأرض لله وسيورثها لعباده الصالحين.

وهذا هو نص المزمور السابع والثلاثين:

«لاتغر من الأشرار ولا تحسد عمال الإثم؛ فإنهم مثل الحشيش سريعا يقطعون ومثل العشب الأخضر يذبلون. اتكل على الرب وافعل الخير. اسكن الأرض وارع الأمانة. وتلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك. سلم للرب طريقك واتكل عليه وهو يجرى ويخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة. انتظر الرب واصبر له ولا تغر من الذى ينجح فى طريقه من الرجل المجرى مكايد. كف عن الغضب واترك السخط ولا تغر لفعل الشر. لأن عاملى الشر يقطعون **والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض**. بعد قليل لا يكون الشرير. تطلع فى مكانه فلا يكون. **أما الودعاء فيرثون الأرض** ويتلذذون فى كثرة السلامة.

الشرير يتفكر ضد الصديق ويحرّق عليه أسنانه. الرب يضحك به لأنه رأى أن

يومه آت. الأشرار قد سلّوا السيف ومدوا قوسهم لرمى المسكين والفقير. لقتل المستقيم طريقهم. سيفهم يدخل فى قلبهم وقسيهم تنكسر.

القليل الذى للصّديق خير من ثروة أشرار كثيرين. لأن سواعد الأشرار تنكسر وعاضد الصديقين الرب. **الرب عارف أيام الكملة وميراثهم إلى الأبد يكون**. لا يخزون فى زمن السوء وفى أيام الجوع يشبعون. لأن الأشرار يهلكون وأعداء الرب كبهاء المراعى. فنوا. كالدخان فنوا. الشرير يستقرض ولا يفى أما الصديق فيترأف ويعطى. **لأن المباركين منه يرثون الأرض والملعونين منه يقطعون**.

من قبل الرب تتثبت خطوات الإنسان وفى طريقه يسرّ. إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مسند يده. أيضا كنت فتى وقد وقد شحت ولم أر صديقا تخلى عنه ولا ذرية له تلتمس خبزا. اليوم كله يترأف ويقرض ونسله للبركة.

حد عن الشر وافعل الخير واسكن إلى الأبد. لأن الرب يحب الحق ولا يتخل عن أتقيائه. إلى الأبد يحفظون. أما نسل الأشرار فينقطع. **الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد**. فم الصديق يلهج بالحكمة ولسانه ينطق بالحق. شريعة إلهه فى قلبه. لا تتقلقل خطواته. الشرير يراقب الصديق محاولا أن يميته. الرب لا يتركه فى يده ولا يحكم عليه عند محاكمته. **انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض**. إلى أنقراض الأشرار تنظر.

قد رأيت الشرير عاتيا وارفا مثل شجرة شارقة ناضرة. عبر فإذا هو ليس بموجود والتمسته فلم يوجد. لاحظ الكامل وانظر المستقيم فإن العقب لإنسان السلامة. أما الأشرار فيبادون جميعا. عقب الأشرار ينقطع. أما خلاص الصديقين فمن قبل الرب حصنهم فى زمان الضيق. ويعينهم الرب وينجيهم. وينقذهم من الأشرار ويخلصهم؛ لأنهم احتموا به» (المزمور ٣٧)

***

وفى سورة مريم:

﴿وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ

حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠) وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٣) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا (٧٤) قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا (٧٥) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا (٧٦) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠) وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦) لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾

البيان:

المراد بالإنسان: اليهودى خاصة. والمراد من الموت ههنا: الموت المجازى. بمعنى ترك التوراة؛ فإن ترك الشريعة موت، والعمل بها حياة. وهذا المعنى مكرر فى سور كثيرة. بنفس الدلائل التى بعده، الدلائل الدالة على قدرة الله تعالى. منها بدء سورة المؤمنون. كأن اليهودى يقول: أنا الآن حى على شريعة موسى؛ لأن العمل بها حياة: «احفظ وصاياى؛ فتحيا» (أمثال ٤ : ٤) «بإيمانه يحيا» (حبقوق ٢ : ٤ عبرانيين ١٠ : ٣٨) ويقول صاحب المزامير بلسان الغيب عن النبى الأمى الآتى: «يارب أحينى حسب كلامك» (١١٩ : ١٠٧)

وصاحب الشريعة يحيا الجميع به إذا قبلوا شريعته. ذلك قول بولس: «هكذا فى المسيح سيحيا الجميع» (١ كور ١٥: ٢١)

﴿ويقول الإنسان: إذا مامت لسوف أخرج حيا؟﴾ يستبعد اليهودى بالاستفهام الإنكارى بعثه حيا على شريعة جديدة. هى الآتية مع محمد ﷺ وذلك لأنه لا ينكر البعث من الأموات ويقول: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ وقد أظهر الله قدرته على إيجادها؛ بقدرته على خلق بنى آدم من العدم، أو بخلقه من زمن موسى عليه السلام أمة عظيمة على شريعة موسى. فإن اليهودى من قبل شريعة موسى؛ لم يكن شيئا يذكر؛ لأنهم سكان بدو، ومستعبدون لفرعون؛ فخلقهم الله خلقا جديدا. إذ جعل لهم شأنا يذكر، وجعلهم ملوكا، وآتاهم مالم يؤت أحدا من العالمين. إلى أن جاء محمد ﷺ وابتدأت به خليقة جديدة. على شريعة جديدة. فكيف تستبعدون خلقكم من جديد. وقد كان لكم خلق من قبله مثله؟

وقال تعالى عن اليهود الأميين والعلماء الملقبون بالشياطين ههنا وفى سورة البقرة: ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين﴾ وفى يوم الرب للهلاك التام. ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾ عبر عن شدة المعركة وما يناله اليهود فيها بجهنم. لأنهم بعد القتل مباشرة سيدخلون جهنم. لأنه لا فواصل زمنية بين يوم القتل ويوم القيامة من الأموات. والمراد بجثيا: المعنى الكنائى. وهو الذلة والمسكنة. يفسره: ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ لأن الذلة والمسكنة يكونان بعد فقدان الناصر والمعين.

وقد كان اليهود فرقا كثيرة ولكل فرقة شيخها ومعلمها ورئيسها. كالفريسيّين والصدّوقيين. وكان فى المسيحيين شيع كالأرثوذكس والكاثوليك. وفى عُرف الكتاب: أن الطائفة يُطلق عليها شيعة. ولأن النصارى طائفة من اليهود؛ أطلق بولس عليهم لقب شيعة. ذلك قوله: «الذين يقولون له شيعة» (أعمال ٢٤ ـ ١٤) ـ «ومقدام شيعة الناصريين» (أعمال ٢٤ ـ ٥) ـ «الذين هم شيعة الصدّوقيين» (أعمال ٥ ـ ١٧)

ويقول تعالى ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ والمعنى: نحن أعلم بالمجرمين من اليهود، الذين سيصلون نار المعركة الحامية المعبر عنها بجهنم لشدة هولها.

وخاطب اليهود بقوله ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ أى جميع اليهود سيحشرون فى هذه المعركة ولكن الظالمين لأنفسهم سيقتلون وسيتركون فى أرض المعركة للوحوش المحشورة المنتظرة لجثثهم ﴿كان على ربك حتما مقضيا﴾ أما المتقون والأخيار؛ فإن الله ينجيهم من هذه المعركة. وفى هذا المعنى جاء فى سفر ملاخى: «ولكم أيها المتقون اسمى؛ تُشرق شمس البر . . . وتدوسون الأشرار لأنهم يكونون رمادا تحت بطون أقدامكم» (ملا ٤ : ٢ ــ ٣) وبين الله قدرته على إهلاك الأشرار بقدرته على إهلاك الأمم من قبلهم، التى تدل آثارهم على أنهم كانوا أحسن من اليهود أثاثا وأجساما حسنة.

ومن أحسن التماثيل المكتشفة تمثال الملكة زنوبيا. فى أرض سوريا. وقد وُجد فى آثار «تدمر» تمثال للملكة «زنوبيا» وآخر للملك، نقش عليه: «ملك الملوك ومحيى الدولة»

وقد تكلم بعد ذلك عن الوعد والوعيد. فقال: ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون. إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا﴾ يعنى بالعذاب: عذاب مثل الذى حصل للقرى.

كما حدث فى خيبر وغيرها فى أرض العرب ويعنى بالساعة: ساعة المعركة. كما حدث فى خيبر وغيرها فى أرض العرب.

ثم نوع الله فى أساليب الكلام عن المعنى السابق: فقال ﴿أفرأيت الذى كفر بآياتنا﴾ وهو لا يقصد يهوديا بمفرده وإنما يقصد جميع اليهود على عادة التوراة فى ذلك. فإنه يذكر أباهم ويريد بنى إسرائيل جميعا. ومن ذلك: «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» (تث ٦ : ٤) وهو لا يقصد إسرائيل عليه السلام الذى هو يعقوب، وإنما هو يقصد بنى إسرائيل جميعا. والمعنى: أن الله آتاهم الأموال والأولاد. فهل أخذوا عهدا من الله أنه لن ينزع منهم الملك والشريعة. على يد محمد ﷺ؟ هل اطلعوا على الغيب ورأوا فيه أن ملكهم باق إلى أبد الأبدين؟ إنه لم يطّلع ولم ير. وهو سيرث أموالا ويعددها، وفى يوم المعركة سيقتل ويترك كل شىء.

ثم قال تعالى:

﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا﴾ يعنى: أن اليهود صاحبوا الأمم

الوثنية واحتموا بهم، واتخذوهم آلهة. أى سادة عليهم؛ ليعتزوا بهم، مع أن الله قد نهاهم عن مصاحبة الأمم الوثنية. فقد قال فى سفر التثنية: «لا يحل لك أن تجعل عليك ملكا أجنبيا ليس هو أخاك» (تث ١٧ : ١٥) وقال فى نفس السفر: «لا يحل لك أن تفعل فعل الأمم الوثنية» ـ «لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم. . .» (تث ١٨ : ٩)

وأشار بقوله: ﴿كلا سيكفرون بعبادتهم، ويكونون عليهم ضدا﴾ إلى أن اليهود سيتبرأون من خضوعهم للأمم، ويكونون على الأمم ضدا، حينما يرون أن الأمم لن تنصرهم فى يوم الرب.

ثم تكلم عن دور علماء اليهود فى توجيه اليهود إلى المعركة. فقال:

﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين﴾ وهم العلماء على الكافرين. وهم اليهود ﴿تؤزهم[1] أزّا﴾ أى توسوس لهم بأنهم على حق، وأن محمدا ساحر أو كذاب؛ لأن قرآنه أساطير الأولين اكتتبها من العلماء. ووجه الله تهديدا للأميين وللعلماء فقال: ﴿فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا﴾ من أصحاب النبى، ومن الملائكة النورانيين، ومن جميع جند الله. ويكون ذلك الإعداد فى يوم الحشر إلى هذه المعركة. ففى يوم الحشر ﴿نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ وأما المجرمون وهم اليهود فإنهم يساقون إلى جهنم. أى إلى المعركة، حتى إذا ما قتلوا؛ يستمر سوقهم إلى جهنم الحقيقية فى الدار الآخرة. إذ لا مدة زمنية بين القتل وبين القيامة من الأموات ـ على رأيهم ـ

وفى آخر الكلام يوجه إنذارا لليهود، والذين قالوا اتخذ الله ولدا عن طريق القرآن، ويبشر المتقين بالجنة، ويستدل على قدرته بإهلاك الأمم السابقة. واليهود قد رأوا بأعينهم إهلاك أهل فرعون. فقال **﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا (٩٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾**؟

***

(١) الأز: كلمة عبرانية معناها تحمسهم وتشجعهم.

وفى سورة طه:

يقول الله تعالى:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (٩) إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾

البيان:

يخبر عن بدء نزول التوراة على موسى عليه السلام وهو أنه رأى نارا ناحية جبل الطور ﴿فلما أتاها نودى: يا موسى؛ إنى أنا ربك؛ فاخلع نعليك. إنك بالوادى المقدس طوى﴾ وفى كتاب التوراة: أن الله ناداه بقوله: «لا تقترب إلى ههنا. اخلع حذائك من رجليك؛ لأن الموضع الذى أنت واقف عليه؛ أرض مقدسة. ثم قال: أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب» (خروج ٣ : ٥ ـ ٦)

ثم إن قوله تعالى: ﴿إن الساعة آتية...﴾ وموسى لن يكون حاضرا فى معركة الساعة فى يوم الرب التى فيها ستنسخ شريعته وسيزول ملكه من العالم. يدل على التفات فى الكلام أم لا يدل؟

من المحتمل أنه يدل على التفات هكذا:

يا موسى. إنى أنا ربك؛ فاخلع نعليك؛ إنك بالواد المقدس طوى. وما تلك بيمينك يا موسى؟... الخ

وقد جاء قوله تعالى: ﴿وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى﴾ وما هو هذا الذى سيوحى؟ هو ﴿إننى أنا الله﴾ إلى قوله ﴿فتردى﴾ جاء ذلك خطابا لكل يهودى فى شخص موسى؛ لأنهم هم المختارون لتبليغ رسالته، كما فى قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدِ**

اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ويخاطبهم فى شخصه بعبادة الله، وإقام الصلاة، وبترك شريعة موسى إذا جاءت ساعة نسخها وزوال الملك القائم عليها، على يد النبى الآتى على مثاله. ويحذرهم من المخالفة بقوله: ﴿فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها﴾ من الأمم الوثنية. فيكون ﴿وأنا اخترتك﴾ إلى ﴿فتردى﴾ جملة اعتراضية. وهى تؤدى معنى الغرض من دعوة موسى عليه السلام. هذا محتمل. ومن المحتمل أيضا: ـ وهو بعيد ـ أن الساعة بمعنى قيام القيامة وانتهاء الحياة الدنيا؛ فيكون النص متشابها. وعليه يتعين البحث عن محكم له.

ثم إن الله تعالى تكلم عن هول الساعة، وبعد كلام طويل، أنهاه بقوله: ﴿إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو، وسع كل شىء علما﴾ فقال للنبى صلى الله عليه وسلم : إننا آتيناك القرآن، ومن أعرض عنه؛ فإنه يحمل يوم القيامة وزرا. وقد عبر بالمفرد وهو يريد الجمع لقوله ﴿خالدين فيه﴾

والمراد بالقيامة: إما قيامة بنى إسماعيل على اليهود فى يوم الرب، وإما القيامة العامة من الأموات. والمعنى واحد؛ فإن من مات فقد قامت قيامته؛ لأنه لا مدة فاصلة بين يوم القتل ودخول جهنم. شبه قوله تعالى: ﴿أغرقوا فأدخلوا نارا﴾ بدون تقدير: فمكثوا مدة فأدخلوا نارا.

ثم تكلم عن المعركة بأسلوب النفخ فى الصور على عادة القدماء فى جمع الناس للمعارك. وفى التوراة يقول النبى يوئيل عن يوم الرب: «اضربوا بالبوق فى صهيون. صوّتوا فى جبل قدسى. ليرتعد جميع سكان الأرض. لأن يوم الرب قادم؛ لأنه قريب. يوم ظلام وقتام. يوم غيم وضباب. مثل الفجر ممتدا على الجبال. . .»

وقال يوئيل: إن الذين سيحشرون فى يوم الرب هم اليهود والأمم. وهم المعبر عنهم فى السورة: ﴿ونحشر المجرمين﴾ ومن كلامه عن الأمم: «أجمع كل الأمم، وأنزلهم إلى وادى يهو شافاط وأحاكمهم هناك» (يؤ ٣ : ٢) ومن كلامه عن اليهود: «نوحى يا أرضى كعروس مؤتزرة بمسح من أجل بعل صباها» (يؤ ١ : ٨)

وفى القرآن عن جمع الأمم: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ

وعبروا عن مدة بركتهم. وهى من زمان موسى إلى نهاية ملكهم بأنها ﴿عشرا﴾ أى قليلة بمقدار عشر ليال على الأرض. وقال أمثلهم طريقة: ﴿إن لبثتم إلا يوما﴾ وكرر الله قوله بقوله فى سورة المؤمنون ﴿**قَالُوا: لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ**﴾ كناية عن قلة أيام ملكهم على الأمم بشريعة موسى.

وفى التوراة: أن الجبال تنسف والأرض تتشقق؛ كناية عن هول المعارك فى يوم الرب.

وقد جاء التعبير بنسف الجبال وجعلها كالهباء فى بدء سورة الواقعة. وقد ذكرنا نص التوراة فى كلامنا عن يوم الرب فيها.

وقال عن يوم الرب بعد نسف الجبال: ﴿يومئذ يتبعون الداعى﴾ إلى المعركة. فإذا قتل اليهود المكذبون؛ فإنهم من بعد القتل مباشرة يكونون على أبواب جهنم. إذ لا مدة بين القتل فى الدنيا، ودخول جهنم فى الآخرة؛ لأن الموت يؤدى إلى عطب الجسد. وعطبه يجعل الروح غير قادرة على التأثير فيه. إذا قلنا بأن الروح جسد (١). ولذلك عبر بالقيامة العامة من الأموات بعد القتل مباشرة. وإذا اجتمعوا لطلب الشفاعة؛ فإنه لا يجاب لهم هذا الطلب.

وفى التوراة فى نبوءة العبد المتألم أن الشفاعة خاصة بمحمد ﷺ وليس من الحكمة أن يشفع فى المجرمين. كما بين المسيح عيسى عليه السلام فى إنجيل برنابا.

ثم يقول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ**﴾

البيان:

قوله: ﴿ومن أعرض﴾ كلام فى كل معرض. لكن الإشكال ههنا هو فى قوله

(١) الروح إما جوهر روحانى مجرد عن الجسمية. وإما جسد. (راجع كتابنا حياة القبور بين المسلمين وأهل الكتاب)

﴿ذكرى﴾ هل هو على مطلق ذكر. والمراد شرائعه. أم المراد ذكر خاص. إما التوراة وإما القرآن؟ لما كان الخطاب لليهود يكون الإعراض عن الذكر هو الإعراض عن التوراة التى فيها ذكر محمد ﷺ ثم تكون المعيشة الضنك لكل عاصى عن طريق القياس.

ومن المؤكد أن قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ خاص فى اليهود. بدليل قوله تعالى عنهم: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَىٰ﴾

وقد مشت فى مساكنهم ـ والمشى هو احتلالها ـ أمة بابل وفارس واليونان وأهل الروم. واستمر الاحتلال قرونا كثيرة إلى أن جاء الإسلام فحررهم من ذل الأجانب.

ثم قال تعالى: ﴿ولعذاب الآخرة﴾ أى آخر ملك اليهود ونسخ التوراة، وبدء ملك بنى إسماعيل للتمكين للقرآن فى البلاد التى سيفتحونها ﴿أشد﴾ فى معركة يوم الرب ﴿وأبقى﴾ لأنه بعد عذابهم فى يوم الرب؛ لن يكون لهم ملك فى العالم. وعدم الملك يدل على التشرد فى البلاد، والوقوع تحت سلطان البلاد المتشردين فيها. والتشرد مع الذلة والمسكنة؛ هو عذاب أليم.

وقد سبق فى علم الله وأنبأ به أن تبقى من اليهود بقية بعد معركة ساعة يوم الرب. وهذه البقية تكون للذلة الجزية، ويدفعون تكون هى «أسرى المعركة» والإسماعيليون يبيعونهم لتجار الرقيق، ليبيعوهم فى بلاد الله. وتفرقهم فى البلاد أسرى؛ سيجعلهم يخبرون فى البلاد بأمر الإسلام. وقد قال الله تعالى فى هذا الشأن: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ وعن أسرهم هذا يقول المسيح عيسى عليه السلام: «ويُسبون إلى جميع الأمم» (لو ٢١)

يريد أن يقول: لولا أن فى تفرقهم مصلحة للإسلام وللمسلمين؛ لكان يلزمنا قتلهم جميعا. إذ هم مفسدون. ويكون للقتل أجل نعينه ونسميه، كما عينا وأسمينا الساعة ويوم الرب.

ثم خاطب المسلمين فى شخص النبى ﷺ بقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾

وحكى عن طلب اليـهود من النبى آية؛ لتـدل على نبوته. ورد بأن آية نـبوته موجودة فى الصحف الأولى[1]. وهى التوراة. فإن إبراهيم هو الذى طلبه من الله، والله قد اسـتجاب له. ومـوسى بين أوصافه. وقال فـيها: إنه سـيخبـر بغيب ويقع الغيب كمـا قال. فإن اليهود وهم يسمـعون أوصاف النبى الآتى. وهى أن يكون من إخوتهم، وأنه يكون أميا غير قارىء ولا كاتب. قالوا فى قلوبهم: فإن جاء كثيرون، وزعم كل منهم أنه هو ذلك النبى، فكيف نعرف منهم الصادق من الكاذب؟

وقد أجاب بقوله: «فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر؛ فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبى؛ فلا تخف منه» أى ينبىء بغيب.

وقد جاء هذا المعنى فى سورة يونس فى قوله ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩) وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾

ومعنى هذا الـقول: هو أننا لو أهلكنا اليـهود من قبل ظهـور محـمد ﷺ لقالوا: لم أهلكتنا من قـبل أن ترسل إلينا، وتنذرنا بالهلاك على يديه إن كـفرنا به؟ لأن الهلاك ذلة وخزى.

***

(١) المعجـزات التى أثبتت نبـوة موسى عليه السلام هى له. ولمحـمد ﷺ وذلك لأن الله أيده بمعـجزات حسية كثيرة بها ثبتت نبوته. ولما استـيقن الناس بنبوته علموا أن كل ماقاله ونسبه إلى الله صصحيح. ومما قاله ونسبه: أن نبيا سيأتى لينسخ شريعته. فإذا أتى هذا النبى؛ فإنه لا يحتاج إلى دلائل تدل على صدقه. وتكفى فى معرفة الناس به؛ الأوصـاف التى وضعها عليه موسى. وقد انطبقت على مـحمد؛ فيكون هو المخبر عنه. فلماذا يؤيد بمعجزات حسية. ومعجزات موسى هى له ولموسى؟

وفى سورة الأنبياء:

يقول الله تعالى ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾

البيان:

يقول لليهود المعبر عنهم بقوله ﴿للناس﴾ إن حسابكم على ما عملتموه فى دين الله؛ قد اقترب يومه، وسيكون لكم هلاك إذا كذبتم وكفرتم بمحمد ﷺ وأنتم فى غفلة عن هذا الهلاك. ولهذه الغفلة أعرضتم عن القرآن.

ثم قسم الذكر إلى قسمين: ذكر قديم كان مع موسى عليه السلام. وهو التوراة، وذكر محدث جديد. وهو القرآن. ويدل على ذلك: أنه قال فى نفس السورة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩) وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾. ولكنهم استمعوا للقرآن، وانصرفوا عنه إلى حب الدنيا. وعبر باللعب؛ لأنه من سمات حب الدنيا. والقرآن هو الذكر المحدث الجديد، وعبر عنه إرمياء النبى بالعهد الجديد فى مقابل العهد القديم وهو التوراة[1].

---

(١) فى دلالة الحائرين لموسي بن ميمون: أن التوراة مخلوقة. وفي بحث علي الانترنت عنوانه الطريق إلي التوراة ــ مقدمة لليهودية تأليف يعقوب نويسنر ١٩٧٠ أمريكا يقول المؤلف: إن التوراة قديمة، وأن محمدا ﷺ كان اسمه عند الله قبل خلق السموات والأرض بألفي سنة وعبر عن «محمد» بـ «المَسيّا» ونص كلامه:

Prologue: In the Beginning

In the beginning, two thousand years before the heaven and the earth, seven things were created: the Torah, written with black fire on white fire and lying in the lap of God; the Divine throne, erected in the heavens...; Paradise on the right side of God; Hell on the left side; the Celestial Sanctuary directly in front of God, having a jewel on its altar graven with the name of the Messiah, and a Voice that cries aloud, Return, oh yoy children of men.

ففى الأصحاح الحادى والثلاثين من سفر إرمياء:

«ها أيام تأتى يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا. ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدى فرفضتهم .يقول الرب. بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام. يقول الرب. أجعل شريعتى فى داخلهم

وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلها وهم يكونون لى شعبا. ولا يعلمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين: اعرفوا الرب لأنهم كلهم سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم. يقول الرب. لأنى أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد» (إرمياء ٣١)

وبعض المسلمين يفسرون المحدث بأنه رسول الله ﷺ وتفسيرهم هذا ــ وهو باطل ــ يدل على أن القرآن محدث وليس بقديم؛ لأن ما بعد المحدث هو محدث مثله. ولو أصروا على قولهم بأن القرآن قديم قدم الله؛ لكان معنى ذلك: أن التوراة هى الذكر المحدث؛ لأنها نزلت على موسى عليه السلام وهو من بعد خلق السموات والأرض بأزمنة طويلة. ويترتب على هذا: أن التوراة غير منسوخة.

ثم تكلم عن الوعد. بمجيء محمد ﷺ وهلاك اليهود على يديه؛ لأنه مكتوب عنه: «فإن موسى قال للآباء: إن نبيا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون فى كل ما يكلمكم به، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشعب»

وقال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَن ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (٣٩) بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلا هُمْ يُنظَرُونَ (٤٠) وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾

البيان:

إنهم يقولون هذا على جهة الاستبعاد. ورد على استبعادهم بقوله: لو أنهم

يعلمون علم اليقين أن العذاب سيغشاهم فى يوم الرب؛ لما استبعدوا هذا الوعد؛ فإن الساعة ستأتيهم بغتة ولا يستطيعون رد العذاب فيها عن أنفسهم. وإذا طلبوا إبعاد العذاب وإعطائهم مهلة للتوبة؛ فإنهم لا يُنظرون. وما سيحدث لهم هو عدل من الله؛ لأنه حدث لأمم كذبت رسلها قبل محمد ﷺ.

ثم تكلم عن أ ـ اليهود المعاصرين ب ـ وعن آبائهم الأولين. فقال: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾؟ يريد أن يقول: إن الله أكثر من الخير والنعم عليهم، وعلى آبائهم حتى أنهم نسوا هذا اليوم. ووصف اليهود بأنهم يسمعون، ولكن لا ينتفعون بما يسمعون. كما قال فى سورة البقرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ ثم قال عن مقدمات العذاب: إنه إن أصابهم قليل من العذاب؛ فإنهم لن يتحملوه وسيعترفون بأنهم يستحقوه بظلمهم لأنفسهم. ثم قال عن نصب الموازين. ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾

البيان

إنه قال فى سورة مريم: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ وههنا يقول: ﴿ونضع الموازين﴾ والتوفيق بين المعنيين: هو أنه ههنا يتكلم عن المعاصرين وعن آبائهم. فآباؤهم ستوضع لهم الموازين؛ لأنهم كانوا يعملون على شريعة غير منسوخة. وأما هؤلاء المعاصرين فإنه لا موازين لهم لأن التوراة قد نسخت، ولم يدخلوا فى القرآن حتى يكون لهم أو عليهم.

وقد بينا: أنه لا فرق بمدة زمنية بين يوم القتل ويوم القيامة العامة من الأموات. وإذا انتفى الفرق لعدم الإحساس كما جاء فى الأثر: «من مات فقد قامت قيامته» فإن معنى يوم قيامة بنى إسماعيل على بنى إسرائيل فى يوم الرب؛ هو نفسه لهم يوم القيامة العامة من الأموات. وفى نهاية السورة يخاطب الله جنس إبراهيم وهم العرب واليهود. فيقول: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ أما المسلمون؛ فإنهم

ساروا على نهج الأنبياء. وأما اليهود؛ فإنهم خالفوا نهج الأنبياء ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾

***

يأجوج ومأجوج:

ومن نبوءات التوراة عن محمد ﷺ أنه يفتح بلاد يأجوج ومأجوج، وينشر دين الإسلام فيها، ويملك عليها فى الأيام الأولى لظهور محمد[1] ﷺ. وهى نفسها الأيام الأخيرة لملك بنى إسرائيل وشريعتهم. ويأجوج ومأجوج هم فى عصرنا هذا بلاد فارس وإيران وأفغانستان والترك وما حولهم. وعبر بقوله: ﴿واقترب الوعد الحق﴾ على هلاك الأمم واليهود فى يوم الرب وملك المسلمين على بلادهم. ويأجوج ومأجوج يعتبران من الأمم، والذين كفروا هم اليهود. والمعنى: ستهلك الأمم مع اليهود فى يوم الرب. وكرر المعنى. فخاطب اليهود بقوله: ﴿إنكم﴾ أيها اليهود ﴿وما تعبدون من دون الله﴾ وهم الأمم الكافرة. أنتم جميعا ﴿حصب جهنم. أنتم لها واردون﴾ يريد أن يقول: إن الأمم الوثنية مثل بابل وفارس واليونان والرومان. هؤلاء كانوا سادة على اليهود، واليهود خضعوا لهم تحت الجزية؛ فصاروا عابدين لهم، أى عاملين بشرائعهم، أو منفذين لأوامرهم. ولفظ العبادة جاء فى القرآن بهذا المعنى ومنه: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ ـ ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وفى التوراة هذا المعنى ومنه: «اسكنوا الأرض وتعبدوا لملك بابل فيكون لكم خير» (٢ مل

---

(١) فى سفر حزقيال ٣٨

«وكان إلىّ كلام الرب قائلا: يا ابن آدم اجعل وجهك على جوج أرض ماجوج رئيس روش. ماشك وتوبال، وتنبأ عليه. وقل: هكذا قال السيد الرب: هأنذا عليك ياجوج رئيس روش ماشك وتوبال، وأرجعك وأضع شكائم فى فكيك، وأخرجك أنت وكل جيشك خيلا وفرسانا كلهم لابسين أفخر لباس. جماعة عظيمة مع أتراس ومجان. كلهم ممسكين السيوف. فارس وكوش وفوط. معهم كلهم بمجن وخوذة وجومر وكل جيشه وبيت توجرمة من أقاصى الشمال مع كل جيشه شعوبا كثيرين معك. استعد وهيىء لنفسك أنت وكل جماعاتك المجتمعة إليك؛ فصرت لهم موقرا. بعد أيام كثيرة؛ تُفتقد. فى السنين الأخيرة تأتى إلى الأرض المستردة من السيف، المجموعة من شعوب كثيرة، على جبال إسرائيل... الخ»

وقال: «فى الأيام الأخيرة يكون» وهى آخر أيام بنى إسرائيل على شريعة موسى، وبدء أيام بنى إسماعيل على شريعة محمد ﷺ

٢٥ : ٢٤) أى اخضعوا لأوامره. والحاكم الأجنبى يعتبر إلها ـ مجازا ـ بمعنى السيد والرئيس. لا إنه إله على الحقيقة. فكأنه يقول: إنكم والذين تخضعون لهم من دون الله. وهم الأجانب المحتلون لبلادكم؛ حصب جهنم. وإنهم كانوا آلهة فى الدنيا. أى سادة ورؤساء. وهم ليسوا آلهة ولا رؤساء حال دخولهم جهنم من بعد هلاكهم فى يوم الرب.

ثم تكلم عن المؤمنين الأخيار من اليهود والأمم. فقال: ﴿إن الذين سبقت لهم منى الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ وقد جاء فى التوراة: أن موسى كان إلها لفرعون. أى سيدا. كما فى الأصحاح السابع من سفر الخروج. وتكلم بولس كثيرا عن الذين سبقت لهم الحسنى، فى رسالته إلى أهل روما. ومن كلامه: «لأن الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم. . .» (رو ٨: ٢٩ ـ) والفزع الأكبر هو يوم الرب. وقد بين: أن الأخيار لا يحزنهم الفزع الأكبر، والأشرار هم الذين يحزنون؛ لأنه من بعد القتل مباشرة سيكون لهم بقاء فى جهنم.

ثم تكلم عن طى السماء. وقد بيناه فى كتابنا «هرمجدون / حقيقة أم خيال»[١]

ثم قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾

كتب فى الزبور السابع والثلاثين، وكتب فى التوراة ـ التى هى الذكر ـ فى بركة إبراهيم وإسحق وإسماعيل: أن الأرض يرثها عباده الصالحون. ثم هدد اليهود بالهلاك فى يوم الرب، وبين أن محمدا لا يعلم يوم الهلاك ولا ساعته بقوله: ﴿وإن أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون﴾

***

وفى سورة الحج:

يقول الله تعالى:

(١) هرمجدون ـ نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾

البيان:

المراد بالناس: اليهود خاصة. وهو يأمرهم بالتقوى، وينذرهم بزلزلة الساعة.

وههنا أمران: ١ ـ الزلزلة ٢ ـ والساعة. وهما فى الآية شىء واحد. ومعناه: أنهم لن يحتملوا العذاب فى معركة الساعة؛ لأنها عليهم ستكون مثل الزلزال المدمر، الذى يخرب المدن والقرى، ولا يبقى لهم من أثر. ثم تكلم عن يوم الساعة. والمراد به: يوم الرب، وهو اليوم الذى ستكون فيه معركة الساعة. وهو يوم عسير على اليهود الكافرين بالنبى ﷺ

أما عن الزلزلة:

ففى سفر النبى حَجَّى: «لأنه هكذا قال رب الجنود: هى مرة بعد قليل. فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة، وأزلزل كل الأمم، ويأتى مشتهى كل الأمم. فأملأ هذا البيت مجدا. قال رب الجنود. لى الفضة ولى الذهب. يقول رب الجنود. مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول. قال رب الجنود. وفى هذا المكان أُعطى السلام. يقول رب الجنود» (حج ٢ : ٦ ـ ٩)

يعنى بالزلزلة للسموات والأرض والبحر واليابسة: الكناية عن الهول المصاحب لظهور «مشتهى كل الأمم» ـ وهو محمد ﷺ حسب تفسير المسيح فى إنجيل برنابا ـ لأنه سيبيد كل نفس لا تسمع لكلامه من الشعب.

ويعنى بزلزلة كل الأمم: أن الأمم ستهلك مع اليهود فى الأيام الأولى لظهوره والمراد بامتلاء البيت مجدا: هو أن الكعبة سيظهر مجدها من مبعث النبى ﷺ

والبيت الأخير: هو مكـة. والبيت الأول هو هيكل سليمان ــ بحسب تفسـير اليهود العبـرانيين ــ ومن مكة يعطى للعالم شريعـة سلام. ويدل تعبـير «رب الجنود» على حرب ستحدث، وأن الله فيها سينصر نبيه.

وأما عن الساعة:

فـإن بعض الحـواريين سألوا المسـيح عن زمن هدم هـيكل سليـمان وخـراب أورشليم. وأجاب بقوله: سأعطيكم علامات إذا حدثت، تعلمون من آخر علامة أن النبى الذى أبشر به سـيظهر، وبه ستنقطع النبوة وتخـتم فى بنى إسرائيل، وبه يكون هدم الهيكل، وخراب أورشليم طبقا لما قـال دانيال النبى فى الأصحاح التاسع. فإنه قال بعد كلام كـثير: «سبعون أسـبوعا قضيت على شعبك وعلى مـدينتك المقدسة؛ لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم وليؤتى بالبر الأبدى ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين» ــ وقال: «يبطل الذبيحـة والتقدمة. وعلى جناح الأرجاس مخرب، حتى يتم ويصب المقضى على المخرب»

ومن العلامات:

١ ــ ظهور أنبـياء كذبة ٢ ــ حروب تـقوم بين الأمم ٣ ــ قيام أمـة على أمة ومملكة على مملكة ٤ ــ ظهور مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن ٥ ــ اضطهاد اليهود لأتباع المسيح ٦ ــ ارتداد بعض النصارى ٧ ــ قتل اليهود لكثيرين من أتباع المسيح ٨ ــ وينتشر الإنجيل فى العالم «ثم يأتى المنتهى» وهو النبى الذى أبشر به.

رجسة خراب دانيال:

وقال المسـيح إذا حدثت هذه العلامـات، وظهر النبى. فاعلمـوا: أن الخراب الذى أنبأ عنه دانيال؛ سيقع. إذ ستـقوم حرب شديدة بين النبى الآتى وأصحابه وبين اليهود. وعند تمامها تخرب أورشليم، ويهدم الهيكل. وهو يعنى بهدم الهيكل: نسخ التوراة وإزالة رسومها. ذلك قوله: «فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس...»

ضراوة المعركة:

وقال المسيح لأتباعه: لا تشتركوا مع اليهود فى هذه المعركة؛ لأن وقعها سيكون شديدا. وليس من الهلاك؛ نجاة «فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال. . .» إلى أن قال: «**وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام**» وقد جاء فى القرآن فى هذا المعنى: **﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها﴾**

وقال المسيح: «لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن، ولن يكون» والمراد بالعالم: من بدء ملك اليهود ونبوتهم من موسى عليه السلام إلى حين نسخ التوراة. وهو لا يقصد من آدم وحواء. وذلك لأن هلاكا قد حدث من بدء الخليقة إلى زمان موسى. مثل هلاك قوم نوح وعاد وثمود.

ويطلق اليهود على المدة من موسى إلى ظهور النبى المنتظر؛ عالم. ومن النبى المنتظر إلى انتهاء الدنيا؛ عالم. فهما عالمان، ولكل عالم شريعة وملك. وفى كتب الأناجيل كلام كثير عن العالمين هذين. منه: «لا فى هذا العالم، ولا فى الآتى» (متى ١٢ : ٢١)

فإذا حدث الضيق العظيم على يد محمد وأصحابه، وتم على أيديهم عذاب لا يطاق لليهود، وابتدأ عالمه. فإن عالمه لن تكون فيه ضيقات تشبه الضيقة التى حدثت فى يوم الرب. وهذا هو معنى قوله تعالى: **﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾** أى أن المائدة كانت معجزة من أجل أن يصدقوا كلامه عن محمد. فإذا جاء وكفروا به؛ ينزل عليهم هلاكا فى يوم. لا ينزله من بعدهم على أمة من الأمم. ويعنى بالأمة التى لن ينزل عليها عذابا أمة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لأنه ضياع ملك لليهود ونسخ شريعة لهم على يدها. ولن يأتى بعدها أمة تتسلم الملك منها وتتسلم الشريعة.

ثم تكلم عن هول المعركة بأساليب مجازية تناسب الهول. فقال: «تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السموات

تتزعزع. وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء» وابن الإنسان: هو لقب لمحمد ﷺ فى الأصحاح السابع من سفر دانيال.

وأكد على أن ساعة المعركة ستأتى بغتة، ولا يعلم موعدها إلا الله وحده. فقال: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده»

وهذا هو نص كلام المسيح عن الساعة من إنجيل مرقس. وهو طويل فى إنجيل متى ٢٤ وله نظير فى لوقا ٢١

النص:

«وفيما هو خارج من الهيكل. قال له واحد من تلاميذه: يا معلم انظر ما هذه الحجارة وهذه الأبنية. فأجاب يسوع وقال له: أتنظر هذه الأبنية العظيمة. لا يترك حجر على حجر لا ينقض. وفيما هو جالس على جبل الزيتون تجاه الهيكل سأله بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس على انفراد قل لنا: متى يكون هذا؟ وما هى العلامة عندما يتم جميع هذا؟. فأجابهم يسوع وابتدأ يقول: انظروا لا يضلكم أحد. فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين: إنى أنا هو. ويضلون كثيرين. فإذا سمعتم بحروب وبأخبار حروب فلا ترتاعوا. لأنها لابد أن تكون. ولكن ليس المنتهى بعد. لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون زلازل فى أماكن وتكون مجاعات واضطرابات. هذه مبتدأ الأوجاع. فانظروا إلى نفوسكم. لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وتجلدون فى مجامع وتوقفون أمام ولاة وملوك من أجلى؛ شهادة لهم. وينبغى أن يُكرز أولا بالإنجيل فى جميع الأمم. فمتى ساقوكم ليسلموكم فلا تعتنوا من قبل بما تتكلمون ولا تهتموا. بل مهما أعطيتم فى تلك الساعة فبذلك تكلموا. لأن لستم أنتم المتكلمين بل الروح القدس. وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والأب ولده. ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم. وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى. ولكن الذى يصبر إلى المنتهى؛ فهذا يخلص. فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة، حيث لا ينبغى. ليفهم القارى. فحينئذ

ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال. والذى على السطح فلا ينزل إلى البيت ولا يدخل ليأخذ من بيته شيئا. والذى فى الحقل فلا يرجع إلى الوراء ليأخذ ثوبه. **وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام**. وصلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء. لأنه يكون فى تلك الأيام ضيق لم يكن مثله منذ ابتداء الخليقة التى خلقها الله إلى الآن ولن يكون. ولو لم يقصر الرب تلك الأيام، لم يخلص جسد. **ولكن لأجل المختارين الذين اختارهم** ؛قصر الأيام. حينئذ إن قال لكم أحد: هو ذا المسيح هنا أو هو ذا هناك؛ فلا تصدقوا. لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات وعجائب لكى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا. فانظروا أنتم. ها أنا قد سبقت وأخبرتكم بكل شىء.

وأما فى تلك الأيام بعد ذلك الضيق. فالشمس تظلم والقمر لا يعطى ضوءه ونجوم السماء تتساقط والقوات التى فى السموات تتزعزع. وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا فى سحاب بقوة كثيرة ومجد؛ فيرسل حينئذ ملائكته ويجمع مختاريه من الأربع الرياح .من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء. فمن شجرة التين تعلموا المثل. متى صار غصنها رخصا وأخرجت أوراقا تعلمون أن الصيف قريب. هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فاعلموا أنه قريب على الأبواب. الحق أقول لكم: لايمضى هَذا الجيل حتى يكون هذا كله. السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول. و أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلّم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب. انظروا. اسهروا وصلوا لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت. كأنما إنسان مسافر ترك بيته وأعطى عبيده السلطان ولكل واحد عمله وأوصى البواب أن يسهر. اسهروا إذاً. لأنكم لا تعلمون متى يأتى رب البيت. أمساء أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحا. لئلا يأتى بغتة فيجدكم نياما. وما أقوله لكم أقوله للجميع: اسهروا» (مرقس ١٣)

ونرجع إلى كلام القرآن عن الساعة ويوم الرب:

ثم قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث﴾ ما المراد بالبعث؟

هل هو البعث من الأموات فى نهاية الحياة الدنيا؟ ليس هذا هو المراد ههنا. وذلك لأن اليهود لا ينكرون البعث من الأموات. فإنهم ﴿قَالُوا : لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ ـ ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ ولأن العرب لا ينكرون البعث من الأموات؛ لأنهم من نسل إبراهيم عليه السلام وكانوا مكلفين بالعمل بالتوراة. وليس الخطاب بالناس فى القرآن إلا لليهود. وعليه يكون للبعث معنى آخر؛ فما هو هذا المعنى الآخر؟ ـ وإنه لهو المراد ـ

إن اليهود فى ذاك الوقت كانوا على شريعة التوراة. يقرأونها ويعلّمون بها ويعملون. كل على قدر نيته. وقراءتها والتعليم بها والعمل بها يدل على أنهم بها أحياء. غير أموات. والله يريد لهم حياة جديدة على شريعة جديدة غيرها هى القرآن. وعليهم إذا أرادوا الحياة الجديدة أن يتركوا الشريعة القديمة وهى التوراة. والترك موت. ومن بعده البعث للشريعة الجديدة. فكأنه يقول لهم: ألست قادرا إذا متم عن التوراة أن أبعثكم خلقا جديدا على القرآن؟ ألست أنا الخالق من العدم على مراحل؟ وذكر المراحل الجسدية يشير بالمراحل إلى تدرج التشريع من بدء الخليقة. فمن آدم إلى نوح كانت وصايا خلقية ليعامل الناس بعضهم بعضا بالحسنى.

ومن نوح إلى موسى كانت شريعة، فيها تحريم القتل ظلما. وإباحة كل المطعومات. ومن موسى إلى محمد كانت شريعة. فيها ﴿موعظة وتفصيلا لكل شىء﴾ ولكنها كانت صعبة. فإذا كان منى ذلك على مراحل؛ كما هو منّى الخلق على مراحل. فلماذا تستبعدون البعث الجديد على الشريعة الجديدة؟ لماذا تستبعدون نسخ الشرائع؟

ثم قال بعد ذلك: ﴿وأن الساعة لآتية لا ريب فيها﴾ وهى ساعة هلاك اليهود المكذبين لتتطهر الأرض منهم ﴿وأن الله يبعث من فى القبور﴾ عبر بالقبور عن الموت؛ لأن المترتب على الموت قبر. والمعنى: وأن الله يبعث الأموات عن الشريعة القديمة إلى حياة جديدة على القرآن الكريم.

ثم شرع الله فى الكلام عن يوم الرب فقال:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾

***

التفريق بين ساعة المعركة

وبين عذاب يوم عقيم:

وقال تعالى: ﴿ وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٥٧) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

البيان:

فرقٌ بين يوم الرب الذى ستكون فيه معركة الساعة، وبين يوم عذاب قبلها. أو بعدها. كعذاب الأمم قبل يوم القيامة المذكور فى سورة الإسراء. ومثل عذاب اليهود فى غزوة خيبر وما يشبهها. وعذابهم فى مرتى الفساد والعلو. ثم قال عن يوم الساعة: ﴿الملك يومئذ لله يحكم بينهم﴾ وقسمهم إلى قسمين: قسم الأخيار. وهؤلاء سينضمون إلى جند المسلمين. ومن يقتل منهم سيدخل الجنة. وقسم الأشرار. وهؤلاء هم الكافرون المكذبون. ومن يقتل منهم سيدخل النار. وليس من مدة فاصلة بين القتل وبين الجنة أو النار؛ لانقطاع الإحساس بهلاك الأجساد. كما قال عن قوم نوح: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ أى دخلوا نار الآخرة عقب الغرق مباشرة. لأنه لا مدة بين القتل وبين الآخرة. ومثله قوله عن الشهداء: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فى الآخرة؛ لأن عدم القتل كان عائقا عن دخولهم الجنة. فلما قتلوا؛ زال العائق. ولعدم الإحساس بالمدة قال: ﴿عند ربهم يرزقون﴾ من بعد القتل فى الدار الآخرة بدل رزقهم عنده فى دار الدنيا. وأشار بقوله ﴿أحياء﴾ إلى أنهم من

بعد القتل مباشرة أحياء؛ لأنه لا مدة بين القتل وبين يوم القيامة؛ لانتفاء الإحساس بسبب هلاك الجسد. إذ الروح لا تؤثر فى جسد هالك. إن قلنا بأنها جسم أو قلنا بأنها جوهر روحانى مجرد عن الجسمية.

***

وفى سورة المؤمنون:

يقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤٩) وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠) يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٢) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٦٣) حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ (٦٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠) وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ (٧١) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٢)

وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾

قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾

البيان:

تكلم عن بنى إسرائيل. وأول نبى فيهم هو موسى عليه السلام والمراد بالكتاب: التوراة. وذكر آخر نبى فيهم. فقال: إنه المسيح عيسى بن مريم. ثم تكلم عن اختلاف المذاهب العقائدية والفقهية فى بنى إسرائيل وتعدد أحزابهم، وشرع فى الكلام عن نعم الله عليهم من المال والبنين. ومع ذلك هم ساهون عن آخرتهم على يد محمد ﷺ وقسمهم إلى قسمين: قسم يعملون الصالحات، وهم من خشية ربهم مشفقون. وقسم لا يخشى الله وهم المترفون المتنعمون الذين سينكرون محمدا ﷺ حال مبعثه؛ لحبهم الدنيا.

وقال عن هؤلاء المترفين: إنه فى يوم الرب سينالون عقابا أليما، وسيكون لهم صوت فظيع من شدة العذاب يستيغثون به الله ليرحمهم من عذاب هذا اليوم. وقد ردّ عليهم بقوله: ﴿لا تجأروا اليوم﴾ أى فى يوم الرب. يوم المعركة الفاصلة بين اليهود والمسلمين فى فلسطين فى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿إنكم منا لا تنصرون﴾ وإن كنتم ترون أن النصر يكون بغيرنا من المسيحيين، الرومان وغيرهم من سائر

الأمم؛ فالجأوا إليهم. أما منا؛ فلا.

والسبب فى ذلك: أنكم كـذبتم بآياتى، واستكبـرتم ولم تدخلوا فى الإسلام مع الداخلين.

ثم شرع فى كلام جـديد. وهو الكلام فى نبوءات التوراة الدالة على مـحمد ﷺ ومن هذه النبوءات: نبوءة موسى عليه السلام التى يقول فيهـا عنه: إنه سيكون نبياً أميا لا يقرأ ولا يكتب وسيقول لهم كل ما يقوله الله له «فيكلمهم بكل ما يوصيه به» وفى هذه النبـوءة: أنه يبيـد ويهلك من الشـعب كل من لا يؤمن به. ونبوءة القـول هذه موجودة فى الأصحـاح الثامن عشر من سفر التثنيـة؛ فلم لم يتدبروا القول الذى هو فيـها وهو فيكلمهم بكل مـا أوصيه به؟ وهذا القـول جاءهم من الآباء الأولين. من موسى نفسه صاحب الشريعة. فمحمد جاء كما قال عنه موسى والآباء.

ثم قال: إن أوصافه؛ تدل عليه وتعرفهم به.

ويسألـهم سؤال توبيخ فى هذا اليـوم العصـيب عن أوصافه فـى التوراة. ألا تعرفكم به؛ أم أنكم عرفتموه بأوصافه بعدما تدبرتم القول ورأيتم أنه مجنون؟ والذى يدل على أنه ليس بمجنون: هو أن القـرآن لا اختلاف فيـه ولا تناقض. وهذا القرآن آتاهم بذكرهم. وذلك لأن التـوراة ذكر، والله قد وضع فى القـرآن من التوراة شىء كثير بالمعنى. مما يدل عـلى محمد ﷺ فحفظ لله فى القرآن بهـذا الوضع كثيرا مما فى التوراة عنه؛ حتى إذا ضاعت يكون القرآن حافظا لكثـير مما كان فيها. ويقول الله تعالى فى ذلك: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ فى القرآن.

وقال: إن القرآن ذكـر محدث، والتوراة ذكـر قديم. أى أنهما عهـدان: عهد قـديم، وعهـد حـديث. وهذا واضح من أول سـورة الأنبيـاء. وبعـدها تكلم عن ذكرين: ذكر كان منزلا فى حيـاة موسى، وذكر جديد قال عنه: ﴿**وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ**﴾ ثم قال تعـالى عن عذابهم فى يوم الرب: ﴿حتى إذا فتـحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه ملبسون﴾ فالعذاب الشديد: هو العذاب فِي يومِ الربِ، وفيه تكون معركة الساعـة المكتوب عنها فى أول سورة الروم وهو: ﴿**ويوم تقوم السَّاعة**

يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ثم بعد ذلك يحكى عنهم أنهم قالوا مثلما قال آباؤهم من الأنبياء ﴿قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون﴾؟ لقد اتفقوا مع الأنبياء فى أمر، واختلفوا عن الأنبياء فى أمر. اتفقوا على أن العامل بالشريعة طالما هو عامل بها؛ يكون حيا بها. فإذا تركها يكون بالترك ميتا عنها. فإذا قبل من بعد الترك شريعة أخرى؛ يكون حيا عليها، شبه من بعث من الموت. فاليهود المعاصرون للنبى والأنبياء السابقون متفقون على أن الشريعة حياة. فإذا أرادوا الحياة على شريعة أخرى، يلزمهم الموت عن الأولى. موتا مجازيا بمعنى الترك. والاختلاف بين المعاصرين وبين الآباء: هو أن المعاصرين لا يريدون موتا ولا حياة ولا نشورا. وأما الآباء فلو فرض أنهم أحياء فى حياة محمد؛ لماتوا عن التوراة وحيوا على شريعته.

وقد وعدوا بهذا. وقال المعاصرون: إن هذا إلا أساطير الأولين. أما الأولون فلم يقولوا.

ثم شرع فى الكلام فى رؤية المعركة فقال للنبى ﷺ: قل يا محمد فى حالة أن تكون هذه المعركة فى حياتك: لا تجعلنى. لا أنا ولا أصحابى فى عداد القوم الظالمين. وهم اليهود. وأشار بقوله: ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾ على أن المعركة ستكون من بعد وفاته؛ لقوله فى سورة الرعد: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾

ووصف الله حال اليهود وقت المعركة فقال: إذا رأوا شدتها وهولها؛ يقول الواحد منهم: ﴿رب ارجعونى لعلى أعمل صالحا فيما تركت﴾ وقد رد بقوله: إن رجوعه لا فائدة منه؛ لأن الإنذارات توالت عليه كثيرا.

* * *

ونقول عن حياة البرزخ:

إنه حينما يموت الميت ـ حسب اعتقاد اليهود ـ فإنه لا يحيى فى القبر لنعيم أو لعذاب، وجسده يفنى. وإذا فنى الجسد؛ تفسد الأعضاء؛ فلا يؤثر فيها الهواء.

والروح [١] عندهم ـ حسب الواضح من سفر الحكمة ـ هى هواء الجو. إذا مر على أعضاء صالحة لاستقباله فى الجسد؛ يكون الجسد بالهواء حيا.

فالروح هى الهواء. وحيث أنه لا جسد فى القبر، ولا أعضاء صالحة؛ فإن الحياة فى البرزخ تكون منتفية. وعلى ذلك فلو فرضنا أن يهوديا مات فى الساعة الخامسة من يوم السبت؛ فإنه فى يوم البعث للحياة للآخرة لو جمعت عظامه واكتسيت باللحم والجلد، وأصبحت أعضاؤه سليمة، وصالحة لاستقبال الهواء كما كان فى الدنيا؛ فمن الساعة الخامسة من يوم السبت الذى مات فيه، إلى الساعة الخامسة من اليوم الذى سيحيا فيه فى الآخرة؛ تكون المدة منتفية؛ لانتفاء الإحساس

(١) اختلاف اليهود فى الروح:

فى سفر زكريا: «يقول الرب باسط السموات، ومؤسس الأرض، وجابل روح الإنسان فى داخله» (زك ١٢ : ١) ومعنى هذا ـ على ظاهر اللفظ ـ: أن الروح جسم مستقل عن جسم الإنسان وموجود فى داخل جسم الإنسان. ويقول سعديا الفيومى: إن الروح هى النفس. وإنها جوهر عقلى صافى أصفى من جوهر الكواكب والأفلاك ولكننا لا نراها فى الحس وفى سفر الحكمة: أن جماعة من اليهود ينكرون استقلال الروح عن الجسم، ويقولون: هى هواء مثل الدخان، وأن النطق شرارة من حركة قلوبنا (حك ٢)

وعند اليهود المثبتين للأرواح خلاف فى الروح. هل هم جسم أم هى جوهر روحانى مجرد عن الجسمية؟ فالجمهور مثل الجمهور عند المسلمين. والفلاسفة مثل الفلاسفة.

فابن كمونه وهو من الفلاسفة يقول: إن المراد بالنفس جوهر ليس بجسم ولا جزئه ولا حال فيه، وله تعلق بالجسم من جهة التدبير له والتصرف فيه والاستكمال به.

وينكر ابن كمونه الحياة فى القبر كما ينكر اليهود. ويثبت البعث فى الحياة الآخرة من بعد الموت. وعندنا نحن المسلمين اختلاف فى الحياة فى القبر. وعندنا اختلاف فى حقيقة الروح. مع اتفاقنا على البعث فى الدار الآخرة. ولا أحد ينكره من المسلمين.

وأما الروح المسئول عنه فى سورة الإسراء. فهو محمد رسول الله ﷺ كما هو مبين فى كتابنا حياة القبور بين المسلمين وأهل الكتاب. وبيان ذلك: أن عيسى عليه السلام قال «بِيراكليت الروح القدس» أى أحمد الآتى من قبل الله القدوس الطاهر. وصار لقب «الروح» علما غالبا عليه حتى أنه إذا قيل بيراكليت يعرف أنه هو، كما يعرف بالروح سواء بسواء. وقال عيسى عليه السلام: إننى لن أعلمكم كثيرا وإذا جاء «الروح القدس» فإنه سيعلمكم كل شىء .فلما جاء الروح قال: ﴿وما أوتيتم﴾ من عيسى ﴿من العلم إلا قليلا﴾ (راجع يوحنا ١٤ +)

ويقول اليهود: إنه من بعد الموت إلى قيام القيامة؛ تكون الأجسام والأرواح فى مكان للحفظ.

بانتفاء الجسد والهواء. فإذا فرضنا أن المدة ملايين السنين من موته فى الساعة الخامسة إلى حياته فى الساعة الخامسة؛ نفرض أنها ملايين فى نظرنا، ونعتقد أنها ليست مدة. ومثل ذلك مثل النائم ينام فى الساعة الخامسة مثلا، ويستيقظ فى الخامسة التى بعدها، ولا يحس بمدة، وفى حال استيقاظه يعتقد أنه هو هو حال نومه. فقوله تعالى: ﴿ومن ورائهم. برزخ إلى يوم يبعثون﴾ هذا البرزخ هو الحاجز بالموت، ومدة الحاجز تكون من الموت إلى البعث فى الدار الآخرة. وهو ليس مكانا فيه أجساد أو أرواح أو أجساد بأرواحها، وإنما هو المدة التى فيها قد فُقد الإحساس. وعبر عنها بالبرزخ بلسان بنى آدم. لأن فقد الإحساس شبيه بوضع الأجساد فى مكان أمين.

ضياع الأنساب:

ثم تكلم الله عن جمع اليهود وشركائهم من الأمم فى يوم الرب بقوله: ﴿فإذا نفخ فى الصور﴾ وهو كناية عن التجمع كما هى عادة المحاربين القدماء ﴿فلا أنساب بينهم﴾ يعنى: أن العرب أصحاب محمد، واليهود المكذبين به؛ أولاد عم؛ لأنهم جميعا من نسل إبراهيم عليه السلام والإيمان الذى فصل بين إبراهيم وأبيه إذ كان أبوه كافرا، وقطع الأنساب والصلات؛ هو نفسه الإيمان الذى قطع الصلة بين المسلمين وبين اليهود. كما يقول الله تعالى عن إبراهيم وأبيه: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ

(١) المسيحيون يغالطون فى موضوع نهاية اليهود بقولهم إنه كان فى سنة سبعين وسنة مائة واثنين وثلاثين ميلادية. وهم يغالطون حتى لا يلزمهم الدخول فى الإسلام. لأن نهاية اليهود كما فى التوراة لاتكون إلا على يد محمد ﷺ. والرومان فى سنة ٧٠ و ١٣٢ قد كسروا شوكة اليهود، ولكن لم ينهوا ملك اليهود ولم ينسخوا شريعتهم؛ وذلك لأن دانيال النبى حدد نهاية الملك والنسخ بزوال الرومان نهائيا من فلسطين. وقد بقى الرومان وبقى معهم اليهود تحت الجزية فيها إلى ظهور المسلمين. وقد أزالهم المسلمون فى سنة ٦٣٨ فى عهد عمر بن الخطاب. وفى بحث على الانترنت كتب يعقوب نويسنر:

The conquest of Jerusalem by the Romans in 70 A.D. led to the foundation of classical, rabbinic Judaism under the leadership of Yohanan ben Zakkai and othe great rabbis. The Moslem conquest of the Middle East in 640 A.D. afterward renewed the philosophical and mystical inquin The advent of.

منه﴾ وأشار إلى فلاح المؤمنين بثقل الموازين، وأشار إلى خسران اليهود بخفة الموازين، وأشار بلفح النار لوجوههم إلى شدة المعركة.

ولما طلبوا الخروج. هل طلبوا الخروج من فلسطين أم الخروج من المعركة؟ إنهم إن طلبوا الخروج من فلسطين، وقالوا: لن نعود إليها بعد. فإن عدنا ونحن نكذب بمحمد؛ فإنا ظالمون. أو طلبوا الخروج من المعركة؛ فإن عدنا إلى مثلها ونحن نكذب بمحمد؛ فإنا ظالمون. فإن المعنى واحد؛ فإن الخروج منها هو خروج من الأرض وتركها للمسلمين؛ ليرثوها إرث ديانة وشريعة.

وبين أنهم يكذبون وأنهم كانوا يضحكون من المؤمنين. وقد حكى الله عن هذا المعنى فى سورة المطففين.

ثم سأل اليهود هذا السؤال: ﴿كم لبثتم فى الأرض عدد سنين؟﴾ يقصد لبثهم فى أرض فلسطين، ويعنى باللبث فى الأرض: مدة البركة الممنوحة لإسحق عليه السلام التى ابتدأت من موسى، وانتهت بمحمد مع أنهم ما دخلوا الأرض المقدسة إلا من بعد موسى بخمسمائة عام تقريبا. فهو يسأل عن مدة البركة مطروح منها مدة ما قبل داود وطالوت عليهما السلام. وردوا بقولهم: إننا لبثنا مدة قليلة، وعبروا عن القلة بأسلوب كنائى. وهو ﴿يوما أو بعض يوم﴾

***

وفى سورة النور

كلام عن يوم الرب؛ لأن بدء السورة هو ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ والتذكر يستلزمه معرفة سابقة بما سيتذكره الإنسان. وهذه المعرفة تدل على أن المخاطبين بالتذكر هم اليهود؛ لأن أحكام الزنى والقذف واللعان وما فى السورة من أحكام موجود فى التوراة وهم يعرفونه ـ والعرب ليسوا هم أهل الكتاب ـ وهو يريد أن ينسخ المعرفة بمعرفة بدلها فى القرآن. ثم قال ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾ والذين يرمون المحصنات الغافلات

عن ما رُموا؛ هم اليهود؛ فإنهم كتبوا عن نبي الله سليمان كلاما سيئا، وعن أبيه مع بَشْشَبع زوجة أورِيّا الحِثّى. وغيرهم وقال ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ إن لم يتركوا التوراة التى فيها مكتوب هذا الرمى، ويدخلوا فى الإسلام الذى قال فى حق المقذوفين ﴿أولئك مبرأون مما يقولون﴾ وهذا العذاب العظيم سيكون قريبا فى يوم الرب لدلالة سور كثيرة على العذاب فيه. ولسان حالهم فى يوم العذاب هذا سيشهد على أعمالهم. وقال للمسلمين فى شخص النبى عن اليهود: ﴿لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض﴾ فى يوم الرب فإنهم سيغلبون ﴿وماواهم النار. ولبئس المصير﴾ وحذر المخالفين عن أمر الله وهم اليهود من فتنة أو عذاب. فقال: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره؛ أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ وهو مثل التحذير المبين لهم فى سورة كثيرة.

***

هذا. ممّا علمناه فى هذا الموضوع ـ والله أعلم ـ وقد أظهرناه كما أظهر علماؤنا خواطرهم. فإن منهم من فسر وأطال الكلام فى الفقه، ومنهم من أطال فى البلاغة، ومنهم من أطال النَّفَس فى النقل من كتب أهل الكتاب. والقرآن حمال وجهين. وقد تكفل الله بحفظه وببيانه. وللناس [1] عقول تميز بين الحق والباطل، وبين الغث والسمين.

وقد بينا فى هذا الكتاب:

١ ـ أن محمدا ﷺ قد جاء رسولا إلى اليهود، بحسب طلبهم «يُقيم لك الرب إلهك: نبيا من وسطك من إخوتك مثلى. له تسمعون، حسب كل ماطلبت من الرب إلهك..» (تث ١٨ : ١٥ ـ) وأن الله خاطبهم عن طريقه فقال: **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**

---

(١) لفظ الناس فى القرآن:

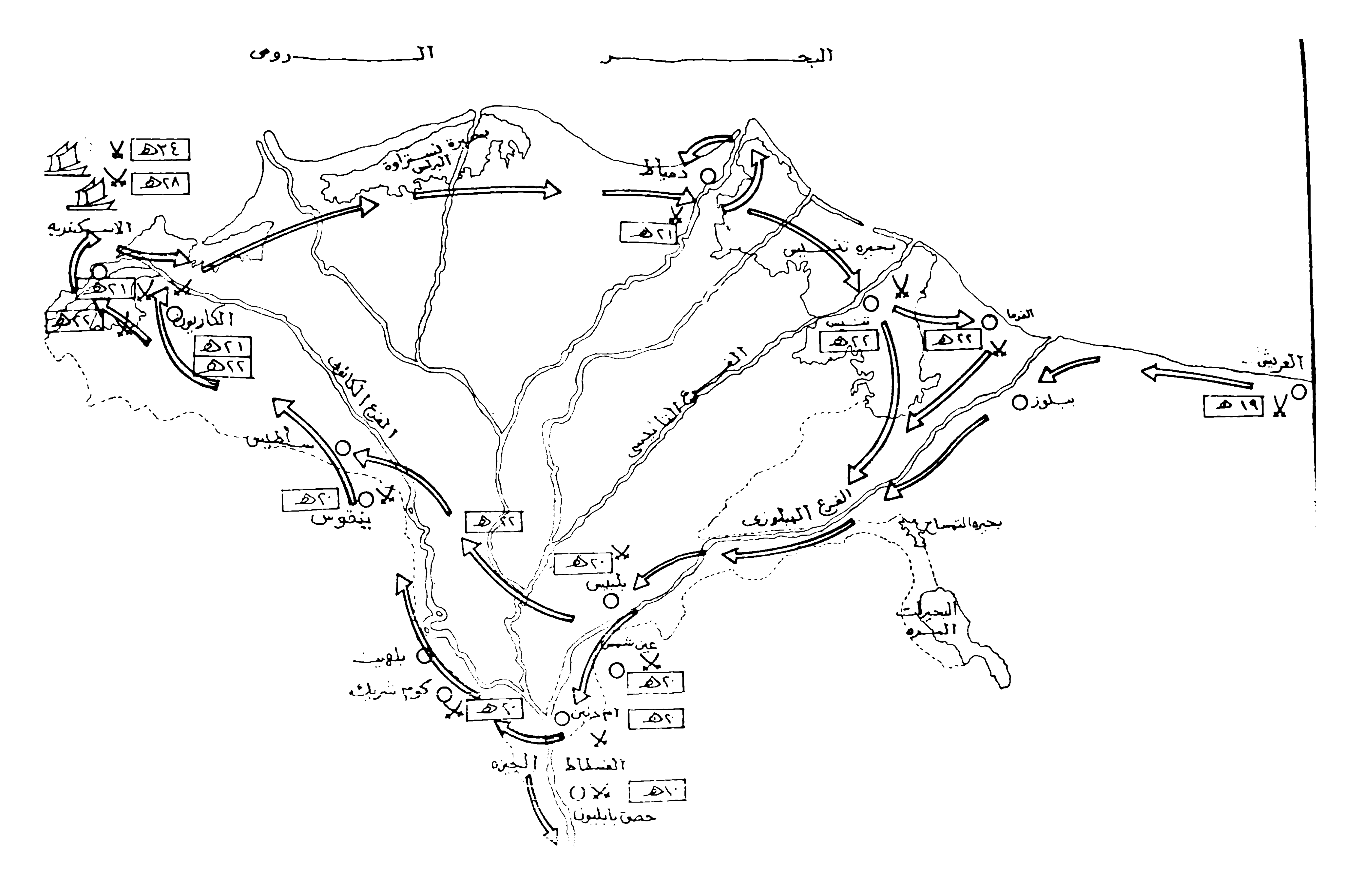
يدل على بنى إسحق. واليهود منهم والمسيحيون طائفة منشقة عن اليهود.

٢ ـ وببعثته يكون الله قد أنجز وعده، ولم يبدل كلمته ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾

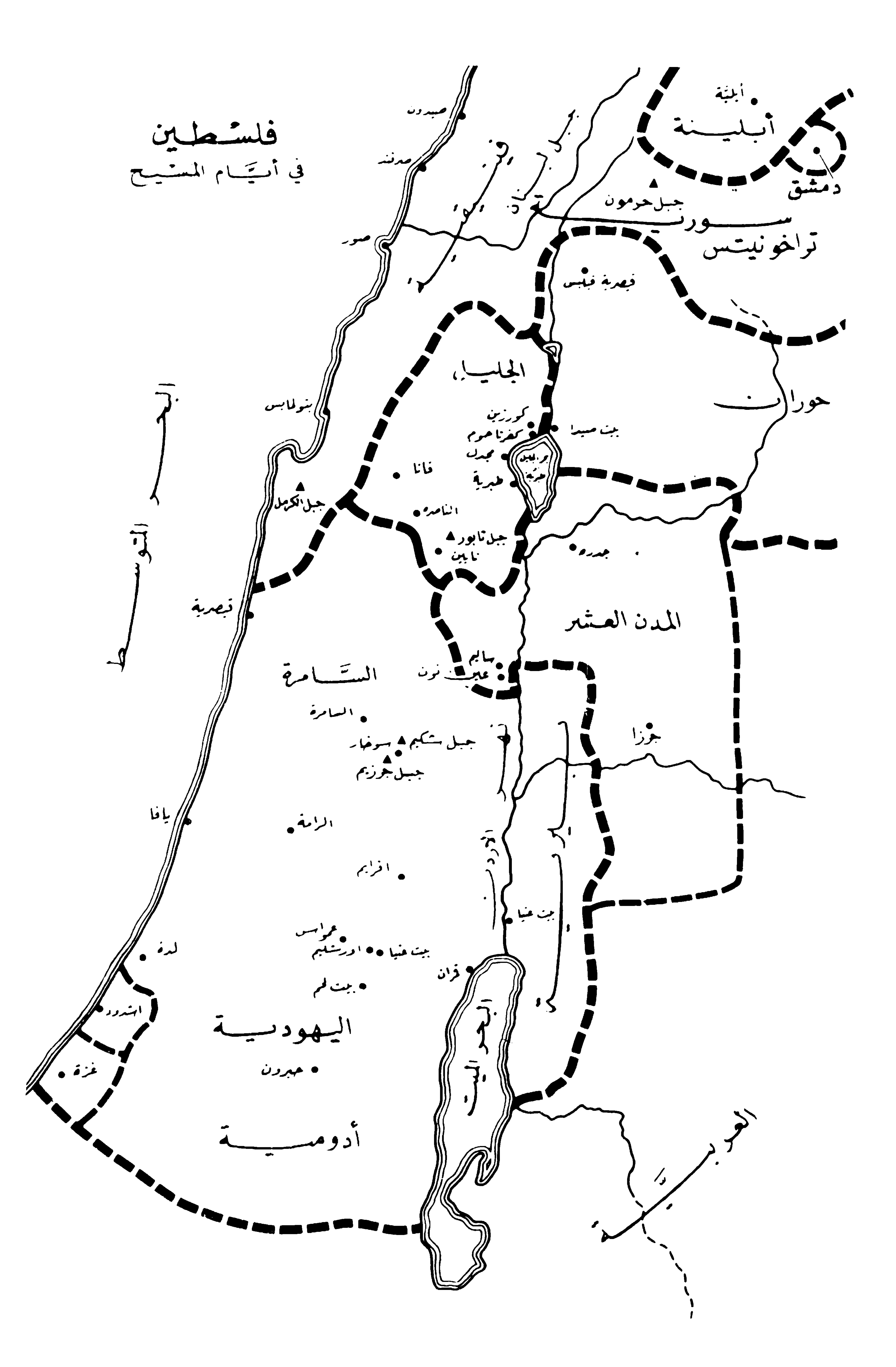
٣ ـ ولما أرسل الله محمدا ﷺ إلى اليهود ولم يقبلوه؛ وكّل بالقرآن أهل محمد ﷺ فقاموا به خير قيام. ذلك قوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ**﴾

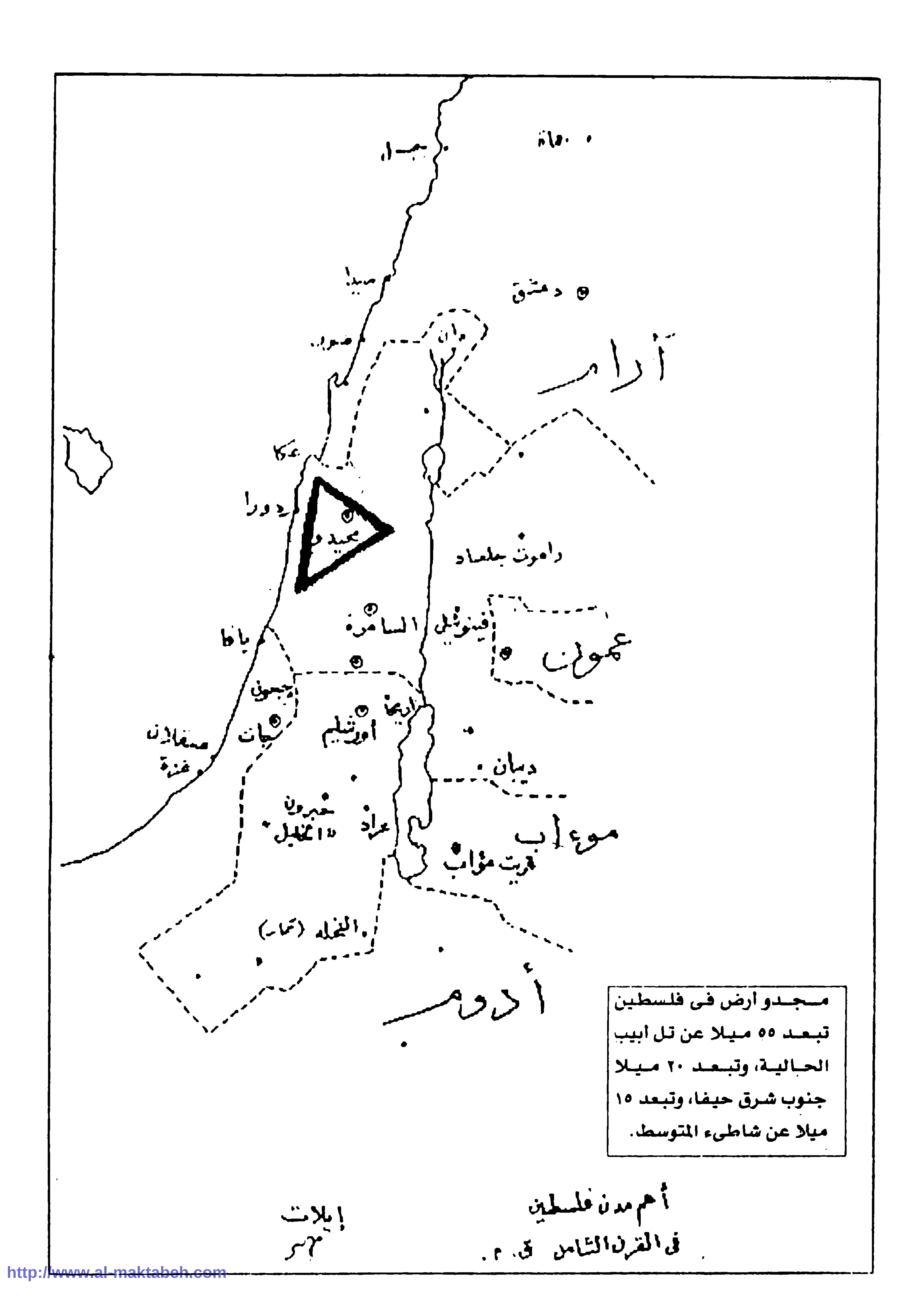
٤ ـ وإذا خاطب الله اليهود فى القرآن بمعنى؛ فإنما هو يخاطب العالم أجمع عن طريقهم، وإذا خاطب الله النبى فى القرآن بمعنى؛ فإنما هو يخاطب العالم به في شخصه، وإذا كان المعنى خاصا به هو نفسه؛ فإنه إذ يبين الخصوصية؛ يكون المعني له وحده. وقد جاء فى هذا ﴿**خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾

وعند هذا القدر من الكلام. نتوقف. ونسأل الله الهدى، وحسن الختام. ونصلى ونسلم على خاتم أنبيائه ورسله. محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه. وكان الفراغ من تأليفه فى الشهر الخامس من سنة ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرين من الهجرة فى مدينة القاهرة. وصححه وراجعه / علاء أحمد حجازى السقا.



البحر الرومي
العريش
١٩ هـ
بسلوز
الفرما
٢٢ هـ
تنيس
٢٢ هـ
بحيرة تنيس
دمياط
٢١ هـ
بحيرة نستراوة البرلس
الاسكندرية
٢٤ هـ
٢٨ هـ
٢١ هـ
٢٢ هـ
الكاريون
٢١ هـ
٢٢ هـ
سلطيس
بيقوس
٢٠ هـ
الفرع الكانوبي
٢٢ هـ
الفرع التانيسي
الفرع البيلوزي
بحيرة التمساح
البحيرات المرة
بلبيس
٢٠ هـ
عين شمس
٢٠ هـ
ام دنين
٢٠ هـ
بلهيب
كوم شريك
٢٠ هـ
الجيزة
الفسطاط
١٠ هـ
حصن بابليون


فلسطين
في أيام المسيح
صيدون
صرفند
صور
جبل لبنان
أبلية
أبلينة
دمشق
جبل حرمون
سورية
تراخونيتس
قيصرية فيلبس
الجليل
حوران
كورزين
كفرناحوم
بيت صيدا
مجدل
طبرية
قانا
الناصرة
جبل تابور
نايين
جدره
المدن العشر
بتولمايس
جبل الكرمل
قيصرية
البحر المتوسط
السامرة
سالم
عين نون
السامرة
جبل شكيم
سوخار
جبل جرزيم
جرزا
يافا
الرامة
افرايم
بيت عنيا
عمواس
بيت عنيا
اورشليم
قمران
بيت لحم
لدة
اشدود
غزة
اليهودية
حبرون
أدومية
البحر الميت
العربية



حماة
صيدا
صور
دمشق
دان
آرام
عكا
دورا
مجدو
راموت جلعاد
السامرة
فينوئيل
عمون
يافا
أورشليم
أريحا
جات
عسقلان
غزة
ديبان
حبرون
الخليل
عراد
موءاب
قريت مؤاب
النخلة (تمار)
أدوم
مـجـدو ارض فى فلسطين
تبـعـد ٥٥ مـيلا عن تل ابيب
الحـالية، وتبـعـد ٢٠ مـيلا
جنوب شرق حيفا، وتبعد ١٥
ميلا عن شاطىء المتوسط.
إيلات
مصر
أهم مدن فلسطين
في القرن الثامن ق. م.

فهرس كتاب
يوم الرب العظيم

❖ ❖ ❖

تم الفهرس